الجامعة الإسلاميـــة – غـــزة
عمادة الدراسات العليـــــا
كليـــــة أصـــــول الدين
قسم الحديث الشريف وعلومه

الإعـلام في السنة النبويّـــة

"دراســة حديثيّـة موضوعيّــة"

إعـــداد

الطالب: محمد علي عوض

إشـــراف

الأستاذ الدكتور: نافذ حسين حمـــاد

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في الحديث الشريف وعلومه من كلية أصول الدين في الجامعة الإسلامية بغزة.

العام الجامعي

(1430هـ - 2009م)

الإهـــداء

إلى الرسول الأعظم، والمعلم الأكرم: محمدٍ صلى الله عليه وسلم.

إلى الإمام الشهيد حسن البنا رحمه الله.

إلى والديّ الكريمين، من ألبساني ثوب رعايتهما وأغدقا عليّ بأفضالهما.

إلى الإخوة والأخوات ..

إلى الزوجة الحبيبة وابني خالدٍ ..

إلى جامعتي الغرّاء .. قلعة شامخة ومنبعًا للعلم والعلماء ..

أهدي هذا العمل المتواضع ..

الباحث:

محمد علي محمد عوض

شكـــر وتقديـــر

قال تعالى: "وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ"[1]

أتقدم بأجزل الشكر وأفخمه إلى أستاذي وشيخي فضيلة الأستاذ الدكتور نافذ حسين حمّاد "المشرف على رسالتي"

لما منحني من اهتمام وتقدير ورعاية وتوصيات مهمّة.
راجيًا من الله تعالى أن يجعل عمله في ميزان حسناته.

كما أتقدم بالشكر والعرفان لأستاذي الكريمين عضوي لجنة المناقشة صاحبي الفضيلة:
فضيلة الدكتور الشيخ النائب: سالم سلامـــة
وفضيلة الشيخ الدكتور: زكريا زين الدين

على تفضلهما بقبول مناقشة هذه الرسالة ليثرياها بالتوجيهات السديدة، والإرشادات النافعة.
وأتوجه بالشكر إلى الجامعة الإسلامية، صرحًا علميًا رائدًا في فلسطين الحبيبة.

ولا أنسى أن أتقدم بالشكر إلى كل من أسدى إلي معروفا أو قدم لي خدمة، اعترافًا بفضلهم وجميلهم.

(1) لقمان: 12.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــــة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، ثم أما بعد ،،

لقد جعل الله تعالى للأمة الإسلامية من الصفات والأدوات ما يجعلها خير أمة أخرجت للناس، وجعل الذين يستخدمون مناحي الخير المبشرين بالجنان الموعودين بالرفعة والفلاح في الدنيا والآخرة، ومكّن للأمة المحمدية طريقة في التعامل مع الواقع بحيث تتكيف في كل زمان ومكان ما استطاعت إلى ذلك سبيلا .

وفي القرآن الكريم يقول الله تعالى على لسان هدهد سليمان "... أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ"[1]، والمتتبع لهذه الآية يرى أن فيها أبلغ المناحي الإعلامية التي ينبغي أن تكون دائمًا، ولتحليل ذلك نقول: إن الكلام الإعلامي في موضوع ما بحاجة إلى أن تكون المعلومات فيه شافية وكافية وهذا ما تؤكد معناه لفظة "أَحَطتُ"، ثم حداثة المعلومة وجدتها تجعل لها القيمة الأكبر المهمة فيما يسمى بمصطلحات الصحافة "السبق الصحفي" وهذا ما تحكيه "بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ"، ولنقل الخبر في موعده المحدد وبالسرعة الكافية كان لا بد من "وَجِئْتُكَ" ففيها استشعار تعب جالب الخبر وناقله، وليؤكد على أن بعد المكان لم يكن حاجزًا بينه وبين أن ينقل الحقيقة من مصدرها الأصلي ومظانها قال "مِن سَبَإٍ"، ولأن طبيعة الكلام إعلاميًا يجب أن يصدر للقراء بخبر محرر صحفيًا ليكون أداة التواصل معهم قال " بِنَبَإٍ "، ومعيار قبول الأخبار من نقلتها أن يكونوا صادقين لم يُعهد عليهم الكذب، فلذا رأيناه قال "يَقِينٍ" ليطمئن السامع أو القارئ، فيأخذ الأمر على محمل الراحة.

فهذه أمور جمعت مبادئ الإعلام من خلال القرآن العظيم، وكان من حق من قيلت على لسانه وهو هدهد سليمان عليه السلام أن يكون من أوائل العاملين في مصلحة البريد في التاريخ.

يقول الإمام الفخر الرازي في تفسيره: "والنبأ: الخبر الذي له شأن، وقوله "مِن سَبَإٍ" من محاسن الكلام الذي يتعلق باللفظ وشرط حسنه صحة المعنى، وقد جاء هاهنا زائدًا على الصحة فحسن لفظًا ومعنىً، ألا ترى أنه لو وضع مكان (بِنَبَإٍ) (بخبرٍ) لكان المعنى صحيحًا، ولكن لفظًا (النبأ) أولى لما فيه من الزيادة التي يطابقها وصف الحال".[2]

ولأن السنة النبوية زاخرة بالمشاهد الواضحة والأحاديث الصريحة على تعاطي الرسول صلى الله عليه وسلم مع الإعلام وكونه شخصية فريدة في ذلك، وجدت أنه من الضروري الكتابة في هذا الموضوع، سائلا المولى التوفيق والسداد، وأن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، وأن ينفع به المسلمين.

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل ،،

---

(1) النمل: 22.

(2) التفسير الكبير للرازي (190/24).

أولا : أهميـــة الموضـوع وبواعث اختياره

تكمن أهمية الموضوع في النقاط التالية:

1. السنة النبوية وحي ثانٍ فيها من النظريات والتطبيقات العملية ما يوافق كثيرًا من المناحي المعاصـــرة، مما يتطلب إظهارها للناس عامة والمسلمين خاصة عبر النصوص الحديثية من غير تكلف ولا اجتلاب.
2. جدة الموضوع حيث إنه من المواضيع العصرية التي جاءت بعض عناوينها فـــي كتـــب المحـــدثين السابقين ومصنفاتهم الحديثية، لكن ليس بالشكل المطلوب.
3. كما تكمن أهمية الموضوع من اهتمام الرسول صلى الله عليه وسلم بظاهرة التواصـــل مـــع النـــاس وإعطاء الجانب الإعلامي أولوية كبرى في مجالات الحرب والسلم، بل في العهـــدين المكـــي والمـــدني كليهما.
4. السنة النبوية فيها ما يفيدنا حتى في عصرنا الحالي، ولكنها تتطلب العقلية الاستنباطية الدؤوبة.
5. وقد كان حافزًا لي على الكتابة في هذا المجال، أن هذا الموضوع لم يكتب فيه من ناحية حديثية رسالة علمية، وإنما كتب في بعض جزئياته أو في نواحٍ إنسانية بحتة، ومما شجعني على المثابرة العملية في لم شمل مادة الموضوع العلمية بعض أساتذتي الأفاضل خاصة الأستاذ الدكتور نافذ حماد.

ولأهمية هذا الموضوع، ولما وجدته عندي من رغبة في تقديم خدمة للسنة في إطـــار الفهرســـة الحديثية الموضوعية، وكذا خدمة للباحثين المهتمين آثرت الكتابة في هذا المجال.

ثانيا : أهـــداف الموضـوع

1. الإسهام في التأصيل الشرعي للإعلام، وحل مشكلات إعلامية معاصرة.
2. تعريف المسلمين بأهمية الإعلام في السنة النبوية، والنظرية الإعلامية النبوية بشكل عام.
3. إيضاح مدى الإشكال الذي وقع استنادًا إلى تجريد الجانب الإعلامي من معانيه الدينية ورسالته الراقية مبعث التواصل مع الإنسانية.
4. أن يتعرف المسلمون على مبادئ الإعلام النبوي وخصائصه وأشكاله المتعددة.
5. الاستفادة الواقعية العملية من الفعاليات الإعلامية النبوية سواء في وسائل الاتصال بالآخر، أو التعرف المباشر على اختيار الخطاب المناسب للفئات المختلفة، أو غير ذلك مما يندرج في إطاره.
6. إعادة الواجهة الإسلامية الفعّالة للعمل في مواجهة جميع ألوان الحرب النفسية وعلى رأسها الـــشائعات والدعاية الكاذبة وتشويه الحقائق.

ثالثا : الجهود والدراسات السابقـــة

بالرغم من الاهتمام بموضوع الإعلام في الإسلام من قبل الباحثين إلا أن الناحية الحديثية لم يكن لها نصيب من ذلك، وهذا الذي جعلني أخوض هذا الغمار خدمة للسنة ونفعًا للباحثين، لكن هناك جهـــود ودراسات سابقة لها علاقة بالدراسة من غير الناحية الحديثية، أذكر منها:

1. أضواء على الإعلام في صدر الإسلام: محمد عجاج الخطيب

تحدث عن حقائق الإعلام في صدر الإسلام وخصائصه ثم دعائم الإعلام زمن الرسول ووسائله ومراكزه، كما قام بتفنيد بعض الشبهات المثارة حول الإعلام والإسلام.

2. الإعلام في صدر الإسلام: عبد اللطيف حمزة

تحدث عن أشهر صور الإعلام في صدر الإسلام، والأحاديث النبوية وقوتها الدعائية، ثم عن الدعوة في عهد الرسول وأساليب نجاحها.

3. الدعوة والإعلام في السيرة النبوية: نزيه إعلاوي

ويبدأ الحديث بتقسيم المراحل إلى المكية فالمدنية، ويرى أن المكية نفسها تنقسم إلى سرية وعلنية، وفي كل واحدة يتطرق إلى المنهجية الإعلامية النبوية المتبعة، ويركز في المرحلة المدنية على المواجهة الإعلامية مع اليهود وحملاتهم الدعائية العنيفة ضد الإسلام وقائده.

4. منهج الإعلام الإسلامي في صلح الحديبية: سليم عبد الله حجازي

ابتدأ الحديث عن المظاهر الإعلامية في شعائر العمرة، وبيّن سمات الخطة الإعلامية الهادفة فيها، وتكلم بعدها عن الوفود الإعلامية التي جاءت للرسول، وتبيان جانب الحرب النفسية في المفاوضات والحوارات، وبعد ذلك تكلم عن الشائعات وأهميتها الإعلامية وأساليب مقاومتها.

5. الوفود في العهد المكي وأثرها الإعلامي: علي رضوان أحمد الأسطل

تكلم في مستهل كلامه عن وفود مكة الداخلية وآثارها الإعلامية، ومميزات الإعلام الإسلامي في النمط والرسالة البدء في التوحيد الخالص، وفي المقابل تحدث عن وفود مكة الخارجية، ثم عقد فصلا لوفود يثرب الإعلامية، ثم الآثار الإعلامية للوفود الخارجية.

6. الإعلام ، ضوابطه وأحكامه الشرعية : حسام خليل عايش

وهي رسالة ماجستير كان الفصل التمهيدي يتحدث عن حقيقة الإعلام ومشروعيته ووسائله ومجالاته ووظائفه، وتحدث في الفصل الأول عن الإعلام، قيمه وأركانه وضوابطه، وعقوبة من لم يلتزم بالضوابط. أما الفصل الثاني فقد تضمن الحديث عن الأحكام الشرعية المتعلقة بالإعلام. جدير بالذكر أن رسالته احتوت على تسعة عشر حديثًا أقل من نصفها له علاقة مباشرة بموضوع الإعلام.

7. الإعلام النبوي ودوره في خدمة الدعوة الإسلامية: أ.د. إسماعيل رضوان

رسالة محكمة قدمها الدكتور كبحث لمؤتمر بهذا الخصوص، تناول فيها مبادئ الإعلام الإسلامي وخصائصه، وهي رسالة حديثية قدمت في إطار مؤتمر كلية أصول الدين بالجامعة الإسلامية بغزة (الدعوة ومتغيرات العصر)، ولكنها كانت بحثًا قصيرًا لتأدية هدف معين، وليست موسعة كرسائل الماجستير والدكتوراة.

رابعًا: منهــج الباحث

المنهج العام: استقرائي، مع الاستعانة بالتحليلي والاستنباطي.

وتتمثل عملية الباحث المنهجية في النقاط التالية:

1. جمع النصوص الحديثية المتعلقة بالموضوع من كتب السنة، بمتابعة استقرائية في الصحيحين، والأخذ من غيرهما عند عدم اكتمال الصورة في قضية ما.

2. تبويب الأحاديث وفق المصطلحات الإعلامية المعاصرة، وجعل الترجمة تنبئ عن المقصود من الحديث.

3. قد أستدل ببعض الآيات القرآنية في بعض المواضع مع التعليق عليها باختصار مما هو في كتب التفسير أو رأيي الخاص.

4. التعليق على الأحاديث بما يناسبها أو يُستفاد منها في الموضوع، من خلال كتب الشروح، وإن لم أجد أوضح دلالة الحديث لو كانت غامضة.

5. توضيح غريب الحديث، بالرجوع إلى كتب الغريب أو المعاجم اللغوية أو كتب الشروح، كل ذلك بعد ضبط ما قد يُشكَل قراءةً أو معنىً من لفظ كلمة أو علَم وما إلى ذلك.

6. إن كان في الحديث أكثرُ من فائدة، وصلح للاقتباس منه في مواضع متعددة، أقطِّعُه وأوزعُه مقتصرًا على موضع الشاهد منه فقط، مع الإحالة على مكان الحديث أولا.

7. اختصار الحديث الطويل، والاكتفاء بموطن الشاهد منه.

8. الاكتفاء بذكر الراوي الأعلى للحديث، وذكر إسناده ومن أخرجه من الأئمة في مصنفاتهم في هامش الرسالة مع تبيان موضعه بالإشارة إلى الكتاب والباب والجزء والصفحة ورقم الحديث، فإذا كان في الصحيحين فالاكتفاء بتخريجه منهما، وإذا كان في غيرهما فالتوسع في التخريج حسب الحاجة، مع مراعاة ذكر الجزء والصفحة ورقم الحديث.

9. البداية بتخريج المتابعات التامة فما دونها، مع التزام الترتيب في كل متابعة بتخريجها حسب سنيّ وفيات المصنفين.

10. ذكر شواهد الحديث حسب درجتها، فالصحيح أولا ثم الحسن ثم الضعيف، مع تخريج الشواهد والحكم عليها، وذلك باختصار.

11. الترجمة للراوي المختلف فيه أما المتفق على توثيقه أو تضعيفه فلا، وذكر الحكم الراجح عندي على الراوي في نهاية ترجمته، مع الاستئناس بقول الذهبي وابن حجر، وللإشارة إلى حكمي الخاص أختار كلمة: قلت.

12. إذا كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما تركت الحكم عليه مكتفيًا بروايته فيهما أو في أحدهما إلا إذا دعت الحاجة لدراسته، وإذا كان في غيرهما حكمت عليه بالطرائق المعروفة في التصحيح أو التحسين أو التضعيف، مبتدئًا بمن وافقته في الحكم على الحديث، ولا أتوسّع في التخريج إلا لحاجة أو علة.

11. عند العزو من الكتب، أذكر اسم الكتاب والمؤلف والجزء والصفحة، أما الطبعة والناشر فلمريدها أن يجدها في قائمة المراجع في فهارس الرسالة.

خامسًا: خطـــــة البحــث

ينقسم البحث إلى مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة.

المقدمة: وفيها أهمية الموضوع وأسباب اختياره وأهدافه والجهود السابقة فيه ومنهج الباحث.

تمهيد (مدخل إلى الإعلام الإسلامي): ويشتمل على ستة أمور:

أولاً: الإعلام في اللغة والاصطلاح، والعلاقة بينهما.

ثانيًا: أهمية الإعلام في حياة الإنسان.

ثالثًا: خصائص الإعلام في الإسلام وأهدافه ووظائفه.

رابعًا: الإعلام عند العرب.

خامسًا : الإعلام في القرآن الكريم.

سادسًا: الإعلام في الحدود الشرعية.

الفصل الأول:

النظرية الإعلامية من خلال مصطلح الحديث

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: الحديث وعلاقته بالإعلام

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الحديث لغة واصطلاحًا.

المطلب الثاني: علاقة المعنى اللغوي بالاصطلاحي.

المطلب الثالث: علاقة المعنى الاصطلاحي بالمقصد الإعلامي.

المبحث الثاني: مواصفات ناقل الخبر المقبول وعلاقته بالإعلام

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: العدالة.

المطلب الثاني: الضبط.

المبحث الثالث: العلاقة بين النقد الحديثي والنقد الإعلامي

وفيه تمهيدٌ ومطلبان:

المطلب الأول: الجرح والتعديل لغة واصطلاحًا.

المطلب الثاني: شروط المعدِّل والجارح.

المبحث الرابع: العلاقة بين الحديث والإعلام من حيث أدوات التحمل والأداء

وفيه ثلاثة مطالب:

تمهيد: أهمية الإسناد في علم الحديث.

المطلب الأول: طرق التحمل والأداء.

المطلب الثاني: تنزيل الطرق على الواقع الإعلامي.

المطلب الثالث: أثر استخدام الكلمة المناسبة.

المبحث الخامس: كتابة الحديث وضبطه ومبادئ الكتابة الدقيقة

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: الاعتناء بضبط الكلمات.

المطلب الثاني: تحسين الخط وتجويده.

المطلب الثالث: مقابلة المكتوب بالأصل.

المطلب الرابع: مسألة الرواية بالمعنى.

المطلب الخامس: مراجعة النصّ.

الفصل الثاني:

الإعلام النبوي (مبادئه وخصائصه وأشكاله)

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: هيئة النبيّ صلى الله عليه وسلم الإعلامية

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: المظهر النبوي الإعلامي العام.

المطلب الثاني: هيئة جلوس الإعلامي.

المطلب الثالث: درجة الصوت وحالته للإعلامي.

المطلب الرابع: عوامل التعبير الإعلامية المساعدة.

المبحث الثاني: مبادئ الإعلام النبوي

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: إعلام العقيدة والتعبّد والأخلاق.

المطلب الثاني: لغة الخطاب الإعلاميّ القوية.

المطلب الثالث: التجارب العملية الحيوية وأثرها في اللسان الإعلاميّ.

المبحث الثالث: خصائص الخطاب النبوي الإعلامي

وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: بناء العقيدة والسلوك.

المطلب الثاني: تكليم الناس كلٍّ بمستواه.

المطلب الثالث: تلوين الأساليب والوسائل.

المطلب الرابع: الواقعية والإيجابية.

المطلب الخامس: الموضوعية والشمولية.

المبحث الرابع: أشكال الإعلام في العهد النبوي

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الإعلام المسجدي.

المطلب الثاني: الإعلام الحربي والسياسي.

المطلب الثالث: الإعلام الأمني.

المطلب الرابع: الإعلام المستقبليّ.

الفصل الثالث:

الفعاليات الإعلامية في الخطاب النبوي

(وسائل الاتصال – مواجهة الحرب النفسية)

وفيه تمهيدٌ ومبحثان:

تمهيدٌ: الفئات المستهدفة في الخطاب الإعلاميّ النبوي

المبحث الأول: وسائل الاتصال الإعلاميّ في العهد النبوي

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الخطبة.

المطلب الثاني: الحوار.

المطلب الثالث: الرسائل والبعوث.

المطلب الرابع: الشعر.

المبحث الثاني: الموقف الإعلامي النبويّ في مواجهة الحرب النفسية

وفيه خمسة مطالب :

المطلب الأول: ماهية الحرب النفسية ومفهومها.

المطلب الثاني: أساليب الحرب النفسية ضد الرسول المصطفى.

المطلب الثالث: الشائعات أخطر حالات الحرب النفسية.
المطلب الرابع: مواطن استخدم فيها النبيُّ صلى الله عليه وسلم الحرب النفسية.
المطلب الخامس: كيفية مواجهة النبيِّ صلى الله عليه وسلم للحرب النفسية.

الخاتمة: وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات.

بالإضافة إلى خدمة البحث بالفهارس العامة:
- فهرس الآيات.
- فهرس الأحاديث النبوية.
- فهرس الرواة.
- فهرس الأعلام والبلدان.
- فهرس المصادر والمراجع.
- فهرس الموضوعات.

التمهيـــد

(مدخـل إلى الإعلام الإسلامـي):

ويشتمـــل على ستـة أمـور:

أولا: الإعلام في اللغة والاصطلاح، والعلاقة بينهما

ثانيا: أهميـــة الإعـــلام في حيـاة الإنســـان

ثالثا: أهـداف الإعلام في الإســلام ووظائفـــه

رابعا: الإعـــــلام عنـــد العـــــرب

خامسا : الإعـــــلام في القـــرآن الكريـــم

سادسا: الإعـــلام في الحـــدود الشرعيـــة

أولا/ الإعلام في اللغة والاصطلاح، والعلاقة بينهما:

التعريف اللغويّ:

جاء في اللسان: من صفات الله عز وجل العليم والعالم والعلام، قال الله عز وجل: "وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ"[1]، وقال: "عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ"[2]. "وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ"[3].[4]

ويقول ابنُ فارس: العين واللام والميم أصل صحيح واحد، يدل على أثر بالشيء يتميز به عن غيره. من ذلك العلامة، وهي معروفة، والعَلَم: الراية، والجبل، والعِلم: نقيض الجهل، والعُلام: الحنّاء، وذلك أنه إذا خضب به فذلك كالعلامة.[5]

أما في عين الفراهيدي: العَلَمُ: ما يُنْصَبُ في الطّريق، ليكون علامةً يُهْتَدَى بها.[6]

وجاء الإعلام بمعنى الإعلان: العين واللام والنون أصل صحيح يدل على إظهار الشيء والإشارة إليه وظهوره: يقال عَلَن الأمر، وأعلنته أنا، والعِلان: المُعالنة[7]، وأمره عالِن: ظاهر، وأسرّ أمره ثم أعلنه، وعالن به عِلانًا ومُعالنة.[8] والعَلانيَةُ: خلاف السرّ، ورجلٌ عُلَنَةٌ: يبوح بسره.[9]

ويُلاحظ من التعريفات اللغوية ما يأتي:

1. العلم إما أن يكون أثرًا لشيء يدلّ عليه، أو أنه طريقة ووسيلة ممكِّنة من التعرف على شيء معين.
2. لا فرق بين الإعلام والإعلان، فالغرض من كليهما توضيح أمر ما وتجليته للمريد، وإذا كان العلم نقيض الجهل، فإن الإعلام نقيض الإسرار، ويأتي بمعنى الإظهار للأخبار.
3. بالمستوى اللغوي إذا أردنا أن نشير إلى الارتباط الحاصل بين العلم والإعلام، فإننا نرى أنهما يلتقيان من حيث الهدف، فلا إسرار على العامة، كما أن كل واحد منهما يدعو صاحبه إلى التثبت والتحري والتدقيق حتى لا يدخل دائرة الجهل وإن كان أعلم العالِمين.
4. أهل الإعلام على درجات، توضحها التوزيعات حسب صيغ المبالغة، فكلما كانت درجة المعرفة عند الإعلامي بمستوىً أرقى، برع في الصياغة والتمحيص في إطار الحقيقة.

---

(1) يس: 81.

(2) الرعد: 9.

(3) التوبة: 78.

(4) لسان العرب، ابن منظور (416/12).

(5) انظر: معجم مقاييس اللغة، ص 689.

(6) العين (221/3).

(7) معجم مقاييس اللغة، ص 689.

(8) أساس البلاغة، الزمخشريّ، ص 434.

(9) انظر: الصحاح، للجوهري، ص 1991.

المعنى الاصطلاحيّ:

يعرفه عبد اللطيف حمزة بـــ:

تزويد الناس بالأخبار الصحيحة والمعلومات السليمة والحقائق الثابتة التي تساعدهم على تكـــوين رأي صائب في واقعة من الوقائع أو مشكلة من المشكلات، بحيث يعبر هذا الرأي تعبيرًا موضوعيًا عـــن عقلية الجماهير واتجاهاتهم وميولهم.[1]

ذكر حمزة التعريف والهدف العام للإعلام، واتجاهاته، ومرماه، وربما كان هذا التعريف أقـــرب إلى المطلوب، ولكنه أيضًا لم يذكر الأثر.

ويعرفه محمد سيد محمد بقوله:

"إنه العلم الذي يدرس اتصال الناس اتصالا واسعًا بأبناء جنسهم، اتـــصال وعـــيٍ وإدراك، ومـــا يترتب على عملية الاتصال هذه من أثر ورد فعل، وما يرتبط بهذا الاتصال من ظروف، زمانية، ومكانية، وكمية ونوعية، وما شابه ذلك".[2]

ولعلّ هذا التعريف أقرب إلى الصورة التي أرتئيها، فقد عرف الإعلام بالاتـــصال الـــذي يعتبـــر الدائرة الأم للإعلام وأشكاله وألوانه، وحدد جهات الاتصال، وفي بطن الوعي والإدراك المشروط لإنفـــاذ هذا التواصل يتم اختيار الوسائل المطلوبة بدقة، ولا يقف عند هذه الجزئية، بل يسبح في دراسة آثارهـــا واستجابة المتواصلين معها.

ويُلاحظ من التعريفين السابقين ما يأتي:

1. كل التعريفات تركز على أن المطلوب من الإعلام أن يتم الاتـــصال بالجمـــاهير بالـــشكل المناســـب والطريقة التي تدعو إلى تمتين جسور الثقة باستمرار.

2. وبما أن الإعلام علاقة بين مبلِّغ ومستقبل، فتستوي الصورة الإعلامية النهائية لدينا على أنها علاقـــة جماعية ولا يمكن لها أن تكون فردية، إذ الإعلام خَدِينُ الإظهار والإيضاح وقسيم التجلية والتقريب، وما كان على هذه الشَّكِيكة احتاج إلى العديد من الوسائل والطرائق من أجل خدمة الهدف العام وتقديم القالـــب الإعلامي بالصورة المقبولة للجمهور.

3. الإعلام الإسلامي يقدم المصداقية على السبق الصحفي غير المحقق، ويـــرى أن اســـتغلال الإعـــلام كوسيلة نافعة للدين من أهم الواجبات وأدعاها لإظهار الإسلام وأهله بالصورة الحقيقية.

4. لعل الأثر الذي يتركه الإعلام في نفوس السامعين لم يجد له رَجْعَ الصدى عند الباحثين، وربما رَجَـــعَ هذا إلى أن كل واحد منهم يصوغ التعريف بناءً على ما يمتلك من خبرات أو تُعوزِه اتجاهاته الخاصـــة، مما يجعله يدور في فلك غير تخصصي، أو على الأقل لا يتابع التطورات التي سلكها الإعلام الحديث.

---

(1) الإعلام له تاريخه ومذاهبه، ص 75.

(2) الخبر الصحفي، عبد الله بدران، ص 10-11، نقلا عن كتاب محمد سيد محمد "المسئولية الإعلامية في الإسلام"، مكتبة الخانجي، الطبعة الأولى 1983م.

تعريف الباحث المختار تأسيسًا على ما سبق:

هو عملية جمع المعلومات وانتقاؤها والتحقق منها، ومن ثم نشرها للجمهور، بهدف تكوين رأي عام إيجابي، ومتابعة آثاره.

وسبب هذا الاختيار: أن التعريف يوضح المعنى العام للإعلام وطريقته في جمع المعلومات وقولبتها وصياغتها، وغرضه الآكد، كما أنه لا ينسى جانب بحث التأثيرات الجانبية للإعلام، والبناء عليها تطويرًا أو تجنبًا لبعض الأخطاء.

العلاقة بين المعنى اللغويّ والاصطلاحيّ:

العلم نقيض الجهل، وبما أن ما بني على جهل وعدم معرفة كان مؤدّاه إلى الغلط والبعد عن الحقيقة، فإن الإعلام يقوم على الحقائق الثابتة والمعلومات السليمة، والإعلام بمعنى إظهار الشيء وظهوره وهذا يحقق المراد من الغاية الإعلامية وهي إبرازه.

وبما أن رجل الإعلام المسلم عليه أن يتصف بصفات الكمال قدر ما أمكنه، فإن الواجب عليه ألا يصدر في أي معلومة يخرجها أو يمررها للرأي العام إلا عن علم وتمحيص وتدقيق ومراجعة جهات الاختصاص.

تعريف الإعلام الإسلامي:

هو استخدام منهج إسلامي، بأسلوب فني إعلامي يقوم به مسلمون عالِمون عاملون بدينهم، متفهمون لطبيعة الإعلام ووسائله الحديثة، وجماهيره المتباينة، مستخدمين تلك الرسائل المتطورة لنشر الأفكار المتحضرة ، بهدف التوجيه والتوعية والإرشاد، ولإحداث التأثير المطلوب، والتعرف على مدى التأثير أولا بأول".[1]

ويتضح من التعريف أن القائمين على العملية الإعلامية يجب أن يكونوا على علم ودراية وخبرة، يجمعون بين المعرفة العلمية الميدانية بطبيعة الإعلام، واستخداماته، وما ينبني عليه من تشكيل الصورة المتوخاة أمام الجماهير، والفقه الشرعي الذي يستخدمونه كميزان يمعيرون من خلاله الصوابية ومظاهر الانحراف في إطار الإعلام أو أصحابه.

ويتضح كذلك أن هناك هدفًا ساميًا من العملية الإعلامية، يتمثل في نشر القيم الفاضلة وبث روح الأخلاق الحميدة، ومحاربة الرذائل، وبالإجمال: إنشاء الشخصية المسلمة المتماسكة ذاتيًا، والقادرة على القيام بما يوكل إليها من أعمال.

ويركز التعريف على ضرورة تميز الإعلامي المسلم بعدة صفات، كالموضوعية واستشعار المسئولية، ومتابعة تأثير الخطاب الإعلامي الإسلامي على الجمهور، والانطلاق في دعوة غير المسلمين "حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلّهِ"[2].

---

(1) انظر: الخبر الصحفي، عبد الله بدران، ص 96، نقلا عن كتاب "الأسس العلمية والتطبيقية للإعلام الإسلامي، لعبد الوهاب كحيل، عالم الكتب، 1986م.

(2) البقرة: 193.

ثانيا/ أهمية الإعلام في حياة الإنسان:

لقد عرف الإعلام طريقه إلى كل البيئات، واحتل مكانه في كل العصور، ذلك أن مطالب الإنسان لا تقتصر على تزويده بالحاجات المادية كالطعام والشراب والمأوى، ولكنها تتعدى ذلك إلى رغبته في الاتصال بأمثاله من ذوي البشر، وتعتبر هذه الرغبة في الاتصال من المطالب الأساسية التي أصبحت ضرورة حيوية للحفاظ على الجنس البشري.[1]

ومنذ القديم والإنسان يحاول إيجاد الطرق الفاعلة التي تمكنه من التواصل مع الآخر، فهو مدنيٌّ بالطبع[2] أي لا بد له من الاجتماع الذي هو المدينة في اصطلاحهم وهو معنى العمران.

أي أنه مفطور ومجبول على التعايش والاجتماع بالغير، ولأن الحاجةَ أمُّ الاختراعِ فقد سعى جاهدًا لابتكار العديد من الوسائل التي توصل فكرته إلى الناس بشكل بدائي بسيط كاستخدام الرموز والعلامات المتفق عليها للإعلان عما يدور في نفسه وطلباته معًا، ثم انتقل الأمر إلى مرحلة تدور عليها رحى الإعلام في عصرنا الحاضر وهي عملية التخاطب اللغوي، حيث كان ولا زال لكل أمة أو جماعة معينة من الناس لغتهم الخاصة بهم التي يتواصلون من خلالها مع بعضهم البعض لشتى المناحي من إعلام وتحذير وتحميس وتوصيل فكرة وما إلى ذلك، واستخدم الإنسان في مختلف المراحل ما توصل إليه من قدرات وإمكانات اعتبرت وسائله الإعلامية، وصار الأمر يمضي وئيدًا من ناحية الشكل والمضمون التطويري إلى أن وصلنا إلى مرحلة الانفجار المعرفيّ والوسائليّ، فقد استخدمت القصة والمسرحية والسينما والتلفاز والجريدة والمجلة في المنظومة الإعلامية والتأثير على توجهات الرأي العام، ثم أضحى الانترنت ووسائل الاتصال السلكية واللاسلكية علامة فارقة بصورة واضحة بين القديم والجديد.

إجمال العلاقة بين الإسلام والإعلام:

الأولى: العلاقة بين الإسلام والإعلام جدّ وثيقة، لأنه دين الإنسانية كافة، ولأن دعوته لم تقتصر على عشيرة أو قوم أو بلد أو جنس أو لون، بل هو لكل البشر في كل زمان ومكان، وهو الدعوة المستمرة إلى الهدى والحق والرشاد. وهذه الدعوة سبيلها إعلام ينير للحائرين طريقهم، ويمضي بهم إلى حيث الخير والفلاح في الدارين.

الثانية: أن هناك إعلامًا إسلاميًا ليس وليد اليوم، ولم تطلع به علينا نتاجات حضارات حديثة أو مدنية متطورة، إنما هو رفيق دعوة إلهية أوحي بها لرسول الله محمد صلى الله عليه وسلم، وسيظل هذا الإعلام قائمًا ما قام الدين "إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ"[3].

الثالثة: أن الإعلام الإسلامي متميز عن سواه، بكل ما يتميز به الإسلام، عن الدعوات والفلسفات والأنظمة الأخرى. إنه إعلام ذو مبادئ أخلاقية، وأحكام سلوكية، وقواعد وضوابط لا يحيد عنها.[4]

---

(1) الإعلام الإسلامي وتطبيقاته العملية، محيي الدين عبد الحليم، ص 14.

(2) مقدمة ابن خلدون، ص 41.

(3) الحجر: 9.

(4) انظر: الإعلام الإسلامي وسبل تطويره وإصلاحه، فيصل حسون، ص 451-452.

ثالثا/ خصائص الإعلام في الإسلام وأهدافه ووظائفه:

الإعلام الإسلامي واضح صريح، عفيف الأسلوب نظيف الوسيلة، شريف القصد، عنوانه الصدق، وشعاره الصراحة، وغايته وسلاحه الحق، لا يضل ولا يضلل، بل يهدي للتي هي أقوم. وهو لا يعلن إلا ما يبطن، ويرفض اتباع الوسيلة الملتوية، أو انتهاج سبل التغرير والخداع وطريق الميكيافيلية القائلة بأن "الغاية تبرر الوسيلة" أو طريقة "اكذب واكذب حتى يصدقك الناس"، بل إن عنوانه "إن الرائد لا يكذب أهله" "وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَاناً نَّصِيراً"[1].[2]

ومن أهم خصائصه ما يلي:

1. **الصدق**، ذلك أن الإعلام في كل صورة يقوم على الكلمة، فلا بد أن تكون الكلمة الإعلامية في المجتمع هي الصدق، كل الصدق، أي لا بد أن تكون صادقة المنبت نابعة عن رؤية إسلامية صادقة صحيحة. وهذا يستلزم صدق الخبر، الصياغة، المقصد والحكم.
2. **الواقعية**، التي تستمد عطاءها من موافقة المنهج الإسلامي للفطرة البشرية وللحياة البشرية على وجه العموم، وهي واقعية منهجية وتطبيقية.
3. **الشمولية:** بمعنى أن يكون الإعلام الإسلامي قادرًا على مخاطبة الناس كافة، وعلى التأثير فيهم.
4. **الثبات والمرونة:** فالثبات يعني ثبات الأسس والمبادئ والغايات والأهداف في كل زمان ومكان، أما المرونة فتعني قدرة الفكر الإعلامي الإسلامي على مواكبة وتقويم كل تطور أو تغير يحدث في محيط الحياة البشرية، وكذلك توجيه كل نشاط بشري إلى الوجهة الصالحة الصحيحة.[3]

أهداف الإعلام في الإسلام:

1. عبادة الله تعالى: "وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ"[4].
2. الاستخلاف: "وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ"[5].
3. إعمار الأرض: "هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ"[6]، وقال عز وجل: "هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ"[7].

---

(1) الإسراء: 80.

(2) الإعلام الإسلامي وسبل تطويره وإصلاحه، فيصل حسون، ص 452.

(3) انظر: الإعلام في المجتمع الإسلامي، حامد عبد الواحد، ص 69-76.

(4) الذاريات: 56.

(5) النور: 55.

(6) هود: 61.

(7) الملك: 15.

4. التدبر في الكون: "أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاء فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُـرُوجٍ، وَالْـأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ"[1].[2]

5. الوصول إلى مجتمع الطهر والنقاء.[3]

6. تعرية الأفكار المعادية للإسلام والمنافية للإنسانية.[4]

7. مواكبة مرحلة الدعوة التي تعيشها .. في الزمن الذي يبث الإعلام فيه برامجه.[5]

8. تكوين رأي عام إسلامي له وزنه الدولي، وتأثيره الفاعل في القضايا التـي تهـم الإنـسانية عامـة، والقضايا التي تهم الإسلام والشعوب المسلمة خاصة.[6]

وظائف الإعلام في الإسلام:

1. التعبير عن رسالة الإسلام وتراثه ونقلها من جيل إلى جيل، باستخدام وسائل الإعلام المناسبة.

2. تزويد العالمين جميعًا بالإعلام الصادق الموثق بالرأي الصائب المخلص، وبالحقائق الثابتة، سواء في داخل ديار الإسلام أو في خارجها.

3. إنذار الشعوب بما يحيط بها من أخطار الإباحية والمادية والاستعمار والعلمانيـة والمبـادئ الهدامـة وغيرها من الأدوات التي تهدد العالم بالدمار والضياع في الدنيا والآخرة.

4. تقديم الحلول الإسلامية العملية لمشكلات وقضايا الإنسانية، وإقناع الرأي العام العالمي بذلك.[7]

8. دفع الناس إلى المثل الأعلى، وإقناعهم بالعودة إلى الدين القويم.

10. الترويح والترفيه ضمن ما هو مشروع.[8]

رابعا/ الإعلام عند العرب:

"حفلت الذاكرة التاريخية العربية بمادة موفورة تتعلق بمهارات الاتصال في شكلها الأولي الفطري، فعندما كان العربي في الصحراء يبتهج لمقدم الضيف فيحييه بأطيب الكلام وأكرم الاستقبال ويطعمه أجود ما لديه، فإنما كان يعني – فيما يعنيه – دوام الصلة بينه وبين ضيفه، غريبًا كان أم قريبًا. فالوحـدة فـي الصحراء قاسية مريرة، ولا بدّ للعربي البدوي من أنيس ولو لسويعات قليلة يتم فيها الاتصال والتعـارف فتدوم المواصلة بعدئذ. وقد حرص العربي البدوي، ولا سيما في العصر الجـاهلي علـى دوام ارتباطـه

---

(1) ق: 6-7.

(2) الشباب ووقت الفراغ، عثمان خليل، ص 103-104.

(3) الإعلام الإسلامي "الأهداف والوظائف"، سيد محمد ساداتي الشنقيطي، ص 7.

(4) نحو إعلام إسلامي، صلاح الدين حماد، ص 17.

(5) نحو إعلام إسلامي، علي جريشة، ص 81.

(6) الخبر الصحفي، عبد الله بدران، ص 97-98.

(7) انظر: الشباب ووقت الفراغ، عثمان خليل، ص 110-111.

(8) الخبر الصحفي، عبد الله بدران، ص 101.

بقبيلته وانتمائه لها، حاميًا لها ومدافعًا عنها بكل وسائله المتاحة، حتى لو قابلته قبيلته بالنكران والخصام".[1]

ويمكننا أن نشير إلى الوسائل الإعلامية العربية من خلال النواحي التالية:

1. القصيدة الشعرية:

كان الشعر ديوان العرب، وكانوا يعتمدون على الحافظة والذاكرة أكثر من اعتمادهم على غيرها، كونها الوسيلة شبه الوحيدة المتوفرة عندهم، ولذا كان تواصلهم عبر القصائد والأشعار أسهل وأسرع من التواصل عبر الرسائل أو المكاتبات، وغنيٌّ عن الذكر كونهم أمة أمية أصلا، لا يحسنون القراءة ولا الكتابة فكانت الأشعار في إطار العوض عن ذلك كله، بل إنك لن تستطيع أن تعرف تاريخ وأنساب وأيام العرب إلا إذا استنبطت هذا كله من أشعارهم.

أهمية الشعر عند العرب:

ترجع أهمية الشعر التي لا يمكن تجاهلها البتة إلى أن العرب كانت أمة أمية تعتمد على حافظاتها وعقولها، ديوانها شعرها، وخيولها نظمها، وأسرجتها سجعها، تعشق موسيقى القوافي، وتجيد تذوقها، حتى لكأنها تأكل أشهى المطعومات أو تتناول ألذ المشروبات، ولما صار الشعر علامة بارزة عند العرب إما بالإبداع المباشر فيه وتناوله، أو الاستماع إليه ونقده، أو تداوله وتعليمه، كان الطريق فسيحًا ورحبًا لأن يكون الوسيلة الإعلامية الموفقة الأولى عند العرب ولا غرو.

"فالنتاج الأدبي كان يشكل على الدوام صحافة العصر مع اختلاف التسميات، ففي العصر الجاهلي كانت تلك الصحافة تسجل تطلعات العصر في مناحيه المختلفة، وفي صدر الإسلام كانت نقائض شعراء المشركين والمسلمين، بالإضافة إلى شعر ينظم في المناسبات، منبرًا للصحافة، فكان الشاعر آنذاك يسجل انتصارات حزبه ومآثره وتطلعاته شعرًا يُذاع في الأفاق، ليساعد على اكتساب الأنصار والمؤيدين".[2]

الشعر وثيقة تعريفية ولوحة إعلامية:

وكان العربيُّ في أشعاره "يبقي فيه على صورها الحقيقية دون أن يدخل عليها تعديلا من شأنه أن يمسّ جواهرها. ومن أجل هذا كان شعره وثيقة دقيقة لمن يريد أن يعرف حياته وبيئته برملها ووديانها ومنعرجاتها ومراعيها وسباعها وحيوانها وزواحفها وطيرها".[3]

درجة تأثير الشعر في الرأي العام:

"وبين الشعر والسحر صلة، حتى ذهب بعض الباحثين في الشعر إلى أن الشعر فن من الفنون التي كان يمارسها السحرة في التأثير على مشاعر الناس، إذ كانوا يتخذونه وسيلة من وسائل التأثير في النفوس، لما يستعملونه من كلام مؤثر ساحر يترك أثرًا خطيرًا في نفس سامعه".[4]

---

(1) مهارات الاتصال، راشد علي عيسى، ص 27.

(2) الإسلام والشعر، فايز ترحيني، ص 98.

(3) العصر الجاهلي، شوقي ضيف، ص 219.

(4) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، (69/9).

"وقد كان أثر الشعر في المغازي وفي الحروب أثر السيف في الخصوم، يحضّ المقاتلين على الاستبسال في القتال".[1]، "وكان الشعراء في الجاهلية بمنزلة الحكام، يقولون فيُرضى قولهم، ويحكمون فيمضي حكمهم، وصار ذلك سنة يُقتدى بها".[2]

وهو وسيلة قوية للتعبير عن المراد:

وبما أن الشعر كان بهذا المستوى من التقدير والتألق، أدى ذلك إلى تشكيل حالة من الانسجام الكلي والامتزاج الكامل به، حتى إنك لترى أن القصيدة قد تنشئ حربًا أو تمنعها، وتزوج جواريًا أو تصرف عنهن الأنظار، كالسيف مضاء، كالشمس وهجًا، والقمر ألقًا، والنار إحراقًا، والطوفان إغراقًا، بل وكالتنويم المغناطيسي سيطرة وإيحاءً.

فقد استخدمه العرب في أغراضهم المتعددة، ولم تخلُ جديلة في حياتهم من شعر يصفها ويعبر عنها بأحسن الكلم وأروع النظم، وغير خافٍ على المتمعن تأثيراته الإيجابية في بناء الخلق وتمتين التواصل مع القيم والمثل الراقية.

2. الخطبة:

كانت الخطبة من مباعث مفاخر العرب، بل كان لكل قبيلة زعيم وشاعر وخطيب، وقد يُجمع للزعيم ثلاثتها أو ثنتان منها، وكانت لهم أساليبهم التي صارت علمًا على رفعة كل من اقتفى أثرها واهتدى عملها، وليس أدل على ذلك من أن القرآن نزل على لسان العرب وقريش منهم خاصة.

وقد بلغ العرب مدىً واسعًا في جزالة الألفاظ وقوتها، وذلك لقوة نفوسهم وشدة بأسهم، واندفاعهم المتحمس، ومعيشتهم في الصحراء بما يوحي به ذلك من هدوء وتركيز وشدة أحيانًا، ومناسبة كلماتهم للموضوعات التي قيلت في إطارها، فهم أرباب البلاغة وأهل الفصاحة الأقحاح.

يقول جواد علي: "وكانوا يحبون في الخطيب أن يكون جهير الصوت، ويذمون الضئيل الصوت، وأن يكون مؤثرًا شديد التأثير في نفوس سامعيه حتى يسحرهم ويأخذ ألبابهم. وكانوا يجعلون مثل هؤلاء الخطباء ألسنتهم الناطقة إذا تفاخروا أو حضروا المجالس أو تفاوضوا في أمر، أو أرادوا تأجيج نيران الحروب، أو عقد صلح، أو البتّ في أمر جلل. ولذلك صارت الخطابة من أمارت المنزلة والمكانة، فصارت في ساداتهم وأشرافهم الذين يتكلمون باسمهم في المحافل والمجامع العظام".[3]

"وقد اقتضى النظام الاجتماعي والسياسي في الجاهلية أن يقيم العرب للخطابة وزنًا خاصًا في المفاوضات التي تكون في داخل القبيلة للنظر في أمورها وفي شؤونها الخاصة بها في أيام السلم وفي أوقات الغزو والغارات، في حالتي الهجوم والدفاع. وأقاموا لها وزنًا خاصًا بالمناسبة للمفاوضات التي جرت بين القبائل".[4]

---

(1) نفسه (69/9).

(2) الإسلام والشعر، سامي مكي العاني، ص 8.

(3) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جواد علي (772/8).

(4) نفسه، (774/8).

صفات الخطيب العربي:

"والخطيبُ العربيُّ يخطب قومًا اشتهروا بالفصاحة واللسن، وسلامة الفطرة، فلا يؤثر فيهم، ولا ينال من قلوبهم، إلا إذا كان يعلوهم فصاحة، ويسبقهم لسنًا وبيانًا، فلا يكون فيه بالأولى عيب من العيوب البيانية التي لا تتفق مع فصاحة اللسان، وجودة النطق، فلا يكون فيه عيٌّ[1]، ولا حصر[2]، ولا فأفأة، ولا تمتمة[3]، ولا شيءٌ من عيوبِ النطقِ والبيان، وكذلك كان الخطيبُ العربيُّ فصيحَ العبارة، طلقَ اللسان، واضحَ اللهجة، جيدَ الإلقاء، جريءَ القلب، قويَّ النفس، رابطَ الجأش لا تعروه رِعدةٌ، ولا اضطرابٌ في موقفِه".[4]

هيئة الخطبة العربية:

جاء في الكامل: "من كلام العرب الاختصار المفهِم، والإطناب المفخَّم وقد يقع الإيماء إلى الشيء فيغني عند ذوي الألباب عن كشفه".[5]، **وفي بيان الجاحظ[6]** كلامٌ عن الخطبة أكثر بيانًا مما سبق، فيه أنّ "رأس الخطابة الطبع، وعمودها الدُّربة، وجناحاها رواية الكلام، وحَلْيُها الإعراب، وبهاؤها تخيّر الألفاظ".[7]، ثم يذكر الجاحظ بعضًا من الخطباء المقدَّمين وعلى رأسهم قسّ بن ساعدة الإياديّ، وبالرجوع إلى كتب الأعلام نعرف لماذا جعله في المقدمة، حيث يقول الصفدي في الوافي: "خطيب العرب وشاعرها وحكيمها وحليمها في عصره، وهو أول من علا على شرف وخطب عليه، وأول من اتكأ في خطبته على سيف أو عصا، وأول من قال في كلامه أما بعد".[8]

قسّ بن ساعدة أخطب العرب:

ويتضح لنا في سياق كلامنا من الترجمة أن قسًّا وضع أسسًا لعلم الخطابة النظري أو الشفهي، باعتبار أن العرب كانوا يتعلمون بالتلقي والمشافهة، فقد استخدم قسّ العصا أو السيف، وهما من الأدوات

---

(1) **عيّ عيًّا بالأمر**، وتعيّا به وتعايا، وأعياه الأمر، إذا لم يضبطه، وعايا صاحبه معاياة إذا ألقى كلامًا أو عملاً لا يَهتدي لوجهه. (أساس البلاغة، ص 443).

(2) **حَصِرَ حَصَرًا:** أي عيَّ، فلم يَقْدِر على الكلام. (العين (322/1).

(3) رجلٌ **فأْفَاء** على فَعْلال، وفيه فَأْفَأَةٌ، وهو الذي يتردَّد في الفاء إذا تكلّم. (صحاح الجوهريّ، ص 62).
التَمْتَام: الذي فيه تَمْتَمَةٌ، وهو الذي يتردَّد في التاء. (صحاح الجوهريّ، ص 1878).

(4) الخطابة " أصولها وتاريخها"، محمد أبو زهرة، بتصرف، ص 191.

(5) الكامل في اللغة والأدب، لأبي العبّاس المبرد، (17/1).

(6) **الجاحظ:** العلامة المتبحر ذو الفنون أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب البصري المعتزلي صاحب التصانيف أخذ عن النظام، وكان أحدَ الأذكياء، ماجنًا قليلَ الدين له نوادر. ليس بمتهم في الحديث، بل في النفس من حكاياته ولهجته، فربما جازف، وتلطخه بغير بدعة، أمرٌ واضح، ولكنه أخباري علامة عفا الله عنه. (انظر سير أعلام النبلاء (526/11) رقم 149). فلج في آخر عمره، وكان مشوّهَ الخِلقة. ومات والكتابُ على صدره، قتلته مجلداتٌ من الكتب وقعت عليه، له تصانيفُ كثيرة. توفي عام 255هـ. (انظر: الأعلام، الزركلي، (74/5).

(7) البيان والتبيين (44/1).

(8) الوافي بالوفيات، خليل بن أيبك الصفدي (243/7).

التي تستجلب انتباه المشاهد وتحرك عقله وذهنه فلا ينعس إذا ظلّ المشهد المرئيّ أمامه مستقرًا ساكنًا، وهو أول من أوجد فاصلة الخطاب التي يعرف بها السامع الحدّ المميز بين مقدمة الخطبة الاعتيادية والخطبة ذاتها.

3. المنـــاداة:

"والمناداة وسيلة إعلامية قديمة، ولا زالت هذه الوسيلة منتشرة في كثير من المجتمعات المتخلفة، مارسها العرب في العصر الجاهلي، فكان المنادي يجوب المنطقة لإعلان أهلها بالأحداث الهامة والقرارات والتعليمات وأوقات الأعياد إلى غير ذلك، وقد تطور النداء في الإسلام إلى نداء عن أوقات الصلاة وهو الأذان".[1]

المنادي إعلاميٌّ غيرُ إبداعيّ:

بمعنى أن العظماء والكبار كانوا يوكلون أمر تجميع الناس لاستماع خطبة أو منافرة أو مفاخرة لمن ينتدبونه لهذا المقام، وليس يُطلب في المنادي من كثير صفات إلا أن يكون جهوري الصوت عالي النبرة، شديد الحنجرة. وتكمن أهمية المناداة في كونها خطوة ابتدائية لا تنجح الأعمال الهامة أو لا يمكن الدلالة والإشارة إليها إلا بها. ولذا "كان المنادي يجوب المنطقة لإعلام أهلها بالأحداث الهامة، إلى غير ذلك".[2]

أصل المناداة عند العرب:

عن **الأصمعي**[3] قال: "كانت العرب إذا مات من له قدرٌ ركب راكب وجعل يسير في الناس يقول: نعاء فلان، ويقال: يا نَعاءَ العرب أي انعهم".[4]

إثارة الجماهير لاستماع عاجل الأخبار:

وقد جاء ذلك في حديث البراء بن عازب عند البخاري في قصة اغتيال أبي رافع عبد الله بن أبي الحُقَيق، إذ قال عبد الله بن عَتيك لمن اشترك معه في العملية: "... انْطَلَقُوا فَبَشِّرُوا رَسُولَ اللَّه صلى الله عليه وسلم فَإِنِّي لاَ أَبْرَحُ حَتَّى أَسْمَعَ النَّاعِيَةَ[5]، فَلَمَّا كَانَ فِي وَجْهِ الصُّبْحِ صَعِدَ النَّاعِيَةُ فَقَالَ أَنْعَى أَبَا رَافِعٍ. قَالَ فَقُمْتُ أَمْشِي مَا بِي قَلَبَةٌ، فَأَدْرَكْتُ أَصْحَابِي قَبْلَ أَنْ يَأْتُوا النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَبَشَّرْتُهُ".[6]

---

(1) الإعلام الإسلامي وتطبيقاته العملية، محيي الدين عبد الحليم، ص 148.

(2) نحو إعلام إسلامي، صلاح حماد، ص 29.

(3) **الأصمعيّ**: هو أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن أصمع، من أهل البصرة، كان من أئمة اللغة، سلك البراري والبوادي وصحب الأعراب، وأخذ الأدب من معدنه، مات سنة خمس عشرة ومائتين. (الأنساب، للسمعاني (293/1).

(4) أساس البلاغة، للزمخشري، ص 644.

(5) أسلوب من أساليب المناداة عن العرب، وهي التي أشار إليها الأصمعي فيما سبق.

(6) صحيح البخاري (93/5)، كتاب المغازي، باب قتل أبي رافع عبد الله بن أبي الحُقَيق. من طريق أَبِي إِسْحَاقَ السبيعي عن الْبَرَاءِ رضي الله عنه به.

ويظهر في هذا الحديث بعدٌ إعلاميٌّ غاية في الأهمية غير المناداة، وهو أن ابنَ عتيك رضي الله عنه، أراد أن يتأكد بالمعاينة المباشرة، وباستخدام حاسة السمع لخبر يأخذه من مظانه ومصدره الأول، وهذه لعمري هي قمة التحري، ولم يرد لنفسه أن ينقل كلامًا تتناقله العامة، مع أنه في هذه الحادثة تؤكد لنا الرواية التي تأتي في سياق التوطئة لحديث الباب أنه أمعن في التأكد من قتله أبا رافع ووصل في ذلك إلى أبعد مدىً حيث يقول بعدما ضرب أبا رافع الضربة الأولى الشديدة: "... ثُمَّ جِئْتُ كَأَنِّي أُغِيثُهُ فَقُلْتُ: مَا لَكَ يَا أَبَا رَافِعٍ وَغَيَّرْتُ صَوْتِي. فَقَالَ: أَلاَ أُعْجِبُكَ لأُمِّكَ الْوَيْلُ، دَخَلَ عَلَيَّ رَجُلٌ فَضَرَبَنِي بِالسَّيْفِ. قَالَ: فَعَمَدْتُ لَهُ أَيْضًا فَأَضْرِبُهُ أُخْرَى فَلَمْ تُغْنِ شَيْئًا، فَصَاحَ وَقَامَ أَهْلُهُ، قَالَ ثُمَّ جِئْتُ وَغَيَّرْتُ صَوْتِي كَهَيْئَةِ الْمُغِيثِ، فَإِذَا هُوَ مُسْتَلْقٍ عَلَى ظَهْرِهِ، فَأَضَعُ السَّيْفَ فِي بَطْنِهِ ثُمَّ أَنْكَفِئُ عَلَيْهِ حَتَّى سَمِعْتُ صَوْتَ الْعَظْمِ...". ما أروعَه وما أجلَّ تثبتَه، يغير الصوت ويدعي الغوث ليأتي في المنتهى للنبيّ صلى الله عليه وسلم بخبر لا يمكن أن يُخدش أيُّ جانب في توثيقه.

المناداة عند العرب:

ففي قصة الغزوة التي أغارت على لقاح النبيّ صلى الله عليه وسلم قبل خيبر بثلاث، أن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه نادى: "... فَصَرَخْتُ ثَلاَثَ صَرَخَاتٍ: يَا صَبَاحَاهْ[1]، قَالَ: فَأَسْمَعْتُ مَا بَيْنَ لاَبَتَيِ[2] الْمَدِينَةِ، ثُمَّ انْدَفَعْتُ عَلَى وَجْهِي ...".[3]

ومن الحديث يُستفاد أن المناداة تكون درجتها وقوتها باعتبار الحالة التي تكون في ظلالها، فلما كان الاعتداء على شيء للنبي صلى الله عليه وسلم القائد الأول، كانت الصرخات ثلاثًا، وقد تكفي الواحدة، وعادة المرء ألا يخبر عن نتائج شيء فعله وهو يحتاج نقدَ غيره، لكن سلمة رضي الله عنه هنا أدرك بالحسّ والمعاينة معًا – وقد كان هو الفاعل – أن الصوت الذي خرجت به حنجرته كان من القوة بمكان أنه انتشر في جميع أنحاء المدينة وأرهائها، أضف إلى ذلك ما يصنعه الصوت الشديد من فعل السحر في التأثير السلبي على معنويات الملاحقين.

4. الأسواق:

نصبت السرادقات ووضعت أطناب الخيَم في سوق عكاظ وذي المجاز وغيرها ليتناقل العرب أشعارهم وكلماتهم متباهين ومتفاخرين بقوة اللسان وسلاسة البلاغة وإحكام المنطق وما إلى ذلك، ولتكون هذه الأسواق ميدانًا فاعلا لأشكال متلونة من تسيير أمور اجتماعية كثيرة كان عليها مدار الحياة الجاهلية تحديدًا من إجارة معلنة أو إبرام عقد نكاح أو إنفاذ حلف وميثاق.

---

(1) "**يا صباحاه**": هي كلمة تقال عند استنفار من كان غافلا عن عدوه. (فتح الباري، ابن حجر، (654/7).

(2) "**فأسمعت ما بين لابتي المدينة**": فيه إشعارٌ بأنه كان واسع الصوت جدًا. (فتح الباري، ابن حجر، (654/7).

(3) **متفقٌ عليه.**

أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة ذات القَرَد، (130/5). ومسلم في صحيحه، ص 915 رقم 4569، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة ذي قرد وغيرها. من طريق يَزِيدِ بْنِ أَبِى عُبَيْدٍ عن سَلَمَةَ بْنِ الأَكْوَعِ به.

أهمية الأسواق لدى العرب:

"فقد كانت [الأسواق] ميدانًا فسيحًا لتبادل الآراء وعرض الأفكار، والتشاور في مشكلات الأمور، ومجالا للمفاخرات والمنافرات والمحاورات. فكانت عبارة عن معرض لإذاعة مفاخر القبيلة وشرف الأرومة، ونواديًا واسعًا لإلقاء روائع الشعر مما اقتضى معرفة الصناعة اللسانية، والمباهاة بالفصاحة، والمفاخرة بالبلاغة، وكان النقاد والرواة يجتمعون في هذه الأسواق، فينتقد النقاد ما أدركوه، ويذيع الرواة ما سمعوه في كل مكان.

ولا ننسى الدور السياسي؛ إذ تحولت إلى مجتمعات تعقد فيها العهود والاتفاقات والأحلاف بين القبائل، ولربما كانت الغاية وجود أكبر عدد من الناس شهودًا على ذلك. ويتفرع عن سياسة القبيلة الحكم في الخصومات الفردية يجريه حكام مهيبون، كما يجري التبني والخلع أمام الناس كافة".[1]

ومن أشهر أسواق العرب عكاظ[2]:

ففيه الخطابة وللمصارعةِ جانبٌ، "وثمة كاهن وعرَّاف وعائف[3] وقائف[4]، ومَن يأتي ببناته ترويجًا لزواجهن، وأناسٌ قدموها ليختاروا من يتزوجون إليه".[5]، "وهو أيضًا ندوة سياسية عامة، تقضى فيها أمور كثيرة بين القبائل: فمن كانت له إتاوة على قبيلة نزل عكاظ فجاؤوه بها، ومن أراد تخليد نصر لحيّه فَعَلَ فِعْلَ عمرو بن كلثوم فرحل إلى عكاظ وخلده فيها شعرًا، ومن أراد إجارة أحد هتف بذلك في عكاظ حتى يسمع عامة الناس، ومن أراد إعلان حرب على قوم أعلنه في عكاظ".[6]

ومن أسواق العرب: دُومَة الجندل[7] والمُشَقّر[8] وحضرموت[9]. وهي إما أن تكون حولية أو موسمية.

---

(1) انظر: حضارة العرب في الجاهلية، حسين الحاج حسن، ص 198.

(2) **عكاظ:** سمي بهذا الاسم لأن العرب كانت تجتمع فيه فيعكِظ بعضهم بعضًا بالفخار أي يَدْعك، وعكظ فلان خصمه باللدد والحجج عكظًا، وحكى السهيلي: كانوا يتفاخرون في سوق عكاظ إذا اجتمعوا، وكانت قبائل العرب تجتمع بعكاظ كل سنة ويتفاخرون فيها، ويحضرها شعراؤهم ويتناشدون ما أحدثوا من الشعر ثم يتفرقون (معجم البلدان (142/4).

(3) **العيافة:** زجر الطير، وهو أن ترى طيرًا أو غرابًا فتَتَطيَّر، تقول: ينبغي أن يكون كذا، فإن لم ترَ شيئًا قلت بالحَدْس فهو عيافة، ورجل عائف: يتكهن. (العين (262/3).

(4) **القيافة:** القائف: الذي يَتَتَبَّع الآثارَ ويَعْرِفهُا ويَعْرِف شَبَه الرجُل بأخيه وأبيه والجمع: القافَة. يقال: فُلانٌ يَقُوف الأثر ويَقْتافُه قِيافةً مثل: قَفا الأثَر واقْتَفاه. (النهاية في الغريب (204/4).

(5) أسواق العرب في الجاهلية والإسلام، سعيد الأفغاني، ص 280–281.

(6) انظر: نفسه، ص 282.

(7) **دومة الجندل:** بضم أوله وفتح، وقد أنكر أبو دريد الفتح وعده من أغلاط المحدثين. وهي على سبع مراحل من دمشق. (معجم البلدان، الحموي (487/2).

(8) **المُشَقَّر:** بضم أوله وفتح ثانيه، وتشديد الاف، وراء، كأنه مأخوذ من الشقرة وهي الحمرة، أو من الشقر وهي شقائق النعمان، قال ابن الفقيه: هو حصن بين نجران واليمن، وقيل هو حصن بالبحرين لعبد القيس. (معجم البلدان، الحموي (134/5).

(9) **حضرموت:** بالفتح ثم السكون، وفتح الراء والميم، اسمان مركبان. وهي ناحية واسعة شرقي عدن بقرب البحر، وحولها رمال كثيرة تعرف بالأحقاف. (معجم البلدان، الحموي (269/2–270).

5. النـــدوة:

يقول ناجي معروف: "أسس [قصيّ] دار الندوة[1] في الضلع الشمالية من الكعبة، وجعل بابها إلى المسجد. وكانت دار الندوة مقرًا لمشاورات القرشيين ومناقشاتهم، ومحلا لاجتماع سفراء القبائل للمداولـــة في شئونها، كما استُعملت مكانًا لعقد النكاح. وكانت قريش لا تقضي أمرًا إلا في دار النـــدوة، وكـــان لا يُسمح للدخول فيها إلا لمن بلغ أربعين سنة".[2]

وهذا الأمر إن دلّ على شيء فإنما يدلُّ على أهمية دار الندوة بالنسبة للعرب، ومركزيتها في كل أمور حياتهم تقريبًا، ومصدر الثقل الأعظم لأهم الأعمال وأجلّها، وفيها يظهر البعد الإداري مترافقًا مـــع الناحية الإعلامية، حيث ساهمت الندوة بلا براح في تنظيم الحياة اليومية والموسمية والمصيرية للعرب.

6. النذير العريان[3]:

ففي صحيح البخاري، عَنْ أَبِى مُوسَى قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "مَثَلِي وَمَثَلُ مَـــا بَعَثَنِي اللَّهُ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَتَى قَوْمًا فَقَالَ رَأَيْتُ الْجَيْشَ بِعَيْنَيَّ، وَإِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْعُرْيَانُ فَالنَّجَاءَ النَّجَاءَ. فَأَطَاعَتْهُ طَائِفَةٌ فَأَدْلَجُوا عَلَى مَهْلِهِمْ فَنَجَوْا، وَكَذَّبَتْهُ طَائِفَةٌ فَصَبَّحَهُمُ الْجَيْشُ فَاجْتَاحَهُمْ ".[4]

وهذه الآلية الإعلامية كانت تُستخدم في الأمر الخطير أو العاجل جدًا، وهـــي أقـــصى علامـــات النذارة والتنبيه من موضوع بلغت أهميته الغاية والقمة.

7. العهود والمواثيق والأحلاف:

1. حلف الفضول:

ففي سيرة ابن هشام؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفًا ما أحبُّ أن لي به حمرَ النَّعم، ولو أُدعى به في الإسلام لأجبت.[5]

---

(1) موقعها بمكة، أحدثها قصيّ بن كلاب بن مرّة لما تملّك مكة، وهي دار كانوا يجتمعون فيها للمشاورة، وجعلها بعد وفاته لابنه عبد الدار بن قصيّ، ولفظه مأخوذ من لفظ النديّ والنادي والمنتدى، وهو مجلس القوم الذين يندون حوله، أي يذهبون قريبًا منه ثم يرجعون" (معجم البلدان، الحموي (423/2).

(2) أصالة الحضارة العربية، ناجي معروف، ص 109.

(3) **جاء في هدي الساري:** قوله (النذير العريان): أصله أن رجلا من خثعم طرقه عدوهم فسلبه ثيابه، فأنذر قومه فكذبوه، فاصطلموا، وقيل: لأن العادة أن ينزع ثوبه ويلوح به ليُرى من بعد، وشرطه أن يكون علـــى مكـــان عـــالٍ. (ص 256). **والاصْطِلامُ:** الاسْتِئْصالُ. واصْطُلِمَ القوم: أُبيدوا. (لسان العرب (340/12).

(4) **متفقٌ عليه.**

أخرجه البخاري في صحيحه (101/8-102)، كتاب الرقاق، باب الانتهاء عن المعاصي. ومسلم في صحيحه، ص 1145 رقم 5848، كتاب الفضائل، باب شفقته صلى الله عليه وسلم على أمته. كلاهما من طريق أَبِى بُـــرْدَةَ عَـــنْ أَبِـــى مُوسَـــى الأشعريّ به.

(5) (134/1). **وهو حديثٌ صحيح**، وإسناده: قال ابن إسحاق حدثني محمد بن زيد بن المهاجر بن قُنفذ التيميّ أنـــه ســـمع طلحة بن عبد الله بن عوف الزهريّ يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:...

ولذا قال عنه ناجي معروف: "وهو أشرف حلف كان في العرب كلها، وأكرم عقد عقدته قريش في قديمها وحديثها قبل الإسلام. عقده نفرٌ من أهل مكة، تحالفوا فيما بينهم على مساعدة المظلوم، وأن لا يقروا ببطن مكة ظالمًا. وسمت قريش ذلك الحلف (حلف الفضول) لفضله وفضيلة أهله، وسميت القبائل التي اشتركت فيه (الفضول) وقد تعاقدوا في شهر حرام قيامًا يتصافحون".[1]

2. حلف المطيبين:

"عقد على أثر نزاع بين القرشيين على بعض الوظائف الكبرى التي أوجدها قصيّ وتوارثها أبناؤه، ذلك أن هاشم بن عبد مناف وإخوته أرادوا أن يأخذوا الحجابة والسقاية والرفادة والندوة واللواء من بني عبد الدار باعتبار أنهم أحق بذلك منهم لشرفهم عليهم ولفضلهم في قومهم فانقسمت قريش واجتمعت بطونها، وعقدت كل طائفة حلفًا مؤكدًا على أن لا يتخاذلوا، ولا يُسلم بعضهم بعضًا ما بلّ بحرٌ صوفة. فأخرجت بنو عبد مناف جفنة مملوءة طيبًا قيل: إن بعض نساء بني عبد مناف وهي عاتكة بنت عبد المطلب أخرجتها لهم فوضعوها في المسجد وغمسوا أيديهم فيها، وتعاهدوا وتعاقدوا على التناصر واحتلفوا ومسحوا الكعبة بأيديهم توكيدًا على أنفسهم، فسمّوا (المطيبين) من أجل ذلك".[2]

3. حلف لعقة الدم:

"وتعاقد بنو عبد الدار ومن معهم من القبائل عند الكعبة ونحروا جزورًا وغمسوا أيديهم في دمه، ولعق رجل من بني عَدِيّ من ذلك الدم لعقة فلعقوا واحتلفوا على أن لا يتخاذلوا أمام بني هاشم ولا يُسلم بعضهم بعضًا، فسمّوا بـ (الأحلاف) ثم تصافّوا للقتال، وأجمعوا على الحرب، غير أنهم أخيرًا تداعوا للصلح ومشت السفراء بينهم على أن يعطوا بني عبد مناف: السقاية والرفادة، وأن تكون الحجابة واللواء والندوة لبني عبد الدار فاصطلحوا بذلك وتحاجزوا من الحرب وثبت كل قوم مع من حالفوا حتى جاء الإسلام وهم على ذلك".[3]

4. ميثاق الظلم والعدوان (ميثاق المقاطعة):

"وجُنّ جنونُ قريش بعد إسلامِ حمزةَ بنِ عبد المطلب وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما، وبعد أن رأت الإسلام ينمو ويعلو، على الرغم مما انتهجته من وسائل قمعية تزول من هولها الجبال، ليتمخض حقدهم ومكرهم عن إبرام معاهدة تعتبر المسلمين ومن يرضى بدينهم أو يتعاطف معهم أو يحمي أحدًا منهم حزبًا واحدًا دون سائر الناس، ثم اتفقوا على أن يقاطعوهم مقاطعة اقتصادية واجتماعية".[4]،

رجال الإسناد: محمد بن زيد، طلحة الزهريّ: ثقتان. انظر: تقريب التهذيب، ص 846، رقم 5931، ص 464، رقم 3042. وفي الحديث تصريحٌ من ابن إسحاق بالسماع.

(1) انظر: أصالة الحضارة العربية، ص 214–215.

(2) نفسه، ص 215.

(3) السابق، ص 215–216.

(4) انظر: تأملات حركية في سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم، يوسف أبو راس، ص 99.

فاجتمعوا في خَيْف بني كنانة من وادي المُحَصَّب[1]، فتحالفوا على بني هاشم وبني المطلب ألا يناكحوهم، ولا يبايعوهم، ولا يجالسوهم، ولا يخالطوهم، ولا يدخلوا بيوتهم، ولا يكلموهم، حتى يسلموا إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم للقتل، وكتبوا بذلك صحيفة فيها عهود ومواثيق "ألا يقبلوا من بني هاشم صلحًا أبدًا، ولا تأخذهم بهم رأفة حتى يسلموه للقتل". وتم هذا الميثاق وعلقت الصحيفة في جوف الكعبة، وانحاز بنو هاشم وبنو المطلب، مؤمنهم وكافرهم – إلا أبا لهب – وحبسوا في شعب أبي طالب.[2]

5. إيلاف قريش:

"وكانت قريش صاحبة الإيلاف، وهي العهود والاتفاقات التجارية التي رفع الله بها قريشًا ونَعَش فقراءها".[3]

خامسا/ الإعلام في القرآن الكريم:

الهدفُ العامُّ من الإعلامِ في الإسلام:

يظهر لنا وعبر ما يتضح من صريح القرآن العظيم أنه إيصال الفكرة الخاتمة والعقيدة الشاملة للبشرية جمعاء، ويأتي هذا مصداقًا لقوله جلّ وعلا: "قُلْ هَـذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي..."[4].

يقول الزمخشريّ في توضيح قوله تعالى هذا: "أدعو إلى دينه مع حجة واضحة غير عمياء"[5]، ويقول **سيد قطب** في ذات السياق: "فنحن على هدى من الله ونور، نعرف طريقنا جيدًا، ونسير فيها على بصر وإدراك ومعرفة، لا نخبط، ولا نتحسس، ولا نحدس، فهو اليقين البصير المستنير".[6]

وهذا معناه أن غاية خلقنا أن ننشر دين ربنا للعالم فنسلك طريقا قويمة معروفة شعابها ومناكبها، بل إن الله تعالى جعل أتباع النبي صلى الله عليه وسلم حقيقة هم من يقومون بواجب الدعوة إلى سبيل الله، والبصيرة هنا تمثل الوسائلية والشكيكة العملية في ترتيب الأمر الإعلامي المنوط بجميع المسلمين.

وتأكيدًا على المعاني التي أشرنا إليها سابقًا نرى ربنا تعالى يزيد في تأكيده على تشريف نزل الداعية الإعلامية فيوضح له مزيدًا من الطرائق القِدَد التي ينبغي عليه مراعاتها عند خطاب الناس

---

(1) **الخَيف**: المكان المرتفع. (أساس البلاغة، ص 180)، وهو: ما ارْتفَع عن مَجْرى السَّيل وانْحَدرَ عن غِلَظِ الجبلِ (النهاية (194/2). أما خَيْفُ بني كنانة فهو بطحاء مكة، وقيل: مبتدأ الأبطح. (معجم البلدان، للحمويّ (412/2). **والمحصَّبُ**: موضع الجمار بمنًى. (معجم البلدان (96/1).

(2) الرحيق المختوم، المباركفوري، ص 112.

(3) أصالة الحضارة العربية، د. ناجي معروف، ص 216.

(4) يوسف: 108.

(5) الكشاف (489/2).

(6) في ظلال القرآن (2034/4).

إعلاميا، فقال عزّ من قائل: "ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ..."[1].

يقول صاحب الظلال: "والدعوة بالحكمة، والنظر في أحوال المخاطبين وظروفهم، والقدر الذي يبينه لهم في كل مرة حتى لا يثقل عليهم ولا يشق بالتكاليف قبل استعداد النفوس لها، والطريقة التي يخاطبهم بها، والتنويع في هذه الطريقة حسب مقتضياتها، فلا تستبد به الحماسة والاندفاع والغيرة، فيتجاوز الحكمة في هذا كله وفي سواه".[2]

شهادة وبشارة، ودعوة ونذارة:

وحتى لا تضيع إبرة البوصلة عن صفحة عقل المسلم، يصوغ الرحمن فكر المسلم بما يمثله وصف النبي صلى الله عليه وسلم، باعتباره القدوة الأول والقائد المقدم، يقول تعالى: "يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً، وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُّنِيراً"[3]، فدعوة الرسول غير مرتبطة بقطر دون آخر ولا بزمان دون سواه، بل هي عالمية الانتشار مواكبة للأزمان، الأمر الذي يوجب على كل مسلم ألا ينغلق على الذات ولا يبحث عن الآخر، فإذا كان رباطنا مع المسلم إخاء وديناً، فرباطنا مع غيره دعوة وتبليغ، وهما من أركان العملية الإعلامية.

أما هدف العملية الإعلامية في القرآن فهو:

أن يصل المرء العامل إلى مرحلة يكون فيها داخلا في إطار "لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ"[4]، وإلى أن يخلص لله فردًا مسلمًا ذا رقي مستمر ودائب يكون في فلك "لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ"[5]، ليتحقق في النهاية بكمال العبودية لله تعالى باعتبارها السبب الرئيس في خلق ربنا تعالى للبشر: "وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ"[6].

القرآنُ العظيمُ كتابُ إعلامٍ:

ولعل أن الأستاذ **محمد رمضان لاوند** ذهب إلى ما هو أبعد من هذا كله حين اعتبر أن القرآن كتاب إعلامي واعتبر ذلك ثابتًا، ويعلل ذلك بقوله عن القرآن: "نزل بالحق لتحقيق غرض معين هو الدعوة إلى الله وتثبيت عقيدة الوحدانية ووضع التشريعات التي تنظم بها شئون الدنيا والآخرة، سالكًا في ذلك جملة من الوسائل: منها الحوار المنطقي، والقصة، والموعظة الحسنة، ومناقشة القضايا التي تعرض للناس".[7]

---

(1) النحل: 125.

(2) في ظلال القرآن، سيد قطب (2202/4).

(3) الأحزاب: 45-46.

(4) البقرة: 52.

(5) البقرة: 189.

(6) الذاريات: 56.

(7) السياسة الإعلامية في القرآن بين التاريخ والمعاصرة، ص 171.

عناصرُ العمليةِ الإعلاميةِ في القرآن:

المصدرُ الإعلامي: هو الله الخالق مدبر الأمر مفصل الآيات.

الناقلُ الوسيط: جبريل من الملائكة "نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ، عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ"[1].

الرسولُ المكلف: هو الرسول محمد صلى الله عليه وسلم "يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ"[2].

المرجعُ الوسيط: هو اللوح المحفوظ الذي أثبت فيه القرآن "بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ، فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ"[3].

الوسيلةُ الإعلامية: بالكلام كما في قوله تعالى: "أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ، وَلِسَاناً وَشَفَتَيْنِ"[4].

وبالإشارة كما في قوله تعالى: "فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيّاً"[5].

وبالخط، كما في قوله تعالى: "اذْهَب بِّكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ"[6].

وبالحكمة الدالة، كما في قوله تعالى: "وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاء مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى"[7].

الجمهورُ المتلقي: وهو الإنسان، كل الإنسان جملةً، لقوله تعالى: "وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ"[8].[9]

من مشاهدِ الإعلامِ في القرآنِ الكريمِ (قصةُ الهدهدِ نموذجًا):

1. هدهدُ سليمانَ ونقلُ الخبر:

"فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَأٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ"[10].

والإحاطةُ: العلم بالشيء من جميع جهاته[11]، ينضاف إلى ذلك المسافة البعيدة التي تجشم عناءها الهدهد من أجل إيصال معلومة خطيرة من هذا العيار للقيادة ، حيث إن [سبأ بأرض اليمن يقال لها مأرب بينها وبين صنعاء مسيرة ثلاث ليالٍ][12]، وقد تقدم أن هذه الآية جمعت أصول العملية الإعلامية من حيث جميع مقوماتها وخصائصها، فقد راعى فيها الهدهد موصل المعلومة أن ينقل الكلام الجلل بالأسلوب الذي

---

(1) الشعراء: 193–194.

(2) المائدة: 67.

(3) البروج: 21–22.

(4) البلد: 8–9.

(5) مريم: 29.

(6) النمل: 28.

(7) طه: 22.

(8) الأنبياء: 107.

(9) المناهج الإعلامية وأثرها على الدعوة، جمعة شعبان وافي، ص 28–29.

(10) النمل: 22.

(11) فتح القدير، الشوكاني، (166/4).

(12) نفسه (170/4).

ارتآه مناسبًا، من حيث الإحاطة بجميع حيثيات القضية فالسرعة في نقل الخبر، ثم تغليف ذلك بالتثبت الكامل إلى درجة اليقين وصياغته في قالب الخبر الصحفيّ.

الخبرُ المنقولُ على لسانِ الهدهد:

"إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ، وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لا يَهْتَدُونَ"[1].

والآية تشهد للهدهد بغاية الاختصار وغاية الدقة في تمثيل المشهد، مع تبيان الأسباب والدوافع، بل واستنتاج التداعيات والآثار من خلال المشهد والتوقعات المستقبلية في إطار تحليل الخبر.

ثم إن الآيتين تتحدث كل واحدة منهما عن قسم معين من الخبر، فأولاهما تصف المشهد العام للملكة والمماليك وأبرز ما في الأمر وهو عرشها، وثانيتهما تتحدث عن أعمال أهل هذه المملكة من أكبر رأس فيها وأعظم قوة فاعلة إلى أصغر عامل من الرعية، وتبين أسباب الانحراف عن سبيل التوحيد.

إضافاتٌ هامةٌ:

يمثل عمله ما يمكن أن نسميه بالسبق الصحفي، إذ أن الجنود المسخرين بجلب الأخبار ونقلها لسليمان عليه السلام، بل هو نفسه لم يكونوا على علم بالخبر الذي كان أول من نقله الهدهد، فحقق نقطة هامة في سجله الصحفي كان ذا شقين: الأول تمثل في الحرقة والغيرة على الدين وهما ما جعلتاه دائب الحركة ولو على حساب حياته "لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَاباً شَدِيداً أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ "[2]، من أجل حماية جسم الدعوة الإسلامية، والثاني في السرعة والمبادرة وعدم انتظار التكليف، وهذا يعني أنه حتى وإن كان الأمر ليس واقعًا في دائرة تكليف الهدهد ومطالبته إلا أنه مع ذلك استشعر عميق الانتماء للحكومة السليمانية فكان منه تبليغ بشيء خطير عجزت همة البشر أو خواص الجن العجيبة عن موافاة سليمان عليه السلام به.

ومع كامل الدقة وكل الأدلة التي قدمها الهدهد تصديقًا على ما قال إلا أن سيدنا سليمان عليه السلام يعلمنا أنه على الإعلامي الدقيق أن يقبل الأمر الذي لم يتأكد منه تمامًا إلا بعد أن يستريح ويطمئن بالوسائل التي يرتئيها مناسبة، ولذا قال: "سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ"[3].

خطابُ سيدِنا سليمانَ عبرَ كتابِه:

"إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ"[4].

يبتدئ خطابه الرسمي الموجه إلى رئيس دولة خارجية بالبسملة، والتي تعني الانخلاع من كل المظاهر التي قد تخدع فتضيف النعمة إلى من ظهرت عليه لا إلى صاحبها الحقيقي، كما بين في البسملة

---

(1) النمل: 23-24.

(2) النمل: 21.

(3) النمل: 27.

(4) النمل: 30-31.

منهجه العام، وأنه يؤمن بالتوحيد وعبادة الصمد، ويعرّض من طرف خفي ببلقيس وقومها الذين يسجدون للشمس من دون الله تعالى. أما فحوى الخطاب فقد جاء بأوجز العبارة وأنصعها وأقدرها على مراعاة المراد، حيث بدأه بتوجيه النصح لهم بعدم العلوّ والاستكبار والعنجهية في التعامل، لأنه يعلم أنه إذا ضمن هذا الجانب فسوف يسهل الانقياد إلى ما بعده وهو الدعوة إلى الإسلام.

2. نملةُ سليمانَ:

"حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ"[1].

يتضح من الموقف أن الأمر خطير جدًا باعتبار ما سيكون عليه الحال بالنسبة لقرية النمل، فهي من حيث الحجم بالنسبة للإنسان لا تكاد تذكر، والمرء عادته في المشي بشكل عام ألا ينظر إلى أسفل، حتى وإن جاء في باله أو تذكر أنه ربما وطأ نمالا فلا يكترث لذلك خاصة إذا كان هناك ما يشغله أو يفكر به في طريقه، ولذا كان من الواجب علينا هنا أن نتعلم من الخطاب الإعلامي النمليّ ما يأتي:

1. إن الخطاب الإعلامي الذي لا يقدم النصح الحقيقي للرأي العام بما يقوم مساره ويعدل اتجاهاته ليس خطابًا نزيهًا، ويشار إليه بالاتهام من باب خدمة مصلحة شخصية أو حزبية أو خاصة.

2. على الإعلامي الذي يريد النجاح والتقدم وأن يُشهد له بعلوّ الكعب والتمكن أن يكون متابعًا الأحداث التي تجري على المشهد الداخلي بشكل خاص ليواكب التطورات ويكون له رأيه الدقيق وإجاباته الخالية من اللعثمة أو التهرب المشين، وهو ما كان من النملة فمجرد نقلها الخبر يعبر عن نملة راصدة لما حولها مخلصة لقريتها ساهرة على حماية مقوماتها.

3. السرعة في نقل الخبر الهام، واستخدام الوسائل المتاحة والترقي في سلمها الوسائليّ، وعدم التواني أو التقصير إذا كانت القضية في مختصرها تهديدًا لحياة مجتمع أو بعض أفراده أو العدوان عليه بأي شكل من الأشكال، فبمجرد رؤية سليمان عليه السلام ومن معه حللت النملة الموقف وقدرت خطورته، ولم تكن أنانية بل نقلت ذلك لصويحباتها وأهلها حتى يحذروا من خطر قادم، فقد كان للنملة [صفة الإشراف والتنظيم على النمل السارح في الوادي][2].

4. الاختصار الدقيق غير المخل بحيثيات وأبعاد القضية، بحيث يفهم المجموع المراد في أقصر وقت ليمضي مسرعًا فاهمًا في أمر التفاعل معها، فقد قدمت النملة ما يمكن أن نسميه تصريحًا صحفيًا بامتياز جعلت في محتواه كل ما تريد لدرجة أن من يُنقل إليه الخبر بعد ذا يشكل أبعاد وتفاصيل القصة التي وقعت بكل سهولة ويسر، **وهذا هو تحليلُ التصريح:**

"حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ": تبيان أسباب القضية وتحديد مكان الاستهداف ومكمن الخطر،

---

(1) النمل: 18.

(2) في ظلال القرآن، سيد قطب (2636/5).

"قَالَتْ نَمْلَةٌ": وهي جهة التصريح، وقولها الخبر المحكيّ.
"يَا أَيُّهَا": استخدام أسلوب النداء لشد الانتباه واستمالة السامع.
"النَّمْلُ": الجهة المستهدفة من الخطاب.
"ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ": مضمون التصريح وصلب الرسالة الموجهة.
"لا يَحْطِمَنَّكُمْ": تعليل سبب الأمر، ووضع الجهة المستهدفة في خطورة تداعياته.
"سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ": الجهة المحذَّر منها، مع تبيان القيادة المشرفة على الأمر، وهو ما يختزل الأفكار والأهداف وحتى طبيعة هذه الجهة في نفوس الجهة المستهدفة من الخطاب.
"وَهُمْ لا يَشْعُرُون": اعتذار عن القادمين بما قد يوقعون من أخطار ليس أقلها الموت، وهو ما ينبني عليه الإشارة المستقبلية على عدم التفكير من قيادة الطرف الأول بمواجهة مع الطرف الثاني.

5. الموضوعية مطلب مهم لمن أراد ألا يكون من أصحاب الكذب والمكر غير المبرر في الجانب الإعلامي، وهذا ما أشارت إليه النملة عندما قالت بعدما حذرت قومها عن سليمان وجنده "وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ"، فقد اعتذرت لهم وبينت أن فضائلهم وأخلاقهم ستحجزهم عن وطء مجتمعهم أو الإساءة إليه إذا شاهدوهم، ولكنها وضعت في حساباتها وتقديراتها أنه بالإمكان ألا يكون في مجال الرؤية منهم فقالت ما قالته.

6. القصة تمثل رمزية معينة مفادُها أنّ الإنسان المسلم يجب أن يكون ذا همة عالية وإرادة فاعلة، وكلما حاولت نفسه الأمارة بالسوء أن تحجزه عن ذلك يتذكر ما نقل عن النملة السليمانية فيأبي مطاوعة نفسه، ويرى أنه محتاج أن يبذل الجهد المضاعف حتى يكون في مقام التكريم اللائق به.

سادسا/ الإعلامُ في الحدود الشرعية:

ونأخذ على ذلك مثالين اثنين:

أولا/ تطبيق حدِّ الزنا:

قال تعالى في معرض توضيح حد الزناة بنوعيهم: "وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ"[1].

"فهي الصرامة في إقامة الحدّ، وعدم الرأفة في أخذ الفاعلين بجرمها، وعدم تعطيل الحدّ أو الترفّق في إقامته، تراخيًا في دين الله وحقّه، وإقامته في مشهد عامٍّ تحضره طائفة من المؤمنين، فيكون أوجعَ وأوقعَ في نفوس الفاعلين ونفوس المشاهدين".[2]

وظاهرٌ أن لحضور مشهد الرجم من جماعة من المؤمنين مهما كانت بسيطة استدعاءً لقوة لا يُستهان بها من الإعلاميين الميدانيين الذين سينقلون الخبر إلى مجالسهم ولقاءاتهم وأمسياتهم، وسيسردون التفصيل فيه، فيكون أدعى لتنشيط حافز مراقبة الله داخل الخاملين، وكسرًا لداعي الشيطان عند المقبلين

(1) النور: 2.
(2) في ظلال القرآن، سيد قطب (2488/4).

على هذا الفعل المشين، وتذكيرًا مستمرًا أن تطبيق شرع الله لا يتخذ منحنى الهوادة أو التخاذل، فتتجدد الإشارات النورانية ويظلّ المستوى الإيمانيّ في رقيٍّ مستمر.

تنفيذ العقوبة في مكانٍ معروف للجميع:

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: أُتِيَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِيَهُودِيٍّ وَيَهُودِيَّةٍ قَدْ أَحْدَثَا جَمِيعًا فَقَالَ لَهُمْ: "مَا تَجِدُونَ فِي كِتَابِكُمْ ؟". قَالُوا: إِنَّ أَحْبَارَنَا أَحْدَثُوا تَحْمِيمَ[1] الْوَجْهِ وَالتَّجْبِيَةَ[2]. قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلاَمٍ: ادْعُهُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ بِالتَّوْرَاةِ. فَأُتِيَ بِهَا فَوَضَعَ أَحَدُهُمْ يَدَهُ عَلَى آيَةِ الرَّجْمِ، وَجَعَلَ يَقْرَأُ مَا قَبْلَهَا وَمَا بَعْدَهَا، فَقَالَ لَهُ ابْنُ سَلاَمٍ: ارْفَعْ يَدَكَ. فَإِذَا آيَةُ الرَّجْمِ تَحْتَ يَدِهِ، فَأَمَرَ بِهِمَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَرُجِمَا. قَالَ ابْنُ عُمَرَ: فَرُجِمَا عِنْدَ الْبَلاَطِ، فَرَأَيْتُ الْيَهُودِيَّ أَجْنَأَ[3] عَلَيْهَا.[4]

ووجهُ الاستشهاد: قال ابن حجر في الفتح: والمراد بالبلاط هنا موضع معروف عند باب المسجد النبوي كان مفروشًا بالبلاط.[5]

مما يعني أن الرسالة المراد إيصالُها للعامّة ستكون على مشهدٍ من حاضرٍ قاصد، أو سالكٍ غيرِ معتاد، فيقع الأثر في كلتا الحالتين، ويتعدّاه إلى سواهما ممن ستُنقل إليهم الحادثة بجميع تفصيلاتها وحتى أجوائها النفسيّة.

ثانيًا/ الحِرَابـــة:

قال تعالى: "إِنَّمَا جَزَاء الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً أَن يُقَتَّلُواْ أَوْ يُصَلَّبُواْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ".[6]

"**المحارِبون المذكورون:** هم القومُ الذين يجتمعون ولهم منعةٌ ممن أرادهم، بسبب أنهم يحمي بعضُهم بعضًا، ويقصدون المسلمين في أرواحِهم ودمائِهم.

وقال ابنُ عبّاس: كلمة (أو) ليست للتخيير، بل لبيانِ أن الأحكامَ تختلفُ باختلافِ الجنايات، فمن اقتصرَ على القتلِ قُتِل، ومن قَتَلَ وأَخذَ المالَ قُتِل وصُلِب، ومن اقتصرَ على أخذِ المالِ قطعت يدُه ورجلُه من خلافٍ، ومن أخافَ السبلَ ولم يأخذِ المالَ نُفِيَ من الأرض، وهذا قولُ الأكثرينَ من العلماء".[7]

---

(1) **التَحميم:** التسويد (التلطيخ بالسواد). (غريب الحديث، لابن قتيبة (397/2).

(2) **التَّجْبية** بمعنيين: أحدُهما أنْ يُكب الرجُل على وجْهه باركاً والآخر أنْ يَضع يدَيْه على رُكْبَتيْه وهو قائم ويَنْحَني وهذا هو الركوع يقال فيهما جَميعاً جبّى الرجُل يُجَبّي تَجْبية. (غريب الحديث، لابن قتيبة (392/1).

(3) **أجْنَأ** يُجْنِئُ إجْنَاءً: أي يُكِبُّ ويَميلُ عليها ليَقيَها الحجارةَ. (النهاية (818/1).

(4) صحيح البخاري (165/8-166)، كتاب المحاربين من أهل الكفر والردة (الحدود)، باب الرجم في البلاط، من طريق عَبْدُ اللَّهِ بْنُ دِينَارٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله به.

(5) فتح الباري (177/12).

(6) المائدة: 33.

(7) التفسير الكبير، الفخر الرازي (221/11).

وأثرُها الإعلاميّ يتمثلُ في أن رؤيةَ بعض الحالات التي يكون عليها المحاربون بعد إقامة الحدّ عليهم، ستجعل من رجل أحدهم أو يده المقطوعة رسالة صامته للآخرين على اختلاف حالاتهم النفسيّة وتنوعها، كما سيجعل النفيَ لجماعة من المفسدين عبرة لمن يظن أن أنفس الناس وممتلكاتهم ربما تكون مشاعًا في يومٍ ما، ويبقى القتل كأداة تهديدية ينتهي عندها المطاف، وتقطع أحلام المحاربين في التقدم وتقمعهم من تطورهم في الباطل.

دور الإعلان في تحقيق الردع العام والطمأنينة العامة

"يؤثر الإعلان في معدلات الجريمة سلبًا وإيجابًا، فإذا نفذت العقوبة بدون إعلان كما هو الحال في كثير من دول العالم حيث تنفذ عقوبات تصل إلى درجة الإعدام ولكن بصورة سرية، أو بمعنى آخر غير معلنة، حرصًا من تلك الدول على عدم إشاعة الرعب على حدّ قولهم في مجتمعاتهم ... بل إن الإعلان عن التنفيذ يمنع الجريمة ويصون الأعراض ويحفظ الأموال والأرواح ويحقق درجة عالية من الردع، لأن الكثير من البشر لا يمنعه من الجريمة إلا العقوبة ولا يحس بجدية التطبيق إلا إذا نفذت العقوبة علنًا، فإن مشاهد التعذيب تخلف صورة تعلق بذهن المشاهد لفترة طويلة تكون له بمثابة الحاجز والمانع كلما دعته نفسه إلى فعل الجريمة".[1]

والإعلان المشاهَد أشدُّ وقعًا في النفس، فالمشاهِدُ يرى ما لا يرى السامع، ويتأثر بالأمر تأثرًا حركيًّا لدرجة استشعار الامتزاج بالحالة المشاهدة، بمعنى أن الصورة التي يراها تنقله من عالمه الواقعي إلى العالم التخيلي بواسطة حلم اليقظة، لتستحيل الصورة مشهدًا رادعًا بحد ذاته، كلما ذكر له مشهد مماثل أو رآه، استحضر تلك الصورة فتحدث فيه أقوى الآثار وأمطّها مدىً.

ودور وسائل الإعلام في إعلان العقوبات الحدِّيَّة هو توسيع رقعة ومساحة الإعلان، لأن الإعلان في مكان التنفيذ لا تشهده إلا شريحة قليلة من المجتمع، وحيث إن الهدف السماح لمن يرغب في المشاهدة أن ينالها كان لوسائل الإعلام هذا الدور الهام جدًا، سواء على صعيد التحشيد ليوم العقوبة ابتداءً، أو الاجتماع العام في يوم تنفيذها.

---

(1) إعلان الحدود الشرعية، صالح العتيبي، ص 174.

خلاصـــــة التمهيــد:

بحثنا في تمهيد الرسالة التأصيلَ اللغويَّ، والمعنى الاصطلاحيَّ، والبعدَ التاريخيَّ للإعلام في حياة الإنسان بشكل عامٍّ، وخصصنا الإعلامَ الإسلاميَّ بمزيدٍ من كلام وتفصيل وبيان، حول خصائصه وأهدافه ووظائفه، ووضعنا دلالاتٍ وإشاراتٍ للمناحي الإعلامية عند العرب من شعرٍ وخطابــةٍ ومنــاداة ونــدوةٍ وأحلاف.

وبينما نحن كذلك يأتي الاقتباسُ من القرآن ليضفيَ على الإعلام ثوبَ الطهارة، ويلزمه الــصدق والموضوعية والتدقيق، وكانت هناك أمثلة توضيحيّة وسريعة؛ منها ما كان في تطبيق الحدود الــشرعيّة ليدلَّنا ذلك على اهتمام الإسلام بالإعلام ودوره في أداء الدعوة إلى الله تعالى.

وبعد انتهاء التمهيد، ننتقل إلى الفصل الأول، نتحدث فيه عن التأصيل النبويّ للنظرية الإعلاميــة من خلال مصطلح الحديث.

الفصـــل الأول

(النظرية الإعلاميـــــة
من خلال مصطلح الحديث)

وفيه خمســـة مباحث:

المبحث الأول: الحديث وعـــــلاقتـــــه بالإعـــــلام

المبحث الثاني: مواصفات ناقل الخبر المقبول وعلاقته بالإعلام

المبحث الثالث: العلاقة بين النقد الحديثي والنقد الإعلامـــــي

المبحث الرابع: العلاقة بين الحديث والإعلام من حيث أدوات التحمل والأداء

المبحث الخامس: كتابة الحديث وضبطه ومبادئ الكتابة الدقيقة

المبحث الأول:

الحديث وعلاقته بالإعلام

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الحديث لغـــة واصطـــــلاحًـــا.

المطلب الثاني: علاقة المعنـــى اللغـــوي بالاصطلاحـــي.

المطلب الثالث: علاقة المعنى الاصطلاحي بالمقصد الإعلامي.

المبحث الأول:
الحديث وعلاقته بالإعلام

المطلب الأول/ الحديث لغةً واصطلاحًا:

المعنى اللغويّ:

حَدَثَ: الحاء والدال والثاء أصلٌ واحد، وهو كونُ الشيءِ لم يكن. يقال حدث أمرٌ بعد أن لم يكن، والحديثُ من هذا، لأنه كلامٌ يحدُث منه الشيءُ بعد الشيء. ورجل حَدُث: حسن الحديث، ويُقال: هذه حدِّيثى حسنة، كخطِّيبى، يراد به الحديث.[1] واستحدثوا منه خبرًا: أي استفادوا منه خبرًا حديثًا جديدًا.[2]

والحديثُ: نقيض القديم. والحديثُ: الخبرُ.[3]، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: "مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ"[4].

وهو هنا بمعنى الإتيان بشيء جديد خارج عن إطار السنة لم يكن مذكورًا فيها من قبل وهي البدعة، **والابتداع:** الاختراع على غيرِ نهجٍ سبق.

وهناك كلامٌ ماتعٌ للجديع في تحرير علوم الحديث يوضح ملخص التعريفات اللغوية:

والحديثُ في الأصل يطلق على: الجديد من الأشياء، ويطلق على الخبر. ومنه قوله تعالى "وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ حَدِيثاً"[5]، وقوله: "فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ"[6].[7]

هذا بالمعنى الأول، ولكنه يأتي بمعنى المحاضرة، فن السرد، القصة، البيان، التقرير، الاتصال.[8]

وعلى هذا أمثلة كثيرة من القرآن الكريم منها:

فهذه أمثلة ثلاثة على المعنى العام: أولها قوله تعالى: "يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الأَرْضُ وَلاَ يَكْتُمُونَ اللّهَ حَدِيثاً"[9]، وثانيها قوله تعالى: "فَمَا لِهَـؤُلاء الْقَوْمِ لاَ يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ

---

(1) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ص 253.

(2) أساس البلاغة، الزمخشري، ص 115.

(3) الصحاح، الجوهري، (278/1).

(4) **حديثٌ متفقٌ عليه.**

أخرجه البخاري في صحيحه (184/3)، كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود. ومسلم في صحيحه (132/5) رقم 4590، كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة وردّ محدثات الأمور. كلاهما من طريق القاسم بن محمد عن عائشة رضي الله عنها به.

(5) النِّساء: 87.

(6) سَبَأ: 19.

(7) التحرير، ص 8.

(8) انظر: دلائل التوثيق المبكر للسنة والحديث، امتياز أحمد، ص 86.

(9) النساء: 42.

حَدِيثاً"[1]، وآخرها قوله تعالى: "وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلاَ تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ"[2].

قال تعالى: "أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ"[3]، وقال: "فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفاً"[4]، ومثله: "أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ"[5] **والمراد في المواضع الثلاثة السابقة:** القرآن الكريم.

وقد يأتي الحديث بمعنى القصة أو الخبر:

ففي سورة طه: "وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى"[6]، وفي الذاريات: "هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ"[7]، وفي البروج: "هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ"[8]

وفي صحيح مسلم جاء من حديث جابر رضي الله عنه قوله: "...أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ..."[9]

وبالإجمال **فحديث النبي** صلى الله عليه وسلم هو: "القول الذي تكلم به ونُقل إلى الناس بطريق ما، هو جديد بالنسبة للمشركين آنذاك من حيث معناه ومدلوله وما يدعو إليه، وكذلك هو ما صدر عن النبي من أخبار".[10]

التعريفُ الاصطلاحيّ:

ما أضيف إلى النبي صلى الله عليه وسلم قولا أو فعلا أو تقريرًا أو صفة.[11]

وقد أضاف **نور الدين عتر:** "ما أضيف إلى الصحابي والتابعي" باعتبار ما أسماه التسوية في المعنى بين الحديث والخبر".[12]

---

(1) النساء: 78.

(2) الأنعام: 68.

(3) الأعراف: 185.

(4) الكهف: 6.

(5) النجم: 59.

(6) طه: 9.

(7) الذاريات: 24.

(8) البروج: 17.

(9) صحيح مسلم، ص 393 رقم 1889، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة. من طريق محمدِ بنِ عليٍّ بن الحسين عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ به.

(10) الكشاف المبين، أحمد أبو حلبية، ص 3.

(11) قواعد التحديث، جمال القاسمي، ص 61.

(12) منهج النقد، ص 27.

متعلقـــات:

1. الأثر:

وهو الخبر، **قال الزمخشري:** وجدت ذلك في الأثر: أي السنة.. وفلان من حملة الآثار، وحـــديث مأثور يأثِرُه ويأثُره أي يرويه قرن عن قرن.[1]

وقال ابنُ فارس: أثر: الهمزة والثاء والراء له ثلاثة أصول: تقديم الشيء، وذكر الشيء، ورســم الشيء الباقي... وأما حديث عمر: " ما حَلَفتُ بعدها آثرًا ولا ذاكرًا "، فإنه يعني بقوله آثرًا: مخبرًا عــن غيري[2]. وأثره أثْرًا وأَثَارة وأُثرة: تبع أثره، وأثر الحديث: نقله ورواه عن غيره. وأثر السيف وغيره أثْرًا وأُثرة: ترك فيها علامة يُعرف بها.[3]

2. الخَبَر:

قال ابنُ فارس: الخاء والباء والراء أصلان: فالأول العلم، والثاني يــدل علــى لــين ورخــاوة وغُزْر... فالأول الخُبر: العلم بالشيء، والله تعالى الخبير، أي العالم بكل شيء، وقال الله تعالى: "وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ"[4].[5]

ويُطلق ويُراد به الحديث، وأيضًا يُراد به ما هو أعم منه من الأخبار.[6]

وجاء في القواعد: "الخبر عند علماء الحديث مرادف للحديث، فيُطلقان على المرفــوع، وعلــى الموقوف، والمقطوع. وقيل: الحديث ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم، والخبر ما جاء عن غيــره. وقيل: بينهما عموم وخصوص مطلق، فكل حديث خبر ولا عكس. والمحدّثون يسمون المرفوع والموقوف بالأثر... ويسمى المحدّث أثريّا نسبة للأثر، وأثرت الحديث بمعنى رويته.[7]

والحاصل أن هذه العبارات الثلاثة: الحديث، الخبر، الأثر، تطلق عند المحدّثين بمعنى واحد.[8]

المطلب الثاني/ علاقة المعنى اللغويّ بالاصطلاحيّ:

الحديثُ النبويُّ من حيث هو كلامٌ يكونُ جديدًا وحديثًا في حال إخراجه من ساحة اللــسان إلــى أرض الآذان، وهو خبرٌ باعتبار تناقله وتوارده عبر النقلة والرواة، وعلى أساس تسطيره في الــصحائف والكتب وما إليه من وسائل النقل يبقى أثرًا موجودًا ومحفوظًا، فالحديث صيدٌ وكتابته قيدٌ.

---

(1) أساس البلاغة، ص 11.

(2) معجم مقاييس اللغة، ص 57.

(3) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ص 5.

(4) فاطر: 14.

(5) معجم المقاييس، ص 339-340.

(6) الفصول في مصطلح حديث الرسول، حافظ ثناء الله الزاهدي، ص 5.

(7) نفسه، ص 24-26.

(8) منهج النقد، نور الدين عتر، ص 29.

المطلب الثالث/ علاقة المعنى الاصطلاحيّ بالمقصد الإعلاميّ:

يقول ويزلي وكامبل: الخبر هو تقرير عن فكرة، أو حادث، أو صراع، له صفة الحالية والجِدَة [الحداثة]، ويهم الجمهور. يقول البعض أن الأخبار هي أوجه النشاط الإنساني التي تهم الرأي العام، وتوجهه، وتسليه، وترشده، وتعلمه.(1)

هذا وقد كانت الأحاديث أخبارًا تحمل هذه المعاني السابقة مجتمعة أو آحادًا أو نتفًا، فحديث أركان الإسلام مثلا يعطي فكرة عن الإخبار بالحقائق الأساسية المتصلة بالإسلام التي لا يُقبل مع التفريط بها أو بأحدها إيمانُ الفرد. والناظر إلى نصّ الحديث عن ابن عمر في الصحيحين: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ؛ شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلاَةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالْحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ".(2) يجد أن الحديث من خلال أسلوب التقرير تقديم الحقائق الكلية للإسلام في عشرين كلمة لا أكثر، وكذا اختيار الألفاظ ودلالتها، مما انعكس على درجة الفهم ونوعيته بحيث لا نجد أي اختلاف بين الجمهور في إدراك الحقائق أو الأركان الأساسية للإسلام.(3)

كما أن الحديث يحمل في طياته شيئًا جديدًا من ناحية كونه تشريعًا جديدًا تقعيديًّا بالمقام الأول، وليس خافيًا أن الحديث يجعل الأفق التفكيريّ خصبًا ورحبًا، فالبناء شيء ماديّ وهو يتحدث عن أمور معنوية لها اتصال بالعالم الروحيّ، ولكن تقريب الصورة في الخبر المنقول يحتاج إلى استخدام أدوات وألفاظ معروفة لدى الجمهور المستمع حتى يحدث الاتفاق والالتقاء قدر الإمكان على مراد القائل من كلامه، **وهنا مثالٌ آخر** من حديث أَبِى هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلاَّ غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ".(4)

ففيه معنى التوجيه والتعليم والإرشاد، توجيه المسلمين إلى التوسط في الأعمال والأخذ بما يطيقون، والحرص على القرب من الكمال في إتقان أدائهم لهذه الأعمال. والحديث يخاطب جمهور المسلمين عامة، ويعكس فهمًا دقيقًا لتكوين الإنسان النفسي ولقدراته الذهنية ولأنسب الأوقات لإطلاق طاقات القدرات الكامنة في الإنسان، ويشير إلى أهمية تكرار الممارسة على فترات متقاربة حتى يتم الاعتياد على أدائها، وهذا كله يكشف بوضوح مدى التيسير في الرسالة الإعلامية الإسلامية ومجافاتها للمغالاة والتشدد.(5)

وبعد انتهائنا من التعريف بالحديث لغةً واصطلاحًا وتبيان علاقته بالإعلام، ننتقل إلى الحديث عن مواصفات ناقل الخبر المنقول ومبادئ عمله.

---

(1) أصول المواجهة الإعلامية، محمود الزهار، ص 27.

(2) **متفقٌ عليه.**

أخرجه البخاري في صحيحه (11/1)، كتاب الإيمان، باب دعاؤكم إيمانكم. ومسلم في صحيحه، ص 37 رقم 22، كتاب الإيمان، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: بني الإسلام على خمس. كلاهما من حديث ابن عمر رضي الله عنهما به.

(3) انظر: التفسير الإعلامي لصحيح البخاري، محمد حجاب، ص 29-30.

(4) صحيح البخاري (16/1)، كتاب الإيمان، باب الدين يسر. من طريق سَعِيدِ بْنِ أَبِى سَعِيدٍ الْمَقْبُرِىِّ عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ به.

(5) انظر: التفسير الإعلامي لصحيح البخاري، محمد منير حجاب، ص 81-82.

المبحث الثاني:

مواصفات ناقل الخبر المقبول وعلاقته بالإعلام

وفيه مطلبـــــان:

المطلب الأول: العدالـــــــة.

المطلب الثاني: الضبـــــــط.

المبحث الثاني:
مواصفات ناقل الخبر المقبول وعلاقته بالإعلام

القاعدةُ العامَّةُ التأصيليّة:

قال النوويّ: "أجمع الجماهير من أئمة الحديث والفقه، أنه يُشترط فيه – يعني من تُقبل روايته – أن يكون عدلا ضابطًا، بأن يكون مسلمًا بالغًا عاقلا سليمًا من أسباب الفسق وخوارم المروءة، متيقظًا حافظًا إن حدَّث من حفظه، ضابطً لكتابه إن حدَّث منه، عالمًا بما يُحيل المعنى إن روى به".[1]

وفيه مطلبان:

المطلب الأول/ العدالة:

وهي: "ملَكَةٌ تحمل المرء على ملازمة التقوى والمروءة".[2]

لكن مع ملاحظة أن "من كانت له تلك الملكة لا يلزم من اتصافه بها أن يكون معصومًا، أي أنه من كان الغالب عليه فعل الطاعات وترك المعاصي"[3]، وكذلك فـ "فالمرة الواحدة من صغائر الهفوات وتحريف الكلام لا تخل بالمروءة ظاهرًا لاحتمال الغلط والنسيان والتأويل".[4]

وأجمل ما يُقال في هذا السياق ويصحّ أن يكون مقبولا من الغالبية العظمى للعلماء والمسلمين، هو ما أورده **الخطيب البغدادي** في الكفاية، حيث قال: والواجب أن يُقال في جميع صفات العدالة: إنها اتباعٌ لأوامر الله تعالى، والانتهاء عن ارتكاب ما نهى عنه، مما يُسقط العدالة، وقد عُلِمَ مع ذلك أنه لا يكاد يسلم المكلف من البشر من كل ذنب... فيجب أن يُقال: إن العدل هو من عُرف بأداء فرائضه ولزوم ما أُمِر به، وتوقي ما نُهيَ عنه، وتحري الحق والواجب في أفعاله ومعاملته، والتوقي في لفظه ما يثلم الدين والمروءة.[5]

بل قال بعد ذلك كلامًا أجمع وأظهر: والواجب عندنا أن لا يُردَّ الخبر ولا الشهادة إلا بعصيان اتُّفِقَ على ردِّ الخبر والشهادة به.[6]

مسألة اشتراط المروءة:

والمروءة: آداب نفسية تحمل مراعاتها الإنسان على الوقوف عند محاسن الأخلاق وجميل العادات. أو هي كمال الرجوليّة.[7]

---

(1) تدريب الراوي، النووي، ص 260–261. وقال مثله ابن جماعة في المنهل الرويّ، ص 63.

(2) نزهة النظر، ابن حجر، ص 29.

(3) خلاصة التأصيل، الشريف حاتم العوني، ص 7.

(4) توجيه النظر إلى أصول الأثر، طاهر الدمشقي، ص 28.

(5) الكفاية في معرفة أصول علم الرواية، ص 272.

(6) نفسه، ص 273.

(7) المعجم الوسيط، ص 860.

وهناك موقفان من هذا الأمر:

أولا/ وأما المروءة فاشتراطها مهم؛ لإخراج الصغير غير المكلَّف والمجنون كذلك، اللـذيْن لا يوصـفان بالتقوى ولا بنقيضها (الفسق)، فهما ليسا من أهل العدالة، ولإخراج من يغلب على الظن أنه ليس بعـدل، وإن لم يثبت يقيناً أنه فاسق، وذلك لإتيانه بما الغالب على من يأتيه (عرفاً) بأنـه مـن أهـل الفـسق أو السَّفَه.[1]

ثانيا/ وقد اعترض بعض العلماء على إدخال المروءة في حدّ العدالة لأن جلّها يرجع إلى مراعاة العادات الجارية بين الناس وهي مختلفة باختلاف الأزمنة والأمكنة والأجناس، وقد يدخل في المروءة عرفاً ما لا يُستحسن في الشرع ولا يقتضيه الطبع.[2]

وأعتقد أنها في عالم الإعلام لا ينبغي إدخالُها كشرط، فالصحافي الذي يأكل في الشارع أو يلـبس القميص الأزرق مع البنطال الأصفر وما شابه ذلك، وإن كانت كعادة ذميمة وخارمًا للمروءة إلا أنهـا لا تجرح الخبرة والفهم والقدرة على التحليل، ولا تؤثر على الكفاءة. ومردُّ ذلك إلى جـواز التـساهل مـع الأخباريّ ما لا يُتساهل فيه مع ناقل أخبار النبيّ صلى الله عليه وسلم وأحاديثه الشرعية.

كيفية معرفة وتحديد المروءة:

المروءة من الأمور التي يعسر حدها على وجه لا يخفى. قال بعضهم: المروءة الإنسانية، وقـال بعضهم: المروءة كمال المرء كما أن الرجولية كمال الرجل. وقال بعضهم: المروءة هي قوة للنفس تصدر عنها الأفعال الجميلة المستتبعة للمدح شرعًا وعقلا وعرفاً ..، وقال بعضهم: المروءة صون النفس عـن الأدناس ورفعها عما يشين عند الناس، وقيل: سير المرء بسيرة أمثاله في زمانه...[3]

والظاهر أنه ما من تحديد معين ودقيق حديّ من الممكن الوقوف عليه كمعيار ومقياس نستند عليه لدى الحكم على الأئمة والرواة، بل هو راجعٌ إلى الزمان والمكان كجزء مهم من أدوات التقييم.

لكن لا بدّ من التنويه إلى أنني أؤكد على الصدق والضبط في النقل والكتابـة، ولا أرى إضـافة المروءة في اعتبار الأخذ بالنقل الصحافيّ؛ لأنه زيادة غير وجيهة في مكانها.

ومن المواصفات التي لا بدّ منها للعدالة:

العقل والبلوغ؛ باعتبار أنهما مناط التكليف الشرعي.

فالعقل آلة الفهم وشرط التكليف، وهو نور يبصر به القلب المطلوب بعد انتهـاء درك الحـواس بتأمله بتوفيق الله تعالى. وشرط العقل القدرة على التمييز بين الأشياء، وعليه فمن فقد القدرة والتمييز بأن كان مجنوناً ردت روايته لتمكن الخلل منه، وهذا أمر مجمع عليه، لأن الحنون مانع من التحمل.[4]

---

(1) خلاصة التأصيل، الشريف حاتم العوني، ص 8.

(2) توجيه النظر إلى أصول الأثر، طاهر الدمشقي، ص 28.

(3) انظر: نفسه، ص 28–29.

(4) التأصيل الشرعي لقواعد المحدثين، عبد الله شعبان، ص 197.

وليس ببعيد عن التقاطع في التوافق على أن من فقد عقله، أو كثرت زلاته لهرم أو خَرَف، فلا ينبغي متابعة أخباره والتفاعل معها، خاصة إذا ما عرفنا أن الانفجار المعرفيّ يجعلنا نستقي الأخبار من مصادر متعددة، وحيثما كان الأصوب موجودًا قدمناه على الصائب، وهكذا.

والبلوغ مناط التكليف وتحمل المسئولية، ووجه اشتراطه أنه لارتفاع قلم التكليف عنه قد يسوغ له الكذب، والشرع أسقط عنه ولايته في نفسه في أمور دنياه، فلم يجعله واليًا على نفسه في أمور الدنيا، ففي الدين أولى، لما في قبول خبره من تنفيذ، أو ولاية على المسلمين.[1]

وأظن أن البلوغ الذي يمكّن صاحبه من عقل واعٍ وفكر متدبر، وتمييز جليّ بين الصواب والخطأ، فإنه يجري عليه قلم الإعلام ويصحّ له الإخبار، مع الأخذ بعين الاعتبار أن تكون له أدوات تحريرية معتبرة إما شخصية خاصة أو من متابعيه ومدربيه الذين يولونه اهتمامًا مباشرًا.

كيف تثبت العدالة:

1. بالشهرة والاستفاضة، مثل أئمة السنة.[2]

وقد أكد على ذلك **الإمام النووي** بقوله: تثبت العدالة بتنصيص عدْلين عليها، أو بالاستفاضة فمن اشتَهرت عدالته بين أهل العلم وشاع الثناء عليه بها، كفى فيها، كمالك، والسفيانين، والأوزاعيّ، والشافعي، وأحمد، وأشباههم.[3]

وهذا الذي تُشتهر عدالتُه ويشيع الثناء عليه بالثقة والأمانة، يُستغنى فيه بذلك عن بينة شاهدة بعدالته تنصيصًا.[4]

2. بالتنصيص من مقبولٍ قولُه في الجرح والتعديل.
3. بالتعديل الضمني، كالتصحيح والتحسين للراوي، ورواية من لا يروي إلا عن مقبولٍ عنه.[5]

ويأتي الضبط في نفس السياق، ويعرف ضبط الراوي بـ "موافقته الثقات المتقنين غالبًا ولا تضر مخالفته النادرة، فإن كثرت اختلّ ضبطه ولم يُحتجّ به".[6]

وفي الجانب الإعلاميّ فإننا بناءً على الدرجة نقيّم الخبر، وكما أن الاستفاضة والشهرة لدى محدث ما من الدلائل على توثيقه، فإن المتابعة المستمرة لصحفي معين أو كاتب بعينه بقراءة عموده الإخباري أو تحليله السياسي أو ما شابه باستمرار، معناه درجة الاحترام الكبيرة التي يحظى بها هذا الصحفي، طبعًا بشرط صدقيّته.

---

(1) نفسه، ص 196.

(2) خلاصة التأصيل، الشريف حاتم العوني، ص 13.

(3) تدريب الراوي، النووي، ص 261.

(4) انظر: مقدمة ابن الصلاح، ص 68.

(5) خلاصة التأصيل، الشريف حاتم العوني، ص 13.

(6) تدريب الراوي، النووي، ص 263.

ويأتي في إطار العدالة التأكيد على الشيء التلقائي وهو اشتراط الإسلام ولا ريب إذ إن "أصل عدالة المحدِّث أن يكون مسلمًا لا يدعو إلى بدعة ولا يُعلن من أنواع المعاصي ما تسقط به عدالته".[1]

يقول ابنُ الصلاح: " تقبل رواية من تحمل قبل الإسلام وروى بعده "[2]، وذلك لكون المرويّ له علاقة مباشرة بالرسول صلى الله عليه وسلم، فلا يُؤمن أن ينقل غير المسلم خبرًا لا يراعي فيه حرمة الرسول ولا المسلمين، مع إجازة علماء الحديث تحمل الكافر للرواية أي حفظه لها، فكان المفهوم هنا أنه متى أمِن الكذب فلا بأس بقبول الخبر.

وإذا علمنا أن الإسلام شرط للأداء وليس بشرط للتحمل، فقد تحمل بعض الصحابة قبل إسلامهم ثم أدوا بعده، تأكّد لنا معنى القول السابق.

وفي مجال الإعلام لا يُشترط أن نأخذ الخبر من المسلم فقط، بل نأخذه منه ومن غيره، بشرط أن يكون المنقول عنه ممن عرف عنه النزاهة والصدقيّة في نقل الأخبار، أو كان موضوعيًا مستقل الرأي كما يقولون، والتشدد الواقع آنفًا إنما هو في نقل أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم دون غيرها.

خوارم العدالـــة:

1. ما اندرج في إطار خوارم المروءة:

هي كل ما حطَّ من قدر الإنسان في العرف الاجتماعي الصحيح، مثل التبول في الطريق، وكثرة السخرية والاستخفاف، لأن من فعل ذلك كان قليل المبالاة، لا نأمن أن يستهتر في نقل الحديث النبوي.[3]

2. الابتداع:

بدعه: أنشأه على غير مثال سابق[4]، **والبدعة:** طريقة في الدين مخترعة، تضاهي الشرعيّة، يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه.[5]

قال النوويّ: من كُفّر ببدعته لم يُحتجّ به بالاتفاق، ومن لم يُكفّر قيل: لا يُحتجّ به مطلقًا، وقيل: يُحتجّ به، إن لم يكن ممن يستحلّ الكذب في نصرة مذهبه، أو لأهل مذهبه.[6]

وقيل: يُحتجّ به إن لم يكن داعية إلى بدعته، ولا يُحتج به إن كان داعية، وهذا هو الأظهر الأعدل، وقول الكثير، أو الأكثر.[7]

قال ابنُ تيميّة: التحقيق أنه لا يُرد كل مكفَّر ببدعته، لأن كل طائفة تدعي أن مخالفها مبتدع، وقد تبالغ فتكفّر مخالفيها، فلو أُخذ على الإطلاق لاستلزم تكفير جميع الطوائف، والمعتمد أن الذي قد ترد

---

(1) معرفة علوم الحديث، للحاكم النيسابوري، ص 53.

(2) المقدمة، ص 79.

(3) منهج النقد، نور الدين عتر، ص 80.

(4) المعجم الوسيط، ص 43.

(5) الاعتصام، للشاطبي (43/1).

(6) تدريب الراوي، ص 281.

(7) نفسه، ص 282.

بدعتُه روايتَه من أنكر متواترًا من الشرع، معلومًا من الدين بالضرورة، أو اعتقد عكسه، وأما من لم يكن كذلك، وانضم إلى ذلك ضبطه لما يرويه، مع ورعه وتقواه، فلا مانع من قبوله.[1]

والأمر هنا بحاجة إلى تقعيد حتى لا تنحرف البوصلة، إذ يجب علينا أن نثبت التوثيق لمن كان ولو علمناه مبتدعًا، مع تبيان حال بدعته للعلم العامّ، وانظر مثلا إلى كلام الذهبي على (أبان بن تغلب)، قال: "شيعيّ جلد، لكنه صدوق، فلنا صدقه، وعليه بدعته". ثم قال: "ولقائل أن يقول كيف ساغ توثيق مبتدع، وحدّ الثقة العدالة والإتقان ؟ فكيف يكون عدلا من هو صاحب بدعة ؟ وجوابه: أن البدعة على ضربين: فبدعة صغرى كالتشيّع بلا غلوّ ولا تحرف؛ فهذا كثير في التابعين وتابعيهم مع الدين والورع والصدق. فلو رُدَّ حديثُ هؤلاء لذهب جملةٌ من الآثار النبوية، وهذه مفسدةٌ بيّنة. ثم بدعة كبرى؛ كالرفض الكامل والغلوّ فيه، والحطّ على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما والدعاء إلى ذلك، فهذا النوع لا يُحتجّ بهم ولا كرامة".[2]

قلت: وفي السياق الإعلامي يتأكد لنا إسقاط البدعة كشرط في قبول الخبر من الناس، إذ قد نأخذ من جنسيات مختلفة وألسنة متباينة، ومذاهب شتى، لكن إذا قُدِح في الصدق أُسقط صاحبُ القدح.

ومن الضوابط العامة الهامة الآتي:

1. مراعاة أثر البيئة في تكوين العقيدة: فمن الرواة من يستطيع التغلب على تأثيراتها السلبية إما ظاهرًا وباطنًا أو بأحدهما، أو من يخضع لهما أو لأحدهما، وهذا يتطلب سبر حال الرواة من تلامذته أو أتباعه.

2. مراعاة نوع البدعة: فمن المعلوم لكل ناظر في كتب العقائد ومقالات الناس، أن البدع أنواع، وكلها مراتب، وهناك تفاوت بينها يقضي بالتمييز في الحكم على القائل بنوعٍ منها، ومن ثم تُعرف مرتبته في الرواية قبولا أو ردًّا.

3. العبرة بكثرة المحاسن: حيث يقول الذهبي في ترجمة ابن عبد البرّ: كان إمامًا ديِّنًا، ثِقةً، علامةً، متبحرا، صاحب سنة واتباع ... بلغ رتبة المجتهدين، ومن نظر في مصنفاته، بان له منزلته من سعة العلم، وقوة الفهم وسيلان الذهن، وكل أحدٍ يُؤخذ من قوله ويُترك إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكن إذا أخطأ إمامٌ في اجتهادِه، لا ينبغي أن ننسى محاسنه، ونغطي معارفه، بل نستغفر له ونعتذر منه.[3]

وقال الذهبيّ معلقًا على ترجمة محمد بن أحمد العثماني:

غلاة المعتزلة، وغلاة الشيعة، وغلاة الحنابلة، وغلاة الأشاعرة، وغلاة الجهمية، وغلاة الكرّاميّة، قد ماجت بهم الدنيا، وفيهم أذكياء وعبّاد وعلماء، نسأل الله العفو والمغفرة لأهل التوحيد، ونبرأ إلى الله من

---

(1) السابق، ص 281.

(2) ميزان الاعتدال، (118/1) رقم 2.

(3) سير أعلام النبلاء، الذهبي، (157/18).

الهوى والبِدَع، ونحب السنة وأهلها، ونحب العالم على ما فيه من الاتّباع والصفات الحميدة، ولا نحب ما ابتدع فيه بتأويل سائغ، وإنما العبرة بكثرة المحاسن.[1]

4. التأويل الإيجابيّ؛ وهو حمل كلام إمام معروف الصدق والديانة على محمل سائغ يقتضيه سياق كلامه، ويحتمله ظاهر عبارته، وهو أولى من اتّهامه ونبذه وحمل عبارته على السوء.

5. قد يُتهم الرجل بالبدعة ولا يصح ذلك عنه، إمّا لضعف في طريق نقلها عنه، أو ضعف مستند من نسبها إليه، واتّهمه بها.

6. بعض الأئمة قد يتشددون فيمن له هفوة تخالف السنة، فيتركون الرواية عنه، وإن كان هو في نفسه ثقة إمامًا.

قلت: وهذا ليس دقيقًا ولا مقبولا، لأن إقالة العثرة لذوي الهيئة من الأئمة مطلبٌ مرغَّبٌ فيه، فالهفوات تُحتمل، ومن ذا الذي ما ساء قطّ، ومن له الحسنى فقط.

7. العمدة في قبول رواية المبتدع على صدقه وإتقانه وتحرّيه في طلب الحقّ. انظر مثلا ما قاله الإمام الذهبي في ترجمة قتادة بن دعامة السدوسيّ: وهو حجة بالإجماع إذا بيّن السماع، فإنه مدلّس معروف بذلك، وكان يرى القدر، نسأل الله العفو. ومع ذلك فما توقّف أحدٌ في صدقه، وعدالته، وحفظه، ولعلّ الله يعذر أمثاله ممن تلبّس ببدعته يريد بها تعظيم الباري وتنزيهه، وبذل وسعه، والله حكمٌ لطيفٌ بعباده، ولا يُسأل عمّا يفعل.[2]

3. الفسق[3]:

وهو: "رقةُ الدين وضعفُ الخوف من الله تعالى، الذي يظهر من خلال ارتكاب الكبائر، أو الاستخفاف والانهماك في جملة من الصغائر من غير تأوُّل، قبل أن تعقبها توبةٌ تُعلم وتتضح".[4]

ولا يُقبل خبر الفاسق بارتكاب المعاصي والخروج عن طاعة الله تعالى، وإن لم يظهر عليه الكذب، وكذلك من كان فسقه بسبب كذبه في حديث الناس وإن توقى الكذب في الحديث النبوي، لأنه لا يُؤمن أن يقع فيه حيث إنه مستهترٌ بمقام ربه.[5]

قال الخطيب البغداديّ: "اتفق أهل العلم على أن السماع ممن ثبت فسقه لا يجوز ويثبت الفسق بأمور كثيرة لا تختص بالحديث، فأما ما يختص بالحديث منها، فمثل: أن يضع متون الأحاديث على

---

(1) نفسه (20/45-46).

(2) السابق (5/271).

(3) فَسَقَ كلُّ ذي قِشرٍ فِسقًا وفُسوقًا: خرج عن قِشره، ويُقال: فسقت الرُّطَبة عن قِشرها والفأرةُ عن جُحرها، وفلان فَسَقَ: عصى وجاوز حدود الشرع، ويُقال فسق عن أمر ربه: خرج عن طاعتِه. (المعجم الوسيط ص 688).

(4) خلاصة التأصيل، الشريف حاتم العوني، ص 10.

(5) منهج النقد، نور الدين عتر، ص 81.

رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أسانيد المتون. ويُقال: إنَّ الأصل في التفتيش عن حال الرواة كان لهذا السبب".[1]

ويؤكد على هذا المعنى **ابن حبان** في المجروحين إذ يقول: ومنهم المعلن بالفسق والسفه وإن كان صدوقًا في روايته؛ لأن الفاسق لا يكون عدلا، والعدل لا يكون مجروحًا، ومن خرج عن حدّ العدالة لا يُعتمد على صدقه وإن صدق في سيء بعينه في حالة من الأحوال إلا أن يظهر منه ضدّ الجرح، حتى يكون أكثر أحواله طاعة لله عز وجلّ فحينئذ يُحتجّ بخبره، أما قبل ظهور ذلك عنه فلا.[2] لكنهم قبلوا رواية التائب من الفسق.[3]

ما يعني أن الفسق وإن كان قادحًا في العدالة إلا أنه يظل ضرره في دائرة صاحبه ولا يتعداها إلى الآخر شخصًا كان أو حديثًا مرويًّا أو منقولا.

بل قال **الأعظميّ**: لو فُتِح بابُ التفسيق لمجرد مخالفة ما يراه الإنسان، لما سلم أحد.[4]

وتعليقًا على جانب الفسق والتفسيق في الواقع الإعلاميّ، فإننا ينبغي لنا أن نراعي ونستحضر أن الأئمة النقّاد قد شدّدوا في ذلك لأن الكلام المرادَ حفظُه هو حديثُ رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكن في حديث الناس فإننا لا نزال نؤكد على الصدق والموضوعية والشهرة بذلك، وإلا لأسقطنا كلام كثيرٍ من الكفّار ومن دخل دائرتهم، وهذا صعبٌ واضحٌ.

4. التهمة بالكذب:

المتهم بالكذب هو من ثبت كذبه في حديث الناس، واشتُهر أمره بين العامّ والخاصّ، فمن كانت هذه سيرته لا يُؤمن عليه أن يكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن هنا جاء الحذر من الرواية عنه؛ لأنه بذلك صار مسلوب العدالة، ومن شرط الصحّة أن يكون راويًا عدلا.[5]

ويكون في إحدى حالتين هما:

1. أن يتفرد الراوي برواية ما يخالف أصول الدين وقواعده العامة، إذا لم يكن في الإسناد من يُتهم بذلك غيره.
2. أن يُعرف عنه الكذب في كلامه، وإن لم يظهر منه وقوع ذلك في الحديث النبويّ.[6]

وهي تهمةٌ يتم التأكد منها إما باستقراء الحال العام للراوي أو ما اشتُهر عنه من خبر أو استفاض من معرفة خاصة، وهذا الأمر مستنبط من القواعد الأولى في نقد متن الحديث، فلا تعارض ظاهرٌ من

---

(1) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (130/1).

(2) المجروحين (77/1).

(3) انظر: تدريب الراوي، النووي، ص 285.

(4) دراسات في الجرح والتعديل، ص 141.

(5) نفسه، ص 139.

(6) انظر: ضوابط الجرح والتعديل، عبد العزيز اللطيف، ص 107.

حيث المبدأ بين الأحاديث النبوية، فإذا جاء من يروي حديثًا يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم أو يوقفه على واحدٍ من الصحابة، وعارض أثره هذا معلومًا من الدين بالضرورة أو آية قرآنية صريحة اتهمنا الراوي بالكذب، بل إن هذا المجال تتأتى خبرته لمن تبحّر في التخريج وعاش مع الكتب الأصول، لدرجة تشتم معه حاسته الشعورية بالتواصل مع السنة الدخنَ من الصواب. والله أعلم

وهذا النقطة مهمةٌ جدًا في الحكم على أخبار ونقولات الإعلاميين، فلو كانت الرواية الصحفية من جميع الإعلاميين في اتجاه ورواية واحدٍ أو يزيد قليلا في اتجاه آخر وضعنا الدائرة الحمراء حول كلامه وتحرينا عن مصادره، بل وخلفياته السياسية أو الدينية وهل لهذا الأمر علاقة بصياغة تقريره أم لا، فإذا ثبت أنه تعمد الكذب ينتقل الأمر من الاتهام بالكذب إلى إلصاق الكذب الصراح بالناقل أو على الأقل وُصف بعدم الضبط والتساهل في تحمل الخبر. ويدخل في إطار الاتهام بالكذب أن يذكر المخبِر شخصًا أو مؤسسة بخلاف المشتهر عنهم من مواصفات ومعلومات.

الضوابط العامة لهذه المسألة:

1. لا عبرة باتهام راوٍ لم يُعرف بتعمّد الكذب ولا بتقصّده.
2. عدم اعتبار أيّ اتهامٍ مبنٍ على التوهّم والتخيّل، دون إظهار دليل كافٍ يفضي إلى الجرح.
3. إلصاق التهمّة بالأشد ضعفًا في الإسناد.
4. من روى عن ثقة حديثًا منكرًا، ثم توبع عليه تخلّص من التهمة به.[1]

5. الكذب:

هو الإخبار عن الشيء على خلاف ما هو، عمدًا كان أو سهوًا.[2]

حكمه: ثم إن من كذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم عمدًا في حديث واحد فسق ورُدّت رواياته كلها، وبطل الاحتجاج بجميعها.[3]

ولا فرق في الكاذب عمدًا، ولا الكاذب فيما زعم خدمةً للسنة النبوية وصاحبها عليه أفضل الصلاة والسلام، كما قالت الكرّاميّة "إذا كان الكذب في الترغيب والترهيب فهو كذبٌ للنبيّ صلى الله عليه وسلم لا عليه". ومن عرف أنه كذاب، أو متهم بالكذب يجب تشهيره بين الناس.[4]

التائب من الكذب في حديث النبي صلى الله عليه وسلم:

يقول ابنُ الصلاح: "التائب من الكذب في حديث الناس، وغيره من أسباب الفسق، تقبل روايته، إلا التائب من الكذب متعمداً في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإنه لا تقبل روايته أبداً".[5]

---

(1) انظر: ضوابط الجرح والتعديل عند الحافظ الذهبي، محمد الثاني موسى، ص 433-449.

(2) شرح النووي على مسلم (28/1).

(3) نفسه (29/1).

(4) انظر: دراسات في الجرح والتعديل، للأعظمي، ص 138.

(5) المقدمة، ص 73.

وهذا الأمر لا يحتاج إلى إفاضة وزيادة شرح، فكما أن الكاذب تنفر منه النفس السويّة وتحتقر صاحبه وترى إسقاطه وروايته، كان لا بدّ التأكيد هنا على شيء معروف وهو أن من صُنِّف من الإعلاميين على أنه من الكذبة والدجّالين لم نكتفِ فقط بعدم أخذ أخباره وتصديقها، بل نحذر عامة الناس منه حتى لا يكون كلامه سببًا في صياغة رأي عام خاطئ أو مبنٍ على الشائعة، أما من يتوب فلا حرج من معاودة قبول أخباره، مع وضع ضابط "إن عاد إلى كذبه فلا نعود إلى توثيقه وقبول خبره".

المطلب الثاني/ الضبط:

حثنا ديننا الحنيف على تحري الصدق في المقال، فقال تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ"[1]، وهو بهذا يعلي مراقي الصادقين ويجعلهم من المتقين، ويكفيهم بذا شرفًا وفخرًا.

تعريف الضبط[2]:

هو: نقل المرويِّ كما تلقاه الراوي (لفظًا أومعنىً)، والضابط: هو من كان نقله للمرويّ مطابقًا لما تلقاه عن شيخه (لفظًا أو معنىً).[3]

فهو: إسماع جيد، فهم، وحفظ، وثبات، وعدم تردد من حين تحمَّلَ إلى حين يؤدي.

كما هو: عملية تقويم نصّ الكتاب، والتأكد من صحته.[4]

قسما الضبط:

1. **ضبط صدر:** وهو القدرة على استحضار المرويّ من الصدر كما تلقاه الراوي دون الرجوع إلى الكتاب مع شرط عدم إحالة المعنى فيما إذا روى بالمعنى.

2. **ضبط كتاب:** وهو أن يكون المرويّ مكتوبًا مصحَّحًا، محفوظًا من التغيير أو التلف أو الفقدان، وألا يحدِّث صاحب هذا الضبط إلا من كتابه هذا، أو من نسخةٍ مطابقةٍ له.[5]

وهذان النوعان يشترك فيهما الإعلاميون مع الرواة، لكن مع وسائل التكنولوجيا الحديثة فأرى أن نضيف في هذا الجانب **ضبط آلة:**

وأعني به أن ينتبه الإعلامي إلى ضبط آلته التي يعتمد عليها ويراجع عملها وفعاليتها قبل استخدامها، مثل مسجل الصوت العادي أو الحاسوبي، وكذا الكاميرا التي تنقل صوتاً وصورة، وما إلى ذلك من الوسائط التكنولوجية التسجيلية، ونظرًا لأن الخطأ واردٌ وقد يقع بنسبة مهما كانت بسيطة، فإنه

---

(1) التوبة: 119.

(2) **ضبطه ضبطًا:** حفظه بالحزم حفظًا بليغًا، وضبطه: أحكمه وأتقنه، وضبط الكتاب ونحوه: أصلح خلله أو صحّحه وشكّله. (المعجم الوسيط، ص 533). وهو إحكام الأمر ولزومه، وحبسه على جهة مستوية لا يتطرقه خلل، ولا تحريف. (التأصيل الشرعي لقواعد المحدثين، عبد الله شعبان، ص 222).

(3) خلاصة التأصيل، الشريف حاتم العوني، ص 15.

(4) التأصيل الشرعي لقواعد المحدثين، عبد الله شعبان، ص 222.

(5) خلاصة التأصيل، العوني، ص 16.

ينبغي أن تكون لديه أدوات احتياطية يستخدمها معًا كلما كان الكلام مهمًا وضروريًا ويحتاج إلى تدقيق وتمحيص في النقل. والله أعلم

ومن خلال ما تقدم نعلم شروطًا للضبط هي:

- يقظة الراوي، وعدم غفلته وسهوه ونومه.
- حفظ الراوي لحديث إذا حدّث من حفظه، وصيانته لكتابه إن حدّث من كتابه.
- العلم بالمعاني إن حدّث بالمعنى.
- السلامة من الشذوذ والمخالفات، والإصرار على الغلط بعد البيان، فإن ذلك يخرم الثقة بالراوي وضبطه.[1]

وتعليقًا على قضية الحفظ أقول:

يُكتفى بالأدوات التسجيلية ومن ثم تفريغ المضمون على ورق ونشر الكلام كما هو، وهذا الأمر أراح ذوي القدرة البسيطة على الحفظ من عناء التركيز الشديد ومحاولة الاستذكار المستمرة، بل إننا نستطيع أن نقول أن هذا يضمن لنا نقلا حرفيا دقيقًا جدًا بصورة أفضل من الاعتماد على الذاكرة البشرية التي قد يعتريها النسيان أو التغير مهما نظرنا إلى نسبتها على أنها تكاد تكون غير موجودة لدى البعض، لأن الوهم لم يغادر أحدًا من الناس.

*** كيفية معرفة العلماء المتقدِّمين للضبط:**

يتم ذلك منهم من خلال عملية شاقة تستلزم حفظًا واسعًا وفهمًا ثاقبًا وإدراكًا كبيرًا لعلوم الحديث بجميع فنونها، هذه العملية هي عملية سبر مرويات ذلك الرواي [ومن ثَمَّ الحكم عليها بناءً على قواعد المصطلح والجرح والتعديل].[2]

*** كيفية معرفة العلماء المتأخرين والباحثين المعاصرين للضبط:**

من خلال طرائق معرفة العدالة نفسها، وذلك لأن أحكام أئمة الجرح والتعديل جاءت لبيان ما إذا كان الرواة محتجًّا بما رووه، او غير محتجٍّ به، وذلك لا يحصل إلا بالحكم عليهم من خلال عدالتهم وضبطهم جميعًا.[3]

خوارم الضبط:

1. التساهل في السماع (التحمّل) أو الإسماع (الأداء):

كمن ينام حالة السماع، أو يشتغل عنه بما يُشغل عنه. أو يحدث لا من أصل مصحح، أو من عرف بقبول التلقين في الحديث، أو بكثرة السهو في روايته إذا لم يحدث من أصل صحيح. أو من كثرت الشواذّ والمناكير في حديثه.[4]

---

(1) التأصيل الشرعي لقواعد المحدثين، عبد الله شعبان، ص 226.

(2) خلاصة التأصيل، الشريف حاتم العوني، ص 16.

(3) نفسه، ص 20.

(4) المنهل الرويّ، ابن جماعة، ص 66.

وهذه حالة قد تتمثل في واقعنا المعاصر بانشغال متلقي الخبر عند سماعه من السياسيّ مثلا بمشاهدة التلفاز أو استقبال اتصال، فيقوم بسد الفراغ الواقع بالتحليل والاستنتاج ويُقوِّل المتكلم ما لم يكن قاله أصلا، أو تراه انشغل بحديث جانبي مع زميل له أو أنه لم يُعِر المتكلم انتباهًا من الأصل، وكل هذه أمور تقدح في دقة النقل فيمن اشتُهرت عنه هذه الأمور.

ولهذا قال ابن الصلاح:

لا تُقبل رواية من عُرِف بكثرة السهو في رواياته، إذا لم يحدِّث من أصل صحيح.[1]

وعليه فإذا كان هناك جزءٌ من النقل لم يستوعبه الناقل، كان عليه مقابلة أصل نقله الذي لديه بما كتبه إخوانه من الصحافيين الذين يثق بهم، لتكون كتابته دقيقة.

2. سوء الحفظ، وهو قسمان:

أ. ما يكون ملازمًا للراوي، فهذا يدور الحكم على حديثه بحسب ما تقتضيه قرائن الجرح والتعديل وغيرها من القرائن، فقد توجد قرينة تقتضي قبول روايته، وقد توجد قرينة تقتضي تضعيفها.

ويوضح ذلك أن من كان صدوقًا سيئ الحفظ ففي حديثه ضعف يزول بكونه أثبت من يروي عن شيخ معين إذا جاءت روايته عن ذلك الشيخ لطول ملازمته له وخبرته بحديثه.

ويزداد ضعفًا بكونه ممن سمع من شيخه المختلط بعد اختلاطه.

ب. ما يكون طارئًا على الراوي، إما لكبره أو لذهاب بصره أو لاحتراق كتبه أو عدمها، بأن كان يعتمدها فرجع إلى حفظه فساء حفظه.[2]

وسوء الحفظ مما لم يسلم منه أحد، فمن ترجّح له جانب الإصابة خرج من دائرة سوء الحفظ، ومن لم يترجّح جانب صوابه فهو الذي يُوصف بسوء الحفظ.[3]

وليس سوء الحفظ في عصرنا الحالي مبررًا لأحد بحال مع الأدوات المتطورة الناقلة والتسجيلية.

3. كثرة المخالفة:

والمخالفة هي: أن يخالف الراوي من هو أوثق منه أو جمعًا من الثقات.[4]

ويُحكم على الرواية التي وقعت فيها المخالفة بحسب ما تقتضيه قواعد مصطلح الحديث بما يلي:

1. إذا كانت المخالفة بالمغايرة التامة في المعنى، بحيث يقع التضادّ بين الروايتين، فذلك (الشاذ) إن كان الراوي ثقة أو صدوقًا، وهو (المنكر) إن كان الراوي ضعيفًا.
2. وإن كانت المخالفة بتغيير سياق الإسناد فذاك (مدرج الإسناد).
3. وإن كانت بدمج موقوف ونحوه في مرفوع فذاك (مدرج المتن).
4. وإن كانت بتقديم أو تأخير فـ (المقلوب).

---

(1) المقدمة، ص 75.

(2) ضوابط الجرح والتعديل، عبد العزيز اللطيف، 113.

(3) دراسات في الجرح والتعديل، الأعظمي، ص 176.

(4) ضوابط الجرح والتعديل، عبد العزيز اللطيف، 115.

5. وإن كانت بزيادة راوٍ في الإسناد مع وقوع التصريح بالسماع في الطريق الناقصة في موضع الزيادة فذاك (المزيد في متصل الأسانيد).

6. وإن كانت بإبدال راوٍ ولا مرجح لإحدى الروايتين على الأخرى، فهذا هو (المضطرب).

7. وإن كانت بتغيير حرف أو حروف مع بقاء صورة الخط في السياق فـ (المصحف) أو (المحرف).[1]

4. كثرة الوهـــم:

وَهِمَ في الحساب وغيره يَوْهم وهمًا: غلط فيه وسها... وتوهَّم الشيء: ظنه وتمثله وتخيله، كـــان في الوجود أم لم يكن.[2]

والوهم في الحديث: أن يروي الراوي أحاديث على سبيل الخطأ والتوهم فيصل الإسناد المرســل ويرفع الأثر الموقوف ونحو ذلك.

ويُعرف حصولُ الوهم بجمع الطرق والمقارنة بينها من حيث الوصل والإرسال ومن حيث الرفع والوقف، وتوثيق الرواة الناقلين ووجوه ضعفهم.[3]

والصحيح أنه لا يُترك حديثُ من يَهِمُ حتى يغلب على حديثه الوهم، لقول ابن مهديّ: الناس ثلاثة: رجل حافظ متقن، فهذا لا يُختلف فيه، وآخر يَهِمُ والغالب على حديثه الصحّة، فهذا لا يُترك حديثُه، وآخر يَهِمُ والغالب على حديثه الوهم، فهذا يُترك حديثُه.[4]

والخطأ والنسيان من طبيعة البشر حتى الحفّاظ الثقات لا يسلمون أيــضًا منهمــا، إلا أن الخطــأ والوهم يندر في حديثهم، وهم أحسن الناس حالا في الحفظ والإتقان في رواية الحديث. **قال ابن معين:** من لما يخطئ فهو كذّاب. **وقال ابنُ المبارك:** من يسلم من الوهم ؟ وقد وهّمت عائشة جماعة من الصحابة في رواياتهم للحديث.[5]

التفهيم لضوابط التوهيـــم:

1. ليس من شرط الثقة ألا يغلط ولا يهم: قال **الحافظ الذهبيّ:** وما ثَمّ أحدٌ بمعصومٍ من السهو والنــسيان. فأرني إمامًا من الكبار سلم من الخطأ والوهم، فهذا شعبة، وهو في الذروة له أوهــام، وكــذلك معمــر، والأوزاعيّ، ومالك رحمة الله عليهم.[6]

2. ندرة الوهم في رواية المكثِر دليلٌ على حفظه وإتقانه: قال **الإمام الذهبيّ:** فمن يروي مائة ألف حديث، ويندُرُ المنكر في سعة ما روى فإليه المنتهى في الإتقان.[7]

---

(1) نفسه، 116.

(2) المعجم الوسيط، ص 1060.

(3) ضوابط الجرح والتعديل، عبد العزيز اللطيف، 116-117.

(4) الكفاية، الخطيب البغداديّ، ص 427.

(5) دراسات في الجرح والتعديل، الأعظمي، ص 107.

(6) سير أعلام النبلاء، (36/6) في ترجمة هشام بن عروة بن الزبير.

(7) نفسه (228/9) في ترجمة عبد الله بن مسلم الفهريّ.

3. يُغتفر قليل خطأ المرء في صوابه: ولا يزحزح الراوي عن مرتبة الثقة خطؤه النادر.

4. ينحطّ الراوي عن رتبة الاحتجاج إذا أُخِذَ عليه رفعُ الموقوفات ووصل المراسيل دون العكس.[1]

وهذا من الممكن الفائدة منه، إذا تحصّل وأن كانت هناك مجموعة من الصحافيين والمراسلين والإعلاميين موجودة في مؤتمر صحافي عقب أي فعالية سياسية كانت، ثم كانت هناك مقالات وتحليلات ونقولات صادرة عن آحادهم كلٍّ باعتبار صحيفته أو فضائيته أو إذاعته أو موقعه الإلكتروني، فبإمكاننا آنذاك أن نقارن بين الروايات ونوازن على أساس التوصيات الرسمية الصادرة عن تلك الفعالية، أو النصّ المفرّغ ورقيًا عن كلام المؤتمرين بعد تسجيله عبر وسائط التصوير (الفيديو) أو التسجيل الصوتي (الأوديو). والله أعلم

5. شدة الغفلـــــة:

غفل عن الشيء غُفُولا وغفلةً: سها من قلة التحفظ والتيقظ، وغفل الشيءَ: تركه إهمالا من غير نسيان.[2]

والغفلة: عدم الفطنة بأن لا يكون لدى الراوي من اليقظة والإتقان ما يميّز به الصواب من الخطأ في مروياته. وقد تكون غفلة الراوي شديدة بحيث توضع له أحاديث فيحدّث بها على أنها من مسموعاته، ويُعرف ذلك بالتلقين متى كان الراوي يتلقّن ما لُقِّن سواء كان من حديثه أو لم يكن.[3]

ويوضح ذلك البغدادي فيقول:

هو أن يكون في كتابه [الراوي] غلط، فيُقال له في ذلك، فيترك ما في كتابه ويحدّث بما قالوا أو بغيره في كتابهم بقولهم، لا يَعقل فرقَ ما بين ذلك، أو يصحّف ذلك تصحيفًا فاحشًا يقلب المعنى، لا يَعقل ذلك، فكيف عنه.[4]

6. فُحش الغلط:

غَلِطَ: الغين واللام والطاء كلمة واحدة، وهي الغَلط: خلاف الإصابة، غَلِطَ يَغْلَطُ غَلَطًا.[5]

وهو أن يزيد خطأ الراوي على صوابه زيادة فاحشة يخرج بها عن درجة الاعتبار في المتابعة، ولا يتقوى بغيره، ويُعدُّ ما تفرّد به منكرًا.[6]

هذا وقد **قال الشافعي:** من كثر غلطُه من المحدّثين ولم يكن يحدث من أصل كتابٍ صحيحٍ لم يُقبل حديثُه، كما يكون من أكثر الغلط في الشهادة لم تُقبل شهادتُه.[7]

---

(1) انظر: ضوابط الجرح والتعديل عند الذهبي، محمد الثّاني بن عمر بن موسى، ص 510-528.

(2) المعجم الوسيط، ص 657.

(3) ضوابط الجرح والتعديل، عبد العزيز اللطيف، 117.

(4) الكفاية، ص 438.

(5) معجم المقاييس، لابن فارس، ص 803.

(6) ضوابط الجرح والتعديل، عبد العزيز اللطيف، 117-118.

(7) الكفاية، الخطيب البغداديّ، ص 429.

ومن الطرق المهمة لمعرفة عدالة الراوي وضبطه:

1. اختبار الراوي وامتحانه، ولذلك وسيلتان:

أ. تلقين الراوي: فتُدفع إليه أحاديث ليست من حديثه أصلاً، أو هي من حديثه لكن تمَّ التصرفُ فيها.. فإن قرأها كما دُفعت إليه أو أقرَّ بها إن قرئت عليه، حُكِمَ عليه بأنه يقبل التلقين واعتُبِر ذلك خللا في حفظه وضبطه.[1]

قال الحميدي: ومن قبل التلقين، تُرِك حديثُه الذي لُقِّن فيه، واُخذَ عنه ما أتقن من حفظه إذا عُلِم ذلك التلقين حادثًا لا يُعرف به قديمًا، فأما من عُرِفَ به قديمًا في جميع حديثه، فلا يُقبل حديثُه، ولا يُؤمن أن يكون ما حفظه مما لُقِّن.[2]

ب. المذاكرة: وهي طرح موضوع للبحث بين اثنين أو أكثر، وقد يكون الموضوع مسألة فقهية أو حديثية أو لغوية أو نحوية أو غير ذلك.[3]

وفيما يتعلق باختبار ضبط الراوي وعدالته يُستفاد من المذاكرة معرفة سعة حفظ الراوي، واكتشاف أخطائه، بل والتأكد من صدقه.[4]

2. النظر في أصول الرواة وكتبهم:

وأمكن بهذه الوسيلة تمييز المتقن الصادق الحافظ لكتابه أو كتاب شيخه من التلاعب أو المغفل، وكشف تساهل بعض الرواة بأصولهم وكتبهم، وكذب بعضهم بتصرفه المتعمد بأصوله وكتبه.

كما أمكن بهذه الوسيلة أيضًا إجراء المقارنة بين ما في كتب الرواة وبين ما يحدثون به من حفظهم، لمعرفة صدقهم وضبطهم لما يحدِّثون به.[5]

3. النظر في أحاديث الراوي ومروياته:

وذلك بأن يتأمل الناقد أحاديث الراوي ومروياته، ويقلبها، ويعرضها على ما تحصل لديه من معلومات تتعلق بأمور كثيرة لا حصر لها، مثل شيوخ الراوي، وهل يمكن سماعه منهم؟ وماذا عند هؤلاء الشيوخ من الأحاديث؟ وكيف رواها أصحابهم الآخرون عنهم؟ وماذا في الباب المعين من الأحاديث؟ ثم أحاديث الراوي نفسها وسلامة متونها واستقامتها؟ ونحو ذلك.[6]

يقول ابن الصلاح: يُعرف كون الراوي ضابطًا بأن نعتبر رواياته بروايات الثقات المعروفين بالضبط والإتقان، فإن وجدنا رواياته موافقة – ولو من حيث المعنى – لرواياتهم، أو موافقة لها في

---

(1) الجرح والتعديل، اللاحم، ص 53.

(2) الكفاية، الخطيب البغداديّ، ص 446.

(3) الجرح والتعديل، اللاحم، ص 62.

(4) نفسه، ص 64.

(5) السابق، ص 69.

(6) السابق، ص 77.

الأغلب والمخالفة نادرة، عرفنا حينئذ كونه ضابطًا ثبتًا، وإن وجدناه كثير المخالفة لهم عرفنا اختلال ضبطه، ولم نحتجّ بحديثه. والله أعلم.[1]

من مظاهر الضبط عند المحدّثين:

1. الالتزام براوية الحديث بلفظه دون معناه، إلا إذا تعذر ذلك بشرطه.
2. الاحتراز في الرواية عمن روى من كتابه ولم يحفظ، ومن غلب على حديثه الشذوذ والنكارة والغريب، ومن كثر غلطه، أو وصف بالغفلة، ومن نُبّه إلى خطئه ولم يعد إلى الصواب، ومن تساهل سماع وأداء.
3. دعوة الحفاظ من الرواة إلى استيثاق ما شكّ فيه الراوي من كتاب غيره أو حفظه.
4. وضع النقط وتشكيل اللفظ بحيث يُؤمن اللبس، وخاصة الألفاظ المشكلة.
5. مقابلة الراوي كتابه على أصل شيخه، حتى وإن أجازه.[2]

وبعد الحديث عن الضبط عند المحدّثين، وذكر بعض المتفرقات الإعلامية في ثناياه، نقدم التالي:

1. ينبغي للإعلاميّ الناجح أن يحرص على ضبط كتابته أو آلته، عند نقله الأخبار من مصادرها الخاصة بها، بل وأن تكون له نسخة مطبوعة وأخرى مكتوبة على حاسوبه الخاصّ، لتكون مرجعه في المقارنة بين ما يُدَّعي عليه وما هو أصلٌ صحيح لديه.
2. بإمكاننا تحديد درجة ضبط الإعلاميّ في النقل من سبر كتاباته والاطّلاع على تحليلاته، وسؤال ذوي الخبرة بالجانب التقديريّ والمعرفة بقياس القدرات، ومقارنة أخباره بأخبار الوسائل الإعلامية المختلفة الأخرى، ولا نغفل المنسوب العامّ لاحترام الناس لشخصه من عدمه.
3. يخرم ضبط الإعلامي ويقدح في نقله عدة أمور، منها التساهل في سماعه الأخبار أو في نشر الأخبار وتداولها، وكذا كثرة المخالفة لغيره من الأخباريين خاصة إذا أجمع النقلة على خلاف ما تفرّد بروايته شذوذًا عنهم، ومنها كثرة الوهم والسهو وتكراره لدرجة نتصور معها أنها مقصودة أو تنبئ عن شخصية غير مكترثة ولامبالية، أو أن يكون الإعلاميُّ به غفلة شديدة، أو غلط فاحش.

---

(1) المقدمة، 69.

(2) انظر: دراسات في منهج النقد عند المحدثين، محمد علي قاسم العمري، ص 365-366.

خلاصة المبحث:

يُشترط في الراوي أن يتصف بالعدالة، وعدم اتصافه بما يخرم المروءة أو يقدح في العدالـــة، أو يجعله في دائرة الفسق، أو التهمة بالكذب، أو الكذب نفسه، ثم تطرقنا إلى الضبط وذكرنا قـــسميه صـــدرًا وسطرًا، وأضفنا في الميدان الإعلاميّ المعاصر ضبطَ الآلة المستخدمة لنقل الخبـــر، وذكرنـــا خـــوارمَ الضبط، وعلى رأسها التساهلُ في التحمّل والأداء ليتبين للحصيف أهميةُ اجتنابها.

وأوضحنا أنه لا يخلو ثقة أو مشهورٌ من وهم وسهوٍ مهما كان بسيطًا، وهذا يفيدنا في النظرة إلى الناس من هذه النافذة، وإلا لو نظرنا من زاوية وجوب الكمال لم نجد أحدًا يسلم من قدحٍ وعدمِ متابعة.

والآن ننتقل في المبحث التالي وهو الثالث إلى موضوع مهمٍ ومفيدٍ جدًا، وهو العلاقة بـــين النقـــد باستخدام أدوات الحديث والمحدّثين، والنقد وفقَ مصطلحات الإعلام وأساليبه.

المبحث الثالث:

العلاقة بين النقد الحديثي والنقد الإعلامي

وفيه تمهيـــدٌ ومطلبـــان:

المطلب الأول: الجرح والتعديل لغةً واصطلاحًا.

المطلب الثاني: شـــــروط المعــدِّل والجـــارح.

المبحث الثالث:

العلاقة بين النقد الحديثي والنقد الإعلامي

تمهيـــــد:

النقــد لغة:

النون والقاف والدال أصل صحيح يدلُّ على إبراز الشيء وبروزه.. ومن الباب: نقد الدرهم، وذلك أن يُكشف عن حاله في جودته أو غير ذلك، وتقول العرب: ما زال فلانٌ ينقد الشيء، إذا لم يزل ينظــر إليه.[1]، **والنقد:** فن تمييز جيد الكلام من رديئه، وصحيحه من فاسده.[2]

وأما تعريفُه في اصطلاح المحدثين:

فهو علم يبحث في تمييز الأحاديث الصحيحة من الضعيفة، وبيان عللها والحكم على رواتها جرحًا وتعديلاً بألفاظ مخصوصة، ذات دلائل معلومة عند أهل الفنّ.[3]

والعلاقة واضحة بين اللغوي والاصطلاحي:

فتمييز الصحيح من الضعيف أو العكس هو إبرازٌ وتزييلٌ لإحدى الجهتين عن الأخــرى، ونقــد الشيء باستخدام الأدوات المادية المعروفة له للتأكد من موافقته للمعايير المطلوبة من غيرها، وكذا الناقــد الحديثيّ فإن صناعته أن يدرس السند والمتن بوسائلَ معروفة للكشف عن أماكن القدح الظاهر والخفيّ قبل الرسوّ النهائيّ على مرفأ الحكم على الحديث.

أبرز جوانب عمليـــــة النقد:

1. التأكيد على ضرورة الاتصال بين حلقات الإسناد.
2. وضع مسميات لمراتب القبول والردّ بالنسبة لهذه الأسانيد أو المتون. فعرف بذلك الصحيح والحــسن، والضعيف، والموضوع، والمرسل، والمتصل، والمنقطع، والمعضل، والمدلس وغيرها..
3. تتبع طرق كل الأحاديث للتمكن من الحكم عليها حكمًا أقرب ما يكون إلى الصحة.
4. العناية بعلوم المتن، كالناسخ والمنسوخ، والمحكم والمتشابه، والمدرج والغريب، وما إلى ذلك.[4]

ومن المعلوم أن أئمة الحديث قد أجادوا وأفادوا وأبدعوا في المواضيع والأبواب التي تتحدث في نقد الإسناد، ولكنهم لم يغفلوا جانب نقد المتن، وهذا ظاهرٌ في كتب المصطلح.

علامات الحاجة إلى نقد المتن:

ركاكة اللفظ، فساد المعنى، مخالفته لصريح القرآن أو لحقائق التاريخ في عصر النبوة، اشــتمال الحديث على إفراط في الثواب على الفعل الصغير والعكس، المخالفة للثابت من الحديث والسيرة النبوية،

---

(1) معجم المقاييس، لابن فارس، ص 1043-1044.

(2) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ص 944.

(3) دراسات في منهج النقد عند المحدثين، مقدمة تحقيق تاريخ ابن معين، ص 11.

(4) نفسه، ص 31.

أو للعقل أو الحس، وآخرها اشتمال الحديث على مصطلحات متأخرة، عُرف أنها غير معروفة زمن النبوة.[1]

هذا وبعد حديثنا عن النقد بشكل عام وأبرز عوامل ظهور النقد والحاجة إليه، وتبيان مدى اهتمام الأئمة النقّاد بالحديث، ووضع الموازين والمقاييس ووسائل الاختبار لأي حديث لمعرفة صحته من سقمه، ننقل إلى الميزان الحديثي النقدي المتمثل في علم الجرح والتعديل:

المطلب الأول/

تعريف الجرح في اللغة والاصطلاح:

أ. لغة:

الجُرْحة: هي ما تُجرَح به الشهادة، واستجرح فلان: استحق أن يجرح، وعن ابن عون: استجرحتْ هذه الأحاديث، أي استحقت أن تردّ لكثرتها وقلة الصحيح منها.[2]

"واستعير في المعنويات بمعنى التأثير في الخُلُق والدين بوصفٍ يناقضهما".[3]

ب. اصطلاحًا:

هو ظهور وصف في الراوي يثلم عدالته أو يخل بحفظه وضبطه، مما يترتب عليه سقوط روايته أو ضعفها أو ردها، والتجريح وصف الراوي بصفات تقتضي تضعيف روايته أو عدم قبولها.[4]

وباختصار هو: وصف الراوي بما يقتضي تليين روايته أو تضعيفها أو ردها.[5]

العلاقة بين اللغوي والاصطلاحي:

شقُّ الجلد توهينٌ للمنطقة التي يكون فيها، وجرحُ الراوي بشيءٍ يقتضي ضعفه فيه. والجرح بمعنى الكسب، وهو التصاق وصفٍ بالراوي أضعفه اكتسابُه له: إما لمرور الزمن كما في الاختلاط، أو لعدم الدقة غفلةً أو لقبوله التلقين وهذا قدحٌ في ضبطه، أو لعدمهما قصدًا وتعمدًا كما في الوضع.

تعريف التعديل في اللغة والاصطلاح

أ. لغة:

عدل: العين واللام والدال أصلان صحيحان، لكنهما متقابلان كالمتضادين: أحدهما يدل على استواء والآخر يدل على اعوجاج. العدل من الناس: المرضيّ المستوي الطريقة.[6]

---

(1) انظر في ذلك: منهج نقد المتن للأدلبي.

(2) أساس البلاغة، الزمخشري، ص 88.

(3) خلاصة التأصيل، الشريف العوني، ص 6.

(4) أصول الحديث..علومه ومصطلحه، محمد عجاج الخطيب، ص 260.

(5) ضوابط الجرح والتعديل، عبد العزيز العبد اللطيف، ص 10.

(6) معجم المقاييس، لابن فارس، ص 745.

"واستعير في المعنويات بمعنى الثناء على الشخص بما يدل على دينه القويم وخلقه السويّ.[1]

ب. اصطلاحًا: وصف الراوي بما يقتضي قَبُول روايته.[2]

العلاقة بين اللغويّ والاصطلاحيّ:

العدليّة شعارُها الميزان الذي يعني تساوي طرفي المعادلة، وقبول رواية الراوي راجعٌ لأن الثقل الذي يمثله جانبه من خلال دقته وحفظه وضبطه يعادل المطلوب للارتقاء بالمستوى العام للراوية من الجانب الآخر.

علم الجرح والتعديل كمصطلح:

علمٌ يبحث في أحوال الرواة من حيث توثيقهم وتضعيفهم بألفاظ لها مدلولاتها الخاصة، ومراتب تلك الألفاظ، وبواسطته قضى النقاد على كل راوٍ بما يستحقه من الوصف، وأمكن من خلاله الوقوف على صحيح الحديث من ضعيفه.[3]

مشروعيّة الجرح والتعديل:

تمهيد:

يضع شرعنا الحنيف أمام أعمالنا تنبيهات وقواعد وضوابط، يفرض علينا اتّباعها وأخذها في عين الاعتبار قبل الشروع في أي عمل، وفي هذا المجال فإن الذي يريد أن ينقل خبرًا عن أي أحد فعليه اتبّاع التثبت في نقل الخبر كمعيار أول، وفي شواهد عديدة من القرآن والسنة نذكر منها:

قال تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ".[4]

وقال تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ".[5]، **وقال:** "وَاسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ من رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاء أَن تَضِلَّ إْحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى".[6]

وقال: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيّاً أَوْ فَقِيراً فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً".[7]

---

(1) خلاصة التأصيل، الشريف العوني، ص 6.

(2) نفسه، ص 6.

(3) دراسات في منهج النقد عند المحدثين، محمد علي قاسم العمري، ص 24.

(4) الحجرات: 12.

(5) الحجرات: 6.

(6) البقرة: 282.

(7) النساء: 135.

وفي حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه جاء أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: "إِنَّ اللَّـهَ كَرِهَ لَكُمْ ثَلاَثًا: قِيلَ وَقَالَ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ".[1]

فلا ينبغي للإنسان أن يكون بوقًا يردد كل ما سمع من غير أن يفهم الواقع ويدرس الوقائع، ويستفسر عن كنه وحقيقة المبلِّغ، وما إلى ذلك من استخدام أدوات الاستيثاق الضرورية.

ومن حديث أبي مسعود لحذيفة بن اليمان رضي الله عنهما: "بِئْسَ مَطِيَّةُ الرَّجُلِ: زَعَمُوا".[2]

ويتقاطع هذا الحديث مع السابق في أنهما يرفضان الاعتماد على الصيغة التمريضية كأداة توثيق، كأن يتكئ الناقل على شيء غير مؤكَّد يظل ليله ونهاره يقول: قيل، زعموا، ...

من الأدلة على التعديل أو التجريح:

1. عن عائشةَ أمِّ المؤمنين رضي الله عنها قالت: اسْتَأْذَنَ رَجُلٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: "ائْذَنُوا لَهُ، بِئْسَ أَخُو الْعَشِيرَةِ أَوِ ابْنُ الْعَشِيرَةِ". فَلَمَّا دَخَلَ أَلاَنَ لَهُ الْكَلاَمَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قُلْتَ الَّذِي قُلْتَ، ثُمَّ أَلَنْتَ لَهُ الْكَلاَمَ قَالَ: "أَيْ عَائِشَةُ، إِنَّ شَرَّ النَّاسِ مَنْ تَرَكَهُ النَّاسُ اتِّقَاءَ فُحْشِهِ".[3]

---

(1) **حديث متفق عليه.**

أخرجه البخاريّ في صحيحه (124/2)، كتاب الزكاة، باب قول الله تعالى "لا يَسْأَلونَ النَّاسَ إِلْحَافاً" (البقرة: 273)، ومسلم في صحيحه (131/5) رقم 4582، كتاب الأقضية، باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة. كلاهما من طريق سعيدِ بنِ عمرٍو بن أشوع عن الشعبيِّ عن المغيرة به.

(2) سنن أبي داود، ص 899 رقم 4972، كتاب الأدب، باب في: زعموا.

قال أبو داود: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا وَكِيعٌ عَنِ الأَوْزَاعِيِّ عَنْ يَحْيَى [بن أبي كثير] عَنْ أَبِي قِلاَبَةَ [عبد الله بن زيد بن عمرو] قَالَ أَبُو مَسْعُودٍ [عقبة بن عمرو بن ثعلبة] لأَبِي عَبْدِ اللَّهِ [حذيفة] أَوْ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ لأَبِي مَسْعُودٍ مَا سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ فِي "زَعَمُوا". قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ:...

تخريج الحديث: أخرجه البخاريّ في الأدب المفرد، ص 282 رقم 590، وابن أبي شيبة في مصنفه (145/6) كلاهما من طريق يحي به. وأخرجه الطحاوي في مشكل الآثار (194/1) رقم 162 عن أبي مسعود جزمًا عن حذيفة بن اليمان. وفيه تصريحُ أبي قلابة بالسماع. أما في السنن الكبرى للبيهقي (247/10) فقد أخرجه عن حذيفة جزمًا عن أبي مسعود. وأخرجه أحمد في مسند (5/37) رقم 17540. من طريق أَبِي قِلاَبَةَ عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ فقط مباشرة.

الحكم على الحديث: إسناده صحيح؛ رواته ثقات، وهم على النحو الآتي:

رجال الحديث: ابن أبي شيبة، وكيع بن الجرّاح، الأوزاعيّ، ثقات.

انظر: التقريب، (ص 540 رقم 3600)، (ص 1037 رقم 7464)، (ص 593 رقم 3992).

يحيى بن أبي كثير: ثقة ثبت لكنه يدلس ويرسل. (تقريب التهذيب، ص 1065 رقم 7682).

قلت: هو ثقة، ولم يرسل عن أبي قلابة، وتدليسُه مقبول لا يحدّث إلا عن ثقة، وهو من الثانية (طبقات المدلسين، ص 36).

أبو قلابة: ثقة فاضل كثير الإرسال. (التقريب، ص 508 رقم 3352). **قلت:** لم يُذكر أبو مسعود ضمن من أرسل عنهم أبو قلابة. (جامع التحصيل، ص 211 رقم 362). **لذا فالحديث إسناده صحيح.**

(3) صحيح البخاري (17/8)، كتاب الأدب، باب ما يجوز من اغتياب أهل الفساد والريب. من طريق ابْنِ الْمُنْكَدِرِ عن عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ عن عَائِشَةَ رضي الله عنها به.

2. عَنْ فَاطِمَةَ بِنْتِ قَيْسٍ أَنَّ أَبَا عَمْرِو بْنَ حَفْصٍ طَلَّقَهَا الْبَتَّةَ وَهُوَ غَائِبٌ فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا وَكِيلُهُ بِشَعِيرٍ فَسَخِطَتْهُ فَقَالَ وَاللَّهِ مَا لَكِ عَلَيْنَا مِنْ شَيْءٍ. فَجَاءَتْ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَذَكَرَتْ ذَلِكَ لَهُ فَقَالَ: "لَيْسَ لَكِ عَلَيْهِ نَفَقَةٌ". فَأَمَرَهَا أَنْ تَعْتَدَّ فِي بَيْتِ أُمِّ شَرِيكٍ ثُمَّ قَالَ: "تِلْكَ امْرَأَةٌ يَغْشَاهَا أَصْحَابِي اعْتَدِّى عِنْدَ ابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ فَإِنَّهُ رَجُلٌ أَعْمَى تَضَعِينَ ثِيَابَكِ فَإِذَا حَلَلْتِ فَآذِنِينِي". قَالَتْ: فَلَمَّا حَلَلْتُ ذَكَرْتُ لَهُ أَنَّ مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِى سُفْيَانَ وَأَبَا جَهْمٍ خَطَبَانِي. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "أَمَّا أَبُو جَهْمٍ فَلاَ يَضَعُ عَصَاهُ عَنْ عَاتِقِهِ، وَأَمَّا مُعَاوِيَةُ فَصُعْلُوكٌ لاَ مَالَ لَهُ انْكِحِي أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ". فَكَرِهْتُهُ ثُمَّ قَالَ: "انْكِحِي أُسَامَةَ". فَنَكَحْتُهُ فَجَعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا وَاغْتَبَطْتُ بِهِ.[1]

3. ومن حديث حفصةَ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال في تفسير رؤيا لعبد الله بن عمر رضي الله عنهما: "نِعْمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللَّهِ، لَوْ كَانَ يُصَلِّى مِنَ اللَّيْلِ".[2]

قواعد جرح الإعلامي أو جرح خبره:

1. ينبغي في المبتدأ مراعاة أن الجرح في ميدان الصحافة تقلّ شروطه – ولا شكّ – عن الجرح في رواية الحديث، فلا تشدد ولا تكلف.

2. أكبر نواحي جرح الإعلامي وانتقاده، بل وإظهار ذلك للناس، إذا كان يكذب ولا يبالي، أو ينقل أخبارًا لا يدري مصادرها ولا يتأكد من صحتها.

3. الحكمة ضالة الفهيم وحاجة المسلم العليم، ومنه فلا نتحرج في أخذ الأخبار وخاصة ما أفادنا منها من أيّ إنسان مهما كان لا يضيرنا فكره ولا يضرنا فكره.

4. كل صحافيّ مسلم عدلٌ حتى يثبت خلاف ذلك بما يجرحه لا في دينه بل في حفظه ونقله ودقته.

5. يجوز جرح أي إعلاميّ يثبت بالدليل القاطع والبرهان الشمسيّ الساطع أنه كذّاب أو متساهل في خبر يمكن أن ينقَل بخلاف حالته، وينبغي التنويه على حالته من ديانة أو فكر أو وظيفة، لكي يكون في مقدور القارئ تحديد الطريقة المناسبة لمتابعة أخباره وآرائه، لئلا يُدَسَّ له سمٌ في عسل، ولا يوضَع له شَرَكٌ في طريق رجل.

6. إسقاط الخبر الذي لا يُعرف مصدره، أو نقلته جهات مجهولة، وإن كان الإعلام المعاصر يستخدم في صفحاته ما يقول تارة أنها مصادر مطّلعة، وأخرى أنها جهات رسمية معروفة، وما إلى ذلك من العبارات الموهمة، وهو وإن جاز إعلامًا إلا أنه مما لا ينبغي أن يؤخذ على أنه من المسلّمات.

---

(1) صحيح مسلم (195/4) رقم 3770، كتاب الطلاق ، باب المطلقة ثلاثًا لا نفقة لها. من طريق عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَزِيدَ مَوْلَى الأَسْوَدِ بْنِ سُفْيَانَ عَنْ أَبِى سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ فَاطِمَةَ بِنْتِ قَيْسٍ به.

(2) صحيح البخاري (49/2)، كتاب التهجد، باب فضل قيام الليل. من طريق سالمٍ عن أبيه عبدِ الله بن عمر رضي الله عنهما به.

المطلب الثاني/ شروط وآداب المعدِّل والجارح:

قال اللكنوي: "يُشترط في الجارح والمعدِّل: العلم والتقوى والورع، والصدق والتجنب عن التعصب ومعرفة أسباب الجرح والتزكية. ومن ليس كذلك لا يُقبل منه الجرح ولا التزكية".[3]

ثم يذكر نقولا لبعض أئمة الحديث، قال **التاج السبكي:** "من لا يكون عالمًا بأسبابهما – أي الجرح والتعديل – لا يُقبلان منه لا بإطلاق ولا تقييد" ، وقال الحافظ ابن حجر: "إن صدر الجرح من غير عارف بأسبابه لم يُعتبر به، وقال: تُقبل التزكية من عارفٍ بأسبابها، لا من غير عارف، وينبغي ألا يُقبل الجرح إلا من عدل متيقظ".[1]

1. أن يكون عالمًا بأسباب الجرح والتعديل.
2. أن يكون عالمًا بتصاريف كلام العرب، لا يضع اللفظ لغير معناه، ولا يجرح بنقله لفظًا غير جارح.[2]
3. الاعتدال في التزكية، وعدم الجرح بما فوق الحاجة.
4. لا يجوز الاقتصار على نقل الجرح فقط فيمن وُجد فيه الجرح والتعديل كلاهما من النقاد.[3]

شروط النقد والناقد الإعلاميّ:

1. أن تكون عنده من الأدوات والملكات والخبرة ما يؤهله للوقوف في ميدان النقد.
2. ألا يقدح أو يجرح بما لا يكون داعيًا لأحدهما، كأن يجعل التحذير من صحافي أنه لا يحب أهل بلدٍ يجتمعان فيها، أو أن يكون على خلاف معه فيضخَّم أخطاءه ويسلّط الضوء على كل سلبياته.
3. أن يستخدم من الكلمات والعبارات ما يعبّر عن مطلوبه بأبسط الألفاظ وأقربها تعبيرًا عن المراد، ولا حاجة للتعسف أو التكلف.
4. إذا تعددت الآراء في إخباريّ معين، فيجب ذكرها جميعها وتحليل ذلك وتوجيهه متى أراد الناقد ذلك.
5. إذا اجتمع في شخص قدح ومدح، فالقدح مقدَّم؛ لأن المادح يُخبر عمّا ظهر من حاله، والقادح يُخبر عن باطن خفي على المادح.
6. اعتبار مناهج النقّاد، فإنهم على ثلاثة أقسام: متعنت، ومعتدل، ومتساهل.
7. يُتوقف في قبول النقد السلبيّ إذا خُشِي أن يكون باعثه الاختلافَ في الاعتقاد أو المنافسةَ بين الأقران.[4]
8. لا يُلتفت إلى النقد الصادر ممن لا يسلم من الانتقاد، ولا يُلتفت إلى نقدٍ ضعيفٍ مصدرُه.

---

(3) الرفع والتكميل، ص 67.

(1) نفسه، ص 68.

(2) منهج النقد في علوم الحديث، نور الدين عتر، ص 94.

(3) نفسه، ص 95.

(4) في ترجمة ابن مندة الأصبهاني محمد بن إسحاق قال عنه **الذهبي** في الميزان: "الحافظ الجوّال، صاحب التصانيف، كان من أئمة هذا الشأن وثقاتهم، أقذع الحافظ أبو نُعيم في جَرْحه لما بينهما من الوحشة، ونال منه، واتّهمه، فلم يُلتفت إليه لما بينهما من العظائم، نسأل الله العفو؛ فلقد نال ابن مندة من أبي نُعيم، وأسرف أيضًا". (66/6) رقم 7219).

*** على هامش النقد الإعلاميّ:**

قد يقع في بعض الأحيان بالمستوى الإعلامي المعاصر أن يكون هناك شخص أو أصحاب فكر معين في دائرة الاستهداف من أصحاب توجه إعلامي أو سياسي معين، وتقف هذه الدائرة على مفترق الطرق غير قادرة على تحديد المسار الصائب الذي تكون به في منأى عن الأخطار والأخطاء جميعًا، فتأتي الضوابط الحديثية لتضع الحد الفاصل بين القبول بتقديم التعديل على الجرح أو العكس، وتأتي لذلك بأدلة وقرائن تريح المتابع وتجعله يمضي في نقده على بيّنة ووضوح من أمره.

*** الصلاح لا يعني العلم، وأصحاب التخصص مقدَّمون في علمهم على غيرهم:**

وهاك أثرًا جامعًا ينفع في غير موضع من رسالتنا:

عن **مالك بنِ أنسٍ** قال: "**لا** يؤخذ العلم من أربعة ويؤخذ ممن سوى ذلك: **لا** تأخذ من سفيه معلِنٍ بالسفه وإن كان أروى الناس، **ولا** تأخذ من كذاب يكذب في أحاديث الناس، إذا جرَّب ذلك عليه وإن كان لا يُتَّهم أن يكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم، **ولا** من صاحب هوى يدعو الناس إلى هواه **ولا** من شيخ له فضل وعبادة إذا كان لا يعرف ما يحدث".

وعنه قال: لقد أدركت بهذا البلد – يعني المدينة – مشيخة لهم فضلٌ وصلاحٌ وعبادةٌ يحدِّثون ما سمعتُ من واحدٍ منهم حديثًا قط، قيل: ولمَ يا أبا عبد الله؟ قال: لم يكونوا يعرفون ما يحدِّثون.[1]

خلاصة المبحث:

كان هذا المبحث من الأهمية بمكان، إذ تطرّقنا فيه إلى الأدوات الاستيثاقية الرائعة التي استخدمها علماءُ الحديث، ومعرفة درجة الراوي ومرتبته جرحًا وتعديلاً، مهتمين في ذلك بالسند والمتن جميعًا، وهم في ذلك تميزوا عن غيرهم من مذاهب الدنيا وأهلها، فلم يُسبقوا إلى وسائلهم دقةً ومتانةً.

وأوضحنا واستفادةً من ذلك الأدوات والآليات والشرائط المطلوبة في الناقد وما ينتقده.

والآن ننتقل إلى المبحث الرابع، ويعالج العلاقة بين الحديث والإعلام بالعرض على أدوات التحمّل والأداء.

(1) الجامع، الخطيب البغداديّ، (1/139-140).

المبحث الرابع:

العلاقة بين الحديث والإعلام من حيث أدوات التحمل والأداء

وفيه تمهيدٌ وثلاثــة مطالب:

تمهيــد: أهميـــــة الإسنـــاد في علـــــم الحديث.

المطلب الأول: طـــــرق التحمُّـــــل والأداء.

المطلب الثاني: تنزيل الطرق على الواقع الإعلامي.

المطلب الثالث: أثر استخدام الكلمـــــة المناسبـــــة.

المبحث الرابع:
العلاقة بين الحديث والإعلام من حيث أدوات التحمل والأداء

تمهيد:

ينبغي علينا أن نفكر في وضع آليات لتكوين تصور عام لوضع صيغ إعلامية تدلُّ على المقصود من سماعٍ أو مقابلة أو ما أشبه. وحيث إن الإعلام أحد أدوات التحمل، فإنه قد تأكد لي أن طرق التحمل هي الطرق الموصلة – ولا شك – إلى الرواية ومعرفة الصحيح من السقيم فيها، وهو ما ينبغي على الإعلاميين أن يسترشدوا بأنواره وأن يتعلموا من معينه الصافي، وأن تكون الأفكار المدرجة أدناه نموذجًا عمليًا لبناء صرح التوثيق الإعلامي. والله أعلم

"ومن الأمور التي امتازت بها الأمة الإسلامية عن غيرها، استعمال الإسناد في رواية الحديث النبوي، والتاريخ الإسلامي، لمعرفة صدق الوقائع من كذبها. ولم تتنبه الأمم السابقة إلى أهمية الإسناد، لذا نرى أن الوثائق الدينية والتاريخية لدى هذه الملل وقع فيها تحريف شديد حتى يشكَّ القارئُ أحيانًا في الأبطال الدينية والتاريخية في الأمم الغابرة. والأمة الإسلامية انتبهت إلى هذا الأمر الخطير، فاستعملت الإسناد في الحديث النبوي الشريف في النصف الأول من القرن الأول الهجريّ، حتى لا يحتال أحدٌ في إدخال شيءٍ من الأمور الجاهلية في الشريعة الإسلامية".[1]

وهذا هو الذي يوضح لنا السبب الرئيس في عناية العلماء المسلمين ولا سيما علماء الحديث والفقه والأصول بعلم الإسناد ونقد الرواية عناية فائقة، إذ به يُعرف التمييز بين الصحيح والحسن والضعيف من المرويّات والمقبول من المردود منها. وهو ما يوضح كذلك نهي النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته ومن تبع النهيَ عن الرواية عن الكذابين والضعفاء والمجروحين والمجهولين.[2]

أهمية الإسناد في علم الحديث:

عَنِ **ابْنِ سِيرِينَ** قَالَ: لَمْ يَكُونُوا يَسْأَلُونَ عَنِ الإِسْنَادِ فَلَمَّا وَقَعَتِ الْفِتْنَةُ قَالُوا سَمُّوا لَنَا رِجَالَكُمْ فَيُنْظَرُ إِلَى أَهْلِ السُّنَّةِ فَيُؤْخَذُ حَدِيثُهُمْ وَيُنْظَرُ إِلَى أَهْلِ الْبِدَعِ فَلاَ يُؤْخَذُ حَدِيثُهُمْ.[3]

وعَنْهُ قَالَ: إِنَّ هَذَا الْعِلْمَ دِينٌ فَانْظُرُوا عَمَّنْ تَأْخُذُونَ دِينَكُمْ.[4]

وعن **عبد الله بن المبارك** قال: "الإِسْنَادُ مِنَ الدِّينِ وَلَوْلاَ الإِسْنَادُ لَقَالَ مَنْ شَاءَ مَا شَاءَ".[5]

---

(1) دراسات في الجرح والتعديل، الأعظمي، ص 6.

(2) انظر: الوسيط في علوم ومصطلح الحديث، محمد بن محمد أبو شهبة، ص 45–46.

(3) صحيح مسلم، ص 16 رقم 27، المقدمة، باب في أن الإسناد من الدين. من طريق عَاصِمٍ الأَحْوَلِ عَنِ ابْنِ سِيرِينَ به.

(4)) صحيح مسلم، ص 16 رقم 26، المقدمة، باب في أن الإسناد من الدين. من طريق مَخْلَدِ بْنِ حُسَيْنٍ عَنْ هِشَامٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ به.

(5) صحيح مسلم، ص 17 رقم 32، المقدمة، باب في أن الإسناد من الدين من طريقِ عَبْدَانَ بْنَ عُثْمَانَ عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُبَارَكِ به.

ويظهر للفاهم أن أعلى مراتب الاستيثاق هو تأكد المرء بنفسه من صاحب الخبر أو بعد معاينة الواقعة عيانًا أو ما شابه، فاليقين لا يزول بالشكّ، واليقين درجات: علمٌ بنقل الثقة الثبت، وعينٌ برؤية المرء نفسه، وحقٌ بالملامسة المادية للشيء المطلوب.

وفي هذا أدلة نقتصر منها على اثنين وهما موقف لضمام أخي سعد بن بكر، وأبي ذر الغفاريّ رضي الله عنهما.

الحديث الأول:

جاء في البخاريّ عن أنس رضي الله عنه قال:

بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فِي الْمَسْجِدِ، دَخَلَ رَجُلٌ عَلَى جَمَلٍ فَأَنَاخَهُ فِي الْمَسْجِدِ، ثُمَّ عَقَلَهُ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ أَيُّكُمْ مُحَمَّدٌ وَالنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم مُتَّكِئٌ بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِمْ. فَقُلْنَا هَذَا الرَّجُلُ الأَبْيَضُ الْمُتَّكِئُ. فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ: ابْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ؟ فَقَالَ لَهُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم: "قَدْ أَجَبْتُكَ". فَقَالَ الرَّجُلُ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم: إِنِّي سَائِلُكَ فَمُشَدِّدٌ عَلَيْكَ فِي الْمَسْأَلَةِ فَلاَ تَجِدْ عَلَيَّ فِي نَفْسِكَ. فَقَالَ: "سَلْ عَمَّا بَدَا لَكَ". فَقَالَ: أَسْأَلُكَ بِرَبِّكَ وَرَبِّ مَنْ قَبْلَكَ، آللَّهُ أَرْسَلَكَ إِلَى النَّاسِ كُلِّهِمْ ؟ فَقَالَ: "اللَّهُمَّ نَعَمْ". قَالَ: أَنْشُدُكَ بِاللَّهِ، آللَّهُ أَمَرَكَ أَنْ نُصَلِّيَ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ ؟ ... فَقَالَ الرَّجُلُ: آمَنْتُ بِمَا جِئْتَ بِهِ، وَأَنَا رَسُولُ مَنْ وَرَائِي مِنْ قَوْمِي، وَأَنَا ضِمَامُ بْنُ ثَعْلَبَةَ أَخُو بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ.[1]

نظرة تحليلية واقعية وإعلامية للحديث:

1. شهرة النبي صلى الله عليه وسلم بصدقه وأمانته ومعرفة أهل مكة بجميع أذرعاتها بذلك جعل من الأخبار التي يأتي بها الرسول الأعظم في أعلى مراتب القبول، وهذا ما ينبغي أن يتوفر في الصحافي المنصف لنفسه والإعلامي الفاهم الخرّيت[2]، وأن يتخذ من نبينا المرتضى صلى الله عليه وسلم القدوة الصالحة والعملية في هذا المجال، فلا يشتري المواقف ولا المنازل على حساب القيم والمبادئ، ولا أن يكون بوقًا ببغاويًّا لصالح جهات معينة تغدق عليه الأموال فيعمى عن رؤية الحقائق ويهرف بما يعرف خطأه ولا يرى بمستواه الشخصيّ صوابيتَه ولا دقته. ومن المعروف أن الحيادية تاج لا يلبسه صاحبه حتى يعتمد معيارًا واحدًا في قياس مختلف الأمور والأحوال.

2. الخبر الإعلاميّ قد تتناقله الرواة ووسائل الإعلام المختلفة، وقد تكون درجة تحمله من ناقليه على أعلى ما يكون، فضلا عن ما يمكن أن يكون متمتعًا به الإعلاميّ من توثيق ودراية، وذلك كله باجتماعه في نفس اللحظة يدعم في اتجاه قبول الخبر والاطمئنان له، بل ونقله على أساس أنه بلغ درجة العلم الظني بتوفر أدواته المعروفة. وهذا ما ظهر من ذهاب ضمام بنفسه ليعرف الخبر.

3. للاستيثاق والتأكد الشخصي من خبرٍ ما القدحُ المعلى والدرجةُ العليا، فلا يستطيع المرء تكذيب عينيه في موقف يكون فيه أدقّ من جهيزةَ قاطعةِ قول كل خطيب. وهذا ما حدا بضمام أن يسأل الرسول صلى الله عليه وسلم كل مقطع مستفتحًا بقوله: أَسْأَلُكَ بِرَبِّكَ وَرَبِّ مَنْ قَبْلَكَ، آللَّهُ ...

---

(1) صحيح البخاري (23/1)، كتاب العلم، باب ما جاء في العلم. من طريق شَرِيكِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ به.

(2) الحاذق الماهر في الشيء. (المعجم الوسيط، ص 224).

4. مظهر النبي صلى الله عليه وسلم وهو جالس بين صحبه كأنه واحد منهم جعل السائل يُخرج أسئلته بلا تحفظ ولا حرج، وهو الشيء الذي قبله النبيّ المصطفى في إطار الاتصال الشخصيّ (مع ضمام) والجمعيّ (مع الصحابة)، وهذا يشير إلى أن الإعلاميّ الناجح إذا أراد أن تصله الأسئلة كما هي من غير موارية، فعليه أن يكون بمنزلٍ من الجمهور مقبول ومعروف، وللسائل أن يستخدم من أساليب الاستيثاق ما يريد حسب المسئول، كالاستحلاف مثلا في حق من يُضمن جانبه (أَسْأَلُكَ بِرَبِّكَ وَرَبِّ مَنْ قَبْلَكَ، آللَّهُ...).

5. كان يكفي السائل أن يستحلف الرسول صلى الله عليه وسلم مرة واحدة على جميع ما ورد من أسئلة، لكن يبدو أنه كان يريد كمال الاستيثاق وليس التأكد فقط، فتعامل مع كل قضية باعتبارها وحدة واحدة. وهذا ربما يكون مبررًا باعتبار أنه بنى عليه تغيير موقف اعتقادي من شرك وعصيان إلى توحيد وإيمان.

الحديث الثاني، الجزء الأول:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: لَمَّا بَلَغَ أَبَا ذَرٍّ مَبْعَثُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ لأَخِيهِ: ارْكَبْ إِلَى هَذَا الْوَادِي، فَاعْلَمْ لِي عِلْمَ هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، يَأْتِيهِ الْخَبَرُ مِنَ السَّمَاءِ، وَاسْمَعْ مِنْ قَوْلِهِ، ثُمَّ ائْتِنِي. فَانْطَلَقَ الأَخُ حَتَّى قَدِمَهُ وَسَمِعَ مِنْ قَوْلِهِ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى أَبِي ذَرٍّ، فَقَالَ لَهُ: رَأَيْتُهُ يَأْمُرُ بِمَكَارِمِ الأَخْلاَقِ، وَكَلاَمًا مَا هُوَ بِالشِّعْرِ. فَقَالَ: مَا شَفَيْتَنِي مِمَّا أَرَدْتُ.

تحليل من عين إعلامية وواقعية (1):

1. بعد تنامي الأخبار بإظهار نبوة النبي المصطفى عليه السلام، سارع أبو ذر رضي الله عنه في إرسال من يثق في أمانته ويعتقد نزاهته في النقل وهو أخوه، وحدد له المسار المطروق والاستفسار المطلوب، فهو يود تحصيل الدلائل البرهانية على أن محمدًا صلى الله عليه وسلم نبيٌّ، وذلك من المصدر المكيّ نفسه وليس مما ينقله الناس في غفار بلدِه وغيرِها، وإلا لكان اكتفى بالمعلومات التي عنده.

2. طلب أبو ذر إلى أخيه أن يستمع إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وفي هذا تأكد من أن أخاه سيصل إلى النبيّ ويشاهده ويحاضره محاضرة خفيفة، فيسأله عن هيئته وطلته وطلعته وطريقة كلامه، وكيفية التفاف الناس حوله وقبولهم لخبر السماء الذي يأتيه، ومدى تأثيره فيهم، وما إلى ذلك مما لا يمكن التوصل إليه إلا بالمعاينة المباشرة.

3. ذكر أخوه أهمَّ ما في خبر النبي عليه السلام، وهو دعوته لمكارم الأخلاق ومحاسن الشمائل وهو ما خالف فيه نظامًا كان سائدًا يتثمل في عدم احترام المرأة والعبيد وسلسلة من المسلكيات الخاطئة التي شكل التناقض معها حالة بارزة تجبر الإعلاميين على ذكرها، فعادة الإعلاميّ أن يذكر الشيء الجديد، لدرجة أن التحرير الصحفي يجعل القديم في هامش الختام على أنه خلفية تاريخية وليس أصلا في سرد الأخبار.

4. "وَكَلاَمًا مَا هُوَ بِالشِّعْرِ": هذا يوحي بما استشعره أخو أبي ذر داخليًا من كون كلام النبي صلى الله عليه وسلم يشبه الشعر ولكنه ليس بالمقفّى أو الموزون بالشكل العموديّ الذي يعرفه مما كان مشتهرًا ومعروفًا

عندهم، وهذا ما نستطيع تسميته المذهب البلقيسيّ، فقد وقفت بلقيس أمام عرشها الذي نُكِّر لها وخولف بين تراتيب أجزائه، وجوابًا على سؤال (أَهَكَذَا عَرْشُكِ؟) قالت: (كَأَنَّهُ هُوَ).[1]

وهذا يفيدنا كناقلين للكلام أو كإعلاميين بأنه في حال عدم التأكد من خبر معين فعلينا استخدام الأدوات الدالة على ذلك، ولا نجزم بالقطع فيما لا قطع فيه ولا إجماع فيه.

الجزء الثاني:

فَتَزَوَّدَ وَحَمَلَ شَنَّةً – وهي السِّقَاء والقِرْبَة – لَهُ فِيهَا مَاءٌ حَتَّى قَدِمَ مَكَّةَ ..، حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمَ الثَّالِث، فَعَادَ عَلَيٌّ مِثْلَ ذَلِكَ، فَأَقَامَ مَعَهُ ثُمَّ قَالَ: أَلاَ تُحَدِّثُنِي مَا الَّذِي أَقْدَمَكَ ؟ قَالَ: إِنْ أَعْطَيْتَنِي عَهْدًا وَمِيثَاقًا لَتُرْشِدَنَّنِي فَعَلْتُ، فَفَعَلَ فَأَخْبَرَهُ. قَالَ: فَإِنَّهُ حَقٌّ وَهُوَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَإِذَا أَصْبَحْتَ فَاتْبَعْنِي، فَإِنِّي إِنْ رَأَيْتُ شَيْئًا أَخَافُ عَلَيْكَ قُمْتُ كَأَنِّي أُرِيقُ الْمَاءَ، فَإِنْ مَضَيْتُ فَاتْبَعْنِي حَتَّى تَدْخُلَ مَدْخَلِي. فَفَعَلَ، فَانْطَلَقَ يَقْفُوهُ حَتَّى دَخَلَ عَلَى النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم وَدَخَلَ مَعَهُ، فَسَمِعَ مِنْ قَوْلِه، وَأَسْلَمَ مَكَانَهُ فَقَالَ لَهُ النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم: "ارْجِعْ إِلَى قَوْمِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ حَتَّى يَأْتِيَكَ أَمْرِي". قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لأَصْرُخَنَّ بِهَا بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِمْ، فَخَرَجَ حَتَّى أَتَى الْمَسْجِدَ فَنَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ. ثُمَّ قَامَ الْقَوْمُ فَضَرَبُوهُ حَتَّى أَضْجَعُوهُ ...[2]

تحليل من عين إعلامية وواقعية (2):

1. بعد عدم الاقتناع بالزاد الإخباري الذي جاء به أخوه، صرح أبو ذر بذلك لأخيه، وحمل زادًا وتوجه إلى مكة مصدرِ الخبر ليتأكد بنفسه هو، ومع أن الطريق ربما تحتاج زادًا أكبر وأنسب لطبيعة الرحلة، إلا أن العزم والتصميم اللذين تمتع بهما أبو ذر جعلته يستعذب ويستعسل كل المشاقّ في سبيل الوصول إلى الحقيقة من مسيلها الأول، وهذا يحتاجه الإعلاميّ الذي يريد أن يصل إلى قمة المجد والمصداقية والشفافية فما نيل المطلب بالتمني، ولن يدرك القمم من لم يتعب القدم.

2. يعرف أبو ذر رضي الله عنه أن العيون ستلتفت إليه باعتباره غريبًا ومن بلدة أخرى غيرِ مكةَ، ويعرف حجم المعاناة والاضطهاد الذي يعانيه المسلمون جرّاء إسلامهم، ويدرك أنه لن يستطيع الوصول إلى ما يصبو إليه ويتطلع بشوق لمعرفته والتأكد منه مع لفت النظر بأي خطأ يكون، وهذا يبرز مدى الاهتمام والممارسة الأمنية لدى أبي ذر لك ينجح عمله ولا يجني عليه تعجله.

3. استخدم أبو ذر مع عليّ رضي الله عنهما أسلوب الاستحلاف لكي يخبره بسبب مجيئه ليتأكد أنه ليس عينًا لعدو أو مستخبرًا لأسياد، وهذا من باب ما كان مشهورًا عند العرب أنهم لا يكذبون ويُكبرون الأسرار ويحفظونها، وكان له ما أراد.

4. عندما التقى أبو ذر بالنبي صلى الله عليه وسلم يبدو أنه شعر بالراحة التي أظن أنه اشترطها على نفسه في حال رؤيته النبي تصديقًا أو تكذيبًا، وعندما استمع إلى كلامه ثبت له حقيقة أنه نبيّ، وأنه ما كان

---

(1) النمل : 42.

(2) الحديث بجزئيه في صحيح البخاري (47/5)، كتاب مناقب الأنصار، باب إسلام أبي ذر، من طريق الْمُثَنَّى عَنْ أَبِي جَمْرَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما به.

ليصدق مع الناس ويكذب على رب الناس، وأراد الله له الخير بأن جعل بشاشة الإيمان تخترق قلبه فتصادف جوا جاهزًا مستعدًا فتتمكنا.

5. وبعد أن أعطاه النبي الكريم الأبجديات الأولى في سفر الإسلام العظيم وجهه لخطاب قومه بالقضايا التي انتهى إليها علمه، حتى يأتيه من الزاد النبوي ما يشكل الكتابة المستمرة في صفحات ذلك السفر النورانيّ، وهذا يشير إلى أن فهم الفكر العام لشخصية معينة ومعرفة الأدوات العامة التي تستخدمها تتيح للمراقبين والمتعاملين معها على حد سواء أن يسيروا في دائرة الفهم العام لها وتحليل مواقفها واستشراف مستقبلها في ضوء ذلك، ولكن النبي صلى الله عليه وسلم أراد لأبي ذر أن يراكم معلومات يزوده بها للوصول إلى التصور الشمولي، وهذا ما صار مستقبلا.

هذا وبعد أن مهّدنا لهذا المبحث بذكر أمثلة عملية وتحليلها إعلامًّا، ودلتنا على مدى الدرجة التي تمتع بها الصحابة الكرام رضوان الله عليهم أجمعين من الدقّة في النقل والتثبت في الرواية، كان لا بد من الحديث عن طرق تحمّل الرواة وأدائهم لنعرف الربط بينها وبين الإعلام، أو مدى الاستفادة التي يمكن أن تتحقق لنا منها على صعيد الإعلام.

المطلب الأول/ طرق التحمل والأداء:

معنى أداء الحديث:

هو إيصال الشيء أو وصوله من تلقاء نفسه، ويراد به: رواية الحديث لطالبه، ونقله إليه بصيغة أو بطريقة من طرقه.[1]

أو هو: تبليغه من الشيخ للطالب بصيغة تدلُّ على طريقة التحمل التي تلقى بها الشيخ حتى لا يستند إلى طريقة لم يتحمل بها، كأن يؤدي السماع وقد تلقى بالإجازة فيُعتبر مدلسًا.[2]

وهذا يعني أنه في الإعلام وأثناء نقل الخبر ينبغي الدقة في تحديد الوسيلة التي تم بها التحمل، فإذا كان الخبر انتقل للصحافيّ من طريق غير مباشرة أشار إلى ذلك، أو كان بأحد عبارات التشكيك والتمريض (مثل: قيل، ربما، يُحكى ...) ذكرها ولم يسقطها، لأنه لو استخدم الجزم في المشكوك أو التشكيك بالمقطوع فإنه يوجه الرأي العام والجمهور القارئ حيث لا توجد الحقيقة، وهو إن دخل هذا المجال كان مدلسًا، خاصة إذا ما عرفنا أن السبق الصحفيّ بمعناه العام يفيد ذكر الإعلامي أو المؤسسة الإعلامية لخبر ما من غير أن يكونوا مسبوقين بذكره من أي أحد، فإذا لم يشر إلى ذلك كان سارق أخبار ومرسلا متعمدًا؛ وذلك لأنه أسقط حلقة المخبِر الأول.

---

(1) التأصيل الشرعي لقواعد المحدثين، عبد الله شعبان، ص 135.

(2) الجرح والتعديل، محمد الجوابي، ص 318.

والآن ننتقل إلى الطرق وبيانها والتقائها مع الإعلام:

أولاً/ السمـــاع:

"سماع لفظ الشيخ، وهو إملاءٌ وغيره من حفظ ومن كتاب. وهو أرفع الأقسام عند الجماهير، **قال القاضي عياض:** لا خلاف في أنه يجوز في هذا للسامع أن يقول في روايته: حدثنا، وأخبرنـــا، وأنبأنـــا، وسمعت فلانًا وقال لنا وذكر لنا".[1]

التعليق: ما من شكّ في أن الاستماع المباشر إلى مصدر الخبر هو أرقى مراتب النقـــل وأقواهـــا وأوضحها، ولذا كان من حق الناقل أن يستخدم من الأساليب الموطئة لذكر الخبر ما يريد، وهو ما يعرف بالعمل الميداني، خاصة إذا لم يكتفِ الإعلاميّ بقوة الرواية التي تصله ممن كان، فيقتفي هـــدي أبـــي ذر رضي الله عنه ليكون خبره مجتلبًا من كبد الحقيقة ذاتها.

ثانيًا/ القراءة على الشيخ:

ويسميها أكثر المحدِّثين عرضًا، سواءٌ قرأتَ أو غيرُك وأنت تسمع، من كتاب أو حفـــظ، حفـــظِ الشيخ أم لا، إذا أمسك أصله هو، أو ثقةٌ، وهي رواية صحيحة بلا خلاف في جميع ذلك".[2]

وفي هذا ترجم البخاريّ لأحد أبواب كتاب العلم بقوله:

"الْقِرَاءَةُ وَالْعَرْضُ عَلَى الْمُحَدِّثِ. وَرَأَى الْحَسَنُ وَالثَّوْرِيُّ وَمَالِكٌ الْقِرَاءَةَ جَائِزَةً، وَاحْتَجَّ بَعْضُهُمْ فِي الْقِرَاءَةِ عَلَى الْعَالِمِ بِحَدِيثِ ضِمَامِ بْنِ ثَعْلَبَةَ، وَأَخْبَرَ قَوْمَهُ بِذَلِكَ فَأَجَازُوهُ. وَاحْتَجَّ مَالِكٌ بِالصَّكِّ يُقْـــرَأُ عَلَـــى الْقَوْمِ فَيَقُولُونَ أَشْهَدَنَا فُلاَنٌ. وَيُقْرَأُ ذَلِكَ قِرَاءَةً عَلَيْهِمْ، وَيُقْرَأُ عَلَى الْمُقْرِئِ فَيَقُولُ الْقَارِئُ: أَقْرَأَنِـــي فُـــلاَنٌ... وعَنِ الْحَسَنِ قَالَ: لاَ بَأْسَ بِالْقِرَاءَةِ عَلَى الْعَالِمِ.. وعَنْ مَالِكٍ وسُفْيَانَ: الْقِرَاءَةُ عَلَى الْعَالِمِ وقِرَاءَتُهُ سَوَاءٌ".[3]

ثالثًا/ الإجازة:

"الإجازة مأخوذة من جواز الماء الذي تُسقاه الماشية والحرث، يُقال: استجزته فأجازني إذا أسقاك ماء لماشيتك وأرضك، كذا طالب العلم يستجيز العالمَ علمَه فيجيزه"[4]، وصورتها أن يقول: أجـــزت لـــك الكتاب الفلاني، أو جميع مسموعاتي أو مروياتي، أو يجيز لجميع المسلمين.[5]

---

(1) تدريب الراوي، النووي، ص 304.

(2) نفسه، ص307-308.

(3) صحيح البخاريّ، كتاب العلم (22/1)، باب مَا جَاءَ فِي الْعِلْمِ، وَقَوْلِهِ تَعَالَى "وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا" (طه:144).

قوله "**باب القراءة والعرض على المحدِّث**": إنما غاير بينهما بالعطف لما بينهما من العموم والخصوص، لأن الطالب إذا قرأ كان أعمَّ من العرض وغيره، ولا يقع العرض إلا بالقراءة، لأن العرضَ عبارةٌ عمَّا يعارِض به الطالبُ أصلَ شيخِه معه أو مع غيرِه بحضرتِه، فهو أخصُّ من القراءة...، وقد كان بعض السلف لا يعتدُّون إلا بما سمعوه من ألفاظ المشايخ دون مـــا يُقرأُ عليهم، ولهذا بوَّبَ البخاريُّ على جوازه.

قوله "**واحتجّ مالكٌ بالصكِّ**": المراد هنا المكتوب الذي فيه إقرارُ المُقرِّ، لأنه إذا قُرِئَ عليه قال: نعم، ساغت الشهادة عليه به وإن لم يتلفظ هو بها، فكذلك إذا قرئ على العالم فأقرَّ به صحَّ أن يُروى عنه. (انظر: فتح الباري، (219/1-220).

(4) تدريب الراوي، النووي، ص 332.

(5) مقدمة ابن الصلاح، ص 92.

رابعًا/ المناولـــة:

قَالَ أَنَسٌ: نَسَخَ عُثْمَانُ الْمَصَاحِفَ، فَبَعَثَ بِهَا إِلَى الآفَاقِ. وَرَأَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ وَيَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ وَمَالِكٌ ذَلِكَ جَائِزًا. وَاحْتَجَّ بَعْضُ أَهْلِ الْحِجَازِ فِي الْمُنَاوَلَةِ بِحَدِيثِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم حَيْـثُ كَتَـبَ لأَمِيرِ السَّرِيَّةِ كِتَابًا وَقَالَ: "لاَ تَقْرَأْهُ حَتَّى تَبْلُغَ مَكَانَ كَذَا وَكَذَا". فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ الْمَكَانَ قَـرَأَهُ عَلَـى النَّـاسِ، وَأَخْبَرَهُمْ بِأَمْرِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم.[1]

والدلالة المستنبطة من فعل عثمان جوازُ الرواية بالمكاتبة، "فإن عثمان أمرهم بالاعتماد على ما في تلك المصاحف ومخالفة ما عداها".[2]

والمستفاد من حديث أمير السرية: أن الرسول صلى الله عليه وسلم ناوله الكتاب وأمره أن يقرأه على أصحابه ليعملوا بما فيه، ففيه المناولة ومعنى المكاتبة.[3]

خامسًا/ المكاتبـــة:

"وهي أن يكتب الشيخُ حديثَه بخطِّه، أو يأذنَ لمن يثقُ به بكتبِه، ويرسله بعد تحريرِه إلى الطالب، ويأذن له في روايته عنه"[4]، **وهي نوعان:** المكاتبة المقترنة بالإجازة، والمكاتبة المجردة عنها.

سادسًا/ الإعـــلام:

وهي "إعلام الشيخ الطالبَ أن هذا الحديث أو الكتاب سماعُه مقتصرًا عليه".[5]

صيغ الأداء عن هذا الطريق: أعلمني فلان، حدثني فلان بالإعلام، أخبرني بالإعلام ونحو ذلك.[6]

وفي حكمها قال النووي: "والصحيح ما قاله غير واحد من المحدِّثين وغيـرِهم، أنـــه لا تجـــوز الرواية به، لكن يجب العمل به إن صحَّ سنده".[7]

وذهب كثير من المحدثين والفقهاء والأصوليين إلى جواز الرواية لما تحمّله بالإعلام مـــن غيـــر إجازة .. ووجه هذا: أن التحمل قد صحّ بالإجازة لما فيها من إخبار على سبيل الإجمال، والإعـــلام فيـــه نفس المعنى، بل هو أقوى، حيث أشار [الشيخ] إلى الكتاب بعينه، وقال: هذا سماعي من فلان.[8]

سابعًا/ الوصيّـــة:

هي أن يوصيَ عند موته أو سفره، بكتابٍ يرويه، فجوَّز بعض السلف للموصَى له روايته عنـــه، وهو غَلَطٌ، والصواب أنه لا يجوز.[9]

---

(1) صحيح البخاري (23/1)، كتاب العلم، باب مَا يُذْكَرُ فِي الْمُنَاوَلَةِ وَكِتَابِ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالْعِلْمِ إِلَى الْبُلْدَانِ.

(2) فتح الباري، لابن حجر (226/1).

(3) انظر: نفسه (227/1).

(4) السابق، (226/1).

(5) تدريب الراوي، النووي، ص 345. معنى (مقتصرًا عليه): دون أن يأذن له في روايته عنه.

(6) الوسيط في علوم ومصطلح الحديث، محمد أبو شهبة، ص 115.

(7) تدريب الراوي، النووي، ص 346.

(8) منهج النقد، نور الدين عتر، ص 220. ونقل نحوًا من هذا الكلام محمد أبو شهبة في الوسيط، ص 114.

(9) تدريب الراوي، النووي، ص 347.

ثامنًا/ الوِجَــادة:

"وهي مصدر لِوَجَدَ، مولَّدٌ غيرُ مسموع من العرب. وهي أن يقفَ على أحاديثَ بخطِّ راويهــا لا يرويها الواجدُ، فله أن يقول: وجدتُ، أو قرأتُ بخطّ فلان، أو في كتابه بخطِّه (حدثنا فلان) ويسوق الإسناد والمتن، أو قرأتُ بخطِّ فلان عن فلان".[1]

قال النووي: "وهو من باب المنقطع، وفيه شوبُ اتصال... وأما العمل بالوجادة، فنُقِل عن معظم المحدِّثين، والفقهاء المالكيين، وغيرهم، أنه لا يجوز، وعن الشافعي ونظَّار أصحابه جوازُه، وقَطَع بعض المحققين الشافعيين بوجوب العمل بها عند الثقة، وهذا هو الصحيح الذي لا يتجه هذه الأزمان غيره".[2]

ملاحظــة: من تحمل بواحدة من الطرق الثلاثة الأخيرة لا بد وأن يبيّن ذلك عنــد الأداء فيقــول: أعلمني شيخي وأوصى إليّ فلان، ويجوز لمن تحمل بالوجادة أن يروي بها على سبيل الحكايــة، كــأن يقول: وجدت بخط فلان.[3]

من مظاهر الدقة في رواية الخبر:

أن الرواة كان إذا روى أحدهم حديثًا أو أثرًا يستخدم لكل موقف لفظًا يعبر عن درجــة حفظــه، وذلك في المقارنة بين المتون، فمثلا إذا كان الحديث تامًا بالنسبة لآخر قال: بمثله، وإذا كان قد تغير عنده فيه شيء مهما كان بسيطًا، قال: بمثله أو نحوه، وإذا روى جزءًا منه وضح ذلك على أنه موضع الشاهد.

جاء في البخاري من حديث مجاهد وَعَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ: أَخْبَرَنِي عَبْدُ الْكَرِيمِ عَنْ عِكْرِمَةَ عَــنِ ابْــنِ عَبَّاسٍ بِمِثْلِ هَذَا أَوْ نَحْوِ هَذَا. رَوَاهُ أَبُو هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم.[4]

المطلب الثاني/ تنزيل الطرق على الواقع الإعلامي:

لا يجوز لطالب الحديث أن يحمله الشره على التساهل في التحمل، فيخل بشيء من شروطه.[5]

والشره هنا يأتي بمعنى السبق الصحفي، فلا يصحُّ للإعلامي المبرَّز أن يغفل عمليــة اصــطياد الخبر الصحيح سريعًا من غير استخدام الأدوات المعروفة في التحقق من الأخبار وتمحيصها.

أما بالنسبة للمقارنة بين طرق التحمل والأداء وواقعنا الإعلامي فنرى أن هناك تــشابهًا بــارزًا وواضحًا، بل إننا نرى وجوب الاستفادة من هذه الانضباطية الراقية التي يعطينا إياها مصطلحُ الحــديث، وانظرْ أعطك الدليلَ والبرهان:

---

(1) نفسه، ص 347-348.

(2) السابق، ص 348-350.

(3) انظر: التأصيل الشرعي لقواعد المحدثين، عبد الله شعبان، ص 140.

(4) صحيح البخاري (145/5)، كتاب المغازي، بابٌ. من طريق حَسَنِ بْنِ مُسْلِمٍ عَنْ مُجَاهِدٍ بنِ جبر به.

(5) انظر: تدريب الراوي، النووي، ص 419.

1. **السمـــاع:** وهو مباشرة التلقي للخبر من في السياسي أو ناشر الخبر ومذيعه إلى الصحافيين أو ناقلي الخبر، فما كان في حضور عام، قال الصحافيّ: سمعنا أو حكى لنا أو أخبرنا، وإذا خصّ صحافيًّا بالخبر دون غيره، قال: أفادني أو أخبرني أو سمعت منه كيت وكيت.

2. **القراءة على الشيخ:** وذلك بأن يكون الخبر المنقول موجودًا عند الجهة الإعلامية، وتريد أن تتأكد من المصدر خاصة إذا تم نقل الخبر من موقع إلكتروني أو صحيفة أو إعلاميّ آخر، فتتم مهاتفة صاحب الكلام الأول، أو الجلوس المباشر معه، ليتم سؤاله: هل هذا التصريح لك أم لا ؟ وذلك بعد قراءة نصّه عليه.

3. **الإجـــازة:** وتبرز أهميتها في عصرنا الحديث الذي تعددت فيه الوسائل الإعلامية، وصار نقل الخبر يحتاج إلى السرعة الكبيرة، لأن من يسبق في نشر المعلومة أولا ربما يحظى بالصدقيّة والمتابعة بأهمية من جمهور القراء المتلقين، فيكون لصاحب الوزارة أو المؤسسة ناطقون بلسانه أو جرائد تتكلم باسمه، ويكون منه أن يضعهم في المحددات العامة لما يريد إذاعته ونشره للجمهور والمتابعين. وهذه الصفة رسمية ويتم تعميمها على الوسائل الإعلامية المختلفة من مصدرها، لتوضيح ما يُعتبر إجازة لشخصيات بعينها. ويستطيع الصحافيّ إذا أراد أن يتمحص أكثر أو يستخبر بشكل أعمق، خاصة إذا كانت المعلومات خطيرة أن يتواصل بطريقته مع المعنيين المعروفين. وتأتي أهمية هذه الإجازة السياسية في مسألة اختصار الوقت وإضفاء جانب الهيبة وتبيان ضخامة العمل لجهة ما.

4. **المناولـــة:** يحدث أن يكتب أحد السياسيين مقالا أو تصريحًا أو تعليقًا معينًا على موقف، فيراسل جهات الاختصاص الإعلامية عبر الناسوخ أو البريد الإلكتروني أو الرسائل القصيرة الجواليّة وما شابه، ويعطيهم النسخة الأصلية عن ذلك، فيُعتبر عمله بذاك إجازة بالنشر بعد المناولة، وعليه آنذاك أن يراجع ما يُكتب ويُنشر له في الصحف والجرائد أو الاشتراك مع المجلات، لئلا يُتقوَّل عليه فيما لم يقل.

5. **المكاتبـــة:** وتلتقي مع الطريقة السابقة في أن السياسيَّ هو من يكتب المادة المطلوب روايتُها أو نشرُها، ولكننا قد نضيف هنا شيئًا ذا بال ويجعل الأمور بارزة بحدودها الفاصلة، وهو أن نشترط أن هذا النوع يكون بالكتابة الخطيّة اليدويّة من صاحبها، لتكون أدقّ وأثبت، وبعد ذلك يدفع الكتاب لمن يريد أن ينشره له إما هكذا مجردًا، أو مقرونًا بقوله: انشر هذا لي.

6. **الإعـــلام:** لا حاجة لنا بها، لأن كل تصريح أو بيان أو منشور بأي شكل صدر عن جهة سياسية أو غيرها، يكون مذيلا بتوقيع تلك الجهة، فيمثل إعلامًا عامًا ليس فيه خصوصيّة أو تمييز لأحد.

7. **الوصيـــة والوِجـــادة:** كذلك في ظلّ التطورات التكنولوجية والتقدم العلميّ الهائل جدًا، تصبح هاتان الطريقتان غير ذات جدوى، فقد غطت الطفرة الإعلامية ووسائلها المتميزة على مثل هذه الطرائق. لكن لا نغفل أن الوثائق المكتوبة والمراسلات الخاصة التي لا تُستخدم فيها الوسائل الاتصالية الحديثة تجعل الاهتمام بهاتين الطريقتين واردًا ومطلوبًا.

المطلب الثالث/ أثر استخدام الكلمة المناسبة:

بلغت الدقة في رواية الحديث مبلغًا لا تجده في أي أمة من الأمم، ذلك أنهم استخدموا لكل حالة لفظ يعبّر عنها وعنها وحدها، فمثلا إذا كان الراوي لوحده قال: حدثني، وإذا كان ضمن جماعة قال: حدثنا، وهكذا، وانظر إلى هذا الأثر في صحيح البخاريّ:

باب قَوْلِ الْمُحَدِّثِ حَدَّثَنَا أَوْ أَخْبَرَنَا وَأَنْبَأَنَا. وَقَالَ لَنَا الْحُمَيْدِيُّ: كَانَ عِنْدَ ابْنِ عُيَيْنَةَ حَدَّثَنَا وَأَخْبَرَنَا وَأَنْبَأَنَا وَسَمِعْتُ وَاحِدًا . وَقَالَ ابْنُ مَسْعُود: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ. وَقَالَ شَقِيقٌ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ سَمِعْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم كَلِمَةً. وَقَالَ حُذَيْفَةُ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم حَدِيثَيْنِ. وَقَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ – الرياحيُّ – عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فِيمَا يَرْوِى عَنْ رَبِّهِ. وَقَالَ أَنَسٌ: عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم يَرْوِيهِ عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ. وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم يَرْوِيهِ عَنْ رَبِّكُمْ عَزَّ وَجَلَّ.[1]

ولتوضيح ذلك يقول ابن حجر: "ومراده – يعني البخاري – كم هذه التعاليق أن الصحابي قال تارة: (حدثنا) وتارة: (سمعت)، فدلّ على أنهم لم يفرقوا بين الصيغ. وأما أحاديث ابن عباس وأنس وأبي هريرة فأراد بذكرها هنا التنبيه على العنعنة وأن حكمها الوصل عند ثبوت اللقى".[2]

ولتوضيح ترجمة الباب السابق عند البخاري، فإنه يذكر حديثًا تحته:

عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً لاَ يَسْقُطُ وَرَقُهَا، وَإِنَّهَا مَثَلُ الْمُسْلِمِ، فَحَدِّثُونِي مَا هِيَ". فَوَقَعَ النَّاسُ فِي شَجَرِ الْبَوَادِي. قَالَ عَبْدُ اللَّهِ وَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ، فَاسْتَحْيَيْتُ ثُمَّ قَالُوا حَدِّثْنَا مَا هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: " هِيَ النَّخْلَةُ".[3]

قال الخطيب في تحديد الترتيب المناسب والمقبول لألفاظ السماع: "أرفعها سمعتُ ثم حدثنا وحدثني، ثم أخبرنا وهو كثيرٌ في الاستعمال، وكان هذا قبل أن يشيع تخصيص أخبرنا بالقراءة على الشيخ، قال ثم أنبأنا، ونبَّأنا، وهو قليلٌ في الاستعمال".[4]

وقال النووي عن صيغ القراءة على الشيخ: "واختلفوا في مساواتها للسماع من لفظ الشيخ، ورُجحانه عليها، ورُجحانها عليه ...، والأحوط في الرواية بها: قرأتُ على فلان، أو قُرِئَ عليه وأنا أسمع فأقرَّ به، ثم عبارات السماع مقيدةٌ كحدثنا أو أخبرنا أو قراءةً عليه...".[5]

---

(1) صحيح البخاري (22/1)، كتاب العلم، باب قَوْلِ الْمُحَدِّثِ حَدَّثَنَا أَوْ أَخْبَرَنَا وَأَنْبَأَنَا..

(2) انظر: فتح الباري، (212/1).

(3) صحيح البخاريّ (22/1)، كتاب العلم، باب قَوْلِ الْمُحَدِّثِ حَدَّثَنَا أَوْ أَخْبَرَنَا وَأَنْبَأَنَا، من طريق عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ به.

(4) تدريب الراوي، النووي، ص 304–305.

(5) نفسه، ص 309–310.

وفي ذات السياق **قال الحاكم:** "الذي أختاره، وعهدْتُ عليه أكثر مشايخي، وأئمة عصري أن يقول فيما سمعه وحده من لفظ الشيخ: حدثني، ومع غيره: حدثنا، وما قرأ عليه: أخبرني، وما قرئَ بحضرته: أخبرنا..".[1]

الألفاظ التي يذكرها الإعلاميّ للتعبير عن المراد:

على الإعلاميّ أن يدقق ألفاظه وعباراته ويعيش معها كما يعيش مع الخبر أثناء وقوعه، وأول ما يُقال ألا يكون مدلسًا، ولا يستخدم اللغة الأدبية الإشارية في الأفعال المفتاحية التي يبني عليها مدار خبره، بمعنى ألا يستخدم أسلوب التمريض في بداية كلامه: قيل ويُحكى ويُروى، ثم يخالف نهجه في الداخل باستخدام الأفعال الصريحة المؤكِّدة، وعليه أن يوضّح ماذا إذا كان لقاؤه مع الشخصية التي يحاورها خاصًا أم أنه كان ضمن جماعة، وما إلى ذلك وأعتقد أن هذه الجزئيات بحاجة إلى تفصيل، أي عدم اكتفائه بـ: حدثني في الفردية، أو حدثنا في الجماعية، بل أن يضيف لها ما يفكّ اللغز ولا يترك مجالا للاجتهاد العقليّ، فيقول مثلا: قال لنا فلانٌ وقد كان في اللقاء عددٌ من الصحفيين، أو يقول: في لقاء خاص جمعني بفلانٍ تناولنا الحديث في كيت وكيت.

خلاصة المبحث:

تعرّفنا في هذا المبحث على أهمية الإسناد في نقل الأخبار، وتميز أمتنا المسلمة بهذه الخصيصة، وذكرنا طرائق التحمل والأداء، مع تبيان الدرجة العليا في اهتمام العلماء والرواة في نقل الخبر كما هو بكل حرف فيه ما أمكنهم، فإذا كان أحدهم في جمعٍ قال: حدثنا، وإذا حدّثه الشيخ وحده، قال: حدثني، مع أن كليهما تحديثٌ، إلا أن هذا يؤكد مدى الدقّة التي اهتمّوا بها وساروا على نهجها.

وذكرنا الأهمية الكبرى التي تعطيها لنا الاستفادة المباشرة من أدوات التحمّل، وأن اعتمادَها سيضمن الدقّة والتمحيص لدى نقل الخبر أو تحمّله.

وختمنا بتوضيح أثر استخدام الكلمة المناسبة في المكان المناسب على الناقل والمنقول إليه كليهما.

والآن ننتقل إلى المبحث الأخير في هذا الفصل، ويتحدّث عن كتابة الحديث وضبطه ومبادئ الكتابة الدقيقة.

---

(1) السابق، ص 314.

المبحث الخامس:

كتابة الحديث وضبطه ومبادئ الكتابة الدقيقة

وفيه خمســـــــة مطالب:

المطلب الأول: الاعتناء بضبط الكلمات.

المطلب الثاني: تحسين الخط وتجويده.

المطلب الثالث: مقابلة المكتوب بالأصل.

المطلب الرابع: مسألة الرواية بالمعنى.

المطلب الخامس: مراجعـــــــة النصّ.

المبحث الخامس:

كتابة الحديث وضبطه ومبادئ الكتابة الدقيقة

تمهيـــد:

اتخذت كتابة الحديث مراحل متعددة ارتقت مع رقيّ الكتابة ذاتها وطرق تحسينها وإخراجها، وبالغ الرواة في ذلك حفاظًا على سيرة النبيِّ صلى الله عليه وسلم من التحريف والتصحيف وما إليه.

هذا ومعلومٌ أن كتابة الخبر الصحفي مهمة جدًا وأوثق لجلب المعلومات حال طلبها، وذات بال في ربط الدلائل واستنطاق الأحداث، فالعلم صيد، والكتابة قيد، وفي هذا يأتي حديث أبي هريرةَ الموقوف:

"مَا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم أَحَدٌ أَكْثَرَ حَدِيثًا عَنْهُ مِنِّي، إِلاَّ مَا كَانَ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو فَإِنَّهُ كَانَ يَكْتُبُ وَلاَ أَكْتُبُ".[1]

وكانوا يقدمون من يستعين بالكتاب على غيره:

كان **عليُّ بنُ المديني** يقول: "ليس في أصحابنا أحفظ من أبي عبد الله أحمد بن حنبل، وبلغني أنه لا يحدِّث إلا من كتاب، ولنا فيه أسوة".[2]

قال **أحمد بن حنبـــل:** "ما كان أحدٌ أقلَّ سقطًا من المبارك. كان رجلا يحدِّث من كتاب، ومن حدَّث من كتاب لا يكاد يكون له سقط كبير. وكان وكيع يحدث من حفظه، ولم يكن ينظر في كتاب، وكان يكون له سقطٌ، كم يكون حفظ الرجل".[3]

وهذا يجعلنا نتأكد أن من أدبيات النقل للوصول إلى أحسن حالة وأفضل صياغة الاقتبـــاس مـــن المصدر، إما بعد التعبير المباشر من قبَل الصحافيّ لما يرد في كلام الإعلاميين، أو مباشرةً من مكتوبات ومقالات صحافيين. والله أعلم

ولتأكيد رسول الله صلى الله عليه وسلم على أهمية الكتابة في ميدان التوثيق، فقد حرص عليها حتى في مرض وفاته:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: لَمَّا اشْتَدَّ بِالنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وَجَعُهُ قَـــالَ: "ائْتُـــونِي بِكِتَابٍ[4] أَكْتُبُ لَكُمْ كِتَابًا لاَ تَضِلُّوا بَعْدَهُ". قَالَ عُمَرُ رضي الله عنه: إِنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وســـلم غَلَبَـــهُ الْوَجَعُ وَعِنْدَنَا كِتَابُ اللَّهِ حَسْبُنَا فَاخْتَلَفُوا وَكَثُرَ اللَّغَطُ. قَالَ: "قُومُوا عَنِّى، وَلاَ يَنْبَغِي عِنْدِي التَّنَازُعُ"[5].[6]

وفي هذا تأصيلٌ للتوثيق الإعلامي بالكتابة، فعلى الرغم من وجود الذاكرة العربية القوية والحافظة المتينة التي ستصطف كالبنيان يشد بعضه بعضا وإذا ضلّت حلقةٌ ذكرت الثابتاتُ الـــضالةَ مـــنهنّ، إلا أن

---

(1) صحيح البخاريّ (34/1)، كتاب العلم ، باب كتابة العلم. من طريق همّام بْنِ مُنَبِّهٍ عَنْ أَخِيهِ عن أَبِي هُرَيْرَةَ به.

(2) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، الخطيب البغداديّ (12/2).

(3) نفسه (11/2).

(4) قوله "بكتاب": أي بأدوات الكتاب، ففيه مجاز الحذف. (فتح الباري (306/1).

(5) "ولا ينبغي عندي التنازع": "فيه إشهار بأن الأولى كان المبادرة إلى امتثال الأمر ". (فتح الباري (307/1).

(6) أخرجه البخاري في صحيحه (34/1)، كتاب العلم، باب كتابة العلم. من حديثِ ابْنِ عَبَّاسٍ به.

الرسولَ صلى الله عليه وسلم يعلم أن ما يشكّلُ علامةَ إجماعٍ لا يختلف عليها اثنان، هي توثيقٌ بالكتابةِ من فيه الشريف لا تختلف حوله الأفهامُ وتجتمع عليه مختلفُ العقولِ مهما تباينت الأعصارُ والأمصارُ.

وننتقل الآن إلى المطالب الخمسة لمبادئ الكتابة الدقيقة:

المطلب الأول/ الاعتناء بضبط الكلمات:

ثم على كاتبه [كاتب الحديث] صرفُ الهمة إلى ضبطه، وتحقيقه شكلا، ونقصًا يؤمَن اللبس، ثم قيل: إنما يشكِل المشكِل، ونقِل عن أهل العلم كراهة الإعجام والإعراب إلا في الملتبِس، وقيل: يشكِل الجميع... وينبغي أن يكون اعتناؤه بضبط الملتبِس من الأسماء أكثر، ويُستحب ضبط المشكِل في نفس الكتاب.[1]

عن **محمد بن عُبيد بن أوس الغسَّاني** كاتب معاوية قال: حدثني أبي قال: كتبت بين يدي معاوية كتابًا، فقال لي: يا عبيد أُرقُش كتابك، فإني كتبت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابًا رقشته. قال قلت: وما رقشُه يا أمير المؤمنين؟ قال: أعطِ كل حرف ما ينوبه من النقط.[2]

ويرى **ابن الصلاح** أن أفضل المعارضة "أن يعارض الطالب بنفسه كتابَه بكتاب الشيخ مع الشيخ في حال تحديثه إياه من كتابه" ويعلل ذلك بقوله: "لما يجمع ذلك من وجوه الاحتياط والإتقان من الجانبين، وما لم تجتمع هذه الأوصاف نقص من مرتبته بقدر ما فاته منها".[3]

ونخصُّ هنا بالذكر الكتابات الأدبية أو الفلسفية، والمقالات التي يأتي فيها كاتبها بمصطلحات جديدة إما لنفسه أو لغيره من السابقين القدماء، وعليه أن يراعيَ غيرَ المتخصص إذا كتب موضوعًا متخصصًا، وفي الإجمال فإن ضبط المقال يضفي عليه رونقًا ويكسبه جمالا ويزيده متانة وقوة.

المطلب الثاني/ تحسين الخط وتجويده:

ويُستحب تحقيقُ الخطّ دون مشقِه وتعليقِه، ويُكره تدقيقُه إلا من عذرٍ: كضيق الورق، وتخفيفه للحمل في السفر ونحوه.[4]

وهو ما سماه **ابن الصلاح** تحقيقًا حين قال: "ويُختار له في خطه التحقيق، دون المشق والتعليق. بلغنا عن ابن قتيبة، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "شرُّ الكتابة المشق، وشرُّ القراءة الهذرمة، وأجود الخطِّ أبينُه".[5]

---

(1) تدريب الراوي، ص 355-356.

(2) الجامع، الخطيب البغداديّ (269/1).

(3) نفسه، ص 112.

(4) تدريب الرواي، ص 357.

(5) مقدمة ابن الصلاح، ص 109.

المشق: مشق في الكتابة مشقًا: مدّ حروفَها وأسرع فيها. (المعجم الوسيط، ص 871).

وهنا لا بدَّ من التأكيد على وجوب الاهتمام بأدوات الكتابة والنسخ، وظهر ذلك على الرواة والمحدِّثين كأبين ما يكون الأمر، وفي عصرنا الحديث "لا بد من التخصص الفني بمعناه العلمي والجمالي. لقد تطورت الطباعة وأصبح الحرف ينضد الكترونيًا، ...، يضاف إلى ذلك كتابة النص بأسلوب فني".[1]

يعرف الفرنسيون الإعلام بأنه: (إعطاء الشكل) أو (الوضع في الشكل). إن الإحساس بالجمال فطرة في الإنسان، وتحريك هذا الإحساس مدخل إلى عمقه النفسي والفطري، ويتم التحريك بطرق متعددة، منها تقديم الحقائق والمعاني والقيم في وعاء جميل وشكل جذاب، وكساء أنيق.[2]

المطلب الثالث/ مقابلة المكتوب بالأصل:

يقول **الشيخ الطحَّان** في تعريف المقابلة أو المعارضة:

"هي مراجعة ما كتبه الطالب مقابَلا بالنسخة التي كتب منها، للتأكد من مطابقة "الفرع" بـ "الأصل"، وإصلاح ما يوجد من مفارقات من خطأ أو زيادة أو نقص. وهذا العمل من المحدِّثين هو القمة في الضبط والمحافظة على أصل النصوص بشكل لم يُسبقوا إليه، بل لم يصل غيرهم إليه حتى الآن".[3]

عن **هشامِ بنِ عروة** قال: "قال لي أبي: أكتبتَ ؟ قال قلتُ: نعم. قال: عارضتَ؟ قلتُ: لا. قال: فلمْ تكتُب".[4]

ومن باب الإمعان في نقل الخبر كما هو، فإن بعض المحدثين كان يرى أنه إذا وقع ثمة تحريف أو لحن في رواية معينة فلا يجوز إعرابها وإصلاح الخطأ فيها، بل إنه من باب الأمانة على الراوي أن ينقلها كما هي، ولذا قال **ابن الصلاح:** "وأما إصلاح ذلك [الخطأ] وتغييره في كتابِه وأصلِه، فالصوابُ تركُه، وتقرير ما وقع في الأصل، على ما هو عليه، مع التضبيب عليه، وبيان الصواب خارجًا في الحاشية، فإن ذلك أجمع للمصلحة وأنفى للمفسدة".[5]

التحقيق: حقق الشيء: أحكمه. ويُقال: حقّق الثوب: احكم نسجه. وكلامٌ محقّقٌ: محكمُ الصنعةِ رصينٌ... وتحقيق الهمز: إعطاءُ الهمزةِ حقَّها الصوتيَّ أثناء النطقِ بها. (المعجم الوسيط، ص 188).

ولعل المقتبس للمعنى المراد مما أوردنا أعلاه هو أن أفضلَ كتابةٍ هي التي تكون مبرزةً للحرف على حقيقته وصورته التي يفهمها الجميع، وذلك باتباع قواعد الخطّ، أو الكتابة الحاسوبية مثلاً.

الهذرمة: السرعة في القراءة. (الصحاح، ص 2057).

هذرم فلان: أسرع في مشيه. وهذرم: أسرع في كلامه وقراءته. ويُقال: هذرم القرآن: أسرع في قراءته لا يتدبر معانيه (وهو غير محمود). وهذرم في كلامه: خلّط فيه. (المعجم الوسيط، ص 979).

(1) النظرية الإسلامية في الإعلام، زين الدين الركابي، ص 24-25.

(2) نفسه، ص 27.

(3) انظر: هامش (375/1) من كتاب الجامع للخطيب.

(4) الجامع، الخطيب البغداديّ (375/1).

(5) المقدمة، لابن الصلاح، ص 129.

يعني أنه لا يجوز لنا أن نفتح الباب واسعًا أمام كل من يريد تغيير شيء في أصلٍ عندما يكون خطأ، لئلا يكون السماح مدخلا لتوسع أكبر كالجرأة على تغيير الكتب وإصلاحها، وفي هذا غاية الفساد، وعليه فإن الدقة في التحقيق أن نذكر أصل الأخبار كما هي ثم نبين الأخطاء الموجودة فيها على الهامش أو في الحاشية بحسب اصطلاح الجمهور. وهنا بابُ آخر وهو الخشية من أن يكون الخبر المنقول في وادٍ وتغييره إلى ما عداه في وادٍ آخر. والله أعلم.

ومنه نستفيد أن على الكتّاب أن يراعوا الدقة الكاملة في كتابة النقولات، فيشيرون إلى ذلك صراحة ويتميزون في استخدام علامات الترقيم؛ لئلا يكون هناك ارتباك في طريقة المتابعة للمكتوب عند القارئ، ومعروفٌ ما لذلك من أثر على الكاتب احترامًا وتقديرًا وثقةً به.

المطلب الرابع/ مسألة الرواية بالمعنى:

قبل البدء نتفق على **قاعدة** تمثل نقطة التقاطع للعلماء بهذا الصدد وهي:

"الأصح أن الحديث إن كان مشتركًا أو مجملا أو متشابهًا أو من جوامع الكلم لم يجز نقله بالمعنى، أو محكمًا جاز للعالم باللغة، أو ظاهرًا يحتمل الغيرَ كعامٍّ يحتمل الخصوص، أو حقيقة تحتمل المجاز".[1]

وقد قال النووي: "وقال جمهور السلف والخلف من الطوائف: "يجوز بالمعنى في جميعه، إذا قطع بأداء المعنى".[2] وشرط ذلك ما ذكره **ابن الصلاح** بأن يكون الراوي: "عالماً عارفاً بالألفاظ ومقاصدها، خبيراً بما يحيل معانيها، بصيراً بمقادير التفاوت بينها".[3]

ولكن ابن الصلاح والنووي كليهما شددا على الرواية باللفظ وعدم جواز الرواية بالمعنى إذا كانت الرواية من كتاب أو مصنَّف إذ لا حجة عندها لمتساهل، **يقول ابن الصلاح:** "فليس لأحد أن يغيِّرَ لفظ شيءٍ من كتابٍ مصنَّف، ويثبتَ بدله لفظًا آخر بمعناه".[4]

ولذا كلما كان التأكد يقينيًّا والمراجعة سريعة كان التشديد على الرواية باللفظ دون المعنى، وأصل ذلك حديث البخاري كما عند الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: "إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوَضَّأْ وُضُوءَكَ لِلصَّلاَةِ، ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الأَيْمَنِ، ثُمَّ قُلِ .... اللَّهُمَّ آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ. فَإِنْ مُتَّ مِنْ لَيْلَتِكَ فَأَنْتَ عَلَى الْفِطْرَةِ، وَاجْعَلْهُنَّ آخِرَ مَا تَتَكَلَّمُ بِهِ". قَالَ: فَرَدَّدْتُهَا عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَلَمَّا بَلَغْتُ: "اللَّهُمَّ آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ". قُلْتُ: وَرَسُولِكَ. قَالَ: "لاَ، وَنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ".[5]

---

(1) قواعد في علوم الحديث، التهانوي، ص 47.

(2) تدريب الراوي، ص 381.

(3) المقدمة، 126.

(4) المقدمة، لابن الصلاح، ص 126.

(5) صحيح البخاريّ (1/58-59)، كتاب الوضوء، باب فضل من بات على الوضوء. من طريق سَعْدِ بْنِ عُبَيْدَةَ عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ به.

بل بالغ الإمامان النووي وابن الصلاح ووضعا مقياسًا لجعل الصحة في أعظم مرتقى وأبلغ النزل حينما اتفقا على أنه ينبغي على الراوي أن يقول عقيب الرواية بالمعنى "أو كما قال، أو نحوه، أو شبهه، أو ما أشبه هذا من الألفاظ".[1]

ولذلك أمثلة توضيحيّة من صحيح البخاري:

*** أولا (أو كما قال):**

1. عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ الرَّجُلُ يَجْعَلُ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم النَّخَلاَتِ حَتَّى افْتَتَحَ قُرَيْظَةَ وَالنَّضِيرَ، وَإِنَّ أَهْلِي أَمَرُونِي أَنْ آتِي النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَأَسْأَلَهُ الَّذِينَ كَانُوا أَعْطَوْهُ أَوْ بَعْضَهُ. وَكَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم قَدْ أَعْطَاهُ أُمَّ أَيْمَنَ [أُمَّ أسامةَ بنِ زيد]، فَجَاءَتْ أُمُّ أَيْمَنَ فَجَعَلَتِ الثَّوْبَ فِي عُنُقِي تَقُولُ: كَلاَّ وَالَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لاَ يُعْطِيكَهُمْ وَقَدْ أَعْطَانِيهَا، **أَوْ كَمَا قَالَتْ**، وَالنَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: "لَكِ كَذَا". وَتَقُولُ: كَلاَّ وَاللَّهِ. حَتَّى أَعْطَاهَا، حَسِبْتُ أَنَّهُ قَالَ: "عَشَرَةَ أَمْثَالِهِ". **أَوْ كَمَا قَالَ.**[2]

ونرى دقة سيدنا أنس في أنه دقيق في النقل سواء كان الذي ينقل عنه النبي صلى الله عليه وسلم، وهو الذي يُبنى على كلامه تشريعٌ، أو كانت أمَّ أيمن رضي الله عنها.

ولذا رأينا **ابن حجر** يقول تعليقًا على (أو كما قالت): "إشارة إلى شكٍّ وقع في اللفظ مع حصول المعنى".[3]

وبالنسبة لقوله (أو كما قال)، فتوضحه رواية الإمام مسلم بن الحجّاج، حيث ورد فيها: "أَعْطَاهَا عَشْرَةَ أَمْثَالِهِ أَوْ قَرِيبًا مِنْ عَشْرَةِ أَمْثَالِهِ".[4]

المعنى العامُّ للحديث:

"أن الأنصار كانوا واسوا المهاجرين بنخيلهم لينتفعوا بثمرها، فلما فتح الله النضير ثم قريظة قسم [الرسول صلى الله عليه وسلم] في المهاجرين من غنائمهم فأكثر، وأمرهم بردِّ ما عندهم للأنصار لاستغنائهم عنه، ولأنهم لم يكونوا ملكُوهم رقاب ذلك، وامتنعت أم أيمن من ردِّ ذلك ظنًّا أنها ملكت الرقبة، فلاطفها النبي صلى الله عليه وسلم لما كان لها عليه من حقِّ الحضانة حتى عوضها عن الذي كان بيدها بما أرضاها".[5]

---

(1) تدريب الراوي، ص 384، والمقدمة، ص 126.

(2) صحيح البخاريّ (112/5)، كتاب المغازي، باب مرجع النبي صلى الله عليه وسلم من الأحزاب، ومخرجه إلى بني قريظة ومحاصرته إياهم. من طريق مُعْتَمِرٍ عن أَبِيه عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه به.

(3) فتح الباري (582/7).

(4) صحيح مسلم، ص 894 رقم 4495، كتاب الجهاد والسير، باب رد المهاجرين إلى الأنصار منائحهم من الشجر والثمر حين استغنوا عنها بالفتوح. من طريق مُعْتَمِرِ بْنِ سُلَيْمَانَ التَّيْمِيُّ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَنَسٍ به.

(5) فتح الباري (582/7).

2. عن أَبِي عُثْمَانَ رضي الله عنه قَالَ: أُنْبِئْتُ أَنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَام أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعِنْدَهُ أُمُّ سَلَمَةَ فَجَعَلَ يُحَدِّثُ ثُمَّ قَامَ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأُمِّ سَلَمَةَ: "مَنْ هَذَا" **أَوْ كَمَا قَالَ،** قَالَ قَالَتْ: هَذَا دِحْيَةُ [ابن خليفة الكلبي]، قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: أَيْمُ اللَّهِ مَا حَسِبْتُهُ إِلَّا إِيَّاهُ حَتَّى سَمِعْتُ خُطْبَةَ نَبِيِّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُخْبِرُ جِبْرِيلَ **أَوْ كَمَا قَالَ،** قَالَ [سليمان بن طرخان] فَقُلْتُ لِأَبِي عُثْمَانَ: مِمَّنْ سَمِعْتَ هَذَا، قَالَ: مِنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ.[1]

وهناك إضافة نوعية من **ابن حجر** رحمه الله في سياق الاستيثاق والمبالغة في التأكد من الخبر: "قوله (مِمَّنْ سَمِعْتَ هَذَا، قَالَ: مِنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ) فيه الاستفسار عن اسم من أُبهِمَ من الرواة ولو كان الذي أَبهَمَ ثقةً معتمَدًا، وفائدته احتمال أن لا يكون عند السامع كذلك، ففي بيانه رفعٌ لهذا الاحتمال.[2]

فائـــدة: استفهم النبيُّ صلى الله عليه وسلم أمَّ سلمة عن الذي كان يحدثه هل فطنت لكونه ملكًا أو لا، ... وقد كان جبريل يأتي غالبًا على صورة دحية بن خلف الكلبي.[3]

*** ثانيا (أو نحـــوه):**

1. عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: اتَّبَعْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم وَخَرَجَ لِحَاجَتِهِ، فَكَانَ لاَ يَلْتَفِتُ فَدَنَوْتُ مِنْهُ فَقَالَ: "ابْغِنِي[4] أَحْجَارًا أَسْتَنْفِضْ[5] بِهَا – **أَوْ نَحْوَهُ** – وَلاَ تَأْتِنِي بِعَظْمٍ وَلاَ رَوْثٍ" . فَأَتَيْتُهُ بِأَحْجَارٍ بِطَرَفِ ثِيَابِي فَوَضَعْتُهَا إِلَى جَنْبِهِ وَأَعْرَضْتُ عَنْهُ، فَلَمَّا قَضَى أَتْبَعَهُ بِهِنَّ.[6]

فائدة: وفي الحديث جواز اتباع السادات وإن لم يأمروا بذلك، واستخدام الإمام بعض رعيته، والإعراض عن قاضي الحاجة، والإعانة على إحضار ما يُستنجي به وإعداده عنده.[7]

2. عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يُصَلِّي الْعَصْرَ وَالشَّمْسُ مُرْتَفِعَةٌ حَيَّةٌ[8]، فَيَذْهَبُ الذَّاهِبُ إِلَى الْعَوَالِي[9]، وَبَعْضُهَا عَلَى أَرْبَعَةِ أَمْيَالٍ **أَوْ نَحْوِهِ.**[10]

---

(1) صحيح البخاريّ (206/4)، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام. من طريق مُعْتَمِرٍ عن أَبِيه – سليمان بن طرخان – عن أَبِي عُثْمَانَ [عبد الرحمن بن ملّ] به. وجاء نحوه في كتاب فضائل القرآن من صحيح البخاريّ (182/6)، باب كيف نزل الوحي ؟ وأول ما نزل.

(2) فتح الباري (849/8).

(3) انظر: نفسه (848/8).

(4) يقال **ابْغِني:** كذا بهمزة الوصل أي اطْلُب لي وأبْغِني بهمزة القطع أي أعِنّي على الطلب. (376/1).

(5) أي أَسْتَنْجي بها وهو من نفْض الثوب لأنَّ المُسْتَنْجِيَ يَنْفُض عن نفْسه الأذَى بالحَجر: أي يُزيلُه ويَدفعُه. (النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير (206/5)، وفي **الفتح:** الاستنفاض الاستخراج، ويُكنى به عن الاستنجاء. (374/1).

(6) صحيح البخاريّ (42/1–43)، كتاب الوضوء، باب الاستنجاء بالحجارة. من طريق عَمْرِو بْنِ يَحْيَى بْنِ سَعِيدِ بْنِ عَمْرٍو الْمَكِّيِّ عَنْ جَدِّهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ به.

(7) فتح الباري (374/1).

(8) **والشمس حية:** أي بيضاء نقية. (فتح الباري (40/2). وفيه إشارة إلى قوة أثرها حرارة ولونًا وشعاعًا وإنارة.

(9) **العوالي:** عبارة عن القرى المجتمعة حول المدينة من جهة نجدها. (فتح الباري (42/2).

(10) انظر: صحيح البخاريّ (115/1)، كتاب مواقيت الصلاة، باب وقت العصر، من طريق الزهريّ عن أنس به.

وبمراجعة فتح الباري يتضح لنا لماذا قال الراوي (أو نحوه)، حيث يقول **ابن حجر**: "فتحصَّل من ذلك [الروايات التي ذكرت أبعادًا مختلفة للأميال المذكورة] أن أقرب العوالي من المدينة مسافة ميلين، وأبعدها مسافة ستة أميال".[1]

فائدة: في الحديث دليل على "تعجيله صلى الله عليه وسلم لصلاة العصر".[2]

3. عَنْ عُقْبَةَ بْنِ الْحَارِثِ قَالَ تَزَوَّجْتُ امْرَأَةً فَجَاءَتِ امْرَأَةٌ فَقَالَتْ: إِنِّي قَدْ أَرْضَعْتُكُمَا. فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: "وَكَيْفَ وَقَدْ قِيلَ. دَعْهَا عَنْكَ" **أَوْ نَحْوَهُ.**[3]

وسبب قول الراوي هنا: (أو نحوه)، ما بيّنه الحافظُ **ابنُ حجر** في فتحِه حين قالَ: "في روايةِ النكاحِ "دعها عنك" حسب، زادَ الدارقطنيُّ في روايةِ أيوبَ في آخرِه: "لا خيرَ لك فيها"، وفي الباب الذي قبله "فنهاه عنها"، زاد في الباب المشار إليه من الشهادات "ففارقها ونكحت زوجً غيره".[4]

وهو ما يدلُّ على عظمة الدقة في نقل الكلام، وحال النقل تكون الكلمات المختارة دالّة على مقام الزيادة أو النقض.

ويندرج تحت مسألة الرواية بالمعنى شيءٌ هامٌّ جدًا، وهو أن الكلام الصادر عن السياسي أو الإعلامي صاحب الخبر قد يكون على ضربين: فإما أن يكون قاصدَه ومريدَه مباشرة وربما كان له في ذلك مقالاتٌ ومكتوباتٌ، وإما أن يكون صادرًا عنه في حديث خاص بينه وبين بعض مقربيه ومحبيه الصحافيين، فإن كان كذلك وجب على أولئك ألا يخرجوا شيئًا إلا بإذنه وأن يعرف ما الذي سيخرج عنه تحديدًا قبل نزوله إلى ميدان معرفة الناس به. ولعلنا استفدنا هذه الجزئية من باب التحديث في المذاكرة.

يقول الخطيب: "إذا أورد المحدِّثُ في المذاكرة شيئًا أراد السامع له أن يدونه عنه، فينبغي له إعلام المحدِّث ذلك، ليتحرى في تأدية لفظه وحصر معناه"... وكان عبد الرحمن بن مهدي يحرِّج على أصحابه أن يكتبوا عنه في المذاكرة شيئًا".[5]

وتأسيسًا على ذلك جعلوا لهذه القضية صيغة لإظهار طريق التحمل الذي جاء به الكلام مذاكرةً. يقول البغدادي: "واستُحِبَّ لمن حفظ عن بعض شيوخه في المذاكرة شيئًا وأراد روايته عنه أن يقول: حدثَناه في المذاكرة. فقد كان غيرُ واحدٍ من متقدمي العلماء يفعل ذلك".[6]

---

(1) فتح الباري، (42/2).

(2) نفسه (42/2).

(3) صحيح البخاريّ (173/3)، كتاب الشهادات، باب شهادة المرضعة. من طريق ابْنِ أَبِى مُلَيْكَةَ عَنْ عُقْبَةَ به.

(4) فتح الباري (381/5).

(5) الجامع (36/2-37).

(6) نفسه (37/2).

المطلب الخامس/ مراجعة النصّ المكتوب:

وهذه الحلقة تأتي لإتمام النسق المتكامل لتدقيق الكتابة وإخراج المكتوب بالصورة الصحيحة الصائبة، وربما كان النصح أن يراجع النصوص من لم يكتبها، لأن الذي يكتب ربما لا يلتفت إلى الأخطاء بسبب عيشه مع ما يكتب، أو أنه يقرأ من ذاكرته أحياناً وليس مما هو مسودٌ على الأوراق، فتلتبس عليه الأمور وتختلط.

ومن مظاهر اهتمام المحدِّثين دقتهم الكبيرة في استخدام عدة وسائل متميزة في مراجعة النصوص، نوضحها في سياق ما يأتي:

*** ينبغي أن يجعل بين كل حديث دائرة (الفصل بين كل عنوان والآخر)[1]:**

يقول الخطيب: "رأيتُ في كتاب أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بخطِّه بين كل حديثين دارة، وبعض الدارات قد نقط في كل واحدة منها نقطة، وبعضها لا نقطة فيه. فاستُحبَّ أن تكون الدارات غُفلا، فإذا عورض بكل حديث نَقَطَ في الدارة التي تليه نقطة، أو خطَّ في وسطها خطًّا".[2]

وهذا ما يجعلنا نقول وبصراحة واضحة: إن المحدِّثين أول من التفتوا إلى قضية علامات الترقيم، وأثرها في جمال الكتابة وتأثيرها على فهم القارئ، وهذا الأثر الذي ذكرناه يفيدنا في جانب المسوَّدات وإعادة ترتيبها وتنظيمها وإصلاح أخطائها، وأنه لا يصحُّ نشر ما لم يتم التأكد من صلاحه وإصلاحه.

*** تخريج الساقط "اللَّحَق" (الإشارة إلى الساقط من الكلام بوسيلة ما):**

يقول النووي: "المختار في تخريج الساقط وهو اللَّحَق (بفتح اللام والحاء) أن يخطَّ من موضع سقوطه في السطر خطًّا صاعدًا معطوفًا بين السطرين عطفة يسيرة إلى جهة اللحق".[3]

وربما كانت هناك حاجة لإضافة معنى جديد أو أمر متصل بجزئية ذي بال، فيقوم كاتب النصّ حينها بعمل الحاشية، وهي على ضربين كما أشار **النووي:** "وأما الحواشي من غير الأصل، كشرحٍ، وبيانِ غلطٍ، أو اختلاف رواية، أو نسخةٍ ونحوِه، فقال **القاضي عياض:** لا يخرَّج له خط، والمختار استحباب التخريج من وسط الكلمة المخرَّج لأجلها".[4]

وهذا يدلُّ على عظيم اهتمامهم بعدم التلاعب بالنصّ المنقول، مع تسليمهم أن الخطأ البشريَّ واردٌ، فهم يشيرون إلى السقط ويلحقونه بالأصل بأدوات معروفة لدى الورَّاقين والقرَّاء، لكي يستفيد الناسخون بعد ذلك من هذه الإشارات بجعل الكتاب يظهر على الصورة التي أريد له ابتداءً أن يكون عليها، أما في وقتنا المعاصر، فإن استخدام الحاسوب وفّر علينا مساحة كبيرة من ذاك مع إمكاناته الهائلة في التعديل والتصويب.

---

(1) انظر: مقدمة ابن الصلاح، ص 110.

(2) الجامع (273/1).

(3) تدريب الراوي، النووي، ص 366.

(4) نفسه، ص 367.

*** التصحيح والتضبيب:**

"**التصحيح** كتابة (صح) على كلامٍ صحَّ روايةً ومعنىً، وهو عرضة للشكِّ أو الخلاف".[1]

التضبيب (التمريض):

يجعل على ما صحّ وروده من جهة النقل.. غير أنه فاسد لفظًا، أو معنىً، أو ضعيف، أو ناقص، مثل أن يكون غيرَ جائزٍ من حيثُ العربية، أو أن يكون شاذًا عند أهلها يأباه أكثرهم، أو مصحفًا، أو ينقص من جملة الكلام كلمة، أو أكثر، وما أشبه ذلك، فيُمَدُّ على ما هذا سبيله خطٌّ، أوله مثل الصاد [أي هكذا: صـ] ولا يُلزَق بالكلمة المعلَّمِ عليها، كيلا يُظَّن ضربًا ....[2]

الضرب: نوع من أنواع حذف الحروف أو الكلمات وربما كان طمسًا أو كشطًا، **يقول ابن الصلاح:** "رُوِّينا عن أبي محمد بن خلاد قال: "أجود الضرب أن لا يطمس المضروب عليه، بل يخطَّ من فوقه خطًّا جيدًا بيّنًا يدل على إبطاله، ويقرأ من تحته ما خُطَّ عليه".[3]

يقول البغداديُّ: "وإذا كرَّر – الراوي – في الخطِّ كلمةً ليس من شأنها التكرار، فكتبها مرتين، ضرب على إحداهما".[4]

التضبيب: سبب تسميتها كما **قال ابن الصلاح:** "لأنها لمّا كانت على كلام فيه خلل أشبهت الضبَّة التي تُجعل على كسر أو خلل، فاستُعير لها اسمها، ومثل ذلك غير مستنكر في باب الاستعارات".[5]

"ومن مواضع التضبيب أن يقع في الإسناد إرسالٌ، أو انقطاع، فمن عادتهم تضبيب موضع الإرسال والانقطاع".[6]

*** قضية الأخذ من الصحف والكتب مباشرة:**

لم يرَ ابنُ الصلاح جواز ذلك[7]، وجاء في الكفاية: لا تأخذوا العلم من الصحفيين، وقالوا: لا يفتي الناسَ صُحُفِيّ ولا يقرئهم مصحفيّ.[8]

وهذا في قمة الدقة وبهاء الصورة النهائية للخبر المنقول، إذ لن يكون عند الراوي على تلك الشاكلة غير المقبولة ضمانٌ بأن تكون روايته حينئذ سليمة من الشوائب والزوائد أو النواقص، وهذا مفروغٌ منه، والله أعلم.

---

(1) السابق، ص 367.

(2) المقدمة، لابن الصلاح، ص 116.

(3) نفسه، ص 117.

(4) الجامع (376/1).

(5) المقدمة، ص 116.

(6) نفسه، ص 116.

(7) انظر: السابق، ص 124، وكذا قال النووي في التدريب، ص 379.

(8) انظر: الكفاية في علم الرواية، الخطيب البغداديّ، ص 478–479.

*** مسألة اختصار الحديث، ورواية بعضه دون بعضه:**

يجوز من العالم العارف، إذا كان تركه متميزًا عمّا نقله غير متعلق به، بحيث لا يختلّ البيان، ولا تختلف الدلالة فيما نقله بترك ما تركه، فهذا ينبغي أن يجوز.. لأن الذي نقله والذي تركه بمنزلة خبرين منفصلين في أمرين لا تعلق لأحدهما بالآخر.[1]

قلت: ومن باب المشاكلة أن الراوي إذا كان واقعًا في دائرة عدم الاحتجاج بكلامه إذا روى أثرًا بمعناه، كان له نفس الحكم من اختصار الحديث تمامًا بتمام وهاء بهاء.

*** مسألة نقل الخبر عن جماعة تفاوتت ألفاظهم وتشابه معنى مقصودهم:**

إذا كان الحديث عند الراوي عن اثنين، أو أكثر، وبين روايتهما تفاوت في اللفظ والمعنى واحدٌ، كان له أن يجمع بينهما في الإسناد، ثم يسوق الحديث على لفظ أحدهما خاصة، ويقول: (أخبرنا فلانٌ وفلانٌ، واللفظ لفلان، أو هذا لفظ فلان قال: أو قالا أخبرنا فلان)، وما أشبه ذلك من العبارات.[2]

وهاك دليلاً على ما سبق:

عَنِ الزُّهْرِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ عُرْوَةَ بْنَ الزُّبَيْرِ وَسَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ وَعَلْقَمَةَ بْنَ وَقَّاصٍ وَعُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ، كُلٌّ حَدَّثَنِي طَائِفَةً مِنَ الْحَدِيثِ قَالَتْ:...[3]

وهذا ما يعني أن عددًا من الإذاعات أو الفضائيات أو المقالات قد تروي نفس الخبر لكن تتعدد الألفاظ، فعلى ناقل الخبر حينذاك أن ينقل معنى الخبر الذي تواطأت عليه مجموعة إعلامية معينة، ثم يقول: ولكني نقلت الخبر بتمامه وتفاصيله من تلك الوسيلة الإعلانية، ليكون أصدق في الطرح وأدق عند المراجعة وما شاكل ذلك.

مثال تشخيصي تحليلي:

فلو نقلت فضائية ما أن هناك انفجارًا في حافلة في منطقة ما، وفي نفس السياق قالت إذاعة أن هناك عددًا من القتلى والجرحى في نفس المكان، وتوارد خبرٌ على الشبكة العنكبوتية أنه سُمِع دويُّ انفجار هائلٍ في تلك المنطقة، فربما تراءى أمام عقل السامع والمتابع صورة متكاملة من أن هناك انفجارًا في حافلة في مكان كذا خلّف عددًا من الجرحى والقتلى، أي أنه جمع كل ما سمعه ليكون الشكل النهائي لمجموع أجزاء الخبر الذي تابعه، وهذا غير دقيق اللهم إلا إذا رُوِي بصيغة التمريض، لأن تلك الأخبار قد تكون منفصلة عن بعضها وإن كان الحدث في نفس المكان، فالقتلى والجرحى ربما يكونون نتيجة خلاف شديد بين جهتين وصادف أن وقع في نفس المكان انفجارٌ وهكذا. والمراد بشكلٍ عام أن من أراد أن ينقل خبرًا معينًا سمعه من مراسليْن أو أكثر يتبعون لمؤسسات إعلامية مختلفة، فعليه أن يراعي في

---

(1) مقدمة ابن الصلاح، 127.

(2) نفسه، ص 131.

(3) صحيح البخاريّ، كتاب الجهاد والسير (33/4)، باب حمل الرجل امرأتَه في الغزو دون بعض نسائه. من طريق عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ النُّمَيْرِيُّ عن يُونُسَ عن الزُّهْرِيِّ به.

المنتهى أن المتابع له عليه أن يعرف مصدر المعلومة وإطارها التفصيلي لنوكلَ إليه في المنتهى قضية الحكم على المسموعات. والله أعلم

وهذا ما يجعلنا نفهم قول **الخطيب:** "ويُستحبُّ لمن حفظَ عن شيخٍ حديثًا أن يعرضَه عليه، ليصححه له، ويردَّه عن خطأ، وإن كان سبق إلى حفظه إياه".[1]

كما دلَّ كلُّ ما أشرنا إليه إلى وجوب التحري وأخذ المعلومة من مصدرها، لاستلامها ونشرها كما هي، لأن الانشغال عنها بأي عمل يجعل المشغول في درجة أدنى من المتحري. وذلك فيما سيبينه لنا بعد قليل الصحابيُّ الجليلُ أبو هريرة رضي الله عنه من أن إخوانه المهاجرين كانوا مشغولين بالتجارة، والأنصار اهتموا بتنمية أموالهم وزروعهم، أما هو فقد لازم النبيَّ صلى الله عليه وسلم كظله، ولم يبالِ لا بجوعته ولا لبسته، فقال: "إِنَّ النَّاسَ يَقُولُونَ أَكْثَرَ أَبُو هُرَيْرَةَ، وَلَوْلاَ آيَتَانِ فِي كِتَابِ اللَّهِ مَا حَدَّثْتُ حَدِيثًا، ثُمَّ يَتْلُو: "إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ" إِلَى قَوْلِهِ "الرَّحِيمُ"، إِنَّ إِخْوَانَنَا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ كَانَ يَشْغَلُهُمُ الصَّفْقُ بِالأَسْوَاقِ، وَإِنَّ إِخْوَانَنَا مِنَ الأَنْصَارِ كَانَ يَشْغَلُهُمُ الْعَمَلُ فِي أَمْوَالِهِمْ، وَإِنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ كَانَ يَلْزَمُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِشِبَعِ بَطْنِهِ وَيَحْضُرُ مَا لاَ يَحْضُرُونَ، وَيَحْفَظُ مَا لاَ يَحْفَظُونَ.[2]

قوله **(ولولا آيتان):** "معناه: لولا أن الله ذمَّ الكاتمين للعلم ما حدَّث أصلا، لكن لما كان الكتمان حرامًا وجب الإظهار، فلهذا حصلت الكثرة لكثرة ما عنده".

ويأتي الإمام النووي في سرح مسلم ليؤكد على معنى ألا يكون النقلة زوامل أسفار يحملون الغثَّ والسمين، فذا مظنة الخطأ الكثير، وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ".[3]

ومثله ما روي عن **الإمام مالك** رحمه الله: "اعْلَمْ أَنَّهُ لَيْسَ يَسْلَمُ رَجُلٌ حَدَّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ وَلاَ يَكُونُ إِمَامًا أَبَدًا وَهُوَ يُحَدِّثُ بِكُلِّ مَا سَمِعَ".[4]

يقول النووي: "وأما معنى الحديث والآثار التي في الباب ففيها الزجر عن التحديث بكل ما سمع الإنسان، فإنه يسمع في العادة الصدق والكذب، فإذا حدَّث بكل ما سمع فقد كذب لإخباره بما لم يكن، وقد تقدم أن مذهب أهل الحق: أن الكذب الإخبار عن الشيء بخلاف ما هو، ولا يُشترط فيه التعمد، لكنَّ التعمدَ شرطٌ في كونه إثمًا. والله أعلم. أما قوله: (وَلاَ يَكُونُ إِمَامًا أَبَدًا وَهُوَ يُحَدِّثُ بِكُلِّ مَا سَمِعَ): "فمعناه أنه إذا حدَّثَ بكل ما سمع كثر الخطأ في روايته، فتُرِكَ الاعتمادُ عليه والأخذُ عنه".[5]

---

(1) الجامع (235/1).

(2) صحيح البخاريّ (35/1)، كتاب العلم، باب حفظ العلم. من طريق ابْنِ شِهَابٍ عَنِ الأَعْرَجِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ به.

(3) صحيح مسلم، ص13 رقم 7، المقدمة، باب النهي عن الحديث بكل ما سمع. من طريق خُبَيْبِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ حَفْصِ بْنِ عَاصِمٍ عن أبي هُرَيرَةَ به.

(4) صحيح مسلم، ص 14 رقم 10، المقدمة، باب النهي عن الحديث بكل ما سمع. من طريق ابْنِ وَهْبٍ عن مَالِكٍ.

(5) شرح النووي على مسلم (34/1).

مسألة التصحيف والتحريف:

وأما معنى التصحيف فهو كما قال **الخليل بن أحمد:** الصَّحفي الذي يروي الخطأ على قراءة الصحف باشتباه الحروف.[1]

المصحَّف: ما غُيِّر فيه النقط إما في الإسناد أو المتن، والمحرّف: ما غُيّر فيه الشكل مع بقاء الحروف.[2]

قلت: وينبغي الاهتمام لخطورة هذه المسألة، إذ إن بعض الكلمات إذا صُحِّفت من الممكن أن تقلب المعنى وتغيّر الأمر المراد توصيلُه، وهذا لا يتأتّى إلا باعتماد الكاتب الدقة والتأني في كتابة الأخبار وتدقيقها وفحصها قبل تصديرها لنور القراءة.

خلاصة المبحث الخامس:

تناولنا في هذا الفصل أهمية الكتاب في ميدان التوثيق، ومدى اعتناء العلماء بضبط الكلمات، وتحسين الخطّ وتجويده، ومقابلة الكتب بعضها ببعض لإخراج نسخٍ طبق الأصل عن الكتاب الأمّ، ورأينا كيف كان تحرّيهم في رواية الحديث بالمعنى ووضعوا لذلك شروطاً ضابطة وناظمة حتى لا يُقوّل رسولنا صلى الله عليه وسلم ما لم يقلْه.

وبعد ذلك كلِّه تأتي مراجعة النصِّ المكتوب والتأكد من صلاحيته للنشر، وعدم وجود الأخطاء فيه، معرِّجين على خطورة التصحيف والتحريف، وكثرة وقوعه عند الكتابة، وجلَّ من لا يخطئ.

وبعد ختامنا المبحث الأخير في الفصل الأول، ننتقل إلى الفصل الثاني، ويتحدث عن الإعلام النبوي ومبادئه وخصائصه وأشكاله.

(1) انظر: تصحيفات المحدثين، لأبي هلال العسكري، ص 8.

(2) انظر: قواعد في علوم الحديث، التهانوي، ص 40-41.

الفصل الثاني:

الإعلام النبوي (مبادئه وخصائصه وأشكاله)

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: هيئة النبيّ صلى الله عليه وسلم الإعلامية

المبحث الثاني: مبادئ الإعلام النبويّ

المبحث الثالث: خصائص الخطاب النبوي الإعلاميّ

المبحث الرابع: أشكال الإعلام في العهد النبويّ

المبحث الأول:

هيئة النبيّ صلى الله عليه وسلم الإعلامية

وفيه أربعــة مطالب:

المطلب الأول: المظهر النبــوي الإعلامـــي العام.

المطلب الثاني: هيئـــــة جلـــــوس الإعلامـــــي.

المطلب الثالث: درجة الصوت وحالته للإعلامـــي.

المطلب الرابع: عوامل التعبير الإعلامية المساعدة.

المبحث الأول:

هيئة النبيّ صلى الله عليه وسلم الإعلامية

تمهيدٌ إشاريّ:

جاء في "الجامع لأخلاق الراوي": وينبغي للمحدِّث أن يكون في حال روايته على أكمل هيئته، وأفضل زينته، ويتعاهد نفسه بإصلاح أموره التي تجمِّلُه عند الحاضرين من الموافقين والمخالفين.[1]

قلتُ: وهذا ما يجب للإعلامي والصحافيّ والسياسيّ ومن كان واجهة لأي تجمع أو مؤسسة أو هيئة، وأن يراعي الجمال ويتحرى النظافة والترتيب دومًا.

فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ أن رجلا قال للنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً. قَالَ: "إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ[2] وَغَمْطُ النَّاسِ[3]".[4]

والمعنى العام: أنه إذا لم يكن المقصود من التجمّل احتقار الناس والنظر إليهم بأنف مرتفع، فلا حرج من لبس الثوب الحسن والاستعطار والامتشاط وما إلى ذلك.

يقول محمود الزهار: ولا يجوز للضيف [الإعلامي] أن يهمل مظهره، وملبسه، بل إنه ملزمٌ في بعض المقابلات، خاصةً مع وسائل الإعلام الغربية بارتداءِ الملبس الجميل، وربطةِ العنق المناسبة، لأن الصهاينةَ وأعداءَ العرب والمسلمين يصورون العروبةَ والإسلامَ كأنها جملٌ في صحراء، وسيفٌ ملطخ بالدماء.[5]

ومن هنا نرى أن هناك هيئةً كان النبي صلى الله عليه وسلم يختارها، بل ويحرص عليها من أجل أن تصل الرسالة المطلوبة على النحو المراد، ولم نره يومًا تجاهلها عليه السلام، مع الأخذ بعين الاعتبار أن الصفاتِ التي نذكرُها هي صفاتٌ مطّردةٌ فيه عليه السلام كأنهما شِقٌّ واحدٌ، وهنا جانبٌ من التفصيل وفيها أتناوله في **مطالب هذا المبحث:**

المطلب الأول/ المظهر النبوي الإعلامي العام:

النبيُّ صلى الله عليه وسلم قدوتنا في كل شيء، ومن ذلك اهتمامه بمظهره العامّ كونه لا يمثل نفسه، ومعرفته المتجذّرة في أن الظاهر ينبي عن الباطن، وأن الناس غالبًا تحكم على غيرها من خلال ما يبدو من لباس أو سلوك مرئيّ، وهذا ما دفعنا ولا شكّ لكي نرفع النقاب عن السلوك الإعلاميّ النبويّ المظهريّ وتطبيقاته العملية المستفادة على إعلاميينا المسلمين المعاصرين، وبشكل عام.

---

(1) للخطيب البغداديّ (373/1).

(2) **بَطِر الحق:** أنكره ولم يقبله. وبطر الشيء: كرهه دون أن يستحق كراهة. (المعجم الوسيط، ص 61)، **وبَطْرُ الحق:** "هو دفعُه وإنكارُه ترفعًا وتجبرًا". (شرح النوويّ على مسلم (275/2).

(3) **غَمْطَ النعمة والعافية:** عدمُ شكرِهما. (عين الفراهيديّ (292/3).

(4) صحيح مسلم، ص 66-67، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه. من طريق إِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ عَنْ عَلْقَمَةَ بنِ قيس عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ به.

(5) أصول المواجهة الإعلامية، محمود الزهّار، ص 121.

أولا/ وجهه الكريم وطلته المباركة وتأثيرها في الجمهور:

ففي البخاريِّ أن البراءَ رضي الله عنه وصف النبيَّ صلى الله عليه وسلم بأنه أَحْسَنُ النَّاسِ وَجْهًا وَأَحْسَنُهُ خَلْقًا، وسُئِلَ الْبَرَاءُ: أَكَانَ وَجْهُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم مِثْلَ السَّيْفِ؟ قَالَ: لاَ، بَلْ مِثْلَ الْقَمَرِ.[1]

وفي حديث جابر بن سمرة رضي الله عنه يقول:

كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَدْ شَمِطَ[2] مُقَدَّمُ رَأْسِهِ وَلِحْيَتِهِ، وَكَانَ إِذَا ادَّهَنَ[3] لَمْ يَتَبَيَّنْ وَإِذَا شَعِثَ[4] رَأْسُهُ تَبَيَّنَ، وَكَانَ كَثِيرَ شَعْرِ اللِّحْيَةِ، فَقَالَ رَجُلٌ: وَجْهُهُ مِثْلُ السَّيْفِ ؟ قَالَ: لاَ. بَلْ كَانَ مِثْلَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَكَانَ مُسْتَدِيرًا.[5]

وهذا يعني أن كلامه سيكون مقبولا لأن الوجه الحسن تعكس إشراقاته على قلب السامع قبولاً قبليًّا قلبيًّا ورضًا داخليًّا، فما بالكم عندما يكون النبي من انقطعت الألسنة عن وصف حقيقته جمالاً وجلالاً، ولنا أن نعرف ونتأكد أن هيئة الخطيب العربي المصقع[6] كانت كذلك، وفيها يقول **محمد أبو زهرة:** "لم يكن الخطيب العربي منفرًا في شكله، بل كان أقربَ إلى الجمال، والجمال من مظاهره في نظرهم سلامة الأسنان والفم، وقوة الجثمان، واستقامة القناة، فيكون كالرمح لا انحناء فيه، وبياض الوجه، ذو مهابة، وسمتٍ ووقارٍ وشرف، وبزةٍ حسنة، وحسبٍ ونسب، وفي الجملة فيه أكثرُ أوصافِ الخطيبِ الكامل".[7]

هذا وقد **كان النبي صلى الله عليه وسلم يتجه لمن يتحدَّث معه بكليّته ويعيره كامل اهتمامه،** مع استحضاره – باعتباره شخصية إعلامية – لطبيعة الحديث الدائر حوله خاصةً إذا كان له علاقةٌ مباشرةٌ به، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: بَيْنَمَا النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم فِي مَجْلِسٍ يُحَدِّثُ الْقَوْمَ جَاءَهُ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: مَتَى السَّاعَةُ ؟ فَمَضَى رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يُحَدِّثُ، فَقَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ: سَمِعَ مَا قَالَ، فَكَرِهَ مَا قَالَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ لَمْ يَسْمَعْ، حَتَّى إِذَا قَضَى حَدِيثَهُ قَالَ: "أَيْنَ أُرَاهُ السَّائِلُ عَنِ السَّاعَةِ ؟". قَالَ: هَا أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: "فَإِذَا ضُيِّعَتِ الأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ". قَالَ كَيْفَ إِضَاعَتُهَا قَالَ: "إِذَا وُسِّدَ الأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ".[8]

---

(1) صحيح البخاريّ (188/4) كتاب المناقب، باب ما جاء في صفة النبي صلى الله عليه وسلم. من طريق زُهَيْرٍ عَنْ أَبِى إِسْحَاقَ عن الْبَرَاءِ به.

(2) **شَمِطَ:** اختلط سواده ببياضه. (المعجم الوسيط، ص 494).

(3) اطّلى بالدهن. (المعجم الوسيط، ص 301).

(4) **شَعِثَ** الشعرُ شَعَثاً وشُعُوثةً: تغيّر وتلبَّد واتّسخ. (انظر: المعجم الوسيط، ص 484).

(5) صحيح مسلم، ص 1167 رقم 5978، كتاب الفضائل، باب شيبه صلى الله عليه وسلم. من طريق إِسْرَائِيلَ عَنْ سِمَاكٍ عن جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ به.

(6) هو البليغ الذي يتفنن في مذاهب القول. (المعجم الوسيط، ص 518).

(7) انظر: الخطابة "أصولها وتاريخها"، محمد أبو زهرة، ص 191–192.

(8) صحيح البخاريّ (21/1)، كتاب العلم، باب من سئِلَ عن علمٍ وهو مشتَغِلٌ في حديثه، فأتمَّ الحديث ثم أجاب السائل. من طريق هِلاَلِ بْنِ عَلِيٍّ عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ عن أبي هريرةَ به.

وفي ترجمةِ الحديثِ ما يؤكد مراعاةَ النبيّ صلى الله عليه وسلم عدم الانتقال من مناقشة قضية إلى أخرى إلا إذا أتمَّ معنى الأولى تمامًا مع إظهار كامل الاهتمام والمتابعة لأهلها، وأن يسجل على صفحة الذاكرة ما يدور حوله من أسئلة ذات بال للإجابة عليها بعد ذلك، أو يكون له أمينه الخاص الذي يكتب كل ما يُقال ويعرضه عليه بعد فراغه، ويظهر لنا أن الرسول عليه السلام يريد أن يعلمنا عدم الالتفات إلى ما يكون تجاهله من الأولى، فالرواية تخبرنا بأنه سمع سؤال الأعرابيّ، وهذا معناه أنه سمع طائفة المحللين الذين انقسموا إلى قائلين بأن سؤال الأعرابي أزعجه أو أنه لم يسمع سؤاله، ومع ذلك فقد تجاهل ذلك تمامًا لأنه ليس على مستوى الأهمية التي تجلب نفعًا أو تدفع ضررًا. والله أعلم

وكان صلى الله عليه وسلم يتبسم في وجه السائل:

عَنْ جَرِيرٍ رضي الله عنه قَالَ: مَا حَجَبَنِي النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم مُنْذُ أَسْلَمْتُ، وَلاَ رَآنِي إِلاَّ تَبَسَّمَ فِي وَجْهِي.[1]

ثانيًا/ لباسُه واهتمامُه به لأنه يمثل المسلمين:

ينبغي ملاءمةُ اللباسِ لمقتضى الحالِ والمناسبة، فالمظهرُ اللائقُ ينبئُ عن شخصيةٍ ذاتِ حسٍّ جماليّ يؤثرُ في مدى تقبّلِ المستمعِ للكلام، ويشيرُ إلى احترامِك لمقامِه.[2]

صفةُ قميصِه:

ما سنورده أدناه يشير إلى أن النبيّ صلى الله عليه وسلم لبس جميع لباس قومه، خلا ما كان محرمًا كالحرير:

لَبِسَ الجبةَ الشامية:

عَنْ مُغِيرَةَ بْنِ شُعْبَةَ رضي الله عنه قَالَ: كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ فَقَالَ: "يَا مُغِيرَةُ: خُذْ الْإِدَاوَةَ". فَأَخَذْتُهَا فَانْطَلَقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى تَوَارَى عَنِّي فَقَضَى حَاجَتَهُ وَعَلَيْهِ جُبَّةٌ شَأْمِيَّةٌ...[3]

قال ابن بطّال: فيه من الفقه إباحةُ لبس ثياب المشركين؛ لأن الشام كانت ذلك الوقت دارَ كفر، وكان ذلك في غزوة تبوك سنةَ تسعٍ من الهجرة، وكانت ثياب المشركين ضيقةَ الأكمام.[4]

---

(1) **متفقٌ عليه.**

أخرجه البخاري في صحيحه (24/8)، كتاب الأدب، باب التبسّم والضحك. ومسلم في صحيحه، ص 1231 رقم 6258، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل جرير بن عبد الله. كلاهما من طريق قَيْسِ بنِ أبي حازم حصين عَنْ جَرِيرٍ به.

(2) مهارات الاتصال، راشد علي عيسى، ص 96.

(3) صحيح البخاريّ (81/1)، كتاب الصلاة، باب الصلاة في الجبة الشامية. من طريق مسروقِ بنِ الأجدع عَنْ مُغِيرَةَ بْنِ شُعْبَةَ به.

(4) شرح صحيح البخاريّ (25/2).

وفي هذا توضيحٌ غاية في الأهمية، وهو أن الإعلاميَّ المعاصر يجوز له أن يلبس البدلة والبنطال وربطة العنق، ويختار من الملابس ما يكون ملائمًا لحال الناس، فالرسول صلى الله عليه وسلم لبس لباس الشآميين وهي دار كفر، ونخالفهم في بعض ذلك، بمعنى أن تكون أكمام ملابسنا واسعة وليست ضيقة كملابسهم، وما شاكل ذلك من دروب المخالفة، ولا عبرة بمن بدّع اللباس المسمّى بالإفرنجي استنادًا إلى هذا الدليل وما نفهمه في سياقه.

ولبس الثوبَ الأحمرَ:

قَالَ وهب بن عبد الله:.. وَخَرَجَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم فِي قُبّةٍ حَمْرَاءَ من أَدَم...".[1]

يقول ابن حجر: "يشير إلى جواز لباس الأحمر، والخلاف في ذلك مع الحنفية، فإنهم قالوا يُكره، وتأولوا حديث الباب بأنها كانت حلة من برود فيها خطوط حمر، ومن أدلتهم ما أخرجه أبو داود من حديث عبد الله بن عمرو قال: "مَرَّ عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم رَجُلٌ عَلَيْهِ ثَوْبَانِ أَحْمَرَانِ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ فَلَمْ يَرُدَّ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم عَلَيْهِ"، وهو حديثٌ ضعيفُ الإسناد".[2]

قلت: ولم يكن لباسه هذا أحمرَ خالصًا، بل ربما يكون خطوطًا حمراء في أحد أثوابه كما قال الأحناف. وبالإجمال فإن مشاهد وشواهد عصرنا الحاليّ تجعل من الصعب قبولُه من ذوي الهيئة والنُزُل الاعتباريّة، فهو – وبشكله الخالص – أقرب إلى لباس الصغار منه إلى لباس الكبار، وأدنى إلى حال الذين يحبون الشهرة من أهل الرزانة والعقل.

ولبسَ الأخضرَ:

عَنْ أَبِي رِمْثَةَ قَالَ: رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْطُبُ وَعَلَيْهِ بُرْدَانِ[3] أَخْضَرَانِ.[4]

---

(1) **متفقٌ عليه.**

أخرجه البخاريّ في صحيحه (84/1)، كتاب الصلاة، باب الصلاة في الثوب الأحمر. ومسلمٌ في صحيحه، ص 238 رقم 1007، كتاب الصلاة، باب سترة المصلي. كلاهما من طريق ابْن أَبِى زَائِدَةَ عَنْ عَوْنِ بْنِ أَبِى جُحَيْفَةَ عَنْ أَبِيهِ [وهب بن عبد الله] به. لكن جاء في حديث البراء بن عازبٍ عند البخاريّ أن النبيّ صلى الله عليه وسلم نَهَى عَنِ الْمَيَاثِرِ الْحُمْرِ وَالْقَسِّيِّ (اللباس، باب لبس القسيّ (151/7) "**والقسيّ**: ثيابٌ يُؤتى بها من مصر فيه حرير (شرح السنة، للبغويّ (23/12). وأرجعَ ابنُ حجر ذلك النهي إلى الزجر عن التشبه بالأعاجم (فتح الباري (434/10). "وأنه يجوز لباس الثياب الملونة للسيد الكبير والزاهد في الدنيا، والحمرة أشهر الملونات، وأجمل الزينة في الدنيا". (شرح البخاري لابن بطال (39/2).

(2) انظر: فتح الباري (704/1). **قلت:** والحديثُ في إسناده زاذان الكوفي هو أبو يحيى القتّات: ضعيف، وليّنه ابنُ حجر في التقريب (ص 1224 رقم 8512).

(3) البرد: كساء تلتحف به العرب. (العين للفراهيدي (128/1).

(4) سنن النَّسائي، ص 259 رقم 1572، كتاب صلاة العيدين، الزينة للخطبة للعيدين.

قال النّسائي: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ [بن عثمان العبديّ] قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ [بن مهديّ] قَالَ حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ إِيَادٍ [بن لقيط السدوسيّ] عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي رِمْثَةَ قَالَ:...

تخريج الحديث: أخرجه أحمد في مسنده (346/15) رقم 7316، مسند أبي رمثة. وأبو داود في سننه، ص 750 رقم 4206، كتاب الترجل، باب في الخضاب. والترمذي في سننه، ص 629 رقم 2812، كتاب الأدب، باب في الثوب الأخضر. ثلاثتهم بنفس طريق حديث الباب.

قال ابنُ بطال: الثيابُ الخضرُ من لباسِ أهلِ الجنة، قال تعالى "وَيَلْبَسُونَ ثِيَاباً خُضْراً مِنْ سُـنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ"[1]، وكفى بهذا شرفًا للخضرة وترغيبًا فيها.[2]

وكان يفضل اللباس الأبيضَ:

فَعَن أَبَي ذَرٍّ رضي الله عنه قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم وَعَلَيْهِ ثَوْبٌ أَبْيَضُ ...[3]

قال ابن بطّال: الثياب البيض من أفضل الثياب، وهو لباس الملائكة الذين نصروا النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد وغيره.. وكان عليه السلام يلبس البياض ويفضله، ويحض على لباسه الأحياء، ويأمر بتكفين الأموات فيه.[4]

وفي الحديث الحسن عند الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "الْبَسُوا مِنْ ثِيَابِكُمُ الْبَيَاضَ فَإِنَّهَا مِنْ خَيْرِ ثِيَابِكُمْ وَكَفِّنُوا فِيهَا مَوْتَاكُمْ".[5]

الحكم على الحديث: إسناده صحيح؛ رواته ثقات، وهم على النحو الآتي:

رجال الحديث: مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، وعَبْدُ الرَّحْمَنِ بن مهدي، وإياد بن لقيط: ثقات

انظر: التقريب (ص 828 رقم 5791)، (تقريب التهذيب، ص 601 رقم 4044)، (تقريب التهذيب، ص 156 رقم 587).

عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ إِيَادٍ: وثقه ابنُ معين، والعجليّ. (معرفة الثقات (108/2) رقم 1150)، والنسائيُّ (تهذيب التهـذيب (5/3-6)، وابنُ شاهين (تاريخ أسماء الثقات، ص 237 رقم 902)، وذكره ابن حبّان في "الثقات" (142/7) رقم 9378)، وقال ابـنُ حجرٍ في "التقريب: صدوق، ليّنه البزّار وحده. مات سنة تسع وستين. (ص 636 رقم 4305).

قلت: هو ثقة. والله أعلم. **لذا فالحديث إسناده صحيح.**

(1) الكهف: 31.

(2) شرح صحيح البخاريّ (102/9).

(3) **متفقٌ عليه.**

أخرجه البخاريّ في صحيحه (149/7)، كتاب اللباس، باب الثياب البيض. ومسلم في صحيحه، ص 68 رقم 175، كتـاب الإيمان، باب من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة، ومن مات مشركًا دخل النار. كلاهما من طريق عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُرَيْـدَةَ عَنْ يَحْيَى بْنِ يَعْمَرَ عن أَبِي الأَسْوَدِ الدِّيلِيِّ عن أبي ذر به.

(4) شرح صحيح البخاري (104/9).

(5) سنن الترمذي، ص 237 رقم 994، كتاب الجنائز، باب ما يُستحب من الأكفان. (قلت: سكت عنه الترمذيّ).

قال الترمذي: حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ [بن سعيد] حَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ الْمُفَضَّلِ [بن لاحق الرقاشيّ] عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُثْمَانَ بْنِ خُثَيْمٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ:...

تخريج الحديث: أخرجه أحمد في مسنده، مسند عبد الله بن العباس (283/5) رقم 2257. وأبو داود في سـننه، ص 696 رقم 3878، كتاب الطبّ، باب في الأمر بالكحل. وابن حبّان في صحيحه، كتاب اللباس وآدابه، باب الأمر بلبس البياض من الثياب إذ البيض منها خير الثياب، (380/22) رقم 5514. والطبراني في المعجم الكبير (211/10) رقم 12319. والبيهقي في سننه، كتاب الجمعة، باب خير ثيابكم البياض (384/2) رقم 6181، وكذا في شعب الإيمان، باب في الملابس والـزيّ والأواني، فصل في ألوان الثياب (319/13) رقم 6049. جميعهم من طريق عَبْدِ اللَّهِ بن عُثْمَانَ به بألفاظ متفاوتة.

كما أن للحديث شاهدًا عند أحمد في مسنده (450/43) رقم 20638، والنسائي في سـننه، ص 305 رقـم 1896، كتـاب الجنائز، باب أي الكفن خير، كلاهما من حديث سمرة بن جندب به.

الحكم على الحديث: إسناده حسن (فيه عبد الله بن عثمان) يرتقي للصحيح لغيره، ورجاله على النحو الآتي:

ولبس الجبةَ الصوفَ في الغزوِ:

فَعَن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قَالَ: كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ذَاتَ لَيْلَةٍ فِي سَفَرٍ... فَغَسَلَ وَجْهَهُ وَيَدَيْهِ، وَعَلَيْهِ جُبَّةٌ مِنْ صُوفٍ .."[1].

وكان يلبس البُردة والشَّمْلَة:

فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: كُنْتُ أَمْشِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الْحَاشِيَةِ.."[2].

وقد تطلق الشّملة على البردة:

ففي حديث سهل بنِ مالكٍ رضي الله عنه: أَنَّ امْرَأَةً جَاءَتْ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِبُرْدَةٍ مَنْسُوجَةٍ فِيهَا حَاشِيَتُهَا: "أَتَدْرُونَ مَا الْبُرْدَةُ ؟" قَالُوا: الشَّمْلَةُ. قَالَ: "نَعَمْ" .."[3].

رجال الحديث: قتيبة بن سعيد، وبشر بن المفضل وسعيد بن جبير: ثقات.

انظر: التقريب (ص 799 رقم 5557)، (تقريب التهذيب، ص 171 رقم 710)، (تقريب التهذيب، ص 374 رقم 2291).

عبد الله بن عثمان بن خثيم: وثقه ابن سعد، وقال: له أحاديث حسنة. (487/5)، والعجليّ (معرفة الثقات (46/2) رقم 931)، وذكره ابن حبّان في "الثقات" وقال: كان يخطئ. (34/5) رقم 3713)، وذكره الذهبيّ في "من تُكُلِّم فيه وهو موثَّق" ونقل عن ابن معين قوله: ثقة حجة، وقال مرة: أحاديثه ليست بالقوية. (ص 111).

وقال أبو حاتم: ابن خثيم ما به بأس، صالح الحديث، وقال في أخرى: لا يُحتجّ به. (الجرح والتعديل (111/5) رقم 510)، وقال العقيليّ: كان يحدث عن الرجل بالحديث والشيء، لا يحدث بحديثه كله. وكان يحيى وعبد الرحمن لا يحدّثان عن ابن خثيم. (الضعفاء، ص 680)، وقال ابن المديني: منكر الحديث. (تهذيب التهذيب (383/2)، وضعّفه الدارقطني في "الإلزامات والتتبع" (ص 352 حديث رقم 192). وقال ابن عديّ: ولابن خثيم أحاديث، وهو عزيز الحديث، وأحاديث حسان مما يجب أن نكتب عنه. (الكامل في الضعفاء، لابن عديّ (266/5–268)، وقال النسائي: ليّن الحديث. (ميزان الاعتدال (144/4) رقم 4447)، ووثقه مرة، وقال مرة: ليس بالقويّ. (تهذيب التهذيب (383/2)، وقال ابنُ حجر في "التقريب": صدوق، من الخامسة، مات سنة اثنتين وثلاثين. (ص 526 رقم 3489).

قلت: واختلاف العلماء فيه بين توثيق وتضعيف مع ترجيح كفّة التضعيف أحيانًا، يجعلنا نقول أن كلام ابن حجر فيه دقيقٌ، فهو صدوق، والله أعلم.

(1) **حديثٌ متفقٌ عليه.**

أخرجه البخاريّ في صحيحه (144/7)، كتاب اللباس، باب لُبس جُبَّةِ الصُّوف في الغزو .ومسلم في صحيحه، ص 151 رقم 517، كتاب الطهارة، باب المسح على الخفّين. كلاهما من طريق الشعبي عن عروة بن المغيرة بن شعبة عن أبيه به.

(2) **حديثٌ متفقٌ عليه.**

أخرجه البخاريّ في صحيحه (146/7)، كتاب اللباس، باب البُرُود والحِبَرة والشَّمْلة. ومسلم في صحيحه، ص 477 رقم 2318، كتاب الزكاة، باب إعطاء من سأل بفحش وغلظة. كلاهما من طريق مَالِك بْنِ أَنَسٍ عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ عن أنسٍ به.

(3) صحيح البخاريّ (78/2)، كتاب الجنائز، باب من استعدَّ الكفنَ في زمن النبي صلى الله عليه وسلم فلم ينكر عليه. من طريق أَبِي حَازِمٍ عَنْ سَهْلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ به. **ويقول ابن حجر:** "وفي تفسير الشملة بالبردة تجوُّزٌ، لأن البردة كساء والشملة ما يُشتمل به، فهي أعمّ، لكن لما كان أكثر اشتمالهم بها أطلقوا عليها اسمها". (فتح الباري (209/3).

وإجمالاً فإن النبيَّ صلى الله عليه وسلم لبس لباس قومه، وكذا الثياب المستوردة والعالمية، ولباس أهل الكتاب والمشركين، وثيابًا متنوّعة وذات ألوان مختلفة، وكان يهتم بلباسه وزينته، وهذا مهمٌ جدًا للإعلاميّ.

الحُلَّة السيَراء[1] ولباس استقبال القوم والوفود الإعلامية وجموع المستفسرين:

كان النبيُّ صلى الله عليه وسلم على درجة كبيرة من الاهتمام بشكله الخارجي من غير تكلف ولا ابتذال[2] ولا سرف[3] ولا مخيلة[4]، بل إن أول حديث في كتاب اللباس من صحيح مسلم يدلّ على هذا المعنى (وهو حديث حلة عطارد) نستوضحه من خلال فهم فاروق الأمة عمر رضي الله عنه، فعن ابْنِ عُمَرَ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَأَى حُلَّةً سِيَرَاءَ عِنْدَ بَابِ الْمَسْجِدِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوِ اشْتَرَيْتَ هَذِهِ فَلَبِسْتَهَا لِلنَّاسِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَلِلْوَفْدِ[5] إِذَا قَدِمُوا عَلَيْكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "إِنَّمَا يَلْبَسُ هَذِهِ مَنْ لاَ خَلاَقَ لَهُ فِي الآخِرَةِ"...[6]

فهنا في الحديث أراد عمر أن يجعل النبي صلى الله عليه وسلم يبدو في الصورة المناسبة للشخصية السياسية الأولى في المجتمع المسلم خاصة عند استقبال الوفود، ولم تكن علة رفض النبيِّ صلى الله عليه وسلم لها بسبب التزهد فيها على ما هو واضح، بل لأن الحلة المذكورة كانت حريرًا محضًا كما قال النووي في شرح الحديث[7]، ومع ذلك فقد قال: وفيه – أي الحديث من الفوائد – استحباب لباس أنفس ثيابه يوم الجمعة والعيد، وعند لقاء الوفود ونحوهم، ولذا وجدنا أن أمير المحدثين البخاري رحمه الله ترجم لهذا الحديث في كتاب الأدب بقوله: باب من تجمّل للوفود فهذا فقهه المستنبط يؤكد المقصود.

"فالظاهر أنه – الرسول صلى الله عليه وسلم – أنكر لبس الحرير بقرينة "إنما يلبس هذه" ولم ينكر أصل التجمُّل".[8]

قلت: وكان التوسع في صفة لباس النبيّ صلى الله عليه وسلم، لأننا بحاجة في عصر الحداثة والعولمة الذي نحياه إلى توضيح السبيل التي يكون سالكها مقتديًا بالرسول صلى الله عليه وسلم مجتنبًا لما

---

(1) **السيَراء:** برودٌ يخالطُها حريرٌ. (العين، للفراهيدي (298/2).

(2) ترك التزين والتجمّل، ولبس الخَلَق من الثياب. (المعجم الوسيط، ص 45).

(3) الضراوة بالشيء والولوع به. (المعجم الوسيط، ص 427).

(4) التعجب والتكبر. (المعجم الوسيط، 267).

(5) **الوفود:** جمع وافد، وهو من يقدم على من له أمر أو سلطان زائرًا أو مسترفدًا، والمراد هنا من قول عمر "للوفود" من كان يرد على النبي صلى الله عليه وسلم ممن يرسلهم يبايعون لهم على الإسلام، ويتعلمون أمور الدين حتى يعلموهم". (فتح الباري (706/10).

(6) **متفقٌ عليه.**

أخرجه البخاريّ في صحيحه (4/2)، كتاب الجمعة، باب يلبس أحسن ما يجد. ومسلم في صحيحه، ص 1045 رقم 5294، كتاب اللباس والزينة، باب النهي عن لُبس الحرير وغير ذلك للرجال. كلاهما من طريق مَالِكٍ عَنْ نَافِعٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ به.

(7) انظر: شرح النووي على مسلم (14/264–265).

(8) فتح الباري (706/10).

نهى عنه، مع زعمنا أن الاقتداء بالرسول عليه السلام سيؤدي بصاحبه إلى احترام الجمهور له، مع قدرته الداخلية على التعاطي مع شتى المواقف بثبات وقوة، لما يمنحه هذا الالتزام من رضًا ربانيّ فتوفيقٍ دائمٍ متعدد النواحي والجوانب.

ثانيًا/ استخدامُه المشطَ[1] (المِدْرَى)[2] ليبدوَ بالصورة الحسنى أمام الجميع:

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنه أَنَّ رَجُلاً اطَّلَعَ مِنْ جُحْرٍ فِي دَارِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، وَالنَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم **يَحُكُّ رَأْسَهُ بِالْمِدْرَى** فَقَالَ:

"لَوْ عَلِمْتُ أَنَّكَ تَنْظُرُ لَطَعَنْتُ بِهَا فِي عَيْنِكَ، إِنَّمَا جُعِلَ الإِذْنُ مِنْ قِبَلِ الأَبْصَارِ".[3]

شعره وتسريحته:

فقد جاء في وصفه صلى الله عليه وسلم عن أنسٍ رضي الله عنه كما عند البخاريّ: "... لَيْسَ بِجَعْدٍ قَطَطٍ وَلاَ سَبْطٍ[4] رَجِلٍ ...".[5]

وهذا معناه أن نتخلّق بمظهر الرسول صلى الله عليه وسلم أو نحاول جاهدين على الأقلّ أن نكون بهذا المستوى الراقي واللائق، وفيه منعٌ عن التبذّل وامتهان الصورة بقصد أو غيره، لكن كلُّ ذلك من غير تكلف، بل هي السجية التي من الضرورة التي يجب أن يظهر عليها المسلم فضلاً عن أن يكون عليها الإعلاميُّ متمتعًا بها، وفيه تخصيص الحديث عن الشعر في هذا الحديث والذي يليه لأنه من عناوين الوجه وكرامته والدلالة على صاحبه وترك الانطباع الحسن أو السيء باعتبار الحال على الناظر.

وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "مَنْ كَانَ لَهُ شَعْرٌ فَلْيُكْرِمْهُ".[6]

---

(1) **الامتشاط:** تسريح الشعر بالمشط. (فتح الباري (517/10).

(2) **المِدرى:** بكسر الميم وسكون المهملة عودٌ تدخلها المرأة في رأسها لتضم بعض شعرها إلى بعض، وهو يشبه المسلة، يُقال مدرت المرأة: سرحت شعرها. وقيل: مشط له أسنان كبيرة. وقيل: خشبة على شكل شيء من أسنان المشط، يسرَّح بها الشعر الملبَّد من لا يحضره المشط. (فتح الباري (518/10).

(3) **متفقٌ عليه.**

أخرجه البخاريّ في صحيحه (164/7)، كتاب اللباس، باب الامتشاط. من طريق ابن أبي إياس عن أبي ذئب. ومسلم في صحيحه، ص 1083 رقم 5532، كتاب الاستئذان (الآداب)، باب تحريم النظر في بيت غيره. من طريق يونس. كلاهما عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ به.

(4) **الجعودة** في الشعر: أن لا يتكسر، **والسبوطة:** ضده، فكأنه أراد أنه وسطٌ بينهما. (فتح الباري (796/6-797).

(5) صحيح البخاريّ (187/4)، كتاب المناقب، باب صفة النبي صلى الله عليه وسلم. من طريق رَبِيعَةَ بْنِ أَبِى عَبْدِ الرَّحْمَنِ عن أَنَسَ بْنِ مَالِكٍ به.

(6) سنن أبي داود، ص 743 رقم 4163، كتاب الترجُّل، باب في إصلاح الشعر.

قال أبو داود: حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ الْمَهْرِيُّ أَخْبَرَنَا [عبد الله] ابْنُ وَهْبٍ حَدَّثَنِي [عبد الرحمن] ابْنُ أَبِى الزِّنَادِ [عبد الله بن ذكوان] عَنْ سُهَيْلِ بْنِ أَبِى صَالِحٍ عَنْ أَبِيهِ [ذكوان الزيَّات] عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ:...

وإكرام الشعر يندرج تحته من الأفعال تجميلُ صورته وهيئتــه، وتنظيفــه، ودهنــه، وصــبغُه، وترجيلُه، وغيرُ ذلك مما يُرجع إلى معرفة السنن فيه إلى مواضعه ككُتــب الأدب واللبــاس مــن كتــب السنة.[1]

ولذا فــ "تحسين هيئة اللحية لمن اتَّخذها مطلوب وحسن، لا بأس أن يأخذ من طولها وعرضــها، ويسويَ أطرافها، وله أن يزيل ما تحت حلقه وعلى رقبتِه بالموسى، فذلك ليس من اللحية".[2]

وإن تبقى اللحية في موضوعها وطرحها قضية خلافية يُرجع إليها في مظانّ الحديث عنها، وليس هنا مجال التوسع فيها.

ثالثًا/ التطيُّب والتعطر واستخدام السواك؛ لئلا يسيء إلى أحد بأي نوعٍ لرائحة كريهة:

فقد جاء في سنن النسائي عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليــه وســلم: "حُبِّبَ إِلَيّ مِنَ الدُّنْيَا: النِّسَاءُ وَالطِّيبُ وَجُعِلَتْ قُرَّةُ[3] عَيْنِي فِي الصَّلاَةِ".[4]

الحكم على الحديث: إسناده صحيح؛ فرجاله ثقات، وهم على النحو الآتي:

رجال الحديث: سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ الْمَهْرِيُّ، وعبد الله بْنُ وَهْبٍ، وعبد الرحمن بن أبي الزناد، وذكوان الزيَّات: ثقات. انظر: التقريب (ص 406 رقم 2566)، (ص 556 رقم 3718)، (ص 504 رقم 3322)، (ص 313 رقم 1850).

سُهَيْل بْنِ أَبِي صَالِحٍ: وثّقه ابن معين، وابن عديّ، وزاد: مقبول الأخبار ثبت. (الكامل في ضعفاء الرجــال، لابــن عــديّ (524/4–526) رقم 866)، وقال ابن عيينة: كنا نعدّه ثبتًا في الحديث. وقال أحمد بن حنبل: ما أصلح حديثه، وقال: هــو أثبت من محمد [بن عمرو بن علقمة بن وقّاص الليثي]. قال عبد العزيز الدراوردي: أصاب سهيلا علةٌ أذهبت بعض عقلــه ونسي بعض حديثه. (انظر: الكواكب النيرات، لابن الكيّال، ص 541–546). كما وثّقه العجليّ (معرفة الثقــات (440/1) رقم 695)، والنسائي (الكواكب النيرات، لابن الكيّال، ص 541–546)، وذكره ابن شاهين في "الثقــات" (ص 158 رقــم 490). وجعله العلائي ضمن القسم الأول من كتابه (انظر: ص 50) ، وهم: من لم يوجب ذلك له ضعفًا أصلا، ولم يحدّ من مرتبته. (كتاب المختلطين، ص 3). قال ابنُ حجرٍ في "التقريب": صدوق تغير حفظه بآخره، روى لــه البخــاريّ مقرونــا وتعليقًا. (ص 421 رقم 3690). **قلت:** هو ثقة. والله أعلم. **لذا فالحديث صحيح.**

(1) اللحية دراسة حديثية موضوعية، عبد الله بن يوسف الجديع، ص 291.

(2) نفسه، ص 306.

(3) من (قرّت العين: بردت، علامة على السرور والرضى). المعجم الوسيط، ص 724.

(4) سنن النسائي، ص 608–609 رقم 3939، كتاب عشرة النساء، باب حب النساء.

قال النسائي: أَخْبَرَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ عِيسَى الْقُومَسِيّ قَالَ حَدَّثَنَا عَفَّانُ بْنُ مُسْلِمٍ قَالَ حَدَّثَنَا سَلاَّمٌ [يعني سليمان] أَبُو الْمُنْذِرِ عَنْ ثَابِتٍ [بن أسلم] عَنْ أَنَسٍ قال:...

الحكم على الحديث: إسناده صحيح؛ رجاله ثقات، وهم على النحو الآتي:

رجال الحديث: عَفَّانُ بْنُ مُسْلِمٍ، ثابت بن أسلم البناني: ثقتان. انظر: التقريب (ص 681 رقم 4659)، (ص 185 رقم 818). **الْحُسَيْنُ بْنُ عِيسَى:** قال أبو حاتم: صدوق. (الجرح والتعديل (60/3) رقم 271). ووثقه النسائي والــدراقطني. (تهــذيب التهذيب (433/1). وقال ابنُ حجرٍ في "التقريب": صدوق صاحب حديث. من العاشرة، مات سنة سبع وأربعين. (ص 249 رقم 1349). **قلت:** هو ثقة، لما ورد عن النسائيّ والدارقطنيّ، وعدم جرحه من أحد. والله أعلم

اللطافة والتطيب النبويّ يمثلان رسولاً صامتًا للإعلاميّ الناجح:

وعن أنس رضي الله عنه قال: مَا مَسِسْتُ حَرِيرًا وَلَا دِيبَاجًا أَلْيَنَ مِنْ كَفِّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَا شَمِمْتُ رِيحًا قَطُّ أَوْ عَرْفًا[1] قَطُّ أَطْيَبَ مِنْ رِيحِ أَوْ عَرْفِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.[2]

وجاء في البخاريّ في حديث وصف أنس للرسول صلى الله عليه وسلم: "... أُنْزِلَ عَلَيْهِ وَهْوَ ابْنُ أَرْبَعِينَ، فَلَبِثَ بِمَكَّةَ عَشْرَ سِنِينَ يُنْزَلُ عَلَيْهِ وَبِالْمَدِينَةِ عَشْرَ سِنِينَ، وَلَيْسَ فِي رَأْسِهِ وَلِحْيَتِهِ عِشْرُونَ شَعَرَةً بَيْضَاءَ. قَالَ رَبِيعَةُ: فَرَأَيْتُ شَعَرًا مِنْ شَعَرِهِ، فَإِذَا هُوَ أَحْمَرُ فَسَأَلْتُ فَقِيلَ: احْمَرَّ مِنَ الطِّيبِ".[3]

فهذا يدلُّ على كثرة من النبي صلى الله عليه وسلم على استخدام الطيب، وهو الذي يحيل لون الشعر بعد طول استخدام ومداومة. **وعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ:** كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى وَبِيصِ[4] الطِّيبِ فِي مَفْرِقِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ مُحْرِمٌ.[5]

ومردُّ ظهور البريق والتلؤلؤ على النبي صلى الله عليه وسلم راجعٌ إلى كون التطيب جزءًا من شخصيته وحالته اليومية.

بل إن النبي صلى الله عليه وسلم أمر ألا يُردَّ الطيبُ:

فعن ثُمَامَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه قَالَ: دَخَلْتُ عَلَيْهِ فَنَاوَلَنِي طِيبًا قَالَ: كَانَ أَنَسٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَا يَرُدُّ الطِّيبَ. قَالَ: وَزَعَمَ أَنَسٌ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ لَا يَرُدُّ الطِّيبَ.[6]

الحثّ على النظام والنظافة جميعًا، وهما من أساسيات مظهر رجل الإعلام المسلم:

فالمرء يأخذ انطباعه عن المرء للمرة الأولى بما يصدر عنه من أفعال مهما كانت بسيطة، بالإضافة إلى ما تطبعه الحالة الشكلية الظاهرية من آثار على قلب الرائي:

سلام بن سليمان "أبو المنذر المزني الكوفيّ": قال ابنُ معين: لا بأس به (ميزان الاعتدال (255/3) رقم 3348)، وقال أبو حاتم: صدوق صالح الحديث (359/4) رقم 1119)، وقال العقيلي: لا يُتابع على حديثه. (الضعفاء، ص 530)، وذكره ابنُ حبّان في "الثقات" (416/6) رقم 8364). **لذا فالحديث صحيح**، وقال الذهبيّ: وحديث عفّان أخرجه النّسائيّ وإسناده قويّ. (ميزان الاعتدال (255/3).

(1) **العَرْف:** الريحُ الطيب. (العين (136/3).

(2) صحيح البخاريّ (190/4–191)، كتاب المناقب ، باب صفة النبي صلى الله عليه وسلم. من طريق ثَابِتٍ بنِ أسلم البنانيّ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ به.

(3) صحيح البخاريّ (187/4)، كتاب المناقب، باب صفة النبي صلى الله عليه وسلم. من طريق رَبِيعَةَ بْنِ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ عن أَنَسِ بْنَ مَالِكٍ به.

(4) بريقه. (العين للفراهيدي (344/4).

(5) صحيح البخاري (62/1–63)، كتاب الغسل، باب من تطيب واغتسل وبقي أثر الطيب. من طريق الْحَكَمِ عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَنْ الْأَسْوَدِ عَنْ عَائِشَةَ به.

(6) صحيح البخاريّ (157/3)، كتاب الهبة وفضلها، باب ما لا يُرَدُّ من الهدية. من طريق عَزْرَةَ بْنِ ثَابِتٍ الْأَنْصَارِيُّ عن ثُمَامَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ به.

فعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنهما قَالَ: أَتَانَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَرَأَى رَجُلاً شَعِثًا قَدْ تَفَرَّقَ شَعْرُهُ فَقَالَ: "أَمَا كَانَ يَجِدُ هَذَا مَا يُسَكِّنُ بِهِ شَعْرَهُ". وَرَأَى رَجُلاً آخَرَ وَعَلَيْهِ ثِيَابٌ وَسِخَةٌ فَقَالَ: "أَمَا كَانَ هَذَا يَجِدُ مَاءً يَغْسِلُ بِهِ ثَوْبَهُ".[1]

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "خَالِفُوا الْمُشْرِكِينَ، وَفِّرُوا اللِّحَى، وَأَحْفُوا الشَّوَارِبَ". وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ إِذَا حَجَّ أَوِ اعْتَمَرَ قَبَضَ عَلَى لِحْيَتِهِ، فَمَا فَضَلَ أَخَذَهُ.[2]

قصُّ الشارب وتقليمُ الأظافر، لئلا يكون في الإعلامي ما ينفّر السامعين أو السائلين:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عن الرسول صلى الله عليه وسلم: "الْفِطْرَةُ خَمْسٌ أَوْ خَمْسٌ مِنْ الْفِطْرَةِ: الْخِتَانُ، وَالِاسْتِحْدَادُ[3]، وَنَتْفُ الْإِبْطِ، وَتَقْلِيمُ الْأَظْفَارِ، وَقَصُّ الشَّارِبِ".[4]

يقول ابنُ حجر: "ويتعلق بهذه الخصال مصالح دينية ودنيوية تُدرك بالتتبع، منها تحسين الهيئة، وتنظيف البدن جملة وتفصيلا، والاحتياط للطهارتين، والإحسان إلى المخالَط والمقارِن يكفّ ما يتأذّى به من رائحة كريهة، ومخالفة شعار الكفار من المجوس والنصارى وعبَّاد الأوثان، وامتثال أمر الشارع،

---

(1) سنن أبي داود، ص 726–727 رقم 4062، كتاب اللباس، باب في غسل الثوب وفي الخلقان.
قال أبو داود: حَدَّثَنَا النُّفَيْلِيُّ [عبد الله بن محمد بن عليّ] حَدَّثَنَا مِسْكِينٌ [ابن بكير الحذّاء] عَنِ الأَوْزَاعِيِّ [عبد الرحمن بن عمرو] ح. وَحَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ [عثمان بن محمد بن إبراهيم] عَنْ وَكِيعٍ [ابن الجرّاح] عَنِ الأَوْزَاعِيِّ نَحْوَهُ عَنْ حَسَّانَ بْنِ عَطِيَّةَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ:...
الحكم على الحديث: إسناده حسن يرتقي للصحيح لغيره؛ رواته ثقات في الطريقين، وزال خطأ الثقة مسكين بمتابعة وكيعٍ له، ورجال الحديث على النحو الآتي:
رجال الحديث: عبد الله بن محمد النُّفَيْلِيّ، عبد الرحمن الأوزاعيّ، ابنُ أبي شيبة، وكيعُ بنُ الجرّاح، حسانُ بنُ عطية، محمدُ بنُ المنكدر: ثقات. انظر: التقريب (ص 543، رقم 3618)، (ص 593، رقم 3992)، (ص 668، رقم 4545)، (ص 1037، رقم 7464)، (ص 233، رقم 1214)، (ص 899، رقم 6367).
مسْكِينٌ بن بكير الحذّاء: عن ابنِ معين (تهذيب التهذيب (64/4)، وأحمدَ (سؤالات الآجري لأبي داود (262/2) رقم 1788)، وأبي حاتم (الجرح والتعديل (329/8) رقم 1521)، قالوا: لا بأس به، وزاد أحمد: وكان في حديثه خطأ، أما أبو حاتم فكانت إضافته: كان صحيح الحديث يحفظ الحديث. ووثقه ابن عمّار (تاريخ أسماء الثقات، ص 311 رقم 1337)
وقال الأثرم: سمعت أحمد يحسّن أمره. (تهذيب التهذيب (64/4). وذكره ابن حبّان في "الثقات" (194/9) رقم 15957)، وابن شاهين في "الثقات"، (تاريخ أسماء الثقات، ص 311 رقم 1337). وقال الذهبي: صدوق مشهور صاحب حديث. (ميزان الاعتدال (412/6) رقم 8485). وقال ابنُ حجر في "التقريب": صدوق يخطئ، وكان صاحب حديث. (ص 937، رقم 6659). **قلت:** هو ثقة يخطئ. والله أعلم. **لذا فالحديث صحيح.**
(2) صحيح البخاري (160/7)، كتاب اللباس، باب تقليم الأظافر. من طريق نَافِعٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ به.
(3) **الاستحداد:** استفعال من الحديد، يعني الاستحلاق به. (إكمال المعلم (677/4).
(4) **متفقٌ عليه.**
أخرجه البخاريّ في صحيحه (160/7)، كتاب اللباس، باب قص الشارب. من طريق سُفْيَانِ بنِ عيينةَ. ومسلم في صحيحه ص 146 رقم 485، كتاب الطهارة، باب خصال الفطرة. من طريق يُونُسِ [ابنِ يزيدٍ] وسفيان. كلاهما عَنِ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ به.

والمحافظة على ما أشار إليه تعالى في قوله ".. وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ"[1]، لما في المحافظة على هذه الخصال من مناسبة ذلك، وكأنه قد قيل قد حسنت صوركم فلا تشوهوها بما يقبحها، أو حافظوا على ما يستمر به حسنها، وفي المحافظة عليها محافظة على المروءة وعلى التآلف المطلوب، لأن الإنسان إذا بدا في الهيئة الجميلة كان أدعى لانبساط النفس إليه، فيُقبل قوله ويُحمد رأيُه، والعكس بالعكس".[2]

وكان يستعمل السواك لتنظيف أسنانه:

فقد جاء عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "لَوْلاَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي لأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ"[3]، وهناك فائدة أخرى واضحة لاستخدام السواك، وهو تطييب رائحة الفم وإذهاب الحفر[4] والبخر[5]، مما يؤدي إلى عدم النفور من الشخصية الإعلامية، لأن النفس البشرية مفطورة على حبّ الجمال وقبول المتناسق في كل شيء، وتنظيف الفم رسالة التواصل مع أنوف السامعين والمحاورين.

المطلب الثاني/ هيئة جلوس الإعلاميّ:

معروفٌ أن كل ما يصدر عن الإعلاميّ يكون تحت دائرة الضوء من متابعيه ومراقبيه بهدف الاقتداء به أحيانًا، وبهدف الوصول إلى تشخيص وضعه الداخلي من خلال سلوكه الاعتيادي خارج نطاق التصوير، مما يؤكد على ضرورة أن تكون الطريقة التي يسلكها الإعلاميُّ في جلوسه مناسبة، ومسترعية الاهتمام والانتباه على النحو الذي يبقي التصور عن الشخصية الإعلامية إيجابيًّا ومقبولاً على الأقلّ، وهذا يأتي في سياق الرسائل الصامتة التي يقرأها الآخرون، **وعليه ينبغي** : "أن يكونَ الوقوفُ أو الجلوسُ في أثناءِ الكلامِ مناسبًا، يدلُّ على اهتمامِ الإعلاميّ بالمتلقي، كالإقبالِ بالوجه، واعتدالِ القامة، والاستخدامِ السليمِ لملامحِ الوجه وإشاراتِ اليد، ومواجهةِ المستمعين من المكانِ المناسب".[6]

اتخاذُ الجلسةِ المناسبةِ باعتبارِ الحالةِ أو المقامِ، للفتِ عنايةِ السامعين: فَعن أبي بكرةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ ؟". قُلْنَا بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: "الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ". **وَكَانَ مُتَّكِئًا فَجَلَسَ** فَقَالَ: "أَلاَ وَقَوْلُ الزُّورِ وَشَهَادَةُ الزُّورِ، أَلاَ وَقَوْلُ الزُّورِ وَشَهَادَةُ الزُّورِ".[7]

---

(1) غافر: 64.

(2) فتح الباري (479/10).

(3) **متفقٌ عليه.**

أخرجه البخاريّ في صحيحه (85/9)، كتاب التمني، باب ما يجوز من اللّو. ومسلم في صحيحه، ص 145 رقم 477، كتاب الطهارة، باب السواك. كلاهما من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه به. وفي رواية مسلم: "لَوْلاَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ...".

(4) **الحفر**: صفرة تعلو الأسنان. (المعجم الوسيط، ص 184).

(5) **البخر**: ريحة كريهة من الفم. (العين، للفراهيدي (118/1).

(6) مهارات الاتصال، راشد علي عيسى، ص 96.

(7) صحيح البخاريّ، كتاب الأدب، باب عقوق الوالدين من الكبائر. من طريق الْجُرَيْرِيِّ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِى بَكْرَةَ عَنْ أَبِيهِ به.

الرسول صلى الله عليه وسلم يجيب السؤال متكئًا:

عن أَنَس بْنِ مَالِكٍ قال: بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فِي الْمَسْجِدِ، دَخَلَ رَجُلٌ عَلَى جَمَلٍ فَأَنَاخَهُ فِي الْمَسْجِدِ، ثُمَّ عَقَلَهُ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: أَيُّكُمْ مُحَمَّدٌ ؟ وَالنَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم **مُتَّكِئٌ** بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِمْ. فَقُلْنَا: **هَذَا الرَّجُلُ الأَبْيَضُ الْمُتَّكِئُ**. فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ: ابْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ. فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: "قَدْ أَجَبْتُكَ". فَقَالَ الرَّجُلُ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم: "إِنِّي سَائِلُكَ فَمُشَدِّدٌ عَلَيْكَ..."[1]. الحديث

ومعنى ذاك أن الإعلاميَّ قد يكون متعبًا أو منهمكًا في عمل أو حديث ما مع أتباعه ومريديه، فيأتي سؤال سريع لم يكن صاحبه قد عقد موعدًا بخصوصه مع السياسيّ المراد محاورته، فيستغل الأخير ظرفه ويجيب الإعلاميَّ وهو على حالته من جلوس أو يكلمه وهو ماشٍ وما إليه.

الرسول صلى الله عليه وسلم يجيب واقفًا على دابته:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم **وَقَفَ** فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ بِمِنًى لِلنَّاسِ يَسْأَلُونَهُ، فَجَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ لَمْ أَشْعُرْ فَحَلَقْتُ قَبْلَ أَنْ أَذْبَحَ. فَقَالَ: "اذْبَحْ وَلاَ حَرَجَ". فَجَاءَ آخَرُ فَقَالَ لَمْ أَشْعُرْ، فَنَحَرْتُ قَبْلَ أَنْ أَرْمِيَ. قَالَ: "ارْمِ وَلاَ حَرَجَ". فَمَا سُئِلَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم عَنْ شَيْءٍ قُدِّمَ وَلاَ أُخِّرَ إِلاَّ قَالَ: افْعَلْ وَلاَ حَرَجَ.[2]

وفي هذا جوازُ جوابِ السياسيّ على سائليه من أهل الصحافة وهو في سيارته، أو وهو ماشٍ في طريقه من غير أن يقف. والله أعلم

يجيب باللطف إذا استخدم سائلُه العنف:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: كُنْتُ أَمْشِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الْحَاشِيَةِ، فَأَدْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ فَجَبَذَهُ[3] بِرِدَائِهِ جَبْذَةً شَدِيدَةً، حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عَاتِقِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَدْ أَثَّرَتْ بِهَا حَاشِيَةُ الْبُرْدِ مِنْ شِدَّةِ جَبْذَتِهِ، ثُمَّ قَالَ يَا مُحَمَّدُ مُرْ لِي مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي عِنْدَكَ. فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ثُمَّ ضَحِكَ ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ.[4]

---

(1) صحيح البخاريّ، كتاب العلم (23/1)، باب ما جاء في العلم، وقوله تعالى: "وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً" (طه:114). من طريق شَرِيكِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عن أَنَسِ بْنَ مَالِكٍ به.

(2) **متفقٌ عليه.**

أخرجه البخاريّ في صحيحه، كتاب العلم (28/1)، باب الفُتيا وهو واقفٌ على الدابَّةِ وغيرِها. ومسلم في صحيحه ص 611 رقم 3046، كتاب الحج، باب من حلق قبل النحر أو نحر قبل الرمي. كلاهما من طريق مَالِكٍ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ عِيسَى بْنِ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما به.

(3) لغةٌ في الجذب. (العين (214/1).

(4) **متفقٌ عليه.**

أخرجه البخاريّ في صحيحه (146/7)، كتاب اللباس، باب البرود والحبرة والشملة. ومسلم في صحيحه، ص 477 رقم 2318، كتاب الزكاة، باب إعطاء من سأل بفحش وغلظة. كلاهما من طريق مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ عَنْ أَنَسٍ به.

سبحان الله ! كم كان حلم النبي صلى الله عليه وسلم فأنعم به من رأس القدوات، وردة فعله تلك فيها "احتمال الجاهلين والإعراض عن مقابلتهم، ودفع السيئة بالحسنة، وإباحة الضحك عند الأمور التي يُتعجب منها في العادة"[1].

الوقاية بالجواب السابق عوضًا عن السؤال المتوقع اللاحق:

بل يصل الأمر إلى درجة أن الرسول صلى الله عليه وسلم كقيادة حكيمة فاهمة ومستوعبة لما يجري من حولها، وحين يتوقع أن واحدًا من الناس يخبّئ له سؤالا قد لا يكون بالمستوى اللائق أو المطلوب، فيتعامل معه بطريقة امتصاص الغضب وإلقاء الكرة في ملعبه، على نحو ما جاء في حديث المسور بن مخرمة قَالَ: قَسَمَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَقْبِيَةً[2]، وَلَمْ يُعْطِ مَخْرَمَةَ شَيْئًا فَقَالَ مَخْرَمَةُ يَا بُنَيَّ انْطَلِقْ بِنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَانْطَلَقْتُ مَعَهُ، فَقَالَ: ادْخُلْ فَادْعُهُ لِي. قَالَ فَدَعَوْتُهُ لَهُ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ وَعَلَيْهِ قَبَاءٌ مِنْهَا فَقَالَ: "خَبَأْتُ هَذَا لَكَ". قَالَ فَنَظَرَ إِلَيْهِ فَقَالَ: رَضِيَ مَخْرَمَةُ.[3]

المطلب الثالث/ درجة الصوت وحالته للإعلاميّ:

"ويقع تحته: وضوح الصوت، وذلك بإخراج الحروف من مخارجها لئلا تتشابك في الكلمة الواحدة أو الكلمتين المتتاليتين، وكذا ملائمة المستوى النبري الصوتي؛ أي أن يكون ارتفاع الصوت أو خفضه مناسبًا لطبيعة اتساع المكان، وضيقه، وعدد المستمعين، وهو ما يعرف باللباقة النطقية الشخصية للصوت. وينضاف إلى ذلك التلون الصوتي، وذلك باستخدام الضغط على بعض الحروف أو الإطالة فيها أو مدّها، أو الإبطاء والإسراع قي نطق العبارة حسب أهميتها في مضمون الكلام".[4]

والصوت كما قال الجاحظ: هو آلة اللفظ والجوهر الذي يقوم به التقطيع، وبه يوجَد التأليف، ولن تكون حركات اللسان لفظًا ولا كلامًا موزونًا ولا منثورًا إلا بظهور الصوت.[5]

وهنا نذكر نقاطًا هامة حول الصوت وارتباطه الوثيق بالإخراج الخطابيّ للإعلاميّ، وأنه يستطيع أن يوصل رسالته بصورة قوية ولا تضارَع عندما يحسن استخدام العبارات وإخراجها بالصوتيات الملائمة لكل فقرة منها، صعودًا بالنبرة أو انخفاضًا بها كلما كانت الحاجة لذلك مطلوبة لكي يظل المستمع مشدودًا لما يُقال متفاعلاً معه لأبعد مدىً، ومن تلك النقاط ما يأتي:

---

(1) شرح النووي على مسلم (148/7).

(2) **القَبَاء:** جنس من الثياب ضيّق، من لباس العجم، والجمع أقبية. (هدي الساري، ص281).

(3) **متفقٌ عليه.**

أخرجه البخاريّ في صحيحه (144/7)، كتاب اللباس، باب القباء وفروج حرير. ومسلم في صحيحه، ص 478 رقم 2320، كتاب الزكاة، باب إعطاء من سأل بفحش وغلظة. كلاهما من طريق قُتَيْبَةَ بْنِ سَعِيدٍ عن اللَّيْثِ عَنِ ابْنِ أَبِى مُلَيْكَةَ عَنِ الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ به.

(4) انظر: مهارات الاتصال، راشد علي عيسى، ص 97.

(5) البيان والتبيين (79/1).

أ. أهمية علم التجويد في إخراج هيئة صوتية متكاملة:

يقول راشد عيسى: وليس أقل من ذلك شأنًا علم الصوتيات وفقه اللغة، من ارتباط الأصوات بالمعاني، والتدريب على مخارج الحروف وعلامات الوقف والتجويد، وأن يتولى التلاوة والأذان، الصيّت الحسن الخلق، المطلوب أيضًا من المسلم التغني بالقرآن، وتطهير مخارجه، وترتيله ترتيلا، والتمهل في الحديث حتى يدركه ويستوعبه السامع.[1]

وإذا ما أحسن الإعلامي إخراج الحروف والتحكم في صوتياتها على النحو المفترض، كان له من ذلك حظّان؛ أولهما حظُّ وصول كلامه ثم حظُّ استقراره في الأذهان وتناقله بين الناس، ولأجل توضيح العلاقة الظاهرة في استخدام الصوتيات علوًا وخفضًا تأتي النقطة التالية، وهي:

ب. تجنب الصوت العالي بلا فائدة ولا سبب:

ففي صحيح البخاريّ حديثُ ابنِ عمرٍو رضي الله عنهما عن وصف النبيّ صلى الله عليه وسلم في التوراة، قال: "... لَيْسَ بِفَظٍّ[2] وَلاَ غَلِيظٍ، وَلاَ سَخَّابٍ[3] فِي الأَسْوَاقِ .."[4]

فهذا وإن كان يعبّر عن السمت العامّ لرسولنا صلى الله عليه وسلم، إلا أنه بالإمكان أن نستفيد منه على أصعدة مختلفة، فليس مبررًا أن يكون علوُّ الصوت دافعًا لإخراج الإعلاميّ عن الدائرة التي يجب أن يظلَّ فيها وقورًا لطيفًا رزينًا، له القَبول عند الناس، ولا صخبَ لديه حتى في الأسواق التي صارت مضربَ المثل في الصوت العالي الذي لا داعي له، ومع ذلك فإن الصوت العالي له وقته المناسب، وهذا ما نذكره فيما يلي:

جـ. استخدام علوّ الصوت في بعض الأوقات:

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنهما قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا خَطَبَ احْمَرَّتْ عَيْنَاهُ وَعَلا صَوْتُهُ وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ حَتَّى كَأَنَّهُ مُنْذِرُ جَيْشٍ يَقُولُ صَبَّحَكُمْ وَمَسَّاكُمْ وَيَقُولُ: "بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ" وَيَقْرُنُ بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ السَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى..[5] الحديث.

يقول النووي: "يُستدلُّ به على أنه يُستحبُّ للخطيب أن يُفَخِّمَ أمرَ الخطبة، ويرفع صوته، ويجزل كلامه، ويكون كلامه مطابقًا للفصل الذي يتكلم فيه من ترغيب أو ترهيب، ولعل اشتداد غضبه كان عند إنذاره أمرًا عظيمًا، وتحديده خطبًا جسيمًا".[6]

---

(1) مهارات الاتصال، راشد علي عيسى، ص 27.

(2) ذو فظاظة؛ أي فيه غِلَظ في منطقه وتجَهُّم في كلامه. (العين، للفراهيدي (329/3).

(3) السَّخَب: الصَّخَب، بلغة ربيعة. (العين، للفراهيدي (225/2)، والصخب، وهو الصياح والجَلَبة. (المعجم الوسيط، ص 508).

(4) صحيح البخاريّ (135/6)، كتاب التفسير، باب "إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً" (الفتح: 8)، من طريق عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما به.

(5) صحيح مسلم، ص 393 رقم 1889، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة. من طريق محمدِ بنِ عليٍّ بنِ الحسين عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ به.

(6) شرح النووي على مسلم (394/6).

بل إن هذا الوصف للنبيِّ صلى الله عليه وسلم أكّد أنه يستخدم ووفق الظـرف المناسـب جميـع الأدوات الجسدية كلما علت درجة الخطورة وكان الأمر يستدعي ذلك، فالحديث ينهى عن البدع ومحدثات الأمور، والإعلاميُّ قد يُتاح له المجال أو يُضطر ليقف موقفًا يكون فيه مثل الخطيب في بعض أحيانه.

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما قَالَ: تَخَلَّفَ عَنَّا النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم فِي سَـفْرَةٍ سَافَرْنَاهَا، فَأَدْرَكَنَا وَقَدْ أَرْهَقَتْنَا الصَّلاَةُ وَنَحْنُ نَتَوَضَّأُ، فَجَعَلْنَا نَمْسَحُ عَلَى أَرْجُلِنَا، **فَنَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ:** "وَيْلٌ لِلأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ". مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاَثًا.[1]

ويعلق الحافظ ابن حجر على ترجمة حديث الباب ويؤكد على المعنى الذي عنونَّا بـه: "واسـتدلّ المصنف على جواز رفع الصوت بالعلم بقوله (فنادى بأعلى صوت) وإنما يتم الاستدلال بذلك حين تدعو الحاجة إليه لبعد أو كثرة جمع أو غير ذلك، ويلحق بذلك ما إذا كان في موعظة".[2]

قلت: وفي الحديث تكرارُ المعلومةِ نظرًا لأهميتها؛ لِتعلَقَ في الأذهان وتستقرَّ في النفوس، ويعلـمَ السامعُ خطورتَها.

المطلب الرابع/ عوامل التعبير الإعلامية المساعدة:

يقول الجاحظ: "فأمّا الإشارة فباليد، وبالرأس، وبالعين والحاجب والمَنكب، إذا تباعد الشخـصان، وبالثوب وبالسيف. وقد يتهدَّد رافع السيف والسوط، فيكون ذلك زاجرًا، ومانعًا ورادعًا، ويكـون وعيـدًا وتحذيرًا. والإشارة واللفظ شريكان، ونعم العون هي له، ونعم الترجمان هي عنه. وما أكثر ما تنوب عن اللفظ، وما تغني عن الخطّ ..، ولولا الإشارة لم يتفاهم الناس معنى خاصّ الخاص، ولجهلوا هـذا البـاب البتة"[3]، **ويقول:** "وحسن الإشارة باليد والرأس، من تمام حسن البيان باللسان".[4]

ولذا كان لحسن الأداء من الناحية الإعلامية أهمية كبيرة لأنه يثير الانتبـاه ويحـرّك المـشاعر والأحاسيس، فالنطق السليم، والنبرات القوية تدلُّ على تمكن صاحبها وفصاحته، واقتران الإشارة باليد مع الكلام مزيد من الإيضاح لاشتراك حاسة النظر مع حاسة السمع.[5]

وقد كان الرواة يستخدمون الجوارح كوسائل معينة في حفظ الكلام ونقلـه كـصورة مطابقـة للأصل، انظر حديثَ أبِي شريح ماذا يقول في أوله أَنَّهُ قَالَ لِعَمْرِو بْنِ سَعِيدٍ وَهُوَ يَبْعَثُ الْبُعُوثَ إِلَى مَكَّـةَ: ائْذَنْ لِي أَيُّهَا الأَمِيرُ أُحَدِّثْكَ قَوْلاً قَامَ بِهِ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم الْغَدَ مِنْ يَوْمِ الْفَتْحِ، **سَمِعَتْهُ أُذُنَايَ وَوَعَاهُ**

---

(1) صحيح البخاريّ (22/1)، كتاب العلم، باب من رفع صوته بالعلم. من طريق يُوسُفَ بْنِ مَاهَكَ عَنْ ابْنِ عَمْرٍو به.

(2) فتح الباري (211/1).

(3) البيان والتبيين (78/1).

(4) نفسه (79/1).

(5) وسائل الإعلام وأثرها في وحدة الأمة، محمد الغلاييني، ص 74.

قَلْبِي، وَأَبْصَرَتْهُ عَيْنَايَ، حِينَ تَكَلَّمَ بِهِ، حَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: "إِنَّ مَكَّةَ حَرَّمَهَا اللَّهُ، وَلَمْ يُحَرِّمْهَا النَّاسُ، فَلاَ يَحِلُّ لِامْرِئٍ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أَنْ يَسْفِكَ بِهَا دَمًا..."[1] الحديث

قلت: وفي هذا استخدام بعض الوسائل الحسية المتاحة، وعدم تجاوزها (أذنان، عينان، قلب)، وهذا يعني تمكن الناقل من الكلام المنقول وذكره بتمامه، وقد ثبت أن الذي يستخدم في المذاكرة أكثر من حاسة، فإنه يكون أبقى للفكر وأسرع في الاستحضار والاستدعاء عند الحاجة. والله أعلم

ومن عوامل التعبير المساعدة تنشيطًا للمتكلم وتحفيزًا لهمة السامع:

1. استخدام الأصابع: ففي حديثِ سلمةَ بنِ الأكوع رضي الله عنه عند البخاريّ عندما قال للنبيِّ صلى الله عليه وسلم: ... زعموا أن عامرًا – بن الأكوع – حبط عمله، قال النبي صلى الله عليه وسلم: "كَذَبَ مَنْ قَالَهُ، إِنَّ لَهُ لأَجْرَيْنِ وَجَمَعَ بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ إِنَّهُ لَجَاهِدٌ مُجَاهِدٌ، قَلَّ عَرَبِيٌّ مَشَى بِهَا مِثْلَهُ".[2]

2. التعبير العددي باستخدام الأصابع:

1. عن ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما قال: قَدِمَ وَفْدُ عَبْدِ الْقَيْسِ عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ هَذَا الْحَيَّ مِنْ رَبِيعَةَ قَدْ حَالَتْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ كُفَّارُ مُضَرَ، وَلَسْنَا نَخْلُصُ إِلَيْكَ إِلاَّ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ، فَمُرْنَا بِشَيْءٍ نَأْخُذُهُ عَنْكَ، وَنَدْعُو إِلَيْهِ مَنْ وَرَاءَنَا. قَالَ: آمُرُكُمْ بِأَرْبَعٍ، وَأَنْهَاكُمْ عَنْ أَرْبَعٍ: الإِيمَانِ بِاللَّهِ وَشَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ – وَعَقَدَ بِيَدِهِ هَكَذَا – وَإِقَامِ الصَّلاَةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَأَنْ تُؤَدُّوا خُمُسَ مَا غَنِمْتُمْ، وَأَنْهَاكُمْ عَنِ الدُّبَّاءِ[3] وَالْحَنْتَمِ[4] وَالنَّقِيرِ[5] وَالْمُزَفَّتِ[6]".[7]

2. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "فَتَحَ اللَّهُ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلَ هَذَا". وَعَقَدَ بِيَدِهِ تِسْعِينَ.[8]

3. عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "إِنَّا أُمَّةٌ أُمِّيَّةٌ لاَ نَكْتُبُ وَلاَ نَحْسُبُ الشَّهْرُ هَكَذَا وَهَكَذَا وَهَكَذَا – وَعَقَدَ الإِبْهَامَ فِي الثَّالِثَةِ – وَالشَّهْرُ هَكَذَا وَهَكَذَا وَهَكَذَا". يَعْنِي تَمَامَ ثَلاَثِينَ.[9]

---

(1) صحيح البخاريّ (32/1)، كتاب العلم، باب لِيُبَلِّغِ العلمَ الشاهدُ الغائبَ. من طريق أَبِي شُرَيْحٍ خويلدِ بنِ عمرٍو بن صخر أَنَّهُ قَالَ لِعَمْرِو بْنِ سَعِيدٍ:..

(2) صحيح البخاريّ (132/5)، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر. من طريق يَزِيدَ بْنِ أَبِي عُبَيْدٍ عَنْ سَلَمَةَ بْنِ الأَكْوَعِ به.

(3) **الدُّبَّاء:** القَرْعُ واحدها دُبَّاءةٌ كانوا ينتبذُون فيها فتُسرع الشّدّةُ في الشراب. (النهاية في غريب الحديث والأثر (203/2).

(4) **الحَنْتَم:** جِرَار مدْهُونة خُضْرٌ كانت تُحْمَل الخمْر فيها إلى المدينة ثم اتُّسع فيها فقيل لِلْخَزَف كلّه حنتم واحدَتها حَنْتَمة. وإنما نُهي عن الانْتِباذ فيها لأنَّها تُسْرع الشّدّةُ فيها لأجْل دَهْنها. (النهاية في غريب الحديث والأثر (1059/1).

(5) **النقير:** نكتة في ظَهْر النواة منها تنبت النخلة. (العين للفراهيدي (255/4).

(6) **المُزفَّت:** هو الإناءٌ الذي طُلِي بالزِّفْت وهو نوعٌ من القَارِ ثم انتُبِذ فيه. (751/2).

(7) صحيح البخاري (168/5)، كتاب المغازي، باب وفد عبد القيس. من طريق أَبِي جَمْرَةَ عن ابْنِ عَبَّاسٍ به.

(8) صحيح البخاري (138/4)، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قصة يأجوج ومأجوج. من طريق طَاوُسٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ به.

(9) صحيح مسلم، ص 495 رقم 2400، كتاب الصيام، باب وجوب صوم رمضان لرؤية الهلال. من طريق الأَسْوَدِ بْنِ قَيْسٍ عن سَعِيدِ بْنِ عَمْرٍو عن ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما به.

4. وعن جابرٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "... وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ كِتَابَ اللَّهِ. وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ". قَالُوا: نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ وَأَدَّيْتَ وَنَصَحْتَ. فَقَالَ بِإِصْبَعِهِ السَّبَّابَةِ يَرْفَعُهَا إِلَى السَّمَاءِ وَيَنْكُتُهَا إِلَى النَّاسِ: "اللَّهُمَّ اشْهَدِ اللَّهُمَّ اشْهَدْ". ثَلَاثَ مَرَّاتٍ.[1]

3. الإشارة باليد:

عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قال: خَرَجْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِلَى خَيْبَرَ أَخْدُمُهُ، فَلَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم رَاجِعًا، وَبَدَا لَهُ أُحُدٌ قَالَ: "هَذَا جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ". ثُمَّ أَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ قَالَ: "اللَّهُمَّ إِنِّي أُحَرِّمُ مَا بَيْنَ لاَبَتَيْهَا كَتَحْرِيمِ إِبْرَاهِيمَ مَكَّةَ"[2].

خلاصة المبحث الأول:

جمع نبيُّنا صلى الله عليه وسلم غاية الكمال وقمة الجلال في بهاء طلعته وحسن هيئته، فقد كان ربعةً في جسمه، قمريَّ الوجه، بسَّامَ الثنايا، متناسقَ اللباس لا يختلف فيه عن قومِه، اللهم إلا ما كان لشهرة أو مخيلة فقد كان يجتنبه ويحذّر منه، واستخدم في كل مقامٍ لباسَه، وتوكل على الله سلمَه وحربَه.

يعجبه التناغم في كل شيء؛ فنهى عن القزع، وامتشط ورجّل شعره، وما أجمل عطرَه، وأطيبَ ريحَه، وأبيضَ أسنانَه. جمع النظافة في خصالٍ حعلها علامة على الفطرة السليمة، لتعكس جمال الروح وحسنَ الانطباع من المشهد الأول، فيقتدي بها المتّبعون.

وإذا تكلم أسمع غير صخّاب ولا فحّاش أبدًا، لطيف رؤوف، حنون عطوف، إذا جهل غيره جابهه بحلم، وواجهه بالفهم، وهو مع كل ذلك عدّد في وسائل تحديثه، ونوّع في أساليب كلامه، فكان المعلم الأول مستخدمًا يدَه وأصابعَه تارة، محركًا جسمه راسمًا على الأرض في تارة أخرى، ليوضح مراده ويكشف عن الحقيقة بصفاء.

ومن كل هذا نتوصل إلى الخارطة المتكاملة للصفات التي ينبغي أن يكون الإعلاميّ على هيئتها وصورتها إذا أراد تحقيق التأثير في الناس، وامتلاك الحظوة لديهم، فضلا عمّا يجعله التناسق في نفس صاحبه من راحة داخلية وقدرة ملائمة على توصيل مراده على النحو الذي يبغي.

والآن ننتقل إلى المبحث الثاني ويتحدث عن مبادئ الإعلام النبويّ.

---

(1) صحيح مسلم، ص 576 رقم 2839، كتاب الحجّ، باب حجة النبي صلى الله عليه وسلم. من طريق حَاتِمُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْمَدَنِيِّ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِيهِ عن جَابِرٍ به.

(2) صحيح البخاريّ (35/4)، كتاب الجهاد والسير، باب فضل الخدمة في الغزو، من طريق عَمْرِو بْنِ أَبِي عَمْرٍو مَوْلَى الْمُطَّلِبِ بْنِ حَنْطَبٍ عن أَنَسٍ به.

المبحث الثاني:

مبادئ الإعـــلام النبـــويّ

وفيه ثلاثـة مطالب:

المطلب الأول: إعـــــلامُ العقيـــدة والتعبـــــد والأخـــلاق.

المطلب الثاني: لغـــــة الخطـــاب الإعـــلامـــيّ القويّـــــة.

المطلب الثالث: التجارب العمليـــــة الحيويّـــــة وأثرها في اللسان الإعلامـــيّ.

المبحث الثاني:
مبادئ الإعلام النبوي

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول/ إعــلامُ العقيدة والتعبّد والأخلاق:

وهنا حديثٌ جامعٌ للمناحي الثلاثة (العقيدة، العبادة والأخلاق):

عن أبي بكرة رضي الله عنه أنّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم قَعَدَ عَلَى بَعِيــرِهِ، وَأَمْــسَكَ إِنْــسَانٌ بِخطَامِهِ – أَوْ بِزِمَامِهِ – قَالَ: "أَيُّ يَوْمٍ هَذَا ؟". فَسَكَتْنَا حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ سِوَى اسْمِهِ. قَالَ: "أَلَيْسَ يَوْمَ النَّحْرِ ؟". قُلْنَا: بَلَى. قَالَ: "فَأَيُّ شَهْرٍ هَذَا ؟". فَسَكَتْنَا حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ. فَقَالَ: "أَلَيْسَ بِــذِي الْحِجَّةِ ؟". قُلْنَا: بَلَى. قَالَ: "فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ بَيْنَكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَــهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا. لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ، فَإِنَّ الشَّاهِدَ عَسَى أَنْ يُبَلِّغَ مَنْ هُوَ أَوْعَى لَهُ مِنْهُ".[1]

فهذه قاعدةٌ إعلاميةٌ هامةٌ جدًّا، فعلى المبلِّغ والمبلَّغ أن يكونا مستوعبين للأحاديث والأخبار، ونظرًا لأن مدارك الناس تختلف، فربما يكون من نُقِل إليه الخبرُ أوعى من سامعِه ابتداءً، وفي قوله " لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ" طلب الدقة الشديدة في النقل وعدم التلاعب في النصِّ بأيِّ شكلٍ كان.

وقد انقسم الحديث إلى ثلاثة أقسام، أولاها ما تمثل في الأسئلة بإطارها العام لاستنطاق مــا عنــد الجمهور، وثانيها الأسئلة الإقراريّة التي يجيب عليها المسئول بحذف أداة الاستفهام، تلاهــا فــي الختــام العرضُ النبويُّ للمسألة التي جاء لها بتلكما المقدمتين، وبهذا تظهر الحنكة الإعلامية في خطابه من بــاب أنه يمهد لما يقول ويجعله أقرب إلى الاستيعاب وأبقى في دائرة الاستحضار العقلي:

القسم الأول/ المبدأ العقدي:

أكّد النبيُّ على أن الإسلام إيمان بعقيدةٍ وما يتبعها من العمل، وكل الداخلين في هذا الإطار يمنعون بعضهم بعضًا من التعدي السالب لأي نوع من أنواع الحريات أو الخصوصيات، فهــدر الــدم أو المــال والإساءة للعرض ممنوعٌ بالتحريم، وهذا مستقرٌ في اعتقاد كل مسلم، وجاء خطاب النبيّ صلى الله عليــه وسلم هنا ليعضد هذا الأمر ويعززه. قال تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلاَ تَقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً"[2].

ومن **المبدئية العقدية** حديثُ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: "أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ".[3]

---

(1) صحيح البخاريّ (24/1)، كتاب العلم، باب قول النبيّ: "ربَّ مبلَّغٍ أوعى من سامعٍ". من طريق محمدِ بْنِ سِيرِينَ عَــنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِى بَكْرَةَ عَنْ أَبِيهِ به.

(2) النساء: 29.

(3) صحيح مسلم، ص 1462 رقم 7369، كتاب الزهد والرقائق، باب من أشرك في عمله غير الله. مــن طريــق عَبْــدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَعْقُوبَ عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ به.

ولأنّ أولَ كلمةٍ في كتابِ الإعلامِ الإسلاميّ هي البناءُ العقديُّ، يرتكزُ عليه في جميع حيثياته وغدواته وروحاته، كان لا بدَّ أن يسير الإعلاميُّ المسلم في عمله يحدوه الإخلاص الكامل لله تعالى، وذلك بحفظ نيته عن الشرك وتمحيضها لمولاه، ومن أجل ذلك كان أول حديث في صحيح البخاري:

وعن عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه عَلَى الْمِنْبَرِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: "إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ".[1]

القسم الثاني/ المسلك التعبدي:

استغلال النبي صلى الله عليه وسلم للزمان (يوم النحر في الشهر الحرام ذي الحجة) والمكان (مكة المكرمة) أشعر السامعين بقداسة هذين الخطين، وجعل الجمهور المسلم في استحضار دائم لطبيعة الموقف الجلل الذي يعايشونه، وقد احتبست أنفاسهم ووصل التفكير عندهم إلى ذروته، والكلمات التي استخدمها نبينا صلى الله عليه وسلم وحثه المسلمين على ما سبق التنويه عليه، كل ذلك ساهم في إضفاء استشعار أن هذا العمل في إطار التعبد لله تعالى، طالما أن الآمر من لا ينطق عن الهوى، ومع أنه كان قادرًا أن يصوغ الكلام في قالب اللفظية المباشرة (بمعنى أن يذكر مناحي التحريم من غير استفزاز العقل لاستكناه فحوى السؤال، أو الإثارة والتشويق لما سيأتي من كلامٍ)، إلا أنه آثر الخطاب الإعلامي ليقوي جانب الالتزام التعبدي بما يتركه هذا الخطاب على هامش النفس من آثار إيجابية يظل مدى تأثيرها موجودًا كلما كان الزمان والمكان والكلام لها من القداسة ما لها، فمهما كان مكان المسلم بعيدًا عن مكة فمجرد الدخول في دائرة الزمان المذكور يجعله يستحضرها في قلبه ووجدانه كأنها رأي العين، ورسولنا العظيم لا يزال موجودًا بيننا بما نقل إلينا عنه من آثار واجبة الاتباع "وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ"[2].

القسم الثالث/ الإطار الأخلاقي:

العظمة في رسالتنا الخاتمة أنها منزوعة الأنانية، مرتمية في أحضان الإنسانية "وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ"[3]، وأن الكثيرين يستطيعون استيعابها، وأن غيرنا إذا توفر لهم الجوُّ المناسب والبيئة الملائمة للاتباع فستجدهم في ذلك أسرع من الريح المرسلة؛ لجلاء الحق ووضوحه، وعليه فليس غريبًا أن نجد أنَّ الحديث يؤسس لطبيعة التواصل الدمث اللطيف مع الناس، ولا يتركهم حيارى لأسئلة قد لا يجدون مجيبًا عليه، كما يؤصل للمنظومة الاجتماعية المتماسكة التي تدفع بأفراد المجتمع أن يكونوا متفاهمين متعاونين متكافلين، لا يعتدي أحدهم على أحد بأي لون كان.

---

(1) صحيح البخاريّ (6/1)، كتاب بدء الوحي، باب بدء الوحي. من طريق عَلْقَمَةَ بْنَ وَقَّاصٍ عن عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه به.

(2) الحشر: 7.

(3) الأنبياء: 107.

ويأتي في ذات السياق للتأكيد على المعنى الجليل السابق:

حديثُ عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ رضي الله عنه عن رسولِ الله صلى الله عليه وسلم: "نَضَّرَ اللَّهُ امْـرَءًا سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاهَا وَحَفِظَهَا وَبَلَّغَهَا فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ..."[1].

وانظر هنا إلى الدقّة في الترتيب والحثّ على الصواب دون غيره، فالمطلوب أولا دقة في السمع تصل إلى أقصى درجة بتوجيه الوجه بجميع جوارحه عينين وتقاسيم وحبس أنفاس، فالمتحدِّثُ رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم إدخال كل ذلك على صفحة العقل تحليلا ودراسة واستيعابًا وفهمًا، ووضعها في مجال الحفظ والذاكرة وطرد ما سواها لصالح الحديث إن لم يكن هناك متسعٌ مسبقٌ لها، وبعده يأتي الجانب الدعويّ بتبليغها وإيصالها للناس، لا أن تظل حكرًا على من استمع إليها فقط. والذي يصنع ذلك سيُنَضّر الله وجهَه ويجعله مقبولا عند الناس.

وهذا مفيدٌ جدًا في الجانب الإعلاميّ من حيث أنه مطلوبٌ لمن يسعى للنجاح وتحقيق التقدم والسبق المنقطع النظير، أن يحضّر نفسه ويوطنّها على الاستماع الجيد واستخدام جميع الحواسّ استقبالا وإرسالا، حتى يحفظ له عند ربه مقامًا سامقًا لأمانته، وعند الناس أخذًا بكل ما يقول لصدقه وحفظه وأمانته ونباهته.

---

(1) سنن الترمذي، ص 599 رقم 2658، كتاب العلم، باب ما جاء في الحثّ على تبليغ السماع.

قال الترمذيّ: حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عُمَرَ [محمد بن يحيى العدنيّ] حَدَّثَنَا سُفْيَانُ [بن عيينة الهلاليّ] عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ [بن سويد اللخميّ] عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ يُحَدِّثُ عَنْ أَبِيهِ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ:...

الحكم على الحديث: إسناده صحيح؛ رجاله ثقات، وهم على النحو الآتي:

رجال الحديث: سُفْيَانُ بن عيينة، عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ عُمَيْرٍ: ثقتان يدلسان، لكن في المرتبة الثانية عند ابن حجر. انظر: التقريب (ص 395 رقم 2464، ص 625 رقم 4228)، (طبقات المدلسين، ص 32 رقم 52، ص 41 رقم 84).

عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ (المسعوديّ): وثّقه ابنُ معين، (تهذيب التهذيب (524/2)، وأحمدُ وابنُ سعد، وقالا: إنما اختلط ببغداد، ومن سمع منه بالكوفة والبصرة فسماعه جيد. وزاد ابن حنبل: سماع وكيع من المسعوديّ قديم، وأبو نُعيم أيضًا. (كتاب المختلطين، للعلائي، ص 72 رقم 28). ووثقه يعقوبُ بن شيبة (ميزان الاعتدال (297/4) رقم 4907)، والنسائيُّ (تهذيب التهذيب (524/2)، وذكر ابن الكيّال عن الإمام معاذ بن معاذ أن المسعوديّ لم يختلط في أول قدومه بغدادَ، وسمع منه شعبة أولا، بل ويحدد سنة إحدى وستين كفاتحة لاختلاط المسعوديّ، وما قبلها فلا. (انظر: الكواكب النيّرات، ص 282–298). وقال ابنُ حجر في "التقريب": صدوق اختلط قبل موته، وضابطه أن من سمع منه ببغداد فبعد الاختلاط. (ص 586 رقم 3944). وقالا في تحرير التقريب: بل ثقة؛ أجمع جهابذة الجرح والتعديل على توثيقه: ابن معين، وعلي بن المديني، وابن عمّار وغيرهم، وكان أعلم الناس بحديث ابن مسعود. (تحرير تقريب التهذيب (331/2).

قلت: هو ثقة، ومن سمع منه قبل إحدى وستين فصحيحٌ.

ابْنُ أَبِي عُمَرَ: عن أحمد بن حنبل، وسئل: عمّن نكتب ؟ فقال: أما بمكّةَ فابنُ أبي عمر. وقال أبو حاتم عنه: كان رجلا صالحا وكان به غفلة، وهو صدوق. (الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (124/8–125) رقم 560). وذكره بن حبان في "الثقات". (98/9) رقم 15397). قال ابنُ حجر في "التقريب": صدوق. (ص 907 رقم 6431).

قال عنه في تحرير التقريب: بل ثقة؛ وثقه ابن معين والدارقطني وذكره ابن حبان في الثقات. (تحرير تقريب التهذيب (333/3) رقم 6391). **قلت:** هو ثقة. والله أعلم. **لذا فالحديث إسناده صحيح.**

فنحن أمة رسالة لا تقف حدودها عند زمن معين أو قطر محدد، بل حيثما وجد إنسان كانت دعوة، وحيثما أشرق شمس أو نزلت قطرة من السماء فثَمَّ التواصل لنشر الدين، لكن علينا أن نحصل لأنفسنا المران المستمر لتظل على وصال مستمر لاستقبال الإشارات النبوية والتفاعل معها فهمًا وإدراكًا على النحو الذي أراده الرسول صلى الله عليه وسلم، لنتحصل بعد ذا على وسام التمكن من تبليغ الرسالة المنوطة بنا، وربما وجدنا من المبلَّغين من يكون على قدر أحسن وأرقى منَّا في الفهم والاستيعاب، وكأن اختصار الحديث الآنف يكمن في: سماع ووعي وتبليغ ومتابعة النتائج.

بل إننا مأمورون ألا نكتم علمًا نعرفه، وألا نحجب أنوار ما تعلمناه عن من يطلبه منا، ويشتدّ النكير النبويّ على مخالفي هذه القاعدة بأنهم يختارون لأنفسهم لجامًا من نار يوم القيامة يظهرون فيه عن غيرهم، والسبب في ذلك يرجع في أن صاحب العلم لم يولد عالمًا ولم تدخل المعلومات إلى مواطن الفطنة فيه من غير توفيق الله له ومنحه لعقل ذكيّ وحافظة متينة وتحليل سديد ومقال رشيد، فكأنه بذا يضنّ بما لم يجمعه ذكاؤه ولا تملكه ماله على أناسٍ هو مأمورٌ بأن يرعاهم ويسطع عليهم بعلمه أو معلوماته. والله تعالى يقول لأمثاله: "وَإِذَ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ"[1].

وقال تعالى: " فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ"[2]، وعندما يأمر الله سبحانه من لا يعلم أن يسأل العالم دلّ على أن العالم إذا سئل عليه أن يجيب.

بل إن الأمر الصريح بالتبليغ جاء عن رسولنا صلى الله عليه وسلم مباشرة بقوله: "... فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ، فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ ...".[3]

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم كذلك: "مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ عَلِمَهُ ثُمَّ كَتَمَهُ أُلْجِمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ".[4]

---

(1) آل عمران: 187.

(2) النحل: 43.

(3) **متفقٌ عليه.**

أخرجه البخاريّ في صحيحه (176/2)، كتاب الحجّ، باب الخطبة أيام منى. ومسلم في صحيحه، ص 842 رقم 4275، كتاب القسامة، باب تغليظ الدماء والأعراض والأموال. كلاهما من طريق مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ عن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِى بَكْرَةَ عَنْ أَبِى بَكْرَةَ به.

(4) سنن الترمذي، ص 597 رقم 2649، كتاب العلم، باب ما جاء في كتمان العلم.

قال الترمذيّ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ بُدَيْلِ بْنِ قُرَيْشٍ الْيَامِيُّ الْكُوفِيُّ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ نُمَيْرٍ عَنْ عُمَارَةَ بْنِ زَاذَانَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحَكَمِ [البناني] عَنْ عَطَاءٍ عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: ....

تخريج الحديث: أخرجه ابنُ أبي شيبة في مصنفه (232/6)، من طريق أبي خالد الأحمر عن حجاج.

والطبرانيُّ المعجم الكبير (63/19) رقم 146، من طريق مَالِكِ بن دِينَارٍ.

كما أخرجه أحمدُ في مسنده، مسند أبي هريرة (313/16) رقم 7782، وأبو داود في سننه، ص 658 رقم 3658، كتاب العلم، باب كراهية منع العلم، وابنُ ماجه في سننه، ص 63 رقم 261، وابن حبّان في صحيحه (185/1) رقم 95.

والبيهقي في شعب الإيمان (266/4) رقم 1702. خمستهم من طريق عَلِيِّ بْنِ الْحَكَمِ البنانيّ.

المطلبُ الثاني/ لغة الخطاب الإعلاميّ القوية:

فقد كان صلى الله عليه وسلم أفصح خلق الله، وأعذبهم كلامًا، وأسرعه أداءً، وأحلاهم منطقًا، حتى كان كلامه يأخذ بمجامع القلوب ويسلب الأرواح.. وهو أفصح خلق الله إذا لفظ، وأنصحهم إذا وعظ، لا يقول هجرًا، ولا ينطق هذرًا، كلامه كله يثمر علمًا، ويتمثل شرعة وحكمًا، ولا يتفوه بشرٌ بكلام أحكمَ منه في مقالته، ولا أجزل منه في عذوبته. وخليقٌ بمن عبّر عن مراد الله بلسانه، وأقام الحجة على عباده ببيانه، وبين مواضع فروضه وأوامره ونواهيه، وزواجره ووعده ووعيده وإرشاده بأن يكون أحكم الخلق جنانًا وأفصحهم لسانًا، وأوضحهم بيانًا.[1]

أولا/ انحناء جوامع الكلم بمجرى اللغة من رسول الله صلى الله عليه وسلم:

فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث تفضيله على الأنبياء – ذكر منها – :"بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ .."[2]

ثلاثتهم [حجاج ومالك وعليّ] عَنْ عَطَاءِ بن أَبِي رَبَاحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ به.

وللحديث شاهدٌ عن ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما كما عند الطبرانيّ في المعجم الكبير (350/9) رقم 11147. وشاهدٌ آخرُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن عَمْرٍو رضي الله عنهما كما عند الطبرانيّ في المعجم الكبير (137/20) رقم 1516.

الحكم على الحديث: إسناده ضعيف؛ فيه أحمد بن بُديل صدوق كثير الخطأ، يرتقي للحسن لذاته باالشاهدين اللذين ذكرناهما في تخريج الحديث. والله أعلم، ورجال الحديث على النحو الآتي:

رجال الحديث: عبد الله بن نمير، علي بن الحكم، عطاء بن أبي رباح: ثقات، ولم يرسل عطاء عن أبي هريرة. انظر: التقريب (ص 553 رقم 3692)، (ص 694 رقم 4756)، (ص 677 رقم 4623)، (جامع التحصيل، ص 237 رقم 520).

عمارة بن زاذان: وثّقه يعقوبُ بنُ سفيان (تهذيب التهذيب. (210/3)، والعجليّ (معرفة الثقات (162/2) رقم 1326). وذكره ابن حبّان في (الثقات). (263/7) رقم 9982). وابن شاهين في (تاريخ أسماء الثقات، ص 228 رقم 841). ونقل ابن أبي حاتم توثيق أحمد له، ووصفَ ابنِ معين له بالصلاح. (الجرح والتعديل (365/6–366) رقم 2016). وقال ابن معين: صالح. وقال الآجريّ عن أبي داود: ليس بذاك. وعن أحمد كذلك: شيخ ثقة ما به بأس. يروي عن ثابت عن أنس أحاديثَ مناكير. وقال أبو زرعة: لا بأس به. وقال أبو حاتم: يُكتب حديثُه ولا يُحتجّ به، ليس بالمتين. (تهذيب التهذيب. (210/3). وقال ابن عديّ: وهو عندي لا بأس به، ممن يُكتب حديثُه. (الكامل في الضعفاء (80/5). وقال البخاريّ: ربما يضطرب في حديثه. (ميزان الاعتدال (212/5) رقم 6030). وذكره الدارقطني في "الضعفاء". (كتاب الضعفاء والمتروكين، ص 183 رقم 383). قال ابنُ حجر في "التقريب": صدوق كثير الخطأ. (ص 712 رقم 4881).

قلت: والذي ترجح لي في عمارة الصيدلانيّ قولُ ابنِ حجر. والله أعلم

أحمد بن بديل: قال ابن عديّ: وهو ممن يُكتب حديُه على ضعفه. (تهذيب التهذيب (17/1). وكذا قال الذهبيّ في الميزان. (218/1) رقم 304). وقال ابن أبي حاتم: محلّه الصدق. (الجرح والتعديل (43/2) رقم 17). وقال النسائي: لا بأس به. وقال الدارقطني: فيه لين. (تهذيب التهذيب (17/1)، وذكره ابن حبّان في (الثقات) وقال: مستقيم الحديث. (39/8) رقم 12150). وقال ابنُ حجرٍ: صدوق له أوهام. (تقريب التهذيب، ص 86، رقم 12).

قلت: والذي ترجّح لي أنه صدوق. والله أعلم

(1) المواهب اللدنية (236/2–237).

(2) **متفقٌ عليه.**

وجوامع الكلم: القرآن؛ جمع الله في الألفاظ اليسيرة من معانٍ كثيرة، ومنه في وصفه عليه السلام كان يتكلم بجوامع الكلم، يعني: أنه كان كثير المعاني قليل الألفاظ.[1]

وكان يعطي المعنى المطلوب الذي يريد أن يصل إلى السامع في كلمات قليلة مفتاحية، تترك في مجال العقل مساحة رحبة للتفكير، وعلى ذلك أمثله نذكر أشهرها وأحفظها. نحو ما قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم:

1. الْحَلاَلُ بَيِّنٌ ، وَالْحَرَامُ بَيِّنٌ[2]:

أي: إن الحلال الخالص من احتمالات وشبهات الحرام ظاهرٌ واضحٌ تدركه العقولُ السليمةُ، وتحسُّ به القلوبُ التي ما زالت على فطرتها الصافية النقية، [وكذا الحرام].[3]

وهذا الحديث من الأحاديث الأصول الجوامع، وفيه كليّات عظيمة بأمّهات سلوكية وأخلاقية أوصى بها الرسول صلى الله عليه وسلم، وبأسس التكوين الإنساني بينها.[4]

2. أَسْلِمْ تَسْلَمْ ، يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ[5]:

دعوةٌ مباشرةٌ ومختصرة، بتحصيل السَّلْم بعد دخول دائرة السِّلْم لمن أراد.

3. الحج عرفة[6]:

أورده البخاريّ في صحيحه (37/9)، كتاب التعبير، باب المفاتيح في اليد. ومسلم في صحيحه، ص 246 رقم 1055، كتاب المساجد، بابٌ. كلاهما من طريق ابْنِ شِهَابٍ عن سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ عن أَبِي هُرَيْرَةَ به.

(1) إكمال المعلم (438/2).

(2) **متفقٌ عليه.**

أخرجه البخاريّ في صحيحه (53/1)، كتاب البيوع، باب الحلال بيّن والحرام بيّن وبينهما مشبّهات. من طريق أَبِي فَرْوَةَ. ومسلم في صحيحه، ص 783 رقم 3985، كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات. من طريق عَوْنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ. كلاهما عَنِ الشَّعْبِيِّ عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنه به.

(3) روائع من أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم، للميداني، ص 205.

(4) نفسه، ص 221.

(5) **متفقٌ عليه.**

أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الوحي، باب حدثنا: أبو اليمان. ومسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب كتاب النبي إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام. كلاهما من طريقِ الزُّهْرِيِّ عن عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ أَخْبَرَهُ أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ أَخْبَرَهُ:... (جزءٌ من حديثٍ طويلٍ شهيرٍ)

(6) سنن النسائي، ص 466 رقم 3016، كتاب مناسك الحج، باب فرض الوقوف بعرفة.

قال النسائي: أَخْبَرَنَا إِسْحَقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ [بن مخلد المروزي] قَالَ أَنْبَأَنَا وَكِيعٌ [بن الجرّاح] قَالَ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ [بن سعيد الثوري] عَنْ بُكَيْرِ بْنِ عَطَاءٍ [الليثيّ] عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَعْمَرَ قَالَ: شَهِدْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَتَاهُ نَاسٌ فَسَأَلُوهُ عَنْ الْحَجِّ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْحَجُّ عَرَفَةُ فَمَنْ أَدْرَكَ لَيْلَةَ عَرَفَةَ قَبْلَ طُلُوعِ الْفَجْرِ مِنْ لَيْلَةِ جَمْعٍ فَقَدْ تَمَّ حَجُّهُ.

الحكم على الحديث: صحيح؛ رجاله ثقات، وهم على النحو الآتي:

رجال الحديث: إِسْحَقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، وَكِيعٌ بنُ الجرّاح، سُفْيَانُ الثوريّ، بُكَيْرُ بْنُ عَطَاءٍ: ثقات. انظر: التقريب (ص 126 رقم 334)، (ص 1037 رقم 7464)، (ص 394 رقم 2458)، (ص 178 رقم 771). **لذا فالحديث صحيح.**

فمن لم يقف بعرفة، فلا حجّ له، وإن أدّى المناسكَ كلَّها، مما سيجعل المسلم يسترعي انتباهه ويستدعي جميع حواسه لأداء الركن الأهمّ، وإلا ضاع حجُّه.

4. الدِّينُ النَّصِيحَةُ[1]:

لأنّ ديننَا دينُ الجسد الواحد، وليس دينَ الفرد الواحد، وإن لم يقدّم النصح لإخوانه وأمرائه، وعامّة المسلمين، كان مرتكبًا إثم عقوق الأخوّة الإسلامية.

5. الْحَرْبُ خُدْعَةٌ[2]:

قال في فتح الباري: وهو – أي الحديث – كقوله "الحجّ عرفة"[3]، يعني أن من أسلوب الرسول صلى الله عليه وسلم استخدام العبارات الإشارية القوية في التعبير عن المراد بأقلّ العبارات.

وقال القاضي عياض: قال أهل العلم: الخداع جائزٌ في الحرب كيفما تمكّن لهذا الحديث، إلا أن يكون بنقض عهود وأمان فلا يحلّ.[4]

6. دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لاَ يَرِيبُكَ[5]:

أجمعُ قاعدةٍ في ترك الأمر المشتبه فيه، وإن لم تكن الفائدة إلا الحسبةُ لله تعالى، وانتظار الأجر والثواب من الله تعالى، وواضحٌ ما في تطبيق هذه القاعدة التأصيليّة من راحة داخليّة للمسلم على مدار أطوار حياته، فليس له أن يختار ما يريد راحةً وإن كان باطلاً، ثم ينتظر تحقيق المراد ونيل الأماني، بل عليه أن يعتمد هذه الأثر كميزان يقيس عليه مختلفُ أعمالِه.

---

(1) صحيح مسلم، ص 55 رقم 101، كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة. من طريق سُفْيَانَ عَنْ سُهَيْلٍ عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَزِيدَ عَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ به.

(2) **متفقٌ عليه.**

أخرجه البخاريّ في صحيحه (64/4)، كتاب الجهاد والسيَر، باب الحرب خدعة. ومسلم في صحيحه، ص 877 رقم 4431، كتاب الجهاد والسيَر، باب جواز الخداع في الحرب. كلاهما من طريق سُفْيَانِ بنِ عيينة عن عَمْرِو بنِ دينار الأثرم عن جَابِرِ بنِ عبد الله رضي الله عنهما به.

(3) لابن حجر (223/6).

(4) إكمال المعلم، للقاضي عياض (42/6).

(5) سنن الترمذي، ص 567 رقم 2517، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، بابٌ.

قال الترمذيّ: حَدَّثَنَا أَبُو مُوسَى الأَنْصَارِيُّ [إسحاق بن موسى بن عبد الله الخطميّ] حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ إِدْرِيسَ [بن يزيد الأودي الزعافريّ] حَدَّثَنَا شُعْبَةُ [بن الحجّاج بن الورد] عَنْ بُرَيْدِ بْنِ أَبِي مَرْيَمَ [مالك السلولي] عَنْ أَبِي الْحَوْرَاءِ السَّعْدِيِّ [ربيعة بن شيبان] قَالَ قُلْتُ لِلْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ: مَا حَفِظْتَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ؟ قَالَ: حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لاَ يَرِيبُكَ، فَإِنَّ الصِّدْقَ طُمَأْنِينَةٌ، وَإِنَّ الْكَذِبَ رِيبَةٌ".

الحكم على الحديث: صحيح؛ رواته ثقات. قَالَ الترمذيّ عقيبه: وَهَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

ورجال الحديث هم: أبو موسى الأنصاريّ، عبد الله بن إدريس، شعبة، بريد بن أبي مريم، أبو الحوراء السعديّ: ثقات.

انظر: التقريب (ص 132 رقم 390)، (ص 491 رقم 3224)، (ص 436 رقم 2805)، (ص 165 رقم 665)، (ص 322 رقم 1917). **لذا فالحديث صحيح.**

7. لاَ ضَرَرَ وَلاَ ضِرَارَ[1]:

(1) سنن ابن ماجه، ص 400 رقم 2341، كتاب الأحكام، باب من بنى في حقه ما يضر بجاره.
حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى [بن عبد الله الذهلي النيسابوري] حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ [بن همام بن نافع الصنعاني] أَنْبَأَنَا مَعْمَرٌ [بن راشد الأزدي] عَنْ جَابِرٍ [بن يزيد بن الحارث] الْجُعْفِيِّ عَنْ عِكْرِمَةَ [مولى ابن عبّاس] عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم:...

تخريج الحديث: أخرجه أحمد في مسنده (313/1) رقم 2867. مسند عبد الله بن العباس بن عبد المطلب. والطبراني في المعجم الكبير (228/11) رقم 11576. كلاهما من حديث ابْنِ عَبَّاسٍ به. **وشواهد الحديث متعددة وهي على النحو التالي:** أخرجه مالك في الموطأ (288/2) رقم 2171، والبيهقي السنن الكبرى (157/6) رقم 11658. كلاهما من حديث يَحْيَى الْمَازِنِيِّ. وأخرجه أحمد في مسنده (326/5) رقم 22830، من أخبار عبادة بن الصامت. وابن ماجه في سننه، ص 400 رقم 2340، والبيهقي السنن الكبرى (133/10) رقم 11657. ثلاثتهم من طريق إِسْحَاقَ بْنِ يَحْيَى عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ. وأخرجه الدارقطني في سننه (227/4) رقم 83، من طريق عمرة. والطبرانيّ في المعجم الأوسط (90/1) رقم 268. كلاهما من حديث أمِّ المؤمنين عائشةَ رضي الله عنها. وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير (86/2) رقم 1387. من حديث ثَعْلَبَةَ بن أَبِي مَالِكٍ.

الحكم على الحديث: إسناده ضعيف؛ فيه جابر الجعفي ضعيف. وهو حسنٌ لغيره باعتبار تعدد طرقه والشواهد الكثيرة بعده.

ورجال الحديث هم: مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، مَعْمَرٌ بن راشد، عِكْرِمَةَ مولى ابن عبّاس، عَبْدُ الرَّزَّاقِ الصنعاني: ثقات، لكن تحديث الأخير بعد المائتين لا شيء. والله أعلم. (انظر: التقريب (ص 907 رقم 6427)، (ص 961 رقم 6857)، (ص 687-688 رقم 4707).

جَابِر الجعفيّ:

الأقوال في توثيقه: عن سفيان الثوريّ: ما رأيت أورع في الحديث منه. وعن شعبة: جابر صدوق في الحديث، وقال: كان جابر إذا قال: حدثنا، وسمعتُ، فهو من أوثق الناس. وعن زهير بن معاوية: كان إذا قال: سمعتُ، أو سألتُ، فهو من أوثق الناس. وقال وكيع: مهما شككتم في شيء، فلا تشكّوا في أن جابرًا ثقة، حدثنا عنه مسعر، وسفيان، وشعبة، وحسن بن صالح. (تهذيب التهذيب (284/1). وقال أحمد بن حنبل: لم يُتكلم في جابر في حديثه، إنما تُكُلِّمَ لرأيه. وقال أبو داود: وليس عنده بالقويّ. (كتاب الضعفاء والمتروكين، لابن الجوزي (164/1) رقم 630).

الأقوال في تضعيفه وتكذيبه: كذَبه ابنُ معين (تهذيب التهذيب (284/1) وقال: ليس عندهم بشيء. (سؤالات ابن الجنيد ليحيى بن معين، ص403 رقم 552)، والشعبي (ضعفاء العقيلي، ص 208 رقم 240) وأبو حنيفة، وقال: ما أتيتُه بشيء من رأيي إلا جاءني فيه بحديث، وزعم أن عنده كذا وكذا ألف حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ينطق بها. (المجروحين لابن حبّان (245/1). وسعيدُ بنُ جبير (ضعفاء العقيلي، ص 208 رقم 240)، وتركه يحيى القطّان، وحدّث عنه عبد الرحمن قديمًا، ثم تركه بأَخرة. (ميزان الاعتدال (103/2) رقم 1427)، وقد ليّنه أحمد (تهذيب التهذيب (284/1-285) وأبو زرعة (الجرح والتعديل (498/2) رقم 2043). وقال النسائي (كتاب الضعفاء والمتروكين للنسائي، ص 71 رقم 100)، والدارقطني: متروك. (موسوعة أقوال الدارقطني، ص 164 رقم 741).

وقال عنه أبو حاتم: يُكتب حديثه على الاعتبار ولا يُحتجّ به. (الجرح والتعديل (498/2) رقم 2043)، كما كذبه زائدة، وقال عنه: يُؤمِن بالرجعة، رافضيّ يشتم أصحاب النبيّ صلى الله عليه وسلم. ولم يكن جريرٌ يستحلُّ أن يروي عنه. وقال الحاكم أبو أحمد: ذاهب الحديث. وقال أبو الأحوص [عوف بن مالك]: كنت إذا مررت بجابر الجُعفي سألتُ ربي العافية. وقال ابن سعد: كان يدلّس، وكان ضعيفًا جدًا في رأيه وروايته. وضعّفه العجليّ وقال: كان يغلو في التشيع، ويدلّس. (تهذيب التهذيب (284/1-285)، وكذّبه إبراهيمُ الجوزجاني (تهذيب التهذيب (284/1)،

لا تضرُّوا أنفسَكم ولا يتعديّن ضرركم إلى غيركم، أسلموا لأنفسكم وليسلم الناسُ منكم.

8. الْحَيَاءُ كُلُّهُ خَيْرٌ[1]:

وكأن الذي لا يكون عنده الحياء يفقد كلّ الخير، فهو الذي يحجزك عن المعصية حياءً من رؤية الله لك، وهو الذي يمنعك عن خرم المروءة حفظًا لتكريم إنسانيتك، وهو الذي يمنعك عن ارتكاب المنكر أو الحديث بالدونيَّات من الكلمات، لأنك حييٌّ باختصار.

9. مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ[2]:

جميلةٌ في الردّ على أسئلة الصحافيين، خاصةً فيما كان معروفًا ولا يصحُّ السؤال عنه ابتداءً:

وكيف يصحُّ في الأفهام شيءٌ إذا احتاج النهارُ إلى دليلِ

10. إِنَّ مِنَ الشِّعْرِ حِكْمَةً[3]:

فنغماته تؤثر في الإنسان، وتحرك الوجدان، وتهز الجوانب والأركان، فيه الرنّة العذبة، والحكمة الموفقة، والدعوة الحسنة.

قلت: وفي الأمثلة السابقة تبيان أن رحى البلاغة النبوية تدور على جوامع الكلم، وأنك مهما شرّقت أو غرّبت في السنة فستجد هذا سمتًا عامًّا، وأوردنا بالأمثلة السابقة من مختلف كتب الفقه في

وقال ابن حبّان: كان سبئيًا من أصحاب عبد الله بن سبأ، وكان يقول: إن عليًا عليه السلام يرجع إلى الدنيا، وقال كذلك: فإن احتجّ محتجٌّ بأن شعبة والثوري رويا عنه، فإن الثوري ليس من مذهبه ترك الرواية عن الضعفاء، بل كان يؤدي الحديث على ما سمع لأن يرغب الناس في كتابة الأخبار ويطلبوها من المدن والأمصار.

وأما شعبة وغيره من شيوخنا فإنهم رأوا عنده شيئًا لم يصبروا عنها، وكتبوها، ليعرفوها، فربما ذكر أحدهم عنه الشيء بعد الشيء على جهة التعجب، فتداوله الناس بينهم. (المجروحين لابن حبّان (245/1–247) رقم 176).

وعن ثعلبة بن سهيل الطهوي، قال: قال لي ليث – بن أبي سليم –: لا تقربنّ جابر الجعفي ولا تسمع منه. وعن أبي يحيى الحِمّاني، قال: سمعت الربيع بن المنذر يقول لسفيان الثوري: اتقِ الله يا سفيان ولا ترو عن جابر شيئًا. (ضعفاء العقيلي، ص 209–210 رقم 240). وضعّفه ابنُ حجرٍ. (تقريب التهذيب، ص 192 رقم 886).

أما تدليسُه فقد ذكره ابنُ حجر في المرتبة الخامسة من مراتب التدليس، وقال عنه: ضعّفه الجمهور. (طبقات المدلسين، ص 53 رقم 133. والمرتبة الخامسة هي: مرتبة من ضُعّف بأمر آخر غير التدليس، وحديثُهم مردود ولو صرّحوا بالسماع إلا أن يوثّق من كان ضعفه يسيرًا كابن لهيعة. ص 14 من نفس الكتاب).

قلت: والذي يظهر لي بعد هذه النقولات وأقوال العلماء، أن جابرًا ضعيف. والله أعلم

(1) صحيح مسلم، ص 48 رقم 64، كتاب الإيمان، باب شعب الإيمان. من طريق أَبِي قَتَادَةَ عن عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ به.

(2) **متفقٌ عليه.**

أخرجه البخاري في صحيحه (19/1)، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبيَّ عن الإيمان والإسلام. ومسلم في صحيحه، ص 32 رقم 6، كتاب الإيمان، باب الإيمان ما هو وبيان خصاله. كلاهما من طريق أَبي حَيَّانَ التَّيْمِيّ عَنْ أَبِي زُرْعَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ به.

(3) صحيح البخاريّ (34/8)، كتاب الأدب، باب ما يجوز من الشعر والرجز والحداء وما يُكره منه. من طريق الأَسْوَدِ بْنِ عَبْدِ يَغُوثَ عن أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ به.

الصحاح والسنن، وما جئنا به هنا فمن: الإيمان، بدء الوحي، البيوع، المساقاة، الآداب، مناسك الحجّ، صفة القيامة والرقائق والورع، الأحكام.

ثانيا/ الإيجاز في الإجابات مع الإيفاء بالمطلوب: بمعنى السؤال السريع والإجابة السهلة المباشرة:

وانظر إلى هذا الحوار الذي كان بين النبي صلى الله عليه وسلم ورجلٍ يسأله:

عن أَنس بْنِ مَالِكٍ قال: بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فِي الْمَسْجِدِ، دَخَلَ رَجُلٌ عَلَى جَمَلٍ فَأَنَاخَهُ فِي الْمَسْجِدِ، ثُمَّ عَقَلَهُ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: أَيُّكُمْ مُحَمَّدٌ ؟ وَالنَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم مُتَّكِئٌ بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِمْ. فَقُلْنَا: هَذَا الرَّجُلُ الأَبْيَضُ الْمُتَّكِئُ. فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ: ابْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: "قَدْ أَجَبْتُكَ". فَقَالَ الرَّجُلُ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم: إِنِّي سَائِلُكَ فَمُشَدِّدٌ عَلَيْكَ فِي الْمَسْأَلَةِ فَلاَ تَجِدْ عَلَيَّ فِي نَفْسِكَ. فَقَالَ: "سَلْ عَمَّا بَدَا لَكَ". فَقَالَ: أَسْأَلُكَ بِرَبِّكَ وَرَبِّ مَنْ قَبْلَكَ، آللَّهُ أَرْسَلَكَ إِلَى النَّاسِ كُلِّهِمْ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ نَعَمْ". قَالَ: أَنْشُدُكَ بِاللَّهِ، آللَّهُ أَمَرَكَ أَنْ نُصَلِّيَ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ؟ قَالَ: اللَّهُمَّ نَعَمْ". قَالَ: أَنْشُدُكَ بِاللَّهِ، آللَّهُ أَمَرَكَ أَنْ نَصُومَ هَذَا الشَّهْرَ مِنَ السَّنَةِ؟ قَالَ: "اللَّهُمَّ نَعَمْ". قَالَ: أَنْشُدُكَ بِاللَّهِ، آللَّهُ أَمَرَكَ أَنْ تَأْخُذَ هَذِهِ الصَّدَقَةَ مِنْ أَغْنِيَائِنَا فَتَقْسِمَهَا عَلَى فُقَرَائِنَا؟ فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: "اللَّهُمَّ نَعَمْ". فَقَالَ الرَّجُلُ: آمَنْتُ بِمَا جِئْتَ بِهِ، وَأَنَا رَسُولُ مَنْ وَرَائِي مِنْ قَوْمِي، وَأَنَا ضِمَامُ بْنُ ثَعْلَبَةَ أَخُو بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ.[1]

فقد كان موقف الرجل يوحي بأنه قد جاء في مهمة سريعة، لسؤال أجوبة محددة وسماع أجوبة أكثر تركيزًا منها، وقد أوضح طبيعته التي ستكون لدى طرح الأسئلة، لكي لا يُفجأ المسئول بطبيعة لم يعتد عليها من ذي قبل، ومع ذلك فقد قال له المصطفى عليه السلام: "سَلْ عَمَّا بَدَا لَكَ"، ما يعني أنه على أتمَّ استعداد لاستيعاب السائل وجواب السؤال، وقد كانت كذلك طبيعة نبينا فاختلاف الطبائع لدى الناس ما كان إلا شيئًا اعتياديًّا على نبيٍّ خاتم جعله الله تعالى في موطن القدوة لأمته جميعًا.

وفي الحديث المتابعة الصقرية من صحابة المصطفى صلى الله عليه وسلم للسائل من حيث الحركات والمشية والهيئة العامة والإجابة باعتبار السؤال، فقد سألهم عن النبي صلى الله عليه وسلم باسمه مجردًا، ولكنهم أرادوا أن يمنحوه مجالا رحبًا من التفكير بأنه رجل مثلُهم بل هو متكئٌ وقتها بين ظهرانيهم ما يمثل به قمة التواضع والتذلل لله تعالى، وهو أبيض لما تثيره هذه اللفظة في حينها من إشعار بالأنوار التي يتمتع بها النبي صلى الله عليه وسلم وتميزه بين أصحابه بصفات لم يكن هو صاحبَ اليد فيها.

---

(1) صحيح البخاريّ (23/1)، كتاب العلم، باب ما جاء في العلم، وقوله تعالى: "وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً" (طه:114). من طريق سَعِيدٍ الْمَقْبُرِيِّ عَنْ شَرِيكِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ به.

ثالثا/ الدقة التي تمتع بها النبيُّ صلى الله عليه وسلم، وأمرنا أن نكون من أهلها:

فقد ترجم البخاريّ في أحد أبواب كتاب العلم بقول: باب الْعِلْمُ قَبْلَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ. لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى "فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ"[1] فَبَدَأَ بِالْعِلْمِ، وَأَنَّ الْعُلَمَاءَ هُمْ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ، وَرَّثُوا الْعِلْمَ، مَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ [2]...

قلت: وهذا يعني أن جلال الصدق الإعلامي لن يكون موجودًا إلا إذا استند إلى حقائق علمية ومعرفة مبصرة آكدة لا تنبني على مجرد الحدس والتصور والتخمين، وهذا ظاهر في أنه سيؤدي في النهاية إلى صناعة الشخصية الإسلامية الإعلامية المقبولة عند الناس.

وتقديم العلم على القول والعمل، بل على التوحيد، فيه أن ما كان أصله العلم كان فرعه في السماء، وما كان صادرًا عن جهل وتمحل وتكلف كان مردُّه إلى خواء وهراء، وأن مصدر الراحة النفسية باستمرار، وطمأنينة القلب على طول المدار، لن يُنال تجاه إعلامي إلا إذا استنار بهذه القاعدة العظمى. وإذا كان العلم بالتعلم، فإن العادة بالتعوُّد، فمن انتهج الصدق ورامه سجية ملازمة عرفه به وأضحى سيماءه وعلامته البارزة.

أما آية الخشية جليلة، فمتى كان الخوف من الله متحققًا عند الإعلامي أولا ثم من خدش بهاء سمعته، لم يستطع التفكير بذكر ما سوى الحقائق المجرَّدة؛ أي أن الإسلام يفيد جزءًا معنويًّا هامًا في نقية المسلم، وهو أنه من الواجب عليه أن يضع نصب عينيه أن كل كلمة يقولها أو مقال يكتبه أو تصريح يصدر عنه ينبغي أن ينبع من خوفه لله تعالى.

وتأكيدًا على هذا المعنى نذكر هذا الحديث:

عن عليِّ بنِ أَبِي طالبٍ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: "لاَ تَكْذِبُوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ فَلْيَلِجِ النَّارَ"[3] وفيه هذا إثمٌ من كذب في النقل؛ لأن الكذبَ ليس سبيلَ المؤمنين، ولم يكن يومًا في سيمائهم، بل إن من اعتمده كسجيّةٍ ملازمةٍ على النبيِّ وغيرِه كان من أهل النار، فإن الكذب يهدي إلى الفجور، والفجور يهدي إلى النار. ولذا **قال ابن حجر:** "هو عامٌّ في كل كاذب، مطلق في كل نوع من الكذب".[4]

فالمطلوب من الشخصية الإعلامية أن تستوعب ما تقوم بنقله للناس، حتى لا تكون كحاطب ليل. كما نرى أن هذا الباب يوحي بأن العلم مدينة بابها الفهم، أو أنه شجرة ثمارها في العلية لا ينالها إلا حاذق

---

(1) محمد: 19.

(2) انظر: صحيح البخاريّ (24/1)، كتاب العلم، باب الْعِلْمُ قَبْلَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ.

(3) **متفقٌ عليه.**

أخرجه البخاريّ في صحيحه (33/1)، كتاب العلم، باب إثم من كذب على النبيِّ. وأخرجه مسلم في صحيحه، ص 13 رقم 2، كتاب المقدمة، باب في التحذير من الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم. كلاهما من طريق مَنْصُورِ بنِ المعتمر عن رِبْعِيِّ بْنِ حِرَاشٍ عن عليٍّ رضي الله عنه به.

(4) فتح الباري (293/1).

فاهم، بل نفيد بأنه لا مُستفاد من علم لم يسقه الفهم؛ إذ قد تكون العيس حاملةً ماءً كثيرًا، ولكن بالظمأ تُقتَل وتموت، لأنها لم تستطع الاهتداء إلى قِدَد الاستفادة منه.

رابعًا/ استغلال الدلالات اللفظية المناسبة في مكانها المناسب وزمانها:

"ومما عُدَّ أيضًا من أنواع بلاغته كلامه صلى الله عليه وسلم مع كل ذي لغة بليغة بلغته اتساعًا في الفصاحة، واستحداثًا للألفة، فكان صلى الله عليه وسلم يخاطب أهل الحضر وبكلامٍ ألينَ من الدهن وأرقَّ من المُزْن، ويخاطب أهل البدو بكلامٍ أرسى من الهِضَب[1] وأرهف من العَضْب[2]".[3]

"وقد كان من خصائصه صلوات الله وسلامه عليه أن يكلم كل ذي لغة بليغة بلغته على اختلاف لغة العرب وتركيب ألفاظها وأساليب كلمها، وكان أحدهم لا يتجاوز لغته، وإن سمع لغة غيره فكالعجمية يسمعها العربيّ، وما ذلك منه صلى الله عليه وسلم إلا بقوة إلهية وموهبة ربانية، لأنه بعثه إلى الكافة طرًّا، وإلى الخليقة سودًا وحمرًا، والكلام باللسان يقع في غاية البيان".[4]

بل إن الرسول صلى الله عليه وسلم استخدم الكلمة الصريحة للسؤال الاستقراري في قضية زنا ماعز، وذلك للدلالة على ما أريد فهمه بدلالة المعنى القاطعة للفظ.

ففي حديثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ لَمَّا أَتَى مَاعِزُ بْنُ مَالِكٍ النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم قَالَ لَهُ: "لَعَلَّكَ قَبَّلْتَ أَوْ غَمَزْتَ أَوْ نَظَرْتَ". قَالَ: لاَ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: "أَنِكْتَهَا". لاَ يَكْنِى. قَالَ فَعِنْدَ ذَلِكَ أَمَرَ بِرَجْمِهِ.[5]

المطلب الثالث/ التجارب العملية الحيوية وأثرها في اللسان الإعلاميّ:

هناك العديد من المواقف والتجارب التي مرّ بها الرسول صلى الله عليه وسلم بتقدير الله له وصنعه على عينه لتُصقلَ شخصيتُه وتستعد لليوم الموعود، وهو يوم تحمّل أمانة النبوة، ومنها:

أولا/ ولادتُه يتيمًا:

يقول البوطي في (فقه السيرة)[6]: "ليس من قبيل المصادفة أن يُولد رسول الله صلى الله عليه وسلم يتيمًا، ثم لا يلبث أن يفقد جدّه أيضًا، فينشأ النشأة الأولى من حياته، بعيدًا عن تربية الأب ورعايته، محرومًا من عاطفة الأم وحنوّها... وهكذا أرادت حكمة الله أن ينشأ رسوله يتيمًا، تتولاه عناية الله وحدها بعيدًا عن

---

(1) **الهِضَبّ**: الشديد الصُّلب (العين (312/4).

(2) **العَضْب**: السيف القاطع (الصحاح، ص 183).

(3) المواهب اللدنية، أحمد بن محمد القسطلاني (263/2).

(4) نفسه (277/2).

(5) صحيح البخاريّ (167/8)، كتاب الحدود (المحاربين)، باب هل يقول الإمام للمقرّ لعلك لمست أو غمزت. من طريق يَعْلَى بْنِ حَكِيمٍ عَنْ عِكْرِمَةَ عن ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما به.

(6) ص 46.

الذراع التي تمعن في تدليله والمال الذي يزيد في تنعيمه، حتى لا تميل به نفسه؛ حتى لا تميل به نفسه إلى مجد المال والجاه، وحتى لا يتأثر بما حوله من معاني الصدارة والزعامة، فتلتبس على الناس قداسة النبوة بجاه الدنيا، وحتى لا يحسبوه يصطنع الأول ابتغاء الوصول إلى الثاني".

ثانيا/ نشأته في بني سعد:

يقول أبو الحسن الندويّ: وكان العرب يؤثرون البادية لرضاعة الأطفال ونشأتهم الأولى، لما في هواء البادية من الصفاء، وفي أخلاق البادية من السلامة والاعتدال، والبعد عن مفاسد المدنية، ولأن لغة البادية سليمة وأصيلة، ... وقبيلة بني سعد كانت لها شهرة في المراضع وفي الفصاحة.[1]

و**يقول المباركفوري:** وكانت العادة عند الحاضرين من العرب أن يلتمسوا المراضع لأولادهم ابتعادًا لهم عن أمراض الحواضر، ولتقوى أجسادهم، وتشتد أعصابهم، ويتقنوا اللسان العربيّ في مهدهم.[2]، **ويعلق نزار ريان** على ذلك بقوله: وذكر خبر حليمة السعدية، أن عادة أهل مكة استرضاع المراضع لأولادهم من أهل البادية، فيه إشارة إلى ضرورة إيجاد المحاضن الطبيعية السليمة من الأوبئة، حقيقيّةً كانت أم معنوية، فإن تربية الناشئة في وسط سليم، يعينها على الرقيّ والمضيّ قدمًا في السبيل اللاحب... والبادية مقدمة على الحواضر والمدن، في تهيئة النشأة الصالحة، والتربية الحسنة للجيل.[3]

ولعل **ابن خلدون** في مقدمته يوضح نحوًا من ذلك بخبرته ومعرفته فيقول:

"وأهل البدو وإن كانوا مقبلين على الدنيا مثلهم – يعني الحضّر – إلا أنهم في المقدار الضروري لا في الترف ولا في شيء من أسباب الشهوات واللذات ودواعيها، فعوائدهم في معاملاتهم على نسبتها وما يحصل فيهم من مذاهب السوء ومذمومات الخلق بالنسبة إلى أهل الحضر أقل بكثير فهم أقرب إلى الفطرة الأولى وأبعد عما ينطبع في النفس من سوء الملكات بكثرة العوائد المذمومة وقبحها.[4]

ثالثًا/ التحنث في حراء:

عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهَا قَالَتْ أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لاَ يَرَى رُؤْيَا إِلاَّ جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلاَءُ، وَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ – وَهُوَ التَّعَبُّدُ – اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ الْعَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ إِلَى أَهْلِهِ، وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ ...[5]

---

(1) السيرة النبوية، للندويّ، ص 10-101.

(2) الرحيق المختوم، ص 62.

(3) دراسات في السيرة، ص 44.

(4) مقدمة ابن خلدون، ص 98.

(5) **متفق عليه.**

أخرجه البخاري في صحيحه (6/1)، كتاب بدء الوحي، بابٌ. ومسلمٌ في صحيحه، ص 96 رقم 293، كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. كلاهما من طريق عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رضي الله عنها.

و"في غار حراء كان محمد عليه الصلاة والسلام يتعبد، ويصقل قلبه، وينقي روحه، ويقترب من الحق جهده، ويبتعد عن الباطل وسعه، حتى وصل من الصفاء إلى مرتبة عالية، انعكست فيها أشعة الغيوب على صفحته المجلوّة، فأمسى لا يرى رؤيا إلا جاءت كفلق الصبح".[1]

"ولقد كان يشتد به التأمل ابتغاءَ الحقيقة، حتى لكان ينسى نفسه وينسى طعامه وينسى كل ما في الحياة".[2]

"وجوّ الجزيرة يزيد خمول الخامل وحدّة اليقظان، كالشعاع الذي ينمي الأشواك والورود معًا، وقد كان محمد صلى الله عليه وسلم يستعين بصمته الطويل، صمته الموصول بالليل والنهار، صمته المطبق على الرمال الممتدة والعمران القليل، كان يستعين بهذا الصمت على طول التأمل، وإدمان الفكر، واستكناه الحق، ودرجة الارتقاء النفسي التي بلغها من هذا النظر الدائم أرجح يقينًا من حفظ لا فهم فيه، أو فهم لا أدب معه. ومثله في احترام حقائق الكون والحياة أولى بالتقديم من أولئك الذين اعتنوا الأوهام، وعاشوا بها ولها".[3]

وقد كان اختياره لهذه العزلة طرقًا من تدبير الله له، وليكون انقطاعه عن شواغل الأرض وضجّة الحياة وهموم الناس الصغيرة التي تشغل نقطة تحول لاستعداده لما ينتظره من الأمر العظيم، فيستعد لحمل الأمانة الكبرى وتغيير وجه الأرض، وتعديل خط التاريخ. دبر الله له هذه العزلة قبل تكليفه بالرسالة بثلاث سنوات، ينطلق في هذه العزلة شهرًا من الزمان، مع روح الوجود الطليقة، ويتدبر ما وراء الوجود من غيب مكنون، حتى يحين موعد التعامل مع هذا الغيب عندما يأذن الله.[4]

جوانب الاستفادة من الخلوة للدعاة:

قال حوى في (الأساس): وقد أخذ بعض أهل السلوك إلى الله من ذلك فكرة الخلوة مع الذكر والعبادة في مرحلة من مراحل السلوك؛ لتنوير القلب وإزالة ظلمته، وإخراجه من غفلته وشهوته وهفواته.[5]

وحكمة ذلك الاختلاء: أن للنفس آفات لا يرفه شِرَّتَها إلا دواء العزلة عن الناس ومحاسبتها في نَجوةٍ من ضجيج الدنيا ومظاهرها، فالكبر والعُجب والحسد والرياء وحب الدنيا، كل ذلك آفات من شأنها أن تتحكم في النفس، وتتغلغل إلى أعماق القلب وتعمل عملها التهديميّ في باطن الإنسان على الرغم مما قد يتحلى به ظاهره من الأعمال الصالحة والعبادات المبرورة، ورغم ما قد ينشغل به من القيام بشئون الدعوة والإرشاد وموعظة الناس، وليس لهذه الآفات من دواء إلا أن يختلي صاحبها بين كل فترة وأخرى مع نفسه ليتأمل في حقيقتها ومنشئها ومدى حاجتها إلى عناية الله تعالى وتوفيقه في كل لحظة من لحظات

---

(1) فقه السيرة، ص 89.

(2) حياة محمد، ص 130.

(3) فقه السيرة، ص 72.

(4) الرحيق المختوم، ص 74.

(5) الأساس في السنة، ص 195.

الحياة، ثم ليتأمل في الناس ومدى ضعفهم أمام الخالق عزّ وجلّ، وفي عدم أي فائدة لمدحهم أو قدحهم، ثم ليتفكر في مظاهر عظمة الله وفي اليوم الآخر، وفي الحساب وطوله، وفي عظيم رحمة الله وعظيم عقابه، فعند التفكير الطويل المتكرر في هذه الأمور تتساقط تلك الآفات اللاحقة بالنفس ويحيا القلب بنور العرفان والصفاء، فلا يبقى لعكر الدنيا من سبيل إلا تكدير مرآته.[1]

رابعًا/ حادثةُ شقِّ الصدر[2]:

في إطار التربية الروحانية والتدريب النفساني يقول الغزالي معلقًا على هذه الحادثة: "ولو كان الشر إفراز غدة في الجسم ينحسم بانحسامها، أو لو كان الخير مادة، يزود بها القلب كما تزود الطائرة بالوقود، فتستطيع السمو والتحليق، لقلنا: إن ظواهر هذه الآثار مقصودة، ولكن أمر الخير والشر أبعد من ذلك، بل من البديهي أنه بالناحية الروحية في الإنسان ألصق، وإذا اتصل الأمر بالحدود التي يعمل الروح في نطاقها، أو بتعبير آخر عندما ينتهي البحث إلى ضرورة استكشاف الوسائل التي يسيّر بها الروح هذا الغلاف المنسوج من اللحم والدم، يصبح البحث لا جدوى منه لأنه فوق الطاقة. وشيءٌ واحدٌ هو الذي نستطيع استنتاجه من هذه الآثار، أن بشرًا ممتازًا كمحمد لا تدعه العناية الإلهيةغرضًا للوساوس الصغيرة التي تناوش غيره من سائر الناس، فإذا كانت للشر موجات تملأ الآفاق، وكانت قلوب تسرع إلى التقاطها والتأثر بها، فقلوب النبيين – بتولي الله لها – لا تستقبل هذه التيارات الخبيثة ولا تهتز لها، وبذلك يكون جهد المرسلين في متابعة الترقي لا في مقاومة التدلي، وفي تطهير العامة من المنكر لا في التطهر منه، فقد عافاهم الله من لوثاته. ولعلّ أحاديث شق الصدر تشير إلى هذه الحصانات التي أضفاها الله على محمد صلى الله عليه وسلم، فجعلته من طفولته بنجوة قصية عن مزالق الطبع الإنساني ومفاتن الحياة الأرضية".[3]

"والحكمة في شق صدره الشريف في حال صباه، واستخراج العلقة منه، تطهيرُه عن حالات الصبا حتى يتصف في سن الصبا بأوصاف الرجوليّة، ولذلك نشأ عليه السلام على أكمل الأحوال من العصمة".[4]

وليست الحكمةُ من هذه الحادثة – والله أعلم – استئصالَ غدة الشر في جسم رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذ لو كان الشر منبعه غدة في الجسم أو علقة في بعض أنحائه، لأمكن أن يصبح الشرير خيّرًا بعملية جراحية. ولكن يبدو أن الحكمة هي إعلان أمر الرسول صلى الله عليه وسلم وتهييؤه للعصمة والوحي منذ صغره بوسائل مادية، ليكون ذلك أقرب إلى إيمان الناس وتصديقهم برسالته. إنها إذًا عملية

---

(1) فقه السيرة، للبوطي، ص 60.

(2) انظر القصة بكمالها في سيرة ابن هشام (164/1).

(3) فقه السيرة، للبوطي، ص 64–65.

(4) المواهب اللدنيّة، للقسطلاني (159/1).

تطهير معنوي، ولكنها اتخذت الشكل الماديّ الحسيّ، ليكون فيه ذلك الإعلان الإلهي بين أسماع الناس وأبصارهم.[1]

خامسًا/ رعي الغنم على طريق قيادة الأمم:

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلاَّ رَعَى الْغَنَمَ". فَقَالَ أَصْحَابُهُ: وَأَنْتَ ؟ فَقَالَ: "نَعَمْ كُنْتُ أَرْعَاهَا عَلَى قَرَارِيطَ لأَهْلِ مَكَّةَ".[2]

فائدة مهمة قالها ابن حجر في (الفتح):

قَالَ الْعُلَمَاء: الْحِكْمَة فِي إِلْهَام الْأَنْبِيَاء مِنْ رَعْي الْغَنَم قَبْل النُّبُوَّة أَنْ يَحْصُل لَهُمْ التَّمَرُّن بِرَعْيِهَا عَلَى مَا يُكَلَّفُونَهُ مِنْ الْقِيَام بِأَمْرِ أُمَّتهمْ، وَلِأَنَّ فِي مُخَالَطَتهَا مَا يُحَصِّل لَهُمْ الْحِلْم وَالشَّفَقَة لِأَنَّهُمْ إِذَا صَبَرُوا عَلَى رَعْيهَا وَجَمْعهَا بَعْد تَفَرُّقهَا فِي الْمَرْعَى وَنَقْلهَا مِنْ مَسْرَح إِلَى مَسْرَح وَدَفْع عَدُوّهَا مِنْ سَبُع وَغَيْره كَالسَّارِقِ، وَعَلِمُوا اِخْتِلَاف طِبَاعهَا وَشِدَّة تَفَرُّقهَا مَعَ ضَعْفهَا وَاحْتِيَاجهَا إِلَى الْمُعَاهَدَة **أَلِفُوا مِنْ ذَلِكَ:** الصَّبْر عَلَى الْأُمَّة وَعَرَفُوا اِخْتِلَاف طِبَاعهَا وَتَفَاوُت عُقُولهَا فَجَبَرُوا كَسْرهَا وَرَفَقُوا بِضَعِيفِهَا وَأَحْسَنُوا التَّعَاهُد لَهَا فَيَكُون تَحَمُّلهمْ لِمَشَقَّةِ ذَلِكَ أَسْهَل مِمَّا لَوْ كُلِّفُوا الْقِيَام بِذَلِكَ مِنْ أَوَّل وَهْلَة لِمَا يَحْصُل لَهُمْ مِنْ التَّدْرِيج عَلَى ذَلِكَ بِرَعْيِ الْغَنَم، **وَخُصَّتْ الْغَنَم بِذَلِكَ** لِكَوْنِهَا أَضْعَف مِنْ غَيْرهَا، وَلِأَنَّ تَفَرُّقهَا أَكْثَر مِنْ تَفَرُّق الْإِبِل وَالْبَقَر لِإِمْكَانِ ضَبْط الْإِبِل وَالْبَقَر بِالرَّبْطِ دُونهَا فِي الْعَادَة الْمَأْلُوفَة، وَمَعَ أَكْثَرِيَّة تَفَرُّقهَا فَهِيَ أَسْرَع اِنْقِيَادًا مِنْ غَيْرهَا. وَفِي ذِكْر النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِذَلِكَ بَعْد أَنْ عُلِمَ كَوْنه أَكْرَم الْخَلْق عَلَى اللَّه مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ عَظِيم التَّوَاضُع لِرَبِّهِ وَالتَّصْرِيح بِمِنَّتِهِ عَلَيْهِ وَعَلَى إِخْوَانه مِنْ الْأَنْبِيَاء صَلَوَات اللَّه وَسَلَامه عَلَيْهِ وَعَلَى سَائِر الْأَنْبِيَاء.[3]

"ومما زاده انصرافًا إلى التفكير والتأمل اشتغاله برعي الغنم سنيَّ صباه تلك ..، وراعي الغنم الذكي القلب يجد في فسحة الجو الطلق أثناء النهار، وفي تلألؤ النجوم إذا جنّ الليل موضعًا لتفكيره وتأمله يسبح منه في هذه العوالم، يبتغي أن يرى ما وراءها، ويلتمس في مختلف مظاهر الطبيعة تفسيرًا لهذا الكون وخلقه، وهو يرى نفسه – ما دام ذكي القلب عليم الفؤاد – بعضَ هذا الكون غير منفصل عنه".[4]

---

(1) فقه السيرة، للبوطي، ص 47.

(2) صحيح البخاريّ (88/3)، كتاب الإجارة، باب رعي الغنم على قراريط. من طريق عَمْرِو بْنِ يَحْيَى بنِ سعيدِ بنِ عمرِو عَنْ جَدِّهِ به.

(3) فتح الباري (631/4).

وإضافةً إلى ذلك يقول المقريزيّ في "إمتاع الأسماع": فإذا مُرِّنَ عليها – رعاية الغنم – وتهذّبت بها أخلاقُه، وصارت سيرة العدل والإحسان مكلةً له، تأهّل لسياسة العقلاء من البشر بحسن التدبير لهم، وإرشادهم إلى مصالحهم، والأخذ بحجزاتهم عمّا يؤذيهم، والصبر على أذاهم، واحتمال الأفعال عنهم. (103/4).

(4) حياة محمد، ص 118.

"وحياة التفكير والتأمل وما تستريح إليه من عمل بسيط كرعي الغنم، ليست بالحياة التي تدرّ على صاحبها أخلاف الرزق أو تفتح أمامه أبواب اليسار، وما كان محمد يهتم لذلك أو يُعنى به، وقد ظلّ طول حياته أشد الناس زهدًا في المادة ورغبة عنها".[1]

سادسًا/ فقد الأحبة وذوي القربة:

"آب محمد صلى الله عليه وسلم إلى مكة بعد أعوام طيبة قضاها في البادية، آب ليجد أمًّا كريمة حبست نفسها عليه، وشيخًا مهيبًا يلتمس في مرآه العزاء عن ابنه الذي خلا مكانه في شرخ الشباب، وكأن الأيام أبت له قرارًا بين هذه الصدور الرقيقة، فأخذت تحرمه منها واحدًا بعد الآخر".[2]

بل كان يفضل الجلوس مع جده عبد المطلب في مجالس الكبار:

"وكان عبد المطلب يؤثر أن يصحبه معه في مجالس العامة، كان إذا جلس على فراشة بجوار الكعبة أدناه منه، في حين يجلس الشيوخ حوله".[3]

سابعًا/ توجيه الصحابة نحو الحبشة (في الهجرة الأولى) كون ملكها عادلا لا يظلم عنده أحد:

وهذا المنطق لم يكن ليغيب عن ذهن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو البحث عن قاعدة صلبة ومكانٍ آمنَ آخر للدعوة غيرِ مكة. حيث لا تستطيع قريش مهما بلغ من عتوّها أن تنهي الوجود الإسلاميّ في الأرض، وهذا ما يحسن أن تنتبه الحركة الإسلامية إليه في تخطيطها حيث لا تضع كل طاقاتها البشرية والمادية في أرض واحدة، تكن معرضة فيها للإبادة ، بل تعدد أماكن تجمّعها وتواجدها، بحيث تستطيع لو فقدت موقعًا معيناً أن تنتقل إلى موقعٍ ثانٍ تنطلق منه وتواجه الجاهلية من خلاله.[4]

---

(1) نفسه، ص 119.

(2) فقه السيرة، ص 66.

(3) نفسه، ص 67.

(4) المنهج الحركي للسيرة النبوية، منير الغضبان، ص 64.

خلاصة المبحث الثاني:

تبيّن لنا من خلال هذا المبحث أن الخطابَ النبويَّ الإعلاميَّ يصدر عن مبادئ الشرع وتوجيهات الدين لا يتعدّاها لما سواها. ينشر العقيدة الصافية والعبادة الواصبة والخلق الحسن، ويستخدم في ذلك اللغة العربية الجزلة السهلة القوية الواضحة، وتأكدنا بالدليل البيّن الساطع أن البلاغة سلّمت أزمّتها وتركت أعنّتها في الدوحة المحمدية الوحيِيَّة الغنّاء، وأن النبيَّ صلى الله عليه وسلم يعطي بالكلمات القليلة ما تعجز عنه أرقى الكتابات وأقوى الخطابات. وفي عصرنا الحالي وفي الظرف الاستثنائي الذي يشهد عزوفًا كبيرًا عن القراءة والمطالعة، إلى جانب الاكتفاء بقراءة العناوين عن التعمّق في المضامين، فإن الإعلامي الذكيّ والقويّ هو الذي يستطيع صياغة الكلام الكثير في العبارات القليلة.

وذكرنا بعض الأمثلة التي يمثّل استخدامها عاملاً مساهمًا في تقوية الخطاب الإعلاميّ لمن أراده.

هذا وقد أثّرت في رسولنا الكريم مواقفُ شخصيّة وموضوعيّة حيويّة، ناهيك عن ما هو متّفقٌ عليه من تأييد الوحي وتوفيقه لإيجاد هذه الظروف، وعلى رأسها اختلاؤُه في الغار وحادثةُ شقّ الصدر، فقد مثّلت الأولى حالة صفاء العقل، والثانيةُ حالةَ صفاء القلب، فكان رسولنا عليه السلام في قمة العقل والفهم والسداد، متوازيًا مع قمة نقاء الروح ونزع حظّ الشيطان منه.

وهذا وإن لم يوجد عند كثيرين، فهو يعني أن الرسول صلى الله عليه وسلم يظل بشرًا، يأتيه الوحي نعم، ولكن يستطيع المرء من خلال الاستفادة من خبرات الحياة وما كتبه الفاهمون العالِمون في جانب الإفادة العلمية والإعلامية.

وننتقل الآن إلى المبحث الثالث، ويتحدّث عن خصائص الخطاب النبويّ الإعلاميّ.

المبحث الثالث:

خصائص الخطاب النبوي الإعلامي

وفيه ستــة مطالب:

المطلب الأول: بنـــــاء العقيـــــدة والسلــوك.

المطلب الثاني: تكليـــــم الناس كــلٍّ بمستــواه.

المطلب الثالث: تلـــــوين الأســاليب والوسائــل.

المطلب الرابع: الواقعيّـــــــة والإيجابيّـــــة.

المطلب الخامس: الموضوعيّـــــة والشموليّـــــة.

المبحث الثالث:

خصائص الخطاب النبوي الإعلامي

وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول/ بناء العقيدة والسلوك:

أي أنه قائم على اعتبار العقيدة والإيمان هما المرجع الأول في الانطلاق في القول والعمل كليهما، وأن السلوك القويم والمسلك المعتدل يصدر عنه الإعلام الحق والمنهاج الصواب، ولذا كان طبيعيا أن يحافظ النبي صلى الله عليه وسلم على رعاية القلوب والعقول في مستهلّ الدعوة من أجل ذلك، وليس أدلّ على ذلك من مكثه ثلاث عشرة سنة في أبطح مكة وأذرعاتها لتطبيق هذا المبدأ وترسيخ هذا البعد الأصيل في نفوس أتباعه وصحابته، وقد "دعاهم إلى التوحيد الذي يقضي على ما هم فيه من قطيعة وشقاق بتوحيد المؤلف بين القلوب، ويُذهب ما هم فيه من ضعف واحتراب بعبادة المؤمن المهيمن العلام.[1]

والإسلامُ هو الذي يرسخ في نفوس متبعيه أن بقاء العمل واتصاله بالدوام لا يتأتى لصاحبه إلا إذا كان خالصًا لوجه الله تعالى، ففي الحديث الذي يرويه مسلم عن أبي هريرة، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: "أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ".[2]

ومن بنائه السلوكَ أنه واضحٌ تمامًا بلا لبس:

وتأمّل معي حديث عبادةَ بنِ الصامت وهو يحدّث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: "بَايِعُونِي عَلَى أَنْ لاَ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا، وَلاَ تَسْرِقُوا، وَلاَ تَزْنُوا، وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلاَدَكُمْ[3]، وَلاَ تَأْتُوا بِبُهْتَانٍ[4] تَفْتَرُونَهُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ، وَلاَ تَعْصُوا فِي مَعْرُوفٍ، فَمَنْ وَفَى مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَعُوقِبَ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا ثُمَّ سَتَرَهُ اللَّهُ ، فَهُوَ إِلَى اللَّهِ إِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ، وَإِنْ شَاءَ عَاقَبَهُ". فَبَايَعْنَاهُ عَلَى ذَلِكَ.[5]

---

(1) الإعلام الإسلامي، عمر التلمساني، ص 19.

(2) صحيح مسلم، ص 1462 رقم 7369، كتاب الزهد والرقائق، باب من أشرك في عمله غير الله. من طريقِ الْعَلاَءِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَعْقُوبَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ به.

(3) **وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلاَدَكُمْ**: خصَّ القتلَ بالأولاد لأنه قتل وقطيعة رحم فالعناية بالنهي عنه آكد ولأنه كان شائعا فيهم وهو وأد البنات وقتل البنين خشية الإملاق، أو خصهم بالذكر لأنهم بصدد أن لا يدفعوا عن أنفسهم.

(4) **البهتان**: الكذب الذي يبهت سامعه وخص الأيدي والأرجل بالافتراء لأن معظم الأفعال تقع بهما إذ كانت هي العوامل والحوامل للمباشرة والسعي وكذا يسمون الصنائع الأيادي وقد يعاقب الرجل بجناية قولية فيُقال هذا بما كسبت يداك ويحتمل أن يكون المراد لا تبهتوا الناس كفاحا وبعضكم يشاهد بعضا. (فتح الباري (97/1).

(5) صحيح البخاريّ (12/1)، كتاب الإيمان، بابٌ: حدثنا أبو اليمان. من طريقِ الزُّهْرِيّ عن أَبِي إِدْرِيسَ عَائِذِ اللَّهِ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ عن عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رضي الله عنه به.

فقد ذكر المراد مفصلا، وذكر الثواب والعقاب، وبعض المتعلقات بالأمر، وخاطب الأبعاد الحساسة في نفس كل سامعٍ ارتبط بالجاهلية بسببٍ من الأسباب.

المطلب الثاني/ تكليم الناس كلٍّ بمستواه:

فعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ: حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وِعَاءَيْنِ، فَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَبَثَثْتُهُ، وَأَمَّا الآخَرُ فَلَوْ بَثَثْتُهُ قُطِعَ هَذَا الْبُلْعُومُ.[1]

يقول ابن حجر: وحمل العلماء الوعاء الذي لم يبثه على الأحاديث التي فيها تبيين أسامي أمراء السوء وأحوالهم وزمنهم وقد كان أبو هريرة يكني عن بعضه ولا يصرح به خوفًا على نفسه.[2]

قلت: هذا الحديث أصلٌ في خطابِ الناسِ بما يستوعبون ويطيقون ويفهمون، وأن ما خلا ذلك يدخلهم دائرة الريب والتشكيك، ويجعلهم في حيرة وتردد مستمريْن، ومنه نستفيد أنه ليس كل ما يُعرف يُقال، وليس كل أحدٍ عليه أن يعرف كلَّ شيءٍ، بل على الإعلامي ذاكر الخبر أن يدقق ويوازن ويتكلم باعتبار الشخص والحالة والزمان والمكان.

كما أن في الحديث دلالة واضحة على جواز إخفاء ما من شانه أن يهدد حياة القائل أو الناقل، أو حتى يسبب له الإساءة الأدبية المعنوية بأي نوع، ومنه الفهم الكبير لدى أبي هريرةَ رضي الله عنه أنه استطاع أن يصنِّفَ العلومَ التي تلقاها من الرسول صلى الله عليه وسلم بحيث يكون فقيهَ نفسِه في ذكرها أو ترك التحديث ببعضها، ولا يتعارض هذا مع تأثيم كاتم العلم.

وما يؤكد على أنه ليس كل ما يُعرف يُقال حديثُ معاذٍ رضي الله عنه:

عن أَنَسِ بْنِ مَالِك رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم – وَمُعَاذٌ رَدِيفُهُ عَلَى الرَّحْلِ – قَالَ: "يَا مُعَاذُ بْنَ جَبَلٍ". قَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ. قَالَ: "يَا مُعَاذُ". قَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ. ثَلاَثًا. قَالَ: "مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ إِلاَّ حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ". قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلاَ أُخْبِرُ بِهِ النَّاسَ فَيَسْتَبْشِرُوا، قَالَ: "إِذًا يَتَّكِلُوا". وَأَخْبَرَ بِهَا مُعَاذٌ عِنْدَ مَوْتِهِ تَأَثُّمًا.[3]

وفي الموقوف على عليّ رضي الله عنه كما في البخاري: "حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ، أَتُحِبُّونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ؟! ".[4]

---

(1) صحيح البخاري (35/1)، كتاب العلم، باب حفظِ العلم. من طريق ابْنِ أَبِى ذِئْبٍ [محمد بن عبد الرحمن] عَنْ سَعِيدٍ الْمَقْبُرِىِّ عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ به.

(2) فتح الباري (317/1).

(3) صحيح البخاريّ (37/1)، كتاب العلم، باب من خصَّ بالعلم قومًا دون قومٍ كراهيةَ أن لا يفهموا. من طريق هشامِ بنِ أبِي عبدِ الله الدستوائي عَنْ قَتَادَةَ عن أنسِ بنِ مالك به.

(4) صحيح البخاريّ (37/1)، كتاب العلم، باب من خصَّ بالعلم قومًا دون قومٍ كراهيةَ أن لا يفهموا. من طريقِ مَعْرُوفِ بْنِ خَرَّبُوذٍ عَنْ أَبِى الطُّفَيْلِ عَنْ عَلِىٍّ به.

وقال ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه: "مَا أَنْتَ بِمُحَدِّثٍ قَوْمًا حَدِيثًا لاَ تَبْلُغُهُ عُقُولُهُمْ إِلاَّ كَانَ لِبَعْضِهِمْ فِتْنَةً".[1]

وكان من سمته عدم التقعر في الكلام:

ففي الحديث عند أحمد عن أَبِى ثَعْلَبَةَ الْخُشَنِيِّ رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ أَحَبَّكُمْ إِلَىَّ وَأَقْرَبَكُمْ مِنِّي فِي الآخِرَةِ مَحَاسِنُكُمْ أَخْلاَقاً، وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَىَّ وأَبْعَدَكُمْ مِنِّي فِي الآخِرَةِ مَسَاوِيكُمْ أَخْلاَقاً الثَّرْثَارُونَ الْمُتَفَيْهِقُونَ[2] الْمُتَشَدِّقُونَ".[3]

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "إِنَّ اللَّهَ يَبْغَضُ الْبَلِيغَ[4] مِنْ الرِّجَالِ الَّذِي يَتَخَلَّلُ بِلِسَانِهِ كَمَا تَتَخَلَّلُ الْبَقَرَةُ".[5]

---

(1) صحيح مسلم، ص 14 رقم 14، المقدمة، باب النهي عن الحديث بكل ما سمع. من طريقِ الزهريِّ عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ عن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ به.

(2) **التشدق في الكلام:** التوسع فيه من غير احتياط ولا احتراز. وقيل: المتشدق المتكلف في الكلام فيلوي به شدقيه، والشدق جانب الفم. (عون المعبود شرح سنن أبي داود (347/13).

(3) مسند أحمد (193/4) رقم 17767، حديث أبي ثعلبة الخشني.

قال أحمد: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِى عَدِىٍّ [أبو عمرو السلميّ] عَنْ دَاوُدَ [بن أبي هند دينار القشيريّ] عَنْ مَكْحُولٍ [أبو عبد الله الشاميّ] عَنْ أَبِى ثَعْلَبَةَ الْخُشَنِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم:...

الحكم على الحديث: إسناده صحيح؛ رجاله ثقات، ورواية مكحولٍ عن أبي ثعلبة مقبولة، فهو معاصرٌ له بالسنّ والبلد وروايته عنه محتملة. (انظر: جامع التحصيل، ص 285 رقم 796). والحديث أخرجه الترمذي، ص 456 رقم 2018، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في معالي الأخلاق. من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما. وفيه يوضح النبي صلى الله عليه وسلم معنى المتفيهقين، فيقول جوابًا على سؤال من سأله عن معناه: "الْمُتَكَبِّرُونَ". وفي التعليق على الحديث، قَالَ الترمذيّ: الثَّرْثَارُ: هُوَ الْكَثِيرُ الْكَلَامِ وَالْمُتَشَدِّقُ الَّذِي يَتَطَاوَلُ عَلَى النَّاسِ فِي الْكَلَامِ وَيَبْذُو عَلَيْهِمْ.

ورجال الحديث هم: مُحَمَّدُ بْنُ أَبِى عَدِىٍّ، دَاوُد بن أبي هند، مَكْحُول: ثقات، إلا أن الأخير كثير الإرسال.

انظر: التقريب (ص 820 رقم 5733)، (ص 309 رقم 1826)، (ص 969 رقم 6923).

الحكم على الحديث: إسناده صحيح؛ رجاله ثقات، ورواية مكحولٍ عن أبي ثعلبة مقبولة، فهو معاصرٌ له بالسنّ والبلد وروايته عنه محتملة. (انظر: جامع التحصيل، ص 285 رقم 796). والحديث أخرجه الترمذي، ص 456 رقم 2018، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في معالي الأخلاق. من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما. وفيه يوضح النبي صلى الله عليه وسلم معنى المتفيهقين، فيقول جوابًا على سؤال من سأله عن معناه: "الْمُتَكَبِّرُونَ". وفي التعليق على الحديث، قَالَ الترمذيّ: الثَّرْثَارُ: هُوَ الْكَثِيرُ الْكَلَامِ وَالْمُتَشَدِّقُ الَّذِي يَتَطَاوَلُ عَلَى النَّاسِ فِي الْكَلَامِ وَيَبْذُو عَلَيْهِمْ.

(4) **الْبَلِيغَ**: أي المبالغ في فصاحة الكلام وبلاغته. (الَّذِي يَتَخَلَّلُ بِلِسَانِهِ): أي يأكل بلسانه أو يدير لسانه حول أسنانه مبالغةً في إظهار بلاغته وبيانه. (كَمَا تَتَخَلَّلُ الْبَقَرَةُ) أي بلسانها. **قال ابن الأثير:** أي يتشدق في الكلام بلسانه ويلفه كما تلف البقرة الكلأ بلسانها لفًّا. أ.هـ، وخصّ البقرة لأن جميع البهائم تأخذ النبات بأسنانها وهي تجمع بلسانها. وأما من بلاغته خلقية فغير مبغوض. (تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي (146/8).

(5) سنن الترمذي، ص 637 رقم 2853، كتاب الأدب، باب ما جاء في الفصاحة والبيان.

قال الترمذيُّ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى الصَّنْعَانِيُّ حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ عَلِيٍّ [بن عطاء بن مقدم] الْمُقَدَّمِيُّ حَدَّثَنَا نَافِعُ بْنُ عُمَرَ الْجُمَحِيُّ عَنْ بِشْرِ بْنِ عَاصِمٍ [بن سفيان الثقفيّ] سَمِعَهُ يُحَدِّثُ عَنْ أَبِيهِ [عاصم بن سفيان] عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو:...

وفي كلا الحديثين تشنيعٌ على المتفيهق الذي يدعي البلاغة والفصاحة، ولكن من أجل مآرب أخرى ومصالح شخصية.

وفي الروايات الأخرى كما عند أبي داود، وابن أبي شيبة، وأحمد والطبراني، عدا البيهقي (وافق رواية الترمذي) رووا أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: "إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْغَضُ الْبَلِيغَ مِنَ الرِّجَالِ الَّذِي يَتَخَلَّلُ بِلِسَانِهِ كَمَا تَخَلَّلُ **الْبَاقِرَةُ** بِلِسَانِهَا".

وفي حديث أبي أمامةَ رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "الْحَيَاءُ وَالْعِيُّ شُعْبَتَانِ مِنَ الإِيمَانِ، وَالْبَذَاءُ وَالْبَيَانُ شُعْبَتَانِ مِنَ النِّفَاقِ".[1]

قال في (التحفة): قوله (الْحَيَاءُ وَالْعِيُّ): أي العجز في الكلام، والمراد به في هذا المقام هو السكوت عمّا فيه إثم من النثر والشعر لا ما يكون للخلل في اللسان. **والعيّ:** التحير في الكلام، وأراد به ما كان بسبب التأمل في المقال والتحرّز عن الوبال.

تخريج الحديث: أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (300/5) رقم 26297، وأحمد في مسنده (458/14) رقم 6929، مسند عبد الله بن عمرو، وأبو داود في سننه، ص 720 رقم 5005، والبزّار في مسنده (165/4) رقم 2452، والطبرانيّ في الكبير، (379/11) رقم 890، والبيهقيّ في شعب الإيمان (468/10) رقم 4762. جميعًا من طريق نَافِعِ بنِ عُمَرَ به. وجاء في رواية ابن أبي شيبة أحمد وأبي داود والطبرانيّ، ورد لفظ: الباقرة، وفي رواية البزّار والبيهقيّ، ورد لفظ: البقرة.

الحكم على الحديث: إسناده حسن؛ بمجموع طرقه.

وفي تعليقه على حديث الباب قَالَ الترمذيّ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ.

ورجال الحديث هم: مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى الصَّنْعَانِيُّ، نَافِعُ بْنُ عُمَرَ الْجُمَحِيُّ، بِشْرُ بْنُ عَاصِمٍ: ثقات.

انظر: التقريب (ص 868 رقم 6100)، (ص 995 رقم 7130)، (ص 169، رقم 696).

عُمَرُ بْنُ عَلِيٍّ الْمُقَدَّمِيُّ: ثقة. (التقريب، ص 725 رقم 4986)، وقال ابنُ حجر عنه في "طبقات المدلسين" وجعله في المرتبة الرابعة: كان شديد الغلوّ في التدليس، وصفه بذلك أحمدُ، وابنُ معين، والدارقطنيُّ وغيرُ واحدٍ. (ص 50-51 رقم 123). وانتفى تدليسه بتصريحه بالسماع في حديث الباب.

عاصم بن سفيان: ذكره ابن حبّان في "الثقات" (236/5) رقم 4648). وقال ابنُ حجر في "التقريب": صدوق. (ص 471 رقم 3076). فهو صدوق، والله أعلم.

(1) سنن الترمذي، كتاب البرّ والصلة، باب ما جاء في العيّ.

قال الترمذي: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مَنِيعٍ حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ عَنْ أَبِي غَسَّانَ مُحَمَّدِ بْنِ مُطَرِّفٍ عَنْ حَسَّانَ بْنِ عَطِيَّةَ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ:...

الحكم على الحديث: إسناده صحيح؛ رجاله ثقات.

وقال الترمذي عقيب الحديث: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ إِنَّمَا نَعْرِفُهُ مِنْ حَدِيثِ أَبِي غَسَّانَ مُحَمَّدِ بْنِ مُطَرِّفٍ. قَالَ: **وَالْعِيُّ:** قِلَّةُ الْكَلَامِ، **وَالْبَذَاءُ:** هُوَ الْفُحْشُ فِي الْكَلَامِ وَالْبَيَانُ هُوَ كَثْرَةُ الْكَلَامِ مِثْلُ هَؤُلَاءِ الْخُطَبَاءِ الَّذِينَ يَخْطُبُونَ فَيُوَسِّعُونَ فِي الْكَلَامِ وَيَتَفَصَّحُونَ فِيهِ مِنْ مَدْحِ النَّاسِ فِيمَا لَا يُرْضِي اللَّهَ.

ورجال الحديث هم: أَحْمَدُ بْنُ مَنِيعٍ، يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ، مُحَمَّدِ بْنِ مُطَرِّفٍ، حَسَّانَ بْنِ عَطِيَّةَ: ثقات.

انظر: التقريب (ص 100 رقم 115)، (ص 1084 رقم 7842)، (ص 897 رقم 6345)، (ص 233 رقم 1214).

وقوله **(شُعْبَتَانِ مِنَ الإِيمَانِ)**: أي أثران من آثاره، فإن المؤمن يحمله الإيمان على الحياء فيترك القبائح حياء من الله تعالى، ويمنعه عن الاجتراء على الكلام شفقة عن عثرة اللسان، فهما شعبتان من شعب الإيمان. و**(الْبَذَاءُ)**: فحش الكلام أو خلاف الحياء. **(الْبَيَانُ)**: الفصاحة الزائدة عن مقدار حاجة الإنسان؛ من التعمّق في النطق وإظهار التفاصح للتقدم على الأعيان.[1]

وربما اختار بعضَ الكلمات غيرَ العربية لنفس الغرض:

فَعَنْ أُمِّ خَالِدٍ بِنْتِ خَالِدِ بْنِ سَعِيدٍ قَالَتْ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مَعَ أَبِي وَعَلَيَّ قَمِيصٌ أَصْفَرُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "سَنَهْ سَنَهْ". قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: وَهْيَ بِالْحَبَشِيَّةِ: حَسَنَةٌ. قَالَتْ فَذَهَبْتُ أَلْعَبُ بِخَاتَمِ النُّبُوَّةِ، فَزَبَرَنِي أَبِي قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "دَعْهَا". ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: "أَبْلِي وَأَخْلِقِي، ثُمَّ أَبْلِي وَأَخْلِقِي، ثُمَّ أَبْلِي وَأَخْلِقِي". قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: فَبَقِيَتْ حَتَّى ذَكَرَ.[2]

وفي نفس السياق يأتي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ أَخَذَ تَمْرَةً مِنْ تَمْرِ الصَّدَقَةِ، فَجَعَلَهَا فِي فِيهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم بِالْفَارِسِيَّةِ: "كَخِ كَخِ[3]، أَمَا تَعْرِفُ أَنَّا لاَ نَأْكُلُ الصَّدَقَةَ".[4]

يقول القرضاوي في كتابه تعليقًا على قوله تعالى: "وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ": وليس معنى الآية مجرد أن يكلم الصينيين باللغة الصينية، والروس باللغة الروسية فقط ، بل معناها الأعمق: أن يكلم الخواص بلسان الخواص، والعوام بلسان العوام، ويكلم الناس في الشرق بلسان أهل الشرق، وفي الغرب بلسان أهل الغرب، ويكلم الناس في القرن الحادي والعشرين بلسانهم لا بلسان قرون مضت"..[5]

مراعاة التدرج في الطرح بالبناء العقدي الخلقي أولا ثم العبادات العملية شيئًا فشيئًا:

وحديث بناء الكعبة لعائشة حيث قال لعائشة رضي الله عنها: "لَوْلاَ أَنَّ قَوْمَكِ حَدِيثُو عَهْدٍ بِشِرْكٍ لَهَدَمْتُ الْكَعْبَةَ فَأَلْزَقْتُهَا بِالأَرْضِ وَجَعَلْتُ لَهَا بَابَيْنِ بَابًا شَرْقِيًّا وَبَابًا غَرْبِيًّا وَزِدْتُ فِيهَا سِتَّةَ أَذْرُعٍ مِنَ الْحِجْرِ فَإِنَّ قُرَيْشًا اقْتَصَرَتْهَا حَيْثُ بَنَتِ الْكَعْبَةَ".[6]

---

(1) تحفة الأحوذي (174/6).

(2) صحيح البخاريّ، كتاب الجهاد والسير، باب من تكلم بالفارسية والرطانة. من طريق خَالِدِ بْنِ سَعِيدِ بنِ عمرو عَنْ أَبِيهِ عَنْ أُمِّ خَالِدِ بِنْتِ خَالِدِ بْنِ سَعِيدٍ به.

(3) **كخ كخ:** بفتح الكاف وكسرها وسكون المعجمة مثقلا ومخففا وبكسر الخاء منونة وغير منونة، فيخرج من ذلك ست لغات، والثانية توكيد للأولى، وهي كلمة تقال لردع الصبي عند تناوله ما يُستقذر. (فتح الباري (508/3).

(4) صحيح البخاريّ (74/4)، كتاب الجهاد والسير، باب من تكلم بالفارسية والرطانة. من طريق شُعْبَةَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ زِيَادٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ به.

(5) خطابنا الإسلامي في عصر العولمة، د. قرضاوي، ص 31.

(6) صحيح مسلم، ص 624 رقم 3134، كتاب الحجّ، باب نقض الكعبة وبنائها. من طريقِ سعيدِ بنِ ميناء عن عبدِ الله بنِ الزبير عن عائشةَ رضي الله عنها به.

وقد كان الرسول الكريم يخاطب حضوره بما يدركون، فيفهم البدوي الجافي بما يناسب جفاءه وقسوته، ويفهم الحضري بما يلائم حياته وبيئته، كما أنه يراعي تفاوت المدارك، وانتباه أصحابه وقدرهم الفطرية والمكتسبة، فتكفي منه الإشارة إلى الألمعي الذكي، واللمحة العابرة إلى الحافظ المجيد.[1]

فَعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم جَاءَهُ أَعْرَابِىٌّ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ امْرَأَتِي وَلَدَتْ غُلاَمًا أَسْوَدَ. فَقَالَ: "هَلْ لَكَ مِنْ إِبِلٍ". قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: "مَا أَلْوَانُهَا". قَالَ: حُمْرٌ. قَالَ: "فِيهَا مِنْ أَوْرَقَ". قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: "فَأَنَّى كَانَ ذَلِكَ؟". قَالَ: أُرَاهُ عِرْقٌ نَزَعَهُ. قَالَ: "فَلَعَلَّ ابْنَكَ هَذَا نَزَعَهُ عِرْقٌ".[2]

"وقد كان يخاطب الأحاسيس والعواطف كما يخاطب العقول، ويحرك المشاعر الإنسانية ويهزها كما كان يوقظ النفوس من غفواتها، ويعالج الأمور بحكمة وأناة، فيضع البلسم الشافي حيث ينبغي أن يوضع".[3]

جاء في مسند الإمام أحمد من حديث أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه قَالَ: إِنَّ فَتًى شَابًّا أَتَى النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ائْذَنْ لِي بِالزِّنَا. فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَزَجَرُوهُ، وَقَالُوا مَهْ مَهْ. فَقَالَ "ادْنُهْ". فَدَنَا مِنْهُ قَرِيباً. قَالَ فَجَلَسَ. قَالَ: "أَتُحِبُّهُ لأُمِّكَ ؟". قَالَ: لاَ وَاللَّهِ. جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ . قَالَ: "وَلاَ النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لأُمَّهَاتِهِمْ". قَالَ: "أَفَتُحِبُّهُ لابْنَتِكَ ؟". قَالَ: لاَ وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ. جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ. قَالَ: "وَلاَ النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ". قَالَ: "أَفَتُحِبُّهُ لأُخْتِكَ ؟". قَالَ: لاَ وَاللَّهِ. جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ. قَالَ: "وَلاَ النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لأَخَوَاتِهِمْ". قَالَ: "أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ ؟". قَالَ: لاَ وَاللَّهِ. جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ. قَالَ: "وَلاَ النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ". قَالَ: "أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ ؟". قَالَ: لاَ وَاللَّهِ. جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ. قَالَ: "وَلاَ النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالاَتِهِمْ". قَالَ فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ: "اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ وَطَهِّرْ قَلْبَهُ وَحَصِّنْ فَرْجَهُ". قَالَ فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ.[4]

وبهذا استطاع النبيُّ صلى الله عليه وسلم أن يحرّك فيه دافع الفطرة وينشطه، لدرجة جعلته يستقبح المنكر تمامًا كما هو مفترض ومطلوب.

---

(1) أصول الحديث، علومه ومصطلحه، ص 41.

(2) **متفقٌ عليه.**

أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المحاربين من أهل الكفر والردة، باب التعريض. من طريق مَالِك. ومسلم في صحيحه بنحوه، (211/4) رقم 3839. من طريق ابن عيينة. كلاهما عَنِ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ به.

(3) أصول الحديث، علومه ومصطلحه، ص 42.

(4) مسند أحمد، حديث أبي أماهة الباهليّ. (256/5) رقم 22265.

قال أحمد: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ [أبو خالد السلمي] حَدَّثَنَا حَرِيزٌ [بن عثمان بن جبر الرحبي المشرقي] حَدَّثَنَا سُلَيْمُ بْنُ عَامِرٍ [الكلاعي الخبائري] عَنْ أَبِى أُمَامَةَ قَالَ:...

الحكم على الحديث: إسناده صحيح؛ رجاله ثقات.

ورجال الحديث هم: يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ، حَرِيزٌ، سُلَيْمُ بْنُ عَامِرٍ: ثقات.

انظر: التقريب (ص 1084 رقم 7842)، (ص 231 رقم 1194)، (ص 404 رقم 2543).

ومن خصائصه كذلك/ اعتماده على الوسائل المشروعة:

ففي الحديث الذي يرويه مسلم عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "لاَ تَحَاسَدُوا وَلاَ تَنَاجَشُوا[1] وَلاَ تَبَاغَضُوا وَلاَ تَدَابَرُوا[2] وَلاَ يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا".[3]

فالرسول صلى الله عليه وسلم يوصي الإعلاميين المسلمين – وحسب ما نفهم من الحديث – بالارتقاء بخطابهم والتنزّه عن كل ما يوصف بأنه في درَك التواصل والدرجة غير اللائقة بالمسلم، ويخاطبهم بأن يبتعدوا عن التحاسد والتباغض والتناكف السلبيّ، ويحضّهم بناءً على ذلك بأن يكونوا في الدرجة العليا في التواصل، واحترام كل واحدٍ منهم لرأي الآخر، وألا تصل بهم الخلافات إلى التشهير والتجريح.

المطلب الثالث/ تلوين الأساليب والوسائل:

فلم يدع الرسول صلى الله عليه وسلم أسلوبًا من أساليب البيان إلا سلكه، في أحاديثه ومكاتباته، وتعليمه وعظاته، وخطبه وتوجيهاته، في دروسه ومعسكراته، بين ترغيب وترهيب.[4]

وكان يمتطي في تعليمه صهوة القصص أسلوبًا، فيشد الأسماع إليه، وينتقل إلى الاستفهام فتجتمع القلوب عليه، ويسلك الحوار سبيلا فيحفز الهمم بين يديه، ويعرّج على الحكم والأمثال فتشرئب إليه الأعناق، ويرسم حينًا ويشبه أحيانا ...، ويدعو داعي الجهاد فيقف خطيبًا بين أصحابه ويتقدمهم قائدًا.[5]

باب التشويق الإعلامي:

جاء في صحيح البخاري من حديث سلمةَ عن عليٍّ رضي الله عنهما، قَالَ النبي صلى الله عليه وسلم: "لأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَدًا – أَوْ لَيَأْخُذَنَّ الرَّايَةَ غَدًا – رَجُلٌ يُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، يُفْتَحُ عَلَيْهِ".[6]

وهناك جانبٌ آخر من التشويق وإثارة العقل في ميدان التفكير؛ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم ذكر (رجلاً) بالتنكير؛ لكي يجعل المسلمين في استفسار مستمر مع الذات: من الذي سيكون هذا الرجل ؟

---

(1) **النَّجش**: أن يريد الإنسان أن يبيع بياعة فتساومه بها بثمن كثير لينظر إليك ناظر فيقع فيها. (الفائق في غريب الحديث والأثر (441/1).

(2) **التدابر**: أي لا يُعْطي كُلُّ واحد منكم أخَاه دُبُرَه وقفَاه فيُعْرض عنه ويهْجُره. (النهاية في غريب الحديث والأثر (206/2).

(3) صحيح مسلم، ص 1270 رقم 6436، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وماله وعرضه. من طريق أَبِى سَعِيدٍ مَوْلَى عَامِرِ بْنِ كُرَيْزٍ عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ به.

(4) أضواء على الإعلام في صدر الإسلام، د. محمد عجّاج الخطيب، ص 20.

(5) نفسه، ص 20–21.

(6) صحيح البخاريّ (135/5)، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر. من طريقِ حَاتِمٍ عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِى عُبَيْدٍ عَنْ سَلَمَةَ رضي الله عنه به.

ولماذا خصّه الرسول صلى الله عليه وسلم بهذه الفضيلة العظيمة والخصيصة المتميّزة ؟ وما إلى ذلك من الأسئلة التي تحرك الذهن وتثير الوجدان.

ولماذا خصّه الرسول صلى الله عليه وسلم بهذه الفضيلة العظيمة والخصيصة المتميّزة ؟ وما إلى ذلك من الأسئلة التي تحرك الذهن وتثير الوجدان.

ومثالُ ذلك قولُ الرسول صلى الله عليه وسلم من حديثِ أنسٍ رضي الله عنه: "ثَلاَثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لاَ يُحِبُّهُ إِلاَّ لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ".[1]

وهذا كثيرٌ في حديث النبي صلى الله عليه وسلم، وفي عصرنا الحاضر نرى أن الفضائيات مثلا تبدأ بذكر العناوين الإخبارية ثم التفصيل بعدها، وهذا واضح في هذا الحديث، والأحاديث التي تبدأ بنفس البداية، وهاكم بعض الأمثلة:

1. عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلاَةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالْحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ".[2]

فقد بين رسولنا الأعظم في البداية الملخص الذي يجمع الإسلام دون أن يكثر التفصيل ثم شرع بذكر الأركان واحدًا واحدًا بعد أن هيأ البيئة العقلية لدى السامعين، وبدأ بذكر الشهادتين ليوضح أن من كانت نيته لله وحده وكان سمته نبويًّا كان ذلك له مدخلا طبيعيًّا وخليقًا بما جاء بعده من الأركان، واستخدم لذلك كلمة ذات مدلول إعلامي خاص وهي (بني)، ذلك أنها تفرض على العقل أن يسبح في إطار تخيل بناء معين سيبدأ الرسول في بنائه بالخطوات المعروفة، وهذا مهم في تقريب الصور وتوضيح المعاني بالوسائل التي تمثل قاسمًا مشتركًا بين فهوم الجمهور والمتابعين.

2. عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ".[3]

---

(1) **متفقٌ عليه.**

أخرجه البخاريّ في صحيحه (12/1)، كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان. ومسلم في صحيحه بنحوه، ص 49 رقم 70، كتاب الإيمان، باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان. كلاهما من طريق عَبْدِ الْوَهَّابِ الثَّقَفِيِّ عن أَيُّوبَ عَنْ أَبِي قِلاَبَةَ عَنْ أَنَسٍ به.

(2) **متفقٌ عليه.**

أخرجه البخاريّ في صحيحه (11/1)، كتاب الإيمان، باب دعاؤكم إيمانكم. من طريق حَنْظَلَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ عَنْ عِكْرِمَةَ بْنِ خَالِدٍ. ومسلمٌ في صحيحه، ص 36 رقم 21، كتاب الإيمان، باب بيان أركان الإسلام ودعائمه العظام. من طريق عاصم بن محمد عن أبيه محمد بن زيد بن عبدالله بن عمر. كلاهما عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما به.

(3) صحيح البخاريّ (16/1)، كتاب الإيمان، باب علامة المنافق. من طريق الأَعْمَشِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُرَّةَ عَنْ مَسْرُوقِ بنِ الأجدع عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو به.

وجمالُ هذا الحديث وجلاله يكمن في أنه فتح الباب للتفكير والترهيب معًا، وقدم الحلَّ النموذجيّ للإشكال بشكله الجزئي والكامل قبل الشروع في ذكر المشكلة ذاتها، وبعدها أخبرنا النبي صلى الله عليه وسلم بما أسماه خصال النفاق وهي خيانة الأمانة، وكذب الحديث، وغدر العهد والفجور في الخصام، وأشار في البداية إلى الخيانة باعتبارها الأخطر؛ ذلك أن من استمرأ الخيانة وضيّع الأمانة كانت الخلال التي بعدها من أركان المساعدة في دعم عملية الخيانة قدمًا وكان ما بعد الخيانة أسهل وأيسر. والعياذ بالله

3. عن أبي موسى الأشعريّ رضي الله عنه: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "ثَلاَثَةٌ لَهُمْ أَجْرَانِ: رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنَ بِنَبِيِّهِ، وَآمَنَ بِمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم، وَالْعَبْدُ الْمَمْلُوكُ إِذَا أَدَّى حَقَّ اللَّهِ وَحَقَّ مَوَالِيهِ، وَرَجُلٌ كَانَتْ عِنْدَهُ أَمَةٌ فَأَدَّبَهَا، فَأَحْسَنَ تَأْدِيبَهَا، وَعَلَّمَهَا فَأَحْسَنَ تَعْلِيمَهَا، ثُمَّ أَعْتَقَهَا فَتَزَوَّجَهَا، فَلَهُ أَجْرَانِ".[1]، **وقوله (فله أجران):** "هو تكرير لطول الكلام للاهتمام به".[2]

باب التعريض وعدم التصريح:

فقد سلك النبي صلى الله عليه وسلم نظام (ما بال أقوام) لكي تصل رسالته دون أن يشعر أحدًا بالحرج، ولكي يتحسس كل من كان على نفس أمره ولم يكن مقصودًا من الكلام بأن عليه أن يقتفي أثر الجادة والخط المستقيم، قبل أن يفوته الأوان.

فقد جاء عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أن رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَشْتَرِطُونَ شُرُوطًا لَيْسَتْ فِي كِتَابِ اللَّهِ مَنِ اشْتَرَطَ شَرْطًا لَيْسَ فِي كِتَابِ اللَّهِ فَلَيْسَ لَهُ، وَإِنِ اشْتَرَطَ مِائَةَ شَرْطٍ".[3] وقَالَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها كذلك: صَنَعَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم شَيْئًا فَرَخَّصَ فِيهِ فَتَنَزَّهَ عَنْهُ قَوْمٌ فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَخَطَبَ فَحَمِدَ اللَّهَ ثُمَّ قَالَ: "مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَتَنَزَّهُونَ عَنِ الشَّيْءِ أَصْنَعُهُ، فَوَاللَّهِ إِنِّي لأَعْلَمُهُمْ بِاللَّهِ وَأَشَدُّهُمْ لَهُ خَشْيَةً".[4]

وعَن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه حَدَّثَهُمْ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: "مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَرْفَعُونَ أَبْصَارَهُمْ إِلَى السَّمَاءِ فِي صَلاَتِهِمْ". فَاشْتَدَّ قَوْلُهُ فِي ذَلِكَ حَتَّى قَالَ: "لَيَنْتَهُنَّ عَنْ ذَلِكَ أَوْ لَتُخْطَفَنَّ أَبْصَارُهُمْ".[5]

---

(1) **متفقٌ عليه.**

أخرجه البخاريّ في صحيحه (31/1)، كتاب العلم، باب تعليم الرجل أمتَه وأهلَه. ومسلمٌ في صحيحه بنحوه، ص 93 رقم 280، كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم إلى جميع الناس ونسخ الملَل بملّته. كلاهما من طريق صَالِحِ بنِ صالحِ بن مسلمٍ عن الشَّعْبِيُّ عن أَبِي بُرْدَةَ عَنْ أَبِيهِ به.

(2) فتح الباري، لابن حجر (281/1).

(3) صحيح البخاريّ (98/1)، كتاب الصلاة، باب ذكر البيع والشراء على المنبر في المسجد. من طريق يَحْيَى عَنْ عَمْرَةَ عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها به.

(4) صحيح البخاريّ (26/8)، كتاب الأدب، باب من لم يواجه الناس بالعتاب. من طريق الأَعْمَشِ عن مُسْلِمٍ عَنْ مَسْرُوقٍ عن عَائِشَةَ به.

(5) صحيح البخاريّ (150/1)، كتاب الأذان، باب رفع البصر إلى السماء في الصلاة. من طريق سعيدِ بْنِ أَبِي عَرُوبَةَ عن قَتَادَةَ عَن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ حَدَّثَهُمْ به.

تكرار البيان ليقرَّ في الأذهان:

عَنْ أَنَس رضي الله عنه: عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ كَانَ إِذَا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَعَادَهَا ثَلاَثًا حَتَّى تُفْهَمَ عَنْهُ، وَإِذَا أَتَى عَلَى قَوْمٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ سَلَّمَ عَلَيْهِمْ ثَلاَثًا.[1]

فأحيانًا يحتاج الإعلامي إلى إعادة الخبر في الموطن الواحد كذا مرة ليستقرَّ في الأذهان، وهذا مردُّه إلى طبيعة الخطاب وأهميته، وهذا ما يوضح لنا أن نشرات الأخبار تعيد الأخبار الهامة غير مرة لتستقر وتثبت وتبرز أهميتها وخطرها، بل وفي النشرة الإخبارية الواحدة نرى أن الأسلوب العصريّ المتبّع هو: ذكر عناوين الأخبار، ثم تفاصيلها، ثم تذكير آخر بالعناوين لكي يظلّ المشاهد أو المستمع في استحضار فكريّ مستمر بخصوص الأخبار المنقولة.

باب الإجابة بالنفي:

من الأساليب التي يتبعها النبيُّ صلى الله عليه وسلم أحيانًا الإجابة بالنفي، بمعنى أن السائل إذا أراد جوابًا مباشرًا على سؤال معين أجيب بتبيان المحترزات التي عليه اجتنابها:

عَنِ ابْنِ عُمَرَ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم أَنَّ رَجُلاً سَأَلَهُ مَا يَلْبَسُ الْمُحْرِمُ ؟ فَقَالَ: "لاَ يَلْبَسِ الْقَمِيصَ وَلاَ الْعِمَامَةَ وَلاَ السَّرَاوِيلَ وَلاَ الْبُرْنُسَ[2] وَلاَ ثَوْبًا مَسَّهُ الْوَرْسُ[3] أَوِ الزَّعْفَرَانُ، فَإِنْ لَمْ يَجِدِ النَّعْلَيْنِ فَلْيَلْبَسِ الْخُفَّيْنِ وَلْيَقْطَعْهُمَا حَتَّى يَكُونَا تَحْتَ الْكَعْبَيْنِ".[4]

الإجابة باعتبار الأهمّ:

فعندما سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإسلام (وهو مصدر) أجاب بذكر المسلم المطبِّق، لنستنبط منه بكل بساطة معنى الإسلام، وهو سلامة المسلمين من الأذية اللسانية واليدوية. فضرب في هذا الجواب بسهمين صائبين؛ فعن أبي موسى رضي الله عنه قَالَ: قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ الإِسْلاَمِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: "مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ".[5]

وكانت إجابة النبي صلى الله عليه وسلم راجعة إلى الطرف الذي سيقع على كاهله مهمة التطبيق.

---

(1) صحيح البخاريّ (30/1)، كتاب العلم، باب من أعاد الحديث ثلاثًا ليُفهم عنه. من طريق عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُثَنَّى عن ثُمَامَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَنَس به.

(2) **البرنس:** هو قَلَنْسُوَة طويلة كان النُّسَاك يلبَسونها في صدر الإسلام وهو من البِرْس – بكسر الباء – القُطْن والنون زائدة (النهاية (308/1).

(3) **الوَرْسُ:** نَبْتٌ أصفَرُ يُصبَغ به. (النهاية (382/5).

(4) صحيح البخاريّ (39/1)، كتاب العلم، باب من أجاب السائل بأكثر مما سأله. من طريق ابْنِ أَبِي ذِئْبٍ [محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة] عَنْ نَافِعٍ [مولى ابن عمر] عَنِ ابْنِ عُمَرَ به.

(5) صحيح البخاريّ (11/1)، كتاب الإيمان، باب أيُّ الإسلام أفضل ؟. من طريق أَبِي بُرْدَةَ [عامر بن عبد الله بن قيس] عَنْ أَبِي مُوسَى به.

بين الإيضاح والاستيضاح:

عن ابْنِ أَبِى مُلَيْكَةَ رضي الله عنه أَنَّ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم كَانَتْ لاَ تَسْمَعُ شَيْئًا لاَ تَعْرِفُهُ إِلاَّ رَاجَعَتْ فِيهِ حَتَّى تَعْرِفَهُ، وَأَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "مَنْ حُوسِبَ عُذِّبَ". قَالَتْ عَائِشَةُ فَقُلْتُ أَوَ لَيْسَ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى "فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا" قَالَتْ فَقَالَ: "إِنَّمَا ذَلِكَ الْعَرْضُ، وَلَكِنْ مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ يَهْلِكْ".[1]

فإذا استعسر على الإعلامي جانبٌ معينٌ في موضوع ما وجب عليه أن يسأل ويستفسر، لأن الجانب الغامض ربما احتمل وجوهًا متعددة، والذي يستطيع أن يفصّلَ في الأمر هو صاحب الكلام نفسه، ويتضح لنا من استفسار عائشة رضي الله عنها في الحديث أنها لو لم تسأل لكانت أجابت من سألها سؤالَها بالمعنى الذي رشح لديها قبل سؤال النبي صلى الله عليه وسلم. ويظهر في الحديث وضوح الرؤية الكاملة عند المصطفى وحضور بديهته.

وفي مثل هذا السياق تأتي أحاديث على نفس السنَن:

1. عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: جَاءَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَسْتَحْيِى مِنَ الْحَقِّ، فَهَلْ عَلَى الْمَرْأَةِ مِنْ غُسْلٍ إِذَا احْتَلَمَتْ قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: "إِذَا رَأَتِ الْمَاءَ". فَغَطَّتْ أُمُّ سَلَمَةَ – تَعْنِي وَجْهَهَا – وَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَتَحْتَلِمُ الْمَرْأَةُ ؟ قَالَ: "نَعَمْ تَرِبَتْ يَمِينُكِ[2] فَبِمَ يُشْبِهُهَا وَلَدُهَا".[3]

وفيه الجرأة في سؤال الإعلامي في الأشياء التي تجلو معها الحقيقة وتتضح.

2. عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: "أُرِيتُ النَّارَ فَإِذَا أَكْثَرُ أَهْلِهَا النِّسَاءُ يَكْفُرْنَ". قِيلَ: أَيَكْفُرْنَ بِاللَّهِ قَالَ: "يَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ، وَيَكْفُرْنَ الإِحْسَانَ، لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا قَالَتْ مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ".[4]

وفي الحديث استيضاحٌ من ابن عباس رضي الله عنهما، نظرًا لأن يكفرن جاءت من غير توضيح ولا تمييز، واللغة تحتمل فيها وجهين، فقد سأل ابن عباس رسولنا عن ماهية هذا الكفران، ولم يخجل ولم يتوانَ في السؤال. وبالنسبة للحديث، فقد جاء ليوضح ما أطلق عليه (المذهب النِّسائي)، وهو كفران المرأة

---

(1) **متفقٌ عليه.**

أخرجه البخاريّ في صحيحه (32/1)، كتاب العلم، باب من سمع شيئًا فلم يفهمه فراجع فيه حتى يعرفه. من طريق نَافِعِ بْنِ عُمَرَ. ومسلمٌ في صحيحه بنحوه، ص 1407 رقم 7119، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب إثبات الحساب. من طريق ابْنِ عُلَيَّةَ عَنْ أَيُّوبَ. كلاهما عن عبدِ اللهِ بنِ عبيدِ الله بْنِ أَبِى مُلَيْكَةَ عن عَائِشَةَ به.

(2) **تربت يمينك:** "أي افتقرت وصارت على التراب، وهي من الألفاظ التي تطلق عند الزجر ولا يُراد بها ظاهرُها". (فتح الباري، لابن حجر (336/1).

(3) صحيح البخاريّ (38/1)، كتاب العلم، باب الحياء في العلم. من طريقِ زَيْنَبَ ابْنَةِ أُمِّ سَلَمَةَ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ [هند بنت أبي أمية] به.

(4) صحيح البخاريّ (15/1)، كتاب الإيمان، باب كفران العشير، وكفرٌ دون كفر. من طريق زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ به.

عشيرَها من خطأ واحد أو زلة واحدة تنسى معها كل الحسنات التي قدمها لها زوجها، فكان كلٌّ من صنع هذا الأمر على المذهب النسائي لأنه وإن كان رجلا إلا أنه سلك نفس ما اشتُهر عن النساء.

3. عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه قَالَ لَمَّا نَزَلَتِ "الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ" قَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: أَيُّنَا لَمْ يَظْلِمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ "إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ".[1]

فحيث لم يفهم الصحابة الكرام، ولم يستوعبوا آيةً نزلت لم يجدوا بدًّا من سؤال الرسول صلى الله عليه وسلم، فأجابهم وأزال اللبس الذي غشَّاهم وأزعجهم وأقلقهم.

4. وإذا لم يجسر السائل على الاستفسار مباشرة أرسل غيره ليحصلَ له على الجواب الذي يريد، كالذي صدر عن عليٍّ رضي الله عنه:

عَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه قَالَ: كُنْتُ رَجُلاً مَذَّاءً[2] فَأَمَرْتُ الْمِقْدَادَ أَنْ يَسْأَلَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَسَأَلَهُ فَقَالَ: "فِيهِ الْوُضُوءُ".[3]

لكن في المقابل على السائل أن يكون لطيفًا هادئًا في السؤال، وإن لم يصل السؤال للإعلامي فعليه ألا يصخب ويعتب ويستاء:

يقول الخطيب: "وإن لم يبلغه – أي الطالب – صوت الراوي، لبعده عنه، سأله أن يرفع صوته سؤالا لطيفًا، لا سمجًا، ولا عنيفًا. وليتَّقِ إعادة الاستفهام لما قد فهمه، وسؤال التكرار لما قد سمعه وعلمه، فإن ذلك يؤدي إلى إضجار الشيوخ".[4]

وللتأكيد على هذا المعنى وجب على الصحفي وناقل الخبر أن يترك الحديث الجانبي و"يقبل على المحدِّث بوجهه، ولا يلتفت عنه، ولا يسارَّ أحدًا في مجلسه".[5]

وقال ميمون بن مهران: "التودُّد إلى الناس نصفُ العقل، وحسنُ المسألةِ نصفُ الفقه".[6]

المطلب الرابع/ الواقعية والإيجابية:

لعلّ حديث النفر الذين تقالّوا عبادة رسول الله صلى الله عليه وسلم يدلّ بصورة واضحة على تغلغل الإعلام النبوي في بطن الواقعية، حيث قال معترضًا على طريقة أولئك في التفكير وانتقد عزمهم

---

(1) صحيح البخاريّ، كتاب الإيمان، باب ظلمٌ دون ظلم. من طريق شُعْبَةَ عَنْ سُلَيْمَانَ بنِ مهران عَنْ إِبْرَاهِيمَ بنِ يزيد عَنْ عَلْقَمَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بنِ مسعودٍ به.

(2) **المذّاء:** "أي كثير المذي، وهو الماء الذي يخرج من الرجل عند الملاعبة". (فتح الباري (337/1).

(3) **متفقٌ عليه.**

أخرجه البخاريّ في صحيحه (38/1)، كتاب العلم، باب من استحيا فأمر غيرَه بالسؤال. ومسلمٌ في صحيحه بنحوه، ص 162 رقم 583، كتاب الحيض، باب المذي. كلاهما من طريق مُنْذِرِ بْنِ يَعْلَى عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَنَفِيَّةِ عَنْ عَلِيٍّ به.

(4) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (196/1).

(5) نفسه (198/1).

(6) السابق (213/1).

غير المبرر على ما لا ينبغي: "... أما أنا فأصوم وأفطر وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني"[1].

ومن الواقعية (التماشي مع الواقع بما لا يخالف الدين) أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يضرب على الحديد ساخناً، ويواكب الحدث باعتبار تداعياته، وعلى سبيل المثال عندما جاءه أسامة بن زيد رضي الله عنهما يشفع عنده في أمر المرأة المخزومية، انتظر الرسول صلى الله عليه وسلم الوقت الذي يكون مناسبًا لاستيعاب الجميع حيث جاء في الأثر عن أسامة بن زيد عند البخاري: ... فَلَمَّا كَانَ الْعَشِيُّ قَامَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم خَطِيبًا، فَأَثْنَى عَلَى اللَّهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ثُمَّ قَالَ: "أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ النَّاسَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمِ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا".[2]

حيث إن النبيَّ صلى الله عليه وسلم كانت عنده المبادرة للتأثير في نفوس السامعين، وذلك باستغلال المواقف والمناسبات والأحداث المعينة ليعلق عليها ويحللها بطريقته الخاصة. والناظر إلى التصريح النبوي السابق الذي حكاه النبي صلى الله عليه وسلم بعد موقف استشفاع أسامة غير الصائب يلاحظ الدقة في الطرح والإلمام بالقضية من جميع جوانبها مغلفًا ذلك بقوة الرسالة حيث حملت دعوة إلى التفكير والنذير بنفس المستوى، ولأن الإعلاميَّ الناجحَ بحاجةٍ إلى أن يكون صاحب قدوة عملية، رأينا رسولنا الكريم يبدأ بنفسه ويطبّق ما يقوله عليه مباشرة.

وأثرٌ آخرُ يوضح ذلك الجانب النبويَّ الحساس الدقيق:

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم دَخَلَ عَلَيْهَا وَعِنْدَهَا امْرَأَةٌ قَالَ: "مَنْ هَذِهِ". قَالَتْ: فُلاَنَةُ. تَذْكُرُ مِنْ صَلاَتِهَا. قَالَ: "مَهْ[3]، عَلَيْكُمْ بِمَا تُطِيقُونَ[4]، فَوَاللَّهِ لاَ يَمَلُّ اللَّهُ حَتَّى تَمَلُّوا[5]". وَكَانَ أَحَبَّ الدِّينِ إِلَيْهِ مَا دَامَ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ.[6]

---

(1) صحيح البخاري (2/7)، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح. من طريق حُمَيْدِ بْنِ أَبِي حُمَيْدٍ الطَّوِيلِ عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ به.

(2) صحيح البخاريّ (150/5)، كتاب المغازي، بابٌ: وقال الليث. من طريق الزُّهْرِيِّ عن عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ به.

(3) **مَهْ**: قال الجوهري: هي كلمة مبنية على السكون وهي اسم سمي به الفعل والمعنى اكفف، يُقال: مهمهته إذا زجرته فإن وصلت نونت فقلت: مه.

(4) **عَلَيْكُمْ بِمَا تُطِيقُونَ**: أي اشتغلوا من الأعمال بما تستطيعون المداومة عليه، فمنطوقه: يقتضى الأمر بالاقتصار على ما يطاق من العبادة، ومفهومه: يقتضى النهي عن تكلف ما لا يطاق. (فتح الباري (151/1).

(5) **لاَ يَمَلُّ اللَّهُ حَتَّى تَمَلُّوا**: قال الهروي: معناه لا يقطع عنكم فضله حتى تملوا سؤاله فتزهدوا في الرغبة إليه، وقال غيره: معناه لا يتناهى حقه عليكم في الطاعة حتى يتناهى جهدكم .. وجنح بعضهم إلى تأويلها فقيل: معناه لا يمل الله إذا مللتم وهو مستعمل في كلام العرب يقولون لا أفعل كذا حتى يبيض القار أو حتى يشيب الغراب، ومنه قولهم في البليغ: لا ينقطع حتى ينقطع خصومه لأنه لو انقطع حين ينقطعون لم يكن له عليهم مزية. (فتح الباري، لابن حجر (152/1).

(6) صحيح البخاريّ (17/1)، كتاب الإيمان، باب أحبُّ الدين إلى الله عزّ وجلّ أدومُه. من طريق يَحْيَى عَنْ هِشَامٍ عن أَبِيع عَنْ عَائِشَةَ به.

والحكمة من التكليف بالاستطاعة كما جاء عن ابن الجوزي: إنما أحب الدائم لمعنيين؛ **أحدهما:** أن التارك للعمل بعد الدخول فيه كالمعرض بعد الوصل فهو متعرض للذم ولهذا ورد الوعيد في حق من حفظ آية ثم نسيها وأن كان قبل حفظها لا يتعين عليه، **ثانيهما:** أن مداوم الخير ملازم للخدمة وليس من لازم الباب في كل يوم وقتا ما كمن لازم يوما كاملا ثم انقطع.[1]

وقال ابن حجر: والحكمة في ذلك أن المديم للعمل يلازم الخدمة فيكثر التردد إلى باب الطاعة كل وقت ليجازي بالبر لكثرة تردده.[2]

وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّهَا قَالَتْ سُئِلَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم أَيُّ الأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ قَالَ: "أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ". وَقَالَ: "اكْلَفُوا مِنَ الأَعْمَالِ مَا تُطِيقُونَ".[3]

وعَنْهَا رَضِيَ الله عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "سَدِّدُوا وَقَارِبُوا[4]، وَاعْلَمُوا أَنْ لَنْ يُدْخِلَ أَحَدَكُمْ عَمَلُهُ الْجَنَّةَ، وَأَنَّ أَحَبَّ الأَعْمَالِ أَدْوَمُهَا إِلَى اللَّهِ، وَإِنْ قَلَّ".[5]

قلت: والتسديد والمقاربة من أهم أدوات الواقعية، إذ ينشأ ولا ريب عن دراسة الواقع ومعرفة أبجدياته تحديد وجهة العمل وبوصلته وأدواته وآليات السلوك، وتترتب الأجندة وتتقوّم المسالك، ويحضّر صاحب السبيل ما يحتاجه لدرجة تمكنه من معرفة هل من الصواب أن يستمر أم لا، وكأنه صلى الله عليه وسلم أراد بالتسديد والمقاربة عدمَ الإفراط أو التفريط، ويفعل الأول المتشددون الغالون، ويرتكب الثاني المقصرون المبعَدُون، وديننا دين الوسطية، ليس مع هؤلاء ولا أولئك. والله أعلم.

المطلب الخامس/ الموضوعية والشمولية[6]:

قال تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاء لِلّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيّاً أَوْ فَقِيراً فَاللّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلاَ تَتَّبِعُواْ الْهَوَى أَن تَعْدِلُواْ وَإِن تَلْوُواْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ اللّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً"[7]

وذلك من خلال أن الإعلام الإسلامي بشكل عام هو صوت ولسان الدين، القلم المعبر عن جميع إرشاداته والقالب البياني الذي تُصاغ عبره التقاسيم الراقية لجوانب إسلامية متعددة، المعبر عن عقيدته

---

(1) فتح الباري، لابن حجر (153/1).

(2) نفسه (415/11).

(3) صحيح البخاريّ (98/8)، كتاب الرقاق، باب القصد والمداومة على العمل. من طريق سَعْدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بنِ عبدِ الرحمن عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها به.

(4) **قَارِبُوا:** أي لا تفرطوا فتجهدوا أنفسكم في العبادة لئلا يفضي بكم ذلك إلى الملال فتتركوا العمل فتفرطوا". (فتح الباري، لابن حجر (413/11).

(5) صحيح البخاريّ (98/8)، كتاب الرقاق، باب القصد والمداومة على العمل. من طريق مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ عَائِشَةَ به.

(6) **ملاحظة:** انظر في ذلك خطابنا الإسلامي في عصر العولمة، فالإطار العام مقتبسٌ منه.

(7) النساء: 135.

وشريعته وأحكامه، المبين لآدابه وأخلاقه، حيث يتناول أمور الدين غير مغفل الدنيا وما يصل المسلم بها "وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا"[1]، والحياة والآخرة، وكل ما يتعلق بالفرد والجماعة، في السلم والحرب والمنشط والمكره، بل إن رسالة الرسول صلى الله عليه وسلم في الأصل إعلامية بالمقام الأول من يوم (اقرأ) حيث أُمِر رسولنا بما استفيد من آيات العلق أن يعلم الإنسان الحق ويعلِم بدرب الهدى.

ويؤكد على جانب الموضوعية **عمر التلمساني** فيقول: "فبدلا من مهاجمة خصومنا والنيل مما يقدسون، يجب أن يقوم إعلامنا على إثبات فساد ما يؤمنون به ويعتقدون صلاحه بالأدلة والأمثلة".[2]

ومن مظاهر الموضوعية والشمولية في الخطاب الإسلامي ما يلي:

1. يجمع بين الإيمان بالرحمن والتقدير للإنسان:

فالله تعالى هو "الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ"[3]، وهو " اللَّهُ الصَّمَدُ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ"[4]، وليس له مضارع في خلقه "لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ"[5]، ولم يخلقنا هملا ولم يفعل شيئًا عبثًا "وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً"[6]، "رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ"[7]، العالم بكل شيء "إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ"[8]، "إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ"[9]، وهو الجدير والقمين بأن نتوجه إليه بالعبادة وحده "قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ"[10].

كما أن الله تعالى هو الذي أكرم الإنسان بمختلف أنواع وألوان الإكرام والنعائم "وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً"[11]، وخلقهم وأحسن خلقهم "لَقَدْ خَلَقْنَا الْأِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ"[12]:

---

(1) القصص: 77.

(2) الإعلام الإسلامي، عمر التلمساني، ص 9.

(3) السجدة: 7.

(4) الإخلاص: 2-4.

(5) الشورى: 11.

(6) الفرقان: 2.

(7) آل عمران: 191.

(8) فصلت: 47.

(9) لقمان: 34.

(10) الأنعام: 162-163.

(11) الإسراء: 70.

(12) التين: 4.

ولذا جاءت الوصايا النبوية بالحفاظ على هذا الكنز وتكريمه سيرًا على المنهاج الرباني والجديلة الإلهية، للتأكيد على أحدية المصدر ومشكاة التلقي:

وقد تمثل ذلك في تحريم الاعتداء عليه ماديًا أو معنويًا، فيما جاء عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "لَزَوَالُ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ قَتْلِ مُؤْمِنٍ بِغَيْرِ حَقٍّ".[1]

---

(1) سنن ابن ماجه، ص 445 رقم 2619، كتاب الديات، باب التغليظ في قتل مسلم ظلمًا.

قال ابن ماجه: حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ عَمَّارٍ حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ [أبو العباس القرشي] حَدَّثَنَا مَرْوَانُ بْنُ جَنَاحٍ [الأموي الدمشقي] عَنْ أَبِي الْجَهْمِ الْجُوزَجَانِيِّ [سليمان بن الجهم] عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ:...

الحكم على الحديث: إسناده صحيح؛ رجاله ثقات، وفيه صرّح الوليد بالسماع، قال: حدثنا مروان بن جُناح.

و**رجال الحديث هم:** مَرْوَانُ بْنُ جَنَاحٍ، أَبو الْجَهْمِ الْجُوزَجَانِيِّ: ثقتان.

انظر: التقريب (ص 931 رقم 6610)، (ص 405 رقم 2558).

هِشَامُ بْنُ عَمَّارٍ: وثّقه ابنُ معين. (سؤالات ابن الجنيد لابن معين، ص 397 رقم 519)، والعجليّ (الثقات (333/2) رقم 1908) وزاد: صدوق. والنسائي. (تهذيب التهذيب (276/4–277)، وذكره ابنُ حبّان في "الثقات" (233/9) رقم 16176.

وقال ابن معين: حدثنا هشام بن عمّار وليس بالكذوب. (تهذيب التهذيب (276/4–277). وقال أبو حاتم عنه: لما كبر تغير وكلما دفع إليه قرأه، وكلما لُقِّن تلقّن، وكان قديمًا أصحّ، كان يقرأ من كتابه. وقال عنه: صدوق. (الجرح والتعديل (66/9–67) رقم 255). وقال الدارقطنيّ عنه: صدوق، كبير المحلّ. (سؤالات الحاكم للدارقطني، ص 281 رقم 507).

قال في الميزان: صدوق مكثر، له ما يُنكر. (ميزان الاعتدال (86/7) رقم 9242). وقال في السير: عالمُ أهل الشام، وغيرُه أتقنُ منه وأعدلُ. وقال أبو زرعة الرازي: من فاته هشام بن عمار، يحتاج أن ينزل في عشرة آلاف حديث.

ويقول الذهبي معلقًا على قول الإمام أحمد فيه: طيّاش خفيف: وأما قول الإمام فيه: طيّاش، فلأنه بلغه عنه أنه قال في خطبته: الحمد لله الذي تجلى لخلقه بخلقه. فهذه الكلمة لا ينبغي إطلاقها وإن كان لها معنى صحيح، لكن يحتجّ بها الحلوليّ والاتحاديّ. وما بلغنا أن الله سبحانه وتعالى تجلى لشيء إلا بجبل الطور، فصيّره دكًّا. وفي تجلّيه لنبينا صلى الله عليه وسلم، اختلافٌ أنكرته عائشة وأثبته ابن عبّاس. ثم قال: وبكل حالٍ فكلام الأقران بعضهم في بعض يُحتمل، وطَيُّه أولى من بثِّه إلا أن يتفق المعاصرون على جرح شيخ، فيُعتمد قولُهم. والله أعلم. (انظر: سير أعلام النبلاء (420/11–434) رقم 98). وعن ابن وارِه (محمد بن مسلم بن عثمان الرازي) يقول: عزمتُ زمانًا أن أمسك عن حديث هشام بن عمّار لأنه كان يبيع الحديث. ويعلق الذهبي على ذلك: العجب من هذا الإمام مع جلالته، كيف فعل هذا ولم يكن محتاجًا، وله اجتهاده. (انظر: سير أعلام النبلاء (426/11).

ذكره العلائي في (المختلطين) ص 126 رقم 44، وسبط بن العجميّ في (نهاية الاغتباط) ص 364 رقم 113، ونقلا كلاهما قول أبي حاتم: صدوق، وقد تغير، فكان كلما لقّنه تلقّن. وقال ابنُ حجر: صدوق مقرئ، كبر فصار يتلقّن فحديثه القديم أصحّ، وقد سمع من معروف الخيّاط، لكن معروف ليس بثقة. (تقريب التهذيب، ص 1022 رقم 7353).

قلت: والذي ترجح لي بعد جمع هذه الأقوال أنه: ثقة، وما قيل عنه أنه يتلقّن، فلم يكن كذاك بل كان يتقاضى أجرًا على تحديثه ويتناعس لذلك أحيانًا، ولذا قال ابن حجر وغيره بصيغة التشكيك: كان (ربما) لُقِّن فتلقّن. والله أعلم. وعن ابن معين: هشام بن عمّار كيّس كيّس.

الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ: قال ابنُ حجر: ثقة لكنه كثير التدليس والتسوية. (تقريب التهذيب، ص 1041 رقم 7506). وذكره في المرتبة الرابعة من طبقات المدلسين. (طبقات المدلسين، ص 51 رقم 127). **لذا فالحديث صحيح.**

ويستوي في ذلك الذميّ مع المسلم، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا لَمْ يَرَحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا تُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا".[1]

ومنع الاعتداء على أعراضهم وأنفسهم، فقال تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْراً مِنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْراً مِنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ"[2]

وأكد رسولنا العظيم على ذلك حتى بعد مماتهم، فعن عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: "لاَ تَسُبُّوا الأَمْوَاتَ فَإِنَّهُمْ قَدْ أَفْضَوْا إِلَى مَا قَدَّمُوا".[3]

وجمع ذلك فيما جاء عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "لاَ تَحَاسَدُوا، وَلاَ تَنَاجَشُوا، وَلاَ تَبَاغَضُوا، وَلاَ تَدَابَرُوا، وَلاَ يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا. الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يَخْذُلُهُ وَلاَ يَحْقِرُهُ. التَّقْوَى هَا هُنَا". وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ "بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ"[4].

2. يدعو إلى الروحانية، ولا يهمل المادية:

فالله تعالى خلق الإنسان ومزج فيه شقين؛ أحدهما مادي والآخر روحاني، قال تعالى: "وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَأٍ مَسْنُونٍ، فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ"[5]

ففي نفس الوقت الذي يدعونا فيه مولانا تعالى إلى توحيده "ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ"[6]، وأن نؤمن بالآخرة التي يقع فيها الحساب ولا عمل، "فَأَمَّا مَن طَغَى، وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا، فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى، وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى، فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى"[6]، وأن نؤدي فرائضه ونمتثل أوامره ونجتنب نواهيه: "وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْأِنْسَ إِلَّا

---

(1) صحيح البخاريّ (99/4)، كتاب الجزية، باب إثم من قتل معاهَدًا بغير جرم. من طريق الْحَسَنِ بْنِ عَمْرٍو عن مُجَاهِدٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما به.

(2) الحجرات: 11.

(3) صحيح البخاريّ (104/2)، كتاب الجنائز، باب ما يُنهى عن سبّ الأموات. من طريق الأَعْمَشِ عَنْ مُجَاهِدٍ عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها به.

(4) صحيح مسلم، ص 1270 رقم 6436، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم وخذله. من طريق دَاوُدِ بْنِ قَيْسٍ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ مَوْلَى عَامِرِ بْنِ كُرَيْزٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ به.

(5) الحجر: 28-29.

(6) الأنعام: 102.

(6) النازعات: 37-41.

لِيَعْبُدُونِ، مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ"[1]، وأن نطهر القلب من الآفات النفسية والخلقية ومن أمراض القلوب"وَلا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ، يَوْمَ لا يَنْفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ، إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ"[2].

نراه يدعونا إلى الاهتمام بالجانب المادي، فلا نغفل الأرض التي أمرنا ربنا بعمارتها وإصلاحها "هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا"[3].

ودعانا إلى التجارة الصالحة بشروطها من إخلاص النية والإتقان وعدم الجور على حقوق الآخرين: "رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ"[4].

بل إن نبينا الكريم صلى الله عليه وسلم كان يدعو الله، فيقول: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتُّقَى وَالْعَفَافَ وَالْغِنَى"[5].

وقال لسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: "... إِنَّكَ أَنْ تَذَرَ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَذَرَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ..."[6]

وهذا يتطلب عمل سعد وكدّه وكدحه، كما بينّ ذلك رسولنا صلى الله عليه وسلم على سبيل الاقتداء بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فقد قال خاتم النبيين: "مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ".[7]

وفي حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: قال رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "... نِعْمَ الْمَالُ الصَّالِحُ لِلْمَرْءِ الصَّالِحِ".[8]

---

(1) الذاريات: 56-57.

(2) الشعراء: 87-89.

(3) هود: 61.

(4) النور: 37.

(5) صحيح مسلم، ص 1335 رقم 6798، كتاب الكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب التعوذ من شر ما عمل وشر ما لم يعمل. من طريق شُعْبَةَ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ عَنْ أَبِي الأَحْوَصِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ به.

(6) **متفقٌ عليه.**

أخرجه البخاريّ في صحيحه (80/8)، كتاب الدعوات، باب الدعاء يرفع الوباء والوجع. ومسلمٌ في صحيحه، ص 805 رقم 4100، كتاب الوصية، باب الوصية بالثلث. كلاهما من طريق ابْنِ شِهَابٍ عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ به.

(7) صحيح البخاريّ (57/3)، كتاب البيوع، باب كسب الرجل وعمله بيده. من طريق ثَوْرٍ عَنْ خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ عَنِ الْمِقْدَامِ به.

(8) مسند أحمد (197/4) رقم 17798، حديث عمر بن العاص.

قال أحمد: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ [ابن مهدي العنبريّ] حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ عَلِيٍّ [ابن رباح اللخمي] عَنْ أَبِيهِ قَالَ سَمِعْتُ عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ يَقُولُ:...

الحكم على الحديث: إسناده صحيح؛ رجاله ثقات، وهم على النحو الآتي:

رجال الحديث: عَبْدُ الرَّحْمَنِ بن مهدي، عَلِيّ بن رباح اللخمي: ثقتان.

انظر: التقريب (ص 601 رقم 4044)، (ص 695-696 رقم 4766).

3. يُعنى بالعبادات الشعائرية ولا يغفل القيم الأخلاقية:

فالله تعالى لم يفرض علينا العبادات والشعائر الدينية مجردة من غير قيم نحصلها منها أو نرى ثمرتها بعدها، فالصلاة الحقة هي التي تجعل بينك وبين المعصية حدًا ومزايلة "إِنَّ الصَّلاَةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ"[1]،

والصدقة والزكاة ليست لإنقاص المال من الجيوب أو التأثير على الوضع الاقتصادي الخاص للمسلم، بل لتطهير النفس عن الشح والبخل والأنانية والحسد ومختلف أدران النفس "خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا"[2]،

والصيام ليس تجويعًا ولا حجزًا ماديًا عن شتى أنواع الشهوات، بل لبناء الجانب الإيماني والارتقاء بالبعد الروحاني لدى المسلم حتى يصل إلى كمال التقوى بعد كمال التواصل مع الله تعالى: "كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ"[3]،

والحج مؤتمر إسلامي كبير بل عظيم فيه تتلاقى الأرواح وتزداد الشقة ويبلغ العنت مستوى ملحوظًا لكن لا يدفع ذلك المحرم إلى اللغو والمراء والبذاء في المقال أو الفعال: "الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ"[4].

وأكد على تلك المعاني رسولنا صلى الله عليه وسلم فقال: "مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ". أي أنه أضاع القيمة المتوخى تحصيلها من الصيام، حيث ظلّ في دائرة عدم الاستفادة الفعلية من ثمرة الصوم بإصراره على الزور.[5]

مُوسَى بْنُ عَلِيٍّ (والمشهور عُلَيّ): وثّقه ابنُ معين. (سؤالات ابن الجنيد، ص 309 رقم 152)، وابن سعد، (تهذيب التهذيب (184/4) وأحمد (العلل ومعرفة الرجال (208/2) رقم 2032)، وابنُ شاهين (تاريخ أسماء الثقات، ص 304 رقم 1283)، كلاهما مكررًا. ووثقه العجليّ. (معرفة الثقات، للعجلي (305/2) رقم 1821)، وأبو حاتم، وزاد: كان رجلا صالحًا يتقن حديثه، ولا يزيد ولا ينقص، صالح الحديث. (الجرح والتعديل (154/8) رقم 691). والنَّسائي. (تهذيب التهذيب (184/4). وقال الذهبي: وثقوه. (ميزان الاعتدال (553/6) رقم 8906). وقال ابنُ حجر في "التقريب": صدوق ربما أخطأ. (تقريب التهذيب، ص 983 رقم 7043). **قلت:** هو ثقة. والله أعلم، **لذا فالحديث صحيح.**

(1) العنكبوت: 45.

(2) التوبة: 103.

(3) البقرة: 183.

(4) البقرة: 197.

(5) صحيح البخاريّ (26/3)، كتاب الصوم، باب من لم يدع قول الزور والعمل به. من طريق ابْنِ أَبِى ذِئْبٍ عن سَعِيدٍ الْمَقْبُرِىِّ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه به.

ومن اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم بالجانب الأخلاقي وبناء السلوك المثالي للفرد المسلم؛

قرنه صلى الله عليه وسلم بين الإيمان والأخلاق:

فعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً؛ فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ".(1)

وأمرنا أن نبالغ في احترام الجار وأن يأمن بوائقنا وشرورنا وأن نحفظ له حقه، وأن نعامله بكل ألوان الخير، فقال: "مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلاَ يُؤْذِ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ".(2)

وأن تنتشر بيننا ثقافة الحب والود واحترام الآخر:

فَعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "لاَ تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلاَ تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا. أَوَلاَ أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ أَفْشُوا السَّلاَمَ بَيْنَكُمْ".(3)

4. يدعو إلى الجدّ والاستقامة ولا ينسى اللهو والترويح:

قال تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ"(4).

وحين سأل أحد الصحابة رسولنا صلى الله عليه وسلم: قُلْ لِي فِي الإِسْلاَمِ قَوْلاً لاَ أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا بَعْدَكَ – وَفِى حَدِيثِ أَبِى أُسَامَةَ غَيْرَكَ – قَالَ له الرسول صلى الله عليه وسلم: "قُلْ آمَنْتُ بِاللَّهِ فَاسْتَقِمْ".(5)

ومقتضى الاستقامة الحذر من غوائل الشبهات ومقاتل الشهوات والابتعاد عن المحرمات والمنكرات:

ففي المتفق عليه من حديث النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ الْحَلاَلَ بَيِّنٌ، وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لاَ يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ

---

(1) صحيح مسلم، ص 48 رقم 60، كتاب الإيمان، باب شعب الإيمان وأفضلها وأدناها، وفضيلة الحياء، وكونه من الإيمان. من طريق عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ عَنْ أَبِى صَالِحٍ عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ به.

(2) **متفقٌ عليه.**

أخرجه البخاريّ في صحيحه (11/8)، كتاب الأدب، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جارَه. ومسلمٌ في صحيحه، ص 51 رقم 79، كتاب الإيمان، باب الحثّ على إكرام الجار والضيف. كلاهما من طريق أَبِي الأَحْوَصِ [سلام بن سليم الحنفيّ] عَنْ أَبِى حَصِينٍ [عثمان بن عاصم بن حصين الأسديّ] عَنْ أَبِى صَالِحٍ [ذكوان السمّان] عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ به.

(3) صحيح مسلم، ص 55 رقم 99، كتاب الإيمان، باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون. من طريق أَبِي مُعَاوِيَةَ [محمد بن خازم] وَوَكِيعٍ عَنِ الأَعْمَشِ عَنْ أَبِى صَالِحٍ عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ به.

(4) فصلت: 30.

(5) صحيح مسلم، ص 48 رقم 65، كتاب الإيمان، باب جامع أوصاف الإسلام. من طريق هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الثَّقَفِيِّ به.

اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ أَلاَ وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى أَلاَ وَإِنَّ حِمَى اللَّهِ مَحَارِمُهُ ..."[1]

ومع ذلك فقد كان الخطاب النبوي يراعي الجانب الإنسان الذي تتفاعل فيه احتياجات الشهوة وحاجات الترفيه عن النفس، ولم يكن مقبولا عند النبي صلى الله عليه وسلم أن يصف حنظلة نفسه بالنفاق عندما استشعر أنه يعيش بشخصيتين وحالتين؛ إحداهما في ثوب الإيمان الكامل، وثانيتهما بمعافسة الزوجات وملاعبة الأطفال: وفيها يقول حنظلة للنبي صلى الله عليه وسلم: نَافَقَ حَنْظَلَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "وَمَا ذَاكَ". قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ نَكُونُ عِنْدَكَ تُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ حَتَّى كَأَنَّا رَأْىَ عَيْنٍ فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ عَافَسْنَا الأَزْوَاجَ وَالأَوْلاَدَ وَالضَّيْعَاتِ نَسِينَا كَثِيرًا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِي وَفِى الذِّكْرِ لَصَافَحَتْكُمُ الْمَلاَئِكَةُ عَلَى فُرُشِكُمْ وَفِى طُرُقِكُمْ وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ: سَاعَةً وَسَاعَةً". ثَلاَثَ مَرَّاتٍ.[2]

خلاصة المبحث الثالث:

أوضحنا في هذا المبحث خصائص الخطاب النبويّ من الناحية الإعلامية، وتبيّن لنا أنه يبني العقيدة ويقوِّم السلوك، ويكلم الناس باعتبار عقولهم واحتياجهم، لطيفٌ خفيف، لا مبالَغ ولا مُتَقعَّر، لدرجة أنه قد يخاطب غير العرب ببعض لسانهم، مختارًا الكلمات الشهيرة عندهم، ليشعرهم بالتقارب والتآلف فيصل مرادُه، وهو إذّاك يعتمد التدرج والمرحلية والمشروعية، ويلوِّن الأساليب، وينوِّع في وسائل الطرح، فيشوِّق تارة، ويعرِّض ويكرِّر الخير تارة أخرى.

كما أكدنا على جانب الطرح الواقعيّ والإيجابيّ في الخطاب النبويّ، فليس هو بعيدًا عن حال الناس، ولا يطالبهم بأكثر من طاقتهم، كما أنه يدعوهم إلى سبل الخيرات بكاملها لارتيادها، ويربطهم دائمًا بالأعلى والأرقى.

وبيّنّا أنه موضوعيٌّ شموليٌّ، يجمع بين الروحيّة والماديّة، والعباداتِ والقيم، والجدّ والترويح.

وننتقل الآن إلى المبحث الرابع والأخير في الفصل الثاني، للحديث عن أشكال الإعلام في العهد النبويّ.

---

(1) **متفقٌ عليه.**

أخرجه البخاريّ في صحيحه (19/1)، كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه. ومسلمٌ في صحيحه، ص 783 رقم 3985، كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات. كلاهما من طريق زَكَرِيَّاءُ [ابن أبي زائدة خالد الوادعي] عَنِ الشَّعْبِيِّ عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ به. واللفظ لمسلم.

(2) صحيح مسلم، ص 1347 رقم 6860، كتاب التوبة، باب فضل دوام الذكر والفكر في أمور الآخرة والمراقبة. من طريق سَعِيدِ بْنِ إِيَاسٍ الْجُرَيْرِيِّ عَنْ أَبِى عُثْمَانَ النَّهْدِيِّ عَنْ حَنْظَلَةَ الأُسَيِّدِيِّ به.

المبحث الرابع:

أشكال الإعلام في العهد النبوي

وفيه أربعـــة مطالب:

المطلب الأول: الإعـــلام المسجـــــديّ.

المطلب الثاني: الإعلام الحربي والسياسيّ.

المطلب الثالث: الإعـــــــلام الأمنـــــيّ.

المطلب الرابع: الإعـــــلام المستقبلـــــيّ.

المبحث الرابع:
أشكال الإعلام في العهد النبويّ

وفيه أربعةُ مطالب:

المطلب الأول/ الإعلام المسجديّ:

أهمية المسجد في الإسلام والإعلام:

قال الحسن في تعريفه للمسجد: هو كل موضع سُجِدَ فيه من الأرض سواء أُعِدَّ لذلك أم لا إذ الأرض كلها مسجد لهذه الأمة.(1)

وذلك كما في الحديث: "وَجُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلاَةُ فَلْيُصَلِّ".(2)

وجعل اللهُ عمارةَ المساجد من علامات الإيمان ودلائله، قال تعالى: "إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ"(3)، وعمارة المسجد قسمان: إما بلزومها وكثرة إتيانها، وإما بالعمارة المعروفة في البناء.(4)

بل أضافها لذاته الشريفة إضافة تشريف وتكريم فقال: "وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُو مَعَ اللَّهِ أَحَداً"(5)، ليبين عظيم أهميتها وضرورة استغلالها واستخدامها المتعدد لبناء وتنشئة الفرد المسلم ليكون مسجديًّا متعلقًا قلبه بالمساجد فيظله الله في ظله يوم لا ظلّ إلا ظلُّه.

وأشار النبي صلى الله عليه وسلم، أن المسجد أحب بقعة إلى الله:

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "أَحَبُّ الْبِلاَدِ إِلَى اللَّهِ مَسَاجِدُهَا وَأَبْغَضُ الْبِلاَدِ إِلَى اللَّهِ أَسْوَاقُهَا".(6)

فالمسجدُ بوتقةٌ لا بد منها، لتنصهر فيها النفوس، وتتجرد من علائق الدنيا، وفارق الرتب والمناصب، وحواجز الكبر والأنانية، وسكرة الشهوات والأهواء، ثم تتلاقى في ساحة العبودية الصادقة لله بصدق وإخلاص. إن ركعة واحدة يؤديها المسلمون في بيت من بيوت الله، جنبًا إلى جنب، تغرس في

---

(1) روح المعاني في تفسير القرآن، للألوسي (91/29).

(2) صحيح البخاريّ (74/1)، كتاب التيمم، بابُ. من طريق سَيَّارٍ عن يَزِيدِ بْنِ صُهَيْبٍ الْفَقِيرُ عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ به.

(3) التوبة: 18.

(4) التفسير الكبير، للفخر الرازي (8/16).

(5) الجن: 18.

(6) صحيح مسلم، ص 307 رقم 1413، كتاب المساجد، باب فضل الجلوس في المصلى بعد الصبح وفضل المساجد. من طريق عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مِهْرَانَ مَوْلَى أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ به.

نفوسهم من حقائق المساواة الإنسانية وموجبات الود والأخوة، ما لا تفعله عشرات من الكتب التي تدعو إلى المساواة وتتحدث عن فلسفة الإنسان المثالي.[1]

ومسجدُ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان للصلاة، ومدرسةً للعلم والتفقه، ومقرًا للاجتماعات والندوات واللقاءات، فيه تعقد ألويةُ الجهاد والفداء، وفيه تشاور الأمةُ في شئونِ دنياها، وفيه تذكر الأمة بالله وبلقائه وتؤمر بأن تقف على حدود الله سبحانه وتعالى.[2]

كما إن مكانة المسجد في المجتمع الإسلامي، تجعله مصدر التوجه الروحي والمادي، فهو ساحة العبادة، ومدرسة للعلم، وندوة للأدب .. إنما هو رمز لما يكترث له الإسلام أعظم اكتراث، ويتشبث به أشد تشبث، وهو وصل العباد بربهم وصلا يتجدد مع الزمن، ويتكرر مع آناء الليل والنهار[3].

وللمسجد في الإسلام شأن عظيم، فهو بيت الله الذي يُذكر فيه اسمُه وفيه تُقام الصلاة، وتُبث دعوة الله، ويلتقي المسلمون فيتعارفون ويتآخون ويتباحثون شئونهم. ولعل أهم ما يميز المسجد عن غيره من وسائل الاتصال الشفهي أن المسلم مطالبٌ بالذهاب إلى المسجد بمقتضى إيمانه خمس مرات كل يوم لأداء الصلوات الخمس المفروضة. وبهذا يرتبط المسلم بالمسجد ارتباطًا قويًّا يندفع إليه تلقائيًا لأنه المكان المفضل له والآثر عنده، فلا حاجة إذًا لتوجيه الدعوة إليه للحضور، وبالتالي فلا حاجة لاستخدام أساليب الدعاية والإعلان المتّبعة لحثّ الناس على حضور اللقاءات والمحاضرات العامة.

ومع ذلك فإذا كان الأمر يتطلب دعوة النبي صلى الله عليه وسلم الناسَ لحضور اجتماع هام، فيستخدم لذلك أساليب الدعوة والإعلان التي تنطلق من المسجد، بدعاء الناس بلفظ "الصلاة جامعة"، وكان إذا ألمّ بالمسلمين أمرٌ هام أمر الرسول صلى الله عليه وسلم من ينادي في الناس "الصلاة جامعة" فيجتمعون إليه في المسجد فيبين لهم ما جمعهم له. ومثال ذلك واضحٌ من خلال قضية خسف الشمس وحديثها:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: لَمَّا كَسَفَتْ الشَّمْسُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نُودِيَ إِنَّ الصَّلَاةَ جَامِعَةٌ.[4]

ولذا لم يكن من عجبٍ أن تكون الخطوة الأولى التي قام بها النبي صلى الله عليه وسلم بعد انتهاء رحلته من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة مهاجرًا، أن يقوم ببناء المسجد، ومن أهم العبر في ذلك ما أشار إليها البوطي في فقه السيرة: "إن إقامة المسجد أول وأهم ركيزة في بناء المجتمع الإسلامي، ذلك أن المجتمع المسلم إنما يكتسب صفة الرسوخ والتماسك بالتزام نظام الإسلام وعقيدته وآدابه. وإنما ينبع ذلك

---

(1) من مقال بعنوان: الأثر التربوي للمسجد، د. صالح بن غانم السدلان، الأستاذ بكلية الشريعة – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

(2) تأملات حركية في سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم، م. يوسف أبو راس، ص 153.

(3) فقه السيرة، محمد الغزالي، ص 190.

(4) صحيح البخاري (34/2)، كتاب الكسوف، باب النداء بالصلاة جامعة في الكسوف. من طريق يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ عن أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو به.

كله من روح المسجد ووحيه. إن من نظام الإسلام وآدابه شيوع آصرة الأخوة والمحبة بين المسلمين. ولكن شيوع هذه الآصرة لا يتم إلا في المسجد، فما لم يتلاق المسلمون يوميًا، على مرات متعددة في بيت من بيوت الله، وقد تساقطت مما بينهم فوارق الجاه والمال والاعتبار، لا يمكن لروح التآلف والتآخي أن تؤلف بينهم".[1]

فما أحرانا أن نولي المسجد اهتمامًا أكبر، بل ما أجدرنا أن نطور في رسالته الإعلامية، ونوسع نطاق النشاط الاجتماعي الذي يمارسه، لخلق المجتمع الإسلامي الأفضل، حتى يستعيد مكانته في الدعوة الإسلامية، ثم يتحول إلى جهاز تتضاءل أمامه أجهزة الإعلام.[2]

فلم يكن المسجد يومًا لأداء الصلوات فحسب، بل كان جامعة يتلقى المسلمون فيها تعاليم الإسلام وتوجيهاته، ومنتدىً تلتقي فيه العناصر القبلية المختلفة التي طالما نافرت بينها النزعات الجاهلية وحروبها، وقاعدة لإدارة جميع الشئون وبثّ الانطلاقات، وبرلمان لعقد المجالس الاستشارية والتنفيذية.[3]

الأذان وسيلة إعلامية متميزة:

تلك النغمة العلوية التي تدوي في الآفاق، وتهز أرجاء الوجود، تعلن كل يوم خمس مرات بأن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وتنفي كل كبرياء في الوجود وكل دين في الوجود [فالله أكبر وليس من أحدٍ أكبر منه، وهذا من شأنه أن يشعر المسلم بالراحة الداخلية والطمأنينة الحقيقة، ويجعله دائم الاتصال بربه سبحانه] ، إلا كبرياء الله، والدين الذي جاء به عبده محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم.[4]

وكم من عصاة تركوا معصيتهم وبكوا على خطيئتهم بمجرد سماعهم الأذان وهزه أعماق الوجدان، وكم من عتاة متجبرين حجزتهم الهيبة والرهبة التي تنبعث مع ترديد المؤذنين للأذان عن شرورهم وجبروتهم، وكم من معنويات قويت بعد خوار ونفسيات استقامت بعد دمار بما يبعثه الأذان فيهم من تأثيرات إيجابية واتصال بالسموات العلى.

وجاء بديلا عن ناقوس النصارى وبوق اليهود:

فعن ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: كَانَ الْمُسْلِمُونَ حِينَ قَدِمُوا الْمَدِينَةَ يَجْتَمِعُونَ فَيَتَحَيَّنُونَ الصَّلاَةَ، لَيْسَ يُنَادَى لَهَا، فَتَكَلَّمُوا يَوْمًا فِي ذَلِكَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ اتَّخِذُوا نَاقُوسًا مِثْلَ نَاقُوسِ النَّصَارَى. وَقَالَ بَعْضُهُمْ بَلْ بُوقًا مِثْلَ قَرْنِ الْيَهُودِ. فَقَالَ عُمَرُ أَوَلاَ تَبْعَثُونَ رَجُلاً يُنَادِي بِالصَّلاَةِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "يَا بِلاَلُ قُمْ فَنَادِ بِالصَّلاَةِ".[5]

---

(1) فقه السيرة، للبوطي، ص 143-144.

(2) الإعلام الإسلامي وسبل تطويره وإصلاحه، فيصل حسون، ص 461.

(3) الرحيق المختوم، للمباركفوري، ص 174.

(4) نفسه، ص 175.

(5) **متفقٌ عليه.**

أخرجه البخاريّ في صحيحه (125/1)، كتاب الأذان، باب بدء الأذان، وقوله تعالى: "وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُواً وَلَعِباً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْقِلُونَ" (المائدة: 58) وقوله: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ" (الجمعة: 9).

وهو أداة من أدوات الإعلام بوجود المسلمين، ومن ثَمَّ حقنُ دمائهم:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم كَانَ إِذَا غَزَا بِنَا قَوْمًا لَمْ يَكُنْ يَغْزُو بِنَا حَتَّى يُصْبِحَ وَيَنْظُرَ، فَإِنْ سَمِعَ أَذَانًا كَفَّ عَنْهُمْ، وَإِنْ لَمْ يَسْمَعْ أَذَانًا أَغَارَ عَلَيْهِمْ.[1]

والأذان لتنبيه الحواس، وتذكيرها بارتباطها بالإسلام والإيمان، بترديده متى سمعه المسلم، متدبرًا كلماته أو مدققًا فيها ليتجدد إيمانه ويعظم في مجال الخير إنجازُه:

فَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "إِذَا سَمِعْتُمُ النِّدَاءَ فَقُولُوا مِثْلَ ما يَقُولُ الْمُؤَذِّنُ".[2]

الصلاة، وهي كما الأذان وسيلة إعلامية متميزة:

يجتمع المسلمون خمس مرات في كل يوم وليلة في المسجد، يقيمون الصلاة ويتبادلون أخبارهم، وشئون المسلمين، ويتفقد بعضهم بعضًا، وما كان أحدٌ يغيب عن صلاة الجماعة إلا لعذر قاهر.

والصلاة من لفظها تعني الاتصال بالواحد المتعال، والتواصل من أدوات الإعلام، فكأنها إعلام بإيمان صاحبها، واستسلامه الكامل لله تعالى. ومن شأن الصلوات عند المحافظة على أدائها في أوقاتها "حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ"[3]، أن ترتب الجانب الإداري الحيوي اليومي للمسلم، وتنظم أموره وتجعله في قمة الدقة والانضباط "إِنَّ الصَّلاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَوْقُوتاً"[4].

والبعد الإعلاميّ الأبرز فيها أنها تضمن الأجواء المريحة والمناسبة لمن أراد إعلان أي شيء كالنكاح أو التعريف بشخصية أو إقامة أمسيات أو لقاءات روحانية أو تربوية أو سياسية أو عسكرية أو ترفيهية، حيث تمثل المجتمع الخماسيّ – على الأقل – للمسلم لكي يأتي فيصلي فيستمع الموعظة أو يتلقى الأوامر، وليس من مكان في الدنيا نجد فيه هذا الالتزام وحسن التأقيت مثل المساجد في أوقات الصلوات، فالآمرُ الله تعالى والمتوجه بالعمل المسلم الذي أسلم قياده وكيانه ووجدانه وجوارحه للذي خلقها.

صلاة الجمعة وخطبتها:

وهذه الصلاة تمثل مؤتمر المسلمين الأسبوعي باعتبار أحيائهم، يستفيدون الكلمة الطيبة والموعظة المذكّرة والعبرة والتحليل الفاهم المستوعب لأحداث البلد والوقت المعاصر، فلا يكون في وادٍ والناس في

ومسلمٌ في صحيحه، ص 188 رقم 723، كتاب الصلاة، باب بدء الأذان. كلاهما من طريق ابْنِ جُرَيْجٍ عن نَافِعٍ مَوْلَى ابْنِ عُمَرَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ به.

(1) صحيح البخاريّ (125/1)، كتاب الأذان، باب ما يُحقن بالأذان من الدماء. من طريق إِسْمَاعِيلَ بْنِ جَعْفَرٍ عَنْ حُمَيْدٍ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ به.

(2) **متفقٌ عليه.**

أخرجه البخاريّ في صحيحه، واللفظ له (126/1)، كتاب الأذان، باب ما يقول إذا سمع المنادي. ومسلمٌ في صحيحه، ص 190 رقم 734، كتاب الصلاة، باب استحباب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه، ثم يصلي على النبيّ صلى الله عليه وسلم ويسأل له الوسيلة. كلاهما من طريق مَالِكٍ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَزِيدَ اللَّيْثِيِّ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ به.

(3) البقرة: 238.

(4) النساء: 103.

وادٍ آخرَ، والجميل الجليل فيها أنها توفر الأبعاد الإعلامية المناسبة لإيصال الفكرة والمراد للمستمع، فالعدد كبيرٌ والمكان مريحٌ والصوت مسموعٌ، وليس هناك من تشويش فعليّ لانشغال الناس بكلام الخطيب، ولا تشويش معنوي فيما يتمثل بالتسرب المتقطع من حضور الخطبة كما يحدث في دروس أدبار الصلوات.

ولكي تؤدي خطبة الجمعة هدفها الإعلامي المطلوب وتتغلغل في النفوس، وتترك آثارها الإيجابية على سلوك المتلقين بعد سماعها، كانت هناك توجيهاتٌ نبويةٌ واضحة، ومنها:

1. عدم تطويل الخطبة، بل يجب تركيز معلوماتها في كلمات قلائل، لئلا تحرف عقول السامعين عن مسار الفكرة العامة للخطبة، ولا يكون طولها عاملا مساعدًا في ملال المصلين:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ طُولَ صَلاَةِ الرَّجُلِ وَقِصَرَ خُطْبَتِهِ مَئِنَّةٌ[1] مِنْ فِقْهِهِ فَأَطِيلُوا الصَّلاَةَ وَاقْصُرُوا الْخُطْبَةَ وَإِنَّ مِنَ الْبَيَانِ سِحْرًا".[2]

قال سيد سابق: وإنما كان قصر الخطبة وطول الصلاة دليلا على فقه الرجل لأن الفقيه يعرف جوامع الكلم، فيكتفي بالقليل من اللفظ على الكثير من المعنى.[3]

وفي الموقوف على جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رضي الله عنه قَالَ: كُنْتُ أُصَلِّي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَكَانَتْ صَلاَتُهُ قَصْدًا وَخُطْبَتُهُ قَصْدًا.[4]

2. على السامع ألا يتكلم لا مع نفسه ولا مع غيره، وإلا يعتبر لاغيًا:

فعن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: قال رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "إِذَا قُلْتَ لِصَاحِبِكَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ: أَنْصِتْ – وَالإِمَامُ يَخْطُبُ – فَقَدْ لَغَوْتَ".[5]

قال ابن حجر: واستدل به – يعني الحديث – على منع جميع أنواع الكلام حال الخطبة، وبه قال الجمهور في حق من سمعها، وكذا الحكم في حق من لا يسمعها عند الأكثر، قالوا: إذا أراد الأمر بالمعروف فيجعله بالإشارة.[6]

---

(1) **مَئِنَّةٌ:** هو كقولك علامة ومخلقة ومجدرة. وقال أبو عبيد: يعني أن هذا مما يُستدلّ به على فقه الرجل. (إكمال المعلم 273/3).

(2) صحيح مسلم، ص 394 رقم 1893، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة. من طريق وَاصِلِ بْنِ حَيَّانَ عن أَبِي وَائِلٍ [شقيق بن سلمة] عن عَمَّارِ بنِ ياسرٍ به.

(3) فقه السنة (224/1).

(4) صحيح مسلم، ص 393 رقم 1887، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة. من طريق أَبِي الأَحْوَصِ عَنْ سِمَاكٍ عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ به. و**قال القاضي عياض:** أي أن خطبة النبي صلى الله عليه وسلم كانت متوسطة بين الطول والقصر .. وهي سنة الخطبة، لما في تطويلها من التصنّع بالكلام والتشدّق في الخطاب. (انظر: إكمال المعلم (272/3).

(5) **متفقٌ عليه.**

أخرجه البخاريّ في صحيحه (12/2)، كتاب الجمعة، الإنصات يوم الجمعة والإمام يخطب. ومسلمٌ في صحيحه، ص 387 رقم 1849، كتاب الجمعة، باب في الإنصات يوم الجمعة في الخطبة. كلاهما من طريق اللَّيْثِ عَنْ عُقَيْلٍ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ عن سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ عن أبي هُرَيْرَةَ به.

(6) فتح الباري (588/2).

بل إن الذي يلعب بالحصى والخطيب يخطب يعتبر لاغيًا كذلك، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ ثُمَّ أَتَى الْجُمُعَةَ فَاسْتَمَعَ وَأَنْصَتَ غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجُمُعَةِ وَزِيَادَةُ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ، وَمَنْ مَسَّ الْحَصَى فَقَدْ لَغَا".[1]

3. ويجعل الإسلام إحسان الإنصات والإصغاء إلى الخطيب مساهمًا فاعلا في تكفير الذنوب ما بين الجمعتين؛ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "مَنِ اغْتَسَلَ ثُمَّ أَتَى الْجُمُعَةَ فَصَلَّى مَا قُدِّرَ لَهُ ثُمَّ أَنْصَتَ حَتَّى يَفْرُغَ مِنْ خُطْبَتِهِ ثُمَّ يُصَلِّيَ مَعَهُ غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجُمُعَةِ الأُخْرَى وَفَضْلَ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ".[2]

4. ومن وسائل شدّ الانتباه وتجديد همة الخطيب ونشاط التلقي لدى السامعين، انقسام الخطبة إلى جولتين بينهما استراحة قصيرة للقرآن والذكر: فَعن جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم كَانَ يَخْطُبُ قَائِمًا، ثُمَّ يَجْلِسُ ثُمَّ يَقُومُ فَيَخْطُبُ قَائِمًا فَمَنْ نَبَّأَكَ أَنَّهُ كَانَ يَخْطُبُ جَالِسًا فَقَدْ كَذَبَ فَقَدْ وَاللَّهِ صَلَّيْتُ مَعَهُ أَكْثَرَ مِنْ أَلْفَىْ صَلاَةٍ.[3]

وللحديث شاهدٌ عند البخاريّ من حديث ابن عمر رضي الله عنهما موقوفًا عليه؛ عَنْ نَافِعٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَخْطُبُ قَائِمًا ثُمَّ يَقْعُدُ ثُمَّ يَقُومُ، كَمَا تَفْعَلُونَ الآنَ.

مجالسُ الرسول:

ومن حياة الصحابة وتاريخهم العلمي نعلم أن الرسول الكريم لم يكن يضنّ على أحد بالعلم، وأنه كان يكثر من مجالسة أصحابه يعلمهم ويزكيهم، حتى نبغ فيهم الأئمة المجتهدون في القرآن والتفسير والفقه والحديث، الذين نقلوا هذا كله إلى التابعين، فنشروه في الآفاق، وتناقله الخلف عن السلف وتدارسوه وحفظوه وعملوا به، وهذا من أبلغ أنواع الإعلام تأثيرًا في الفرد والجماعة.[4]

وساوى في ذلك بين الرجل والمرأة:

فَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه: قَالَتِ النِّسَاءُ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم: غَلَبَنَا عَلَيْكَ الرِّجَالُ، فَاجْعَلْ لَنَا يَوْمًا مِنْ نَفْسِكَ. فَوَعَدَهُنَّ يَوْمًا لَقِيَهُنَّ فِيهِ، فَوَعَظَهُنَّ وَأَمَرَهُنَّ، فَكَانَ فِيمَا قَالَ لَهُنَّ: "مَا مِنْكُنَّ امْرَأَةٌ تُقَدِّمُ ثَلاَثَةً مِنْ وَلَدِهَا إِلاَّ كَانَ لَهَا حِجَابًا مِنَ النَّارِ". فَقَالَتِ امْرَأَةٌ: وَاثْنَيْنِ ؟ فَقَالَ: "وَاثْنَيْنِ".[5]

---

(1) صحيح مسلم، ص 391 رقم 1872، كتاب الجمعة، باب فضل من استمع وأنصت إلى الخطبة. من طريق أَبِي مُعَاوِيَةَ عَنِ الأَعْمَشِ عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ به.

(2) صحيح مسلم، ص 390 رقم 1871، كتاب الجمعة، باب فضل من استمع وأنصت في الخطبة. من طريق رَوْحٍ عَنْ سُهَيْلٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ به.

(3) صحيح مسلم، ص 392 رقم 1880، كتاب الجمعة، باب ذكر الخطبتين قبل الصلاة وما فيها من الجلسة. من طريق زهيرِ بنِ معاويةَ عَنْ سِمَاكِ بنِ حربٍ عن جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ به.

(4) أضواء على الإعلام في صدر الإسلام، د. محمد عجّاج الخطيب، ص 39.

(5) صحيح البخاريّ (32/1)، كتاب العلم، باب هل يُجعل للنساء يوم على حدة في العلم. من طريق ابْنِ الأَصْبَهَانِيِّ عن أبي صَالِحٍ ذَكْوَانَ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ به.

وهذا يدلُّ على عظيم اهتمام الرسول الأعظم بتعليم وتفقيه المرأة شئون دينها ودنياها، واستخدم لذلك وسيلة المجالس المتكررة بوقت منتظم، وفي هذا **يقول الميداني**: "ولذلك فإن تعليمهنّ وحل مشكلاتهنّ، لا بدّ فيه من تخصيص مجالس لهنّ تعالج فيها أمورهنّ، وتوجَّه لهنّ فيها الأحكام والمواعظ بحسب خصائصهنّ النفسية والفكرية والخلقية والاجتماعية، وبحسب مسئوليتهنّ في الحياة داخل أسرتها وخارجها، وهذا هو الحل الوحيد الذي يتم فيه تعليم النساء، وإخراجهنّ من ظلمات الجهل إلى نور المعرفة، حتى يؤدين رسالتهنّ في الحياة على أكمل وجه وأفضله".[1]

وجاء في الحديث بيان أهمية المرأة في توجيه فكر الأبناء نحو الآخرة، وأنهنّ عليهنّ تبعات كبيرة في الرضاء بقدر الله بلا تردد لعظيم ارتباط الأمهات بأبنائهنّ وحنوهنّ عليهم وعطفهنّ الذي يجعلهنّ يستعسلن الأتعاب في سبيل راحتهم، وخصهنّ الرسول صلى الله عليه وسلم بخطابه: "مَا مِنْكُنَّ امْرَأَةٌ تُقَدِّمُ ثَلاَثَةً مِنْ وَلَدِهَا إِلاَّ كَانَ لَهَا حِجَابًا مِنَ النَّارِ". **ويعلق على ذلك الميداني بقوله:**

وقوله صلى الله عليه وسلم (تقدّم) دون أن يقول يموت لها أو يُؤخذ منها أو نحو ذلك، يشير إلى معنى التسليم لله والرضا بقضائه، وعدم التسخّط عليه؛ لأن من يقدم الشيء إنما يقدمه بحسب العادة عن رضا وتسليم، بخلاف من يُنتزع منه الشيء نزعًا، أو يُغصب منه غصبًا، أو يُسرق منه سرقة، فإن ذلك يغضبه ويسخطه حتى يكون منه ما لا يكون ممن يقدم الشيء بنفسه.[2]

المطلب الثاني/ الإعلام الحربيّ والسياسيّ:

المسألة الأولى: في مواصفات الخطاب النبويّ العسكريّ

1. تبيان أن الجهاد أرفع الأعمال وأرقاها وأسناها، وأن صاحبها خير المسلمين ويعدل عملُه عملَ العبّاد المخلصين الدائبين، وجماع ذلك ما جاء عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قِيلَ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم مَا يَعْدِلُ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ: "لاَ تَسْتَطِيعُونَهُ". قَالَ فَأَعَادُوا عَلَيْهِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاَثًا كُلُّ ذَلِكَ يَقُولُ: "لاَ تَسْتَطِيعُونَهُ". وَقَالَ فِي الثَّالِثَةِ: "مَثَلُ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ الصَّائِمِ الْقَائِمِ الْقَانِتِ بِآيَاتِ اللَّهِ لاَ يَفْتُرُ مِنْ صِيَامٍ وَلاَ صَلاَةٍ حَتَّى يَرْجِعَ الْمُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى".[3]

2. الإغراء بإحدى الحسنيين في ميدان الجهاد، إما النصر والسيادة أو الشهادة والسعادة:

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "تَكَفَّلَ اللَّهُ لِمَنْ جَاهَدَ فِي سَبِيلِهِ لاَ يُخْرِجُهُ مِنْ بَيْتِهِ إِلاَّ جِهَادٌ فِي سَبِيلِهِ وَتَصْدِيقُ كَلِمَتِهِ بِأَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ أَوْ يَرْجِعَهُ إِلَى مَسْكَنِهِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ مَعَ مَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ".[4]

---

(1) روائع من أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم، عبد الرحمن الميداني، ص 104.

(2) نفسه، ص 108.

(3) صحيح مسلم، ص 954 رقم 4760، كتاب الإمارة، باب فضل الشهادة في سبيل الله تعالى. من طريق سُهَيْلِ بْنِ أَبِى صَالِحٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ به.

(4) **متفقٌ عليه.**

3. الترهيب من عدم الغزو أو نية الغزو والجهاد في سبيل رب العباد:

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ وَلَمْ يُحَدِّثْ بِهِ نَفْسَهُ مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ مِنْ نِفَاقٍ".[1]

4. التعبئة القوية المؤثرة والتوجيه الأمتن إلى ميادين القتال، وجعل المخاطَب جزءًا من عملية صنع القرار؛ قال رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم من حديث أنسِ بنِ مالكٍ رضي الله عنه: "قُومُوا إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ". قَالَ يَقُولُ عُمَيْرُ بْنُ الْحُمَامِ الأَنْصَارِىُّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ جَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ ؟! قَالَ: "نَعَمْ". قَالَ: بَخٍ بَخٍ[2]. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "مَا يَحْمِلُكَ عَلَى قَوْلِكَ بَخٍ بَخٍ". قَالَ: لاَ وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِلاَّ رَجَاءَةَ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا. قَالَ: "فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِهَا". فَأَخْرَجَ تَمَرَاتٍ مِنْ قَرْنِهِ فَجَعَلَ يَأْكُلُ مِنْهُنَّ ثُمَّ قَالَ: لَئِنْ أَنَا حَيِيتُ حَتَّى آكُلَ تَمَرَاتِي هَذِهِ إِنَّهَا لَحَيَاةٌ طَوِيلَةٌ – قَالَ – فَرَمَى بِمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ التَّمْرِ. ثُمَّ قَاتَلَهُمْ حَتَّى قُتِلَ.[3]

قلتُ: وفي الحديث بيان كيف أن النفس الصادقة والروح المطمئنة إلى موعود الله وتحقيقه كيف تؤثر فيها الكلمات النبوية، فتحيل الموات فيها حياة، وتجعلها تقلب لكسلها وخمولها رأس المجنّ، فإذا كانت في ميدان الجهاد استشعرت قرب الشهادة وطلبت الموت مظانّه وطلّقت الدنيا ثلاثًا فلم يكن في يدها ولا نفسها منه أيُّ مظهر. كما يشير الحديث إلى التفاعل الإيجابي السريع بل الفوريّ مع توجيهات النبي صلى الله عليه وسلم وأن المسلم لا يرضى إلا الفردوس مقامًا لراحة الختام أو لختم حياة الأتعاب، فطالما أن الموت موعده فلتشرق شمس الشهادة في صفحة مماته.

4. يراعي أخلاقيات القتال؛ فيحدد الجهة المقاتَلة وسبب قتالها، ويجعل واضحًا بلا لبس المحرّمات التي لا يسمح لمسلمٍ أن يرتكبها، ويرفع رسولنا صلى الله عليه وسلم لذلك شعارات ويأمر أمراء السرايا وقادة

أخرجه البخاريّ في صحيحه (136/9)، كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: "وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ" (الصافات:171). ومسلمٌ في صحيحه واللفظ له، ص 953 رقم 4754، كتاب الإمارة، باب فضل الجهاد والخروج في سبيل الله. كلاهما من طريق أَبِى الزِّنَادِ عَنِ الأَعْرَجِ عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ به.

(1) صحيح مسلم، ص 966 رقم 4823، كتاب الإمارة، باب ذمّ من لم يغزُ ولم يحدِّث نفسه بالغزو. من طريق عُمَرَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ عَنْ سُمَىٍّ عَنْ أَبِى صَالِحٍ عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ به.

قال القاضي عياض: بيّن [الرسول] في أن من منعه مانعٌ من أداء فرضٍ أو مسارعة إلى ركنٍ من أركان الشرع أو سننه المشهورة، أن يكون على نيته فيه متى أمكنه فعل ذلك، وأن العزم على شيء بدلٌ من فعله إذا لم يتعيّن وقتُ فعلِه. (إكمال المعلم (335/6).

(2) **بَخٍ بَخٍ:** هي كلمة تقال عند المدح والرِّضَى بالشيء وتُكَرر للمبالغة وهي مَبْنية على السكون فإن وَصَلْت جَرَرْت ونَوَّنْتَ فقلت بَخٍ بَخٍ وربّما شُدِّدَت. وبَخْبَخْتُ الرجُل إذا قلت له ذلك. ومعناها تعظيم الأمر وتَفْخِيمُه. (النهاية في غريب الحديث والأثر (250/1).

(3) صحيح مسلم، ص 962 رقم 4808، كتاب الإمارة، باب ثبوت الجنة للشهيد. من طريق هَاشِمِ بْنِ الْقَاسِمِ عن سُلَيْمَانَ – وَهُوَ ابْنُ الْمُغِيرَةِ – عَنْ ثَابِتٍ عَنْ أَنَسِ بْنِ به.

الجيوش بأن ينفذوا وصاياه حرفيًا، وذلك باجتناب الغلول والغدر والتمثيل بجثث القتلى أو قتل الوليد والمرأة، وتخيير الكفار بين ثلاث: إسلام فمؤاخاة أو جزية مع صَغَار وإلا فحربٌ وقتال.

فعن بريدةَ بنِ الحصيب رضي الله عنه أن رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وسلم إِذَا أَمَّرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ أَوْ سَرِيَّةٍ أَوْصَاهُ فِي خَاصَّتِه بِتَقْوَى اللَّه وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا ثُمَّ قَالَ: "اغْزُوا بِاسْمِ اللَّه فِي سَبِيلِ اللَّه، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّه، اغْزُوا وَلاَ تَغُلُّوا[1] وَلاَ تَغْدِرُوا وَلاَ تَمْثُلُوا[2] وَلاَ تَقْتُلُوا وَلِيدًا، وَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَادْعُهُمْ إِلَى ثَلاَثِ خِصَالٍ – أَوْ خِلاَلٍ – فَأَيَّتُهُنَّ مَا أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ ..."[3].

قلت: وفي هذا عظيم آداب الإسلام وروعة الدعوة الصامتة للناس، فليس المسلمون تيارًا جارفًا أو تتارًا حارقًا لا يذر شيئًا أتى عليه إلا جعله كالرميم، بل هو عنوان الأخلاق وسيماؤها وشارتها، ليست الغاية عنده مبرَّرة بالوسائل الشتى وإن كانت حرامًا، وليست الفوضى تعمُّه، بل هو في غاية النظام والانتظام والترتيب والانضباط، يعرف ماذا يفعل، وكيف يُقدم، يحب الإحسان في كل شيء، ومن هذا الباب دخل كثيرون في دين الله أفواجًا عن رغبة واقتناع لا عن رهبة وإرهاب وإقذاع.

5. يقدّم الوقاية في التعامل على اللجوء إلى مواطن العلاج بعد وقوع الإشكال، ويقدم التصور عن العلاج والدواء لمعرفته بأن الخطأ في حسابات البشر وارد، وإذا دعا لم يكن دعاء أمانٍ كاذبة، بل يربط جنوده بالآخرة ومدد الإله ويستعين به على عدوه:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ لاَ تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ وَاسْأَلُوا اللَّهَ الْعَافِيَةَ فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا وَاعْلَمُوا أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلاَلِ السُّيُوفِ". ثُمَّ قَامَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم وَقَالَ: "اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتَابِ وَمُجْرِيَ السَّحَابِ وَهَازِمَ الأَحْزَابِ اهْزِمْهُمْ وَانْصُرْنَا عَلَيْهِمْ".[4]

وكان سؤال العافية من الفتن والمحن؛ "لاختلاف الناس في الصبر؛ ولهذا قال متصلا بقوله في هذا الحديث: "وَاسْأَلُوا اللَّهَ الْعَافِيَةَ" ... وقوله: "فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا": حضٌّ على الصبر، وتوطين النفس في هذا يكون الثبات ويُرجى النصر، ومع الهلع تحذر اليد والرجل، ويستولي العدوّ".[5]

المسألة الثانية: الهدف الإعلامي للجهاد

1. تحقيق قوله تعالى: "وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا"[6] واقعًا، وتعبيد الناس لربّ العالمين فتصلهم الرسالة المحمدية، وإخراج الناس من ظلمات الجاهلية إلى أنوار الإسلام الربانية.

---

(1) **الغُلُول** [بضمتين]: خيانة الفيء. (العين، للفراهيدي، (288/3).

(2) **تمثّلوا**: وهو أن يقطع بعض أعضائه أو يسودّ وجهه. (أساس البلاغة، ص 581).

(3) صحيح مسلم، ص 874 رقم 4412، كتاب الجهاد والسير، باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث ووصيته إياهم بآداب الغزو وغيرها. من طريق سُفْيَانَ عَنْ عَلْقَمَةَ بْنِ مَرْثَدٍ عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ به.

(4) صحيح مسلم، ص 878 رقم 4433، كتاب الجهاد والسير، باب كراهة تمني لقاء العدوّ، والأمر بالصبر عند اللقاء. من طريق مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ عَنْ أَبِي النَّضْرِ عَنْ كِتَابِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى به.

(5) إكمال المعلم، للقاضي عياض (44/6).

(6) التوبة: 40.

"**فكلمة الكافرين:** الشركُ، جعلها الله السفلى لأنها مقهورة، وكلمة الله وهي التوحيد، هي العليا؛ لأنها ظهرت".[1]

وفي هذا السياق يأتي حديثُ رسولنا صلى الله عليه وسلم كما يرويه عن أَبُو مُوسَى الأَشْعَرِيُّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ أَعْرَابِيٌّ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم: الرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلْمَغْنَمِ، وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِيُذْكَرَ، وَيُقَاتِلُ لِيُرَى مَكَانُهُ، مَنْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ؟ فَقَالَ: "مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ".[2]

2. يجعل محمد فتح الله كولن من أهداف الجهاد حرية الدعوة، ويقول في سياق ذلك: "إن حيل بيننا وبين حريتنا في نشر الحق والحقيقة والفضيلة والاستقامة، فإن الإسلام يبيح لنا الحرب من أجل الحفاظ على تلك الحرية وتأمينها...، فإن كانت لك جيوش لنشر رسالة الإسلام في أرجاء الدنيا كلها، فإن رجال الإرشاد عندها سيقومون بإيصال رسالة الإسلام إلى كل فرد".[3]

وذلك كله لإنهاء الشرك وإثبات التوحيد: "وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ"[4]

والفتنة: الشرك بالله، وبالدين: يخلص التوحيد لله.[5]

3. فالجهاد في سبيل الله ليس مقصده سفك الدماء وإرهاب الشعوب، وإنما غايته الدعوة للإسلام وإزالة القوى المادية التي تحول دون وصولها للناس. فمن المعلوم أن قائد الجيش المسلم يدعو من يحاربهم أولا إلى الإسلام؛ لأنه الغاية الأولى من الجهاد.[6]

4. والجهاد في سبيل الله من أهم وسائل الإعلام الإسلامي، ذلك لأن الجهاد يزيل قوى الكفر والطغيان التي تحول دون وصول الهدي الإسلامي إلى بلدانها، وهذا ما يمهد الطريق للإعلام الإسلامي ليقول كلمته عبر الوسائل الإعلامية المختلفة، أما في حال سيطرة الكفار على بلدٍ ما فإننا لا نستطيع النفاذ إلى أهله إلا عبر بعض الوسائل مثل البثّ الإذاعي ولفترات معينة وضمن شروط صعبة.[7]

المسألة الثالثة: غزوة بدر الكبرى

أما المؤمنون فقد جاءوا من أجل تحقيق هدف سامٍ، وهو إعلاء كلمة الله تعالى ونشرها في أرجاء الأرض. كانت القلوب تخفق بهذه المشاعر وترى أن الموت يهون من أجل تحقيق هذه الغاية.[8]

---

(1) زاد المسير، لابن الجوزي (441/3).

(2) **متفقٌ عليه.**

أخرجه البخاريُّ صحيحه (86/4)، كتاب فرض الخمس، باب من قاتل للمغنم هل ينقص من أجره ؟

ومسلمٌ صحيحه، ص 963 رقم 4812، كتاب الإمارة، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله.

كلاهما من طريق أبي وائل [شقيق بن سلمة] عن أبي موسى الأشعريّ به.

(3) النور الخالد (5/2).

(4) البقرة: 193.

(5) فتح القدير، للشوكاني (243/1).

(6) وسائل الإعلام، الغلاييني، ص 87.

(7) نفسه، ص 87.

(8) النور الخالد (56/2).

وكانت الرسالة الإعلامية وراء العفو عن الأسرى مثلا هي دعوية بالمقام الأول:

يقول كولن: وقد أدت هذه المروءة التي أبداها الرسول صلى الله عليه وسلم نحو الأسرى إلى فتح قلوب الكثيرين من أهل مكة وجيرانهم من المتفقين معهم إلى درجة لو أن أبا جهل لم يقتل في المعركة لما بقي في بيته أحد من الكفار غيره، لأن كل شخص في ذلك البيت لان قلبه حتى أبو سفيان – وكان من أشد بني أمية على الإسلام – بدأ يتصرف بمرونة ولين على الرغم من كونه زوجًا للمرأة التي فقدت أباها وعمها وخالها.[1]

الحرب الإعلامية ودورها في الغزوة:

كانت بوادر الحرب الإعلامية قد ابتدأت منذ الهجرة، غير أن ملامحها بدأت تتضح رويدًا رويدًا في بعض السرايا قبيل بدر، لكنها انفجرت انفجارًا ضخمًا بعد بدر، لأن الجانب الإعلامي للقبائل المجاورة كان هدفًا مهمًا من أهداف الفريقين، ويظهر أن الأشعار سرعان ما تطير بها الركبان بين يثرب ومكة.. لقد دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المعركة بأسلحة غير متكافئة في العدد والعدة، أما في مجال الشعر فلم يكن الأمر كذلك.[2]

المسألة الرابعة: غزوة الخندق

لقد وجدنا الحرب الإعلامية للمسلمين تواكب تمامًا الحرب العسكرية، وكانت هي التي تمثل لسان الناطق الرسمي بنتائج الحرب والمعارك عند العرب... لقد كان الشعر للرد على العدو الذي لا يؤمن بالقرآن الكريم، واستطاع الشعراء المسلمون أن يخوضوا معارك الشعر كلها دون حرج أو تلجلج من أي ميدان، تكلموا بقيم العرب، وطرحوا مفاهيم الإسلام من خلال الشعر، ولم يتركوا مثلبة عربية يطعن منها الأعداء إلا وردوها عليهم".[3]

المسألة الخامسة: غزوة حنين والخطاب الإعلاميّ الموفق

عندما وقع المسلمون في شراك الكمين الذي نصبه لهم بنو مالك ولوا مدبرين، فطفق الرسول صلى الله عليه وسلم يركض ببغلته صوب الكفار، ثم قال لعمّه العبّاس: "أَيْ عَبَّاسُ: نَادِ أَصْحَابَ السَّمُرَةِ:. فَقَالَ عَبَّاسٌ وَكَانَ رَجُلاً صَيِّتًا: فَقُلْتُ بِأَعْلَى صَوْتِي: أَيْنَ أَصْحَابُ السَّمُرَةِ ؟ قَالَ فَوَاللَّهِ لَكَأَنَّ عَطْفَتَهُمْ حِينَ سَمِعُوا صَوْتِي عَطْفَةُ الْبَقَرِ عَلَى أَوْلاَدِهَا. فَقَالُوا: يَا لَبَّيْكَ يَا لَبَّيْكَ – قَالَ – فَاقْتَتَلُوا وَالْكُفَّارَ وَالدَّعْوَةُ فِي الأَنْصَارِ يَقُولُونَ يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ قَالَ ثُمَّ قُصِرَتِ الدَّعْوَةُ عَلَى بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ فَقَالُوا يَا بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ يَا بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ. فَنَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَهُوَ عَلَى بَغْلَتِهِ كَالْمُتَطَاوِلِ عَلَيْهَا إِلَى قِتَالِهِمْ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "هَذَا حِينَ حَمِيَ الْوَطِيسُ".

---

(1) نفسه (2/59–60).

(2) المنهج الحركي، منير الغضبان (1/358).

(3) نفسه (1/269).

قَالَ ثُمَّ أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم حَصَيَاتٍ فَرَمَى بِهِنَّ وُجُوهَ الْكُفَّارِ ثُمَّ قَالَ: انْهَزَمُوا وَرَبِّ مُحَمَّدٍ".[1]

وفي هذا يتضح لنا أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم نادى على صحابته، واستغل الأشياء التي تدفعهم وتحفزهم وتجعلهم يعودون سراعًا، فالموقف لا يتحمل التأخر ويجب فيه سرعة البديهة، ولذا ذكرهم ببيعتهم على الموت والاستشهاد في سبيل الإسلام وأهله كبيعتهم تحت الشجرة والتي سميت بيعة الرضوان، واختار رسولنا لتلك المهمة عمَّه العباس؛ لأن صوته من القوة بمكان بحيث يصل إلى الجميع.

التصريحات النبوية بعد الغزوات:

وباب التصريحات بابٌ مهمٌ في الإعلام ويشغل جانبًا توثيقيًا لا يمكن للسياسي الناجح أو العسكري المستوعب أن يستغني عنه بحال، ولها جانبان مهمان، أحدهما: أنها توصل رسالة الجهة صاحبة التصريح وتبين وجهة نظرها أو ردها على استفسارات وردت لها أو دحضًا لشبهات يُثار نقعُها حولها، وثانيها: أنها وعلى الجهة المقابلة من القضية تضرب بمرارتها الأعداء وتدمغهم بكلامها خاصة إذا كانت معدّة وموجهة ومختارة الكلمات والحروف بشكل دقيق، فتجعل العدوّ في حيص بيص حتى وإن كان المصرِّح ضعيفًا أو أنه أظهر خلاف الواقع والحقيقة لديه.

بعد غزوة أحد:

1. "اشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى قَوْمٍ فَعَلُوا بِنَبِيِّهِ – يُشِيرُ إِلَى رَبَاعِيَتِهِ – اشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى رَجُلٍ يَقْتُلُهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِي سَبِيلِ اللَّهِ عزّ وجلّ".[2]

وقد صرّح النبيُّ صلى الله عليه وسلم بهذا الكلام بعد انقشاع غبار غزوة أحد، لكي يؤثر في معنويات المشركين، فهو الصادق الأمين الذي لا يقول الكلام جزافًا، كما أنه المؤيّد بالقوة الإلهية.

2. "إِنِّي فَرَطٌ[3] لَكُمْ وَأَنَا شَهِيدٌ عَلَيْكُمْ وَإِنِّي وَاللَّهِ لأَنْظُرُ إِلَى حَوْضِي الآنَ، وَإِنِّي قَدْ أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ الأَرْضِ أَوْ مَفَاتِيحَ الأَرْضِ وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا بَعْدِى وَلَكِنْ أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَتَنَافَسُوا فِيهَا".[4]

---

(1) صحيح مسلم، ص 897 رقم 4504، كتاب الجهاد والسير، باب في غزوة حنين. من طريق ابْنِ شِهَابٍ عن كَثِيرِ بْنِ عَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ عن أبيه به.

(2) **متفقٌ عليه.**

أخرجه البخاري في صحيحه (101/5)، كتاب المغازي، باب ما أصاب النبي من الجراح يوم أحد. ومسلمٌ في صحيحه، ص 907 رقم 4540، كتاب الجهاد والسير، باب اشتداد غضب الله على من قتله رسول الله. كلاهما من طريق مَعْمَرٍ عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ عن أَبِي هُرَيْرَةَ به.

(3) **الفَرَط** (بفتح الفاء والراء): الذي يتقدم الواردة فيهيئ لهم الدلاء والحياض. يريد: أنه يكون متقدمًا بين أيديهم يشفع لهم وينفعهم، كالذي يتقدم الواردة في نفعهم. (إكمال المعلم (256/7). **قلت:** وهو من باب المجاز: لأن الفرط: ما سبق من عمل وأجر. (عين الفراهيدي (313/3). فكأنه أقام العمل العامل مقام العمل وحذف معموله. والله أعلم.

(4) **متفقٌ عليه.**

وهذا تصريحٌ نبويٌّ مهمٌ يثير الدافعية والحماسة في نفوس صحابته للعمل المخلص من أجل رفع راية الحقّ، ويحذرهم من الاختلاف والتناقض والتنافس الدنيويّ، فإنه مهلكة وتدمير.

بعد غزوة الخندق:

3. "الآنَ نَغْزُوهُمْ وَلاَ يَغْزُونَنَا، نَحْنُ نَسِيرُ إِلَيْهِمْ".[1]

ويأتي هذا في سياق الحرب النفسية، لنشر الرعب في قلوب المشركين، وأنهم مهما حاولوا فلن تستطيع قوتهم البسيطة مقارنة بالأحزاب أن تفعل شيئًا، وقد كسرت غزوة الخندق آخر المعاقل النفسية لدى المتحزّبين وحطّمت شوكة تفكيرهم في حرب المسلمين مرة أخرى.

4. "لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ، أَعَزَّ جُنْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ وَغَلَبَ الأَحْزَابَ وَحْدَهُ، فَلاَ شَيْءَ بَعْدَهُ".[2]

القائد المسلم يربط جنده وأتباعه بالجانب الروحاني المتميز، ويشعرهم بأنهم فقراء إلى الله تعالى، وأن الغلبة والنصر على العدوّ منه وحده.

بعد غزوة خيبر:

5. "اللَّهُ أَكْبَرُ .. خَرِبَتْ خَيْبَرُ، إِنَّا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ، فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ".[3]

يأتي هذا التصريح كذلك في إطار الحرب النفسية، ودعم المعنويات العامة للجند المسلمين ورفعها، وأن النصر متحققٌ لا محالة للمسلمين إذا كان اتصالهم بالله واعتمادهم عليه.

المطلب الثالث/ الإعلام الأمني:

يشمل الإعلام الأمني المعلومات الكاملة والجديدة والهامة التي تغطي كافة الأحداث والحقائق والأوضاع والقوانين المتعلقة بأمن المجتمع واستقراره، والتي يُعتبر إخفاؤها أو التقليل من أهميتها نوعًا

أخرجه البخاري في صحيحه (103/5)، كتاب المغازي، باب أحد يحبنا ونحبه. ومسلمٌ في صحيحه، واللفظ له، ص 1149 رقم 5870، كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا صلى الله عليه وسلم وصفاته. كلاهما من طريق اللَّيْثِ عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِى حَبِيبٍ عَنْ أَبِى الْخَيْرِ عَنْ عُقْبَةَ بنِ عامرٍ به.

(1) صحيح البخاري (112/5)، كتاب المغازي، باب غزوة الخندق وهي غزوة الأحزاب. من طريق إِسْرَائِيلَ عن أَبِي إِسْحَاقَ عن سُلَيْمَانَ بْنِ صُرَدٍ به.

(2) **متفقٌ عليه.**

أخرجه البخاريّ في صحيحه (112/5)، كتاب المغازي، باب غزوة الخندق وهي غزوة الأحزاب. ومسلمٌ في صحيحه، ص 1336 رقم 6804، كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب التعوذ من شر ما عمل وشر ما لم يعمل. كلاهما من طريق لَيْثٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِى سَعِيدٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ به.

(3) **متفقٌ عليه.**

أخرجه البخاريّ في صحيحه (132/5)، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر. من طريق أَيُّوبَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ.

ومسلمٌ في صحيحه، ص 912 رقم 4557، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة خيبر. من طريق حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ عن ثَابِتٍ. كلاهما من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه به.

من التعتيم الإعلامي، كما أن المبالغة في تقديمها أو إضفاء أهمية كبيرة عليها يُعتبر نوعًا من التأثير المقصود والموجَّه لخدمة أهداف معينة.[1]

والجانب الأمنيّ بشكل عام موجودٌ في سيرة النبيّ صلى الله عليه وسلم وتوجيهاته، "وَلَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يُرِيدُ غَزْوَةً إِلاَّ وَرَّى بِغَيْرِهَا".[2]

لأن الرسول صلى الله عليه وسلم يريد نجاح المعركة، ومعروفٌ أن تسريب المعلومات لكامل الجيش من شأنه أن يزيد من مساحة المعرفة بالخطة العامة للمعركة، خاصة إذا ما اتفقنا على أن اختراق أي جيش ممكن.

وعندما تنظم المسلمين دائرةٌ جليلةٌ من القرارات الصائبة واستغلال الإمكانات وتوجيه الطاقات، وإحسان ربط القاعدة بالقيادة، ووضع البرامج العسكرية المناسبة للجنود، فإن ذلك يعكس ضبطًا عامًّا للجند في نطاق الروحيّة القتاليّة، ومن أسرار التوفيق والنجاح في الأعمال العسكرية والمدنية: التكنية والتورية والتعريض والتدليس على العدوّ، يتضح ذلك بشكل جليّ من الشعارات وكلمات السر الخاصة التي كان المسلمون يستخدمونها في الحروب كأداة هامة للتواصل البينيّ الخاص العصيّ على الاختراق:

كلمة السر وحلقة الوصل الخاصة:

فَعَنِ الْمُهَلَّبِ بْنِ أَبِى صُفْرَةَ رضي الله عنه قَالَ أَخْبَرَنِي مَنْ سَمِعَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: "إِنْ بُيِّتُّمْ فَلْيَكُنْ شِعَارُكُمْ حم لاَ يُنْصَرُونَ".[3]

---

(1) الإعلام الأمني: المفهوم والتعريف، أ.د. علي عجوة، ص 15.من ندوة الإعلام الأمني "المشكلات والحلول".

(2) صحيح البخاريّ (48/4)، كتاب الجهاد والسيَر، باب من أراد غزوة فورّى بغيرها. من طريق ابْنِ شِهَابٍ عن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَعْبٍ عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَعْبٍ عن كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ به.

(3) سنن أبي داود، ص 455 رقم 2597، كتاب الجهاد، باب الرجل ينادي بالشعار.

قال أبو داود: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ كَثِيرٍ [العبديّ] أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ [بن سعيد الثوريّ] عَنْ أَبِى إِسْحَاقَ [عمرو بن عبد الله بن عبيد السبيعي] عَنِ الْمُهَلَّبِ بْنِ أَبِى صُفْرَةَ قَالَ:...

قلت: المبهم في الإسناد هو الصحابيّ البراء بن عازب رضي الله عنه كما لاحظنا من تتبع الروايات عبر تخريج الحديث.

الحكم على الحديث: إسناده صحيح؛ رجاله ثقات، وهم على النحو الآتي:

رجال الحديث: مُحَمَّدُ بْنُ كَثِيرٍ، سُفْيَانُ الثوريُّ، الْمُهَلَّبُ بْنُ أَبِى صُفْرَةَ: ثقات.

انظر: التقريب (ص 891 رقم 6292)، (ص 394 رقم 2458)، (ص 976–977 رقم 6986).

أبو إسحاق السبيعي: قال عنه في "الميزان": من أئمة التابعين بالكوفة وأثباتهم، إلا أنه شاخ ونسي ولم يختلط. وقد سمع منه سفيان بن عيينة، وقد تغير قليلا. (ميزان الاعتدال، للذهبي (5–326) رقم 6399). وقال في السير: وهو ثقة حجة بلا نزاع وقد كبر وتغير حفظه تغير السن ولم يختلط. (سير أعلام النبلاء (394/5) رقم 180).

وقال ابنُ حجر في "التقريب": ثقة مكثر عابد، اختلط بآخره، مات سنة تسع وعشرين ومائة، وقيل قبل ذلك. (ص 739 رقم 5100). **قلت:** القول ما قال الذهبيّ في السير. والله أعلم، **لذا فالحديث صحيح.**

ومن كلمات السر ما جاء عن سلمةَ بنِ الأكوع رضي الله عنه قال: أَمَّرَ رَسُولُ اللَّـــه صـــلى الله عليه وسلم عَلَيْنَا أَبَا بَكْرٍ رضي الله عنه فَغَزَوْنَا نَاسًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَبَيَّتْنَاهُمْ نَقْتُلُهُمْ وَكَانَ شِعَارُنَا تِلْكَ اللَّيْلَةَ: **أَمِتْ أَمِتْ**. قَالَ سَلَمَةُ: فَقَتَلْتُ بِيَدِي تِلْكَ اللَّيْلَةَ سَبْعَةَ أَهْلِ أَبْيَاتٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ.[1]

يقول نافذ حمّاد معلقًا على ذلك: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم أصحابه اتخاذ شـــعار خاص بهم وكلمة سر لا يعرفها غيرهم، وعلامة يتعارفون بها قبل أن يلتقوا عدوهم، ليميز بعضهم بعضًا، لا سيما في الليل، فلا يقتل المسلم أخاه المسلم خطأً، وحتى لا يستطيع العدو الاختلاط بهـــم، والتجـــسس عليهم، أو الغدر بهم. وقوله: لا يُنصرون، أو أمت أمت، أو يا منصور، هو اختيار كلماتٍ فيها حثٌّ على الجهاد ودعاءٌ للمسلمين، وفي الوقت ذاته دعاءٌ على الأعداء، فجمعت بين العلامة التي يتميزون بها عـــن عدوهم، والدعاء على أعدائهم أيضًا.[2]

---

(1) سنن أبي داود، ص 463 رقم 2638، كتاب الجهاد، باب في البيات.

قال أبو داود: حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ [بن محمد الخلال] حَدَّثَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ [بن عبد الوارث العنبري] وَأَبُو عَامِرٍ [عبد الملـــك بن عمرو القيسيّ] عَنْ عِكْرِمَةَ بْنِ عَمَّارٍ [العجليّ البصريّ] حَدَّثَنَا إِيَاسُ بْنُ سَلَمَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ:...

الحكم على الحديث: إسناده صحيح؛ رجاله ثقات، وهم على النحو الآتي:

رجال الحديث: الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ، أبو عامر القيسيّ، إياس بن سلمة: ثقات.

انظر: التقريب (ص 240 رقم 1272)، (ص 625 رقم 4227)، (ص 156 رقم 953).

عَبْدُ الصَّمَدِ بن عبد الوارث: وثقه ابنُ سعد، وابنُ نمير (تهذيب التهذيب (580/2)، وقال الحاكم: ثقة مأمون. وقال ابنُ قانع: ثقة يخطئ. وقال علي بن المديني: عبد الصمد ثبتٌ في شعبة. (تهذيب التهذيب (580/2). قال أبو داود: كان عبد الـــصمد يحتمل التلقين. (سؤالات الآجري لأبي داود (142/2) رقم 1398).وقال ابنُ حجر: صدوق ثبـــتٌ فـــي شـــعبة. (تقريـــب التهذيب، ص 610 رقم 4108). وقالا في التحرير: بل ثقة، وثقه ابن معين وابن نمير، وابن سعد، والعجليّ، والحاكم، وقال أبو حاتم وحده: صدوقٌ صالحُ الحديث. تحرير تقريب التهذيب (364/2) رقم 4080)، والعجليّ (معرفة الثقات (95/2) رقم 1100). **قلت:** هو ثقة. والله أعلم

عكرمة بن عمّار: وثقه يحيى بن معين، وقال: كان أميًّا حافظًا، والنسائيّ إلا في حديث يحيى بن أبي كثير (تهذيب التهذيب (133/3)، والعجليّ (معرفة الثقات (144/2) رقم 1271)، وأبو داود (سؤالات الآجريّ لأبي داود (379/1) رقـــم 707)، وقال في موطن آخر: مضطرب الحديث. (سؤالات الآجريّ لأبي داود (39/2) رقم 1043).

ونقل محمد بن عبد الله بن عمّار توثيقه عن أهل الحديث.

وضعّفه أحمد مع أيوب بن عتبة، وقال: عكرمةُ أوثقُ الرجلين. وضعّفه يحيى بن سعيد في أحاديث عن يحيى بن أبي كثير. (تهذيب التهذيب (133/3). وقال أبو حاتم: صدوق ربما يهم. وأعلى يحيى بن معين مقامه فقال: ثقة ثبت. وقال مثله عـــن أصحاب الحديث عليُّ بن المديني، وقال الحاكم: أكثَرَ مسلمٌ الاستشهاد به، وقال البخاريُّ: لم يكن له كتاب، فاضطرب حديثُه عن يحيى. (ميزان الاعتدال (114/5) رقم 5719). وقال ابنُ حجر: صدوق يغلط، وفي روايته عن يحيى بن أبـــي كثيـــر اضطراب، ولم يكن له كتاب. (تقريب التهذيب، ص 687 رقم 4706). أما في تحرير التقريب فقد قالا: بل ثقـــة، إلا فـــي روايته عن يحيى بن أبي كثير فهي ضعيفة لاضطرابه فيها. (تحرير تقريب التهذيب (32/3) رقم 4672).

قلت: هو ثقة، وفي أحاديثه عن يحيى بن أبي كثير اضطرابٌ. والله أعلم

(2) من بحث للأستاذ الدكتور نافذ حماد، بعنوان: القرارات العسكرية النبوية وأثرها في الدعوة المعاصرة، قدمه لمـــؤتمر: الدعوة الإسلامية ومتغيرات العصر بالجامعة الإسلامية – غزة (ربيع الأول 1426هـــ – أبريل 2005م).

المطلب الرابع/ الإعلام المستقبليّ:

ونعني بهذا النوع قسم الأحاديث التي فيها دلالة على كمال نبوة المصطفى صلى الله عليه وسلم وصدق الوحي الذي على نزل على قلبه الأمين ليكون سيد المرسلين، ويدخل في هذا قسمٌ كبيرٌ من أحاديث الفتن والملاحم ودلائل النبوة، ولعلنا نذكر هنا جزءًا بسيطًا منها، ومن أراد التوسع يرجع إليها في مظانّها:

انتشار الإسلام والحرية والأمان بعد الارتباط الحقيقي بالرحمن:

1. عَنْ خَبَّابِ بْنِ الأَرَتِّ قَالَ شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ فَقُلْنَا أَلاَ تَسْتَنْصِرُ لَنَا أَلاَ تَدْعُو لَنَا. فَقَالَ: "قَدْ كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ يُؤْخَذُ الرَّجُلُ فَيُحْفَرُ لَهُ فِي الأَرْضِ فَيُجْعَلُ فِيهَا، فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُجْعَلُ نِصْفَيْنِ، وَيُمَشَّطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ وَعَظْمِهِ، فَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللَّهِ لَيَتِمَّنَّ هَذَا الأَمْرُ، حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لاَ يَخَافُ إِلاَّ اللَّهَ وَالذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ".[1]

الأثر الإعلاميّ: وضع القواعد المتينة في نفوس المسلمين بأن لهم الغلبة لا محالة، وأن عليهم الصبر في مرحلته، والعمل في مجال الإذن بالقتال، لكن عليهم أن يجعلوا نصب عقولهم وأفهامهم أن التعذيب الذي كان من نصيب السابقين ممن ساروا على درب المرسلين، لم يصل إليه المسلمون بحالٍ، ولكن قد يتكرر ما هو أصعب منه، كما حدث في محاكم التفتيش المجرمة التي جعلت التعذيب المذكور في الحديث في زاوية من زواياها، وكذا ما يحدث أحيانًا من وسائل تعذيب في عصرنا المحاضر، ما تعجز الألسنة عن وصفه، وسقف الفكر حائرًا في تصوره. وهذا المثال هو في جانب الإعلام التاريخيّ، لكن له التأثير المستقبلي المتجدد كما ذكرنا.

وبينما نحن كذلك يأتي هذا الحديث ليكون المؤشّر الداخليّ لنا في عصر الاستضعاف والغلبة على المسلمين، وأنّ العجلة شيطانيّة، ولا ينال بها المرءُ مبتغىً، ولا يصل بها مرتقىً.

الجهاد البحريّ في سياق العلو النفسيّ:

2. عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: حَدَّثَتْنِي أُمُّ حَرَامٍ [بنت ملحان بن خالد] أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ [من القائلة أو القيلولة] يَوْمًا فِي بَيْتِهَا، فَاسْتَيْقَظَ وَهْوَ يَضْحَكُ، قَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا يُضْحِكُكَ ؟ قَالَ: "عَجِبْتُ مِنْ قَوْمٍ مِنْ أُمَّتِي يَرْكَبُونَ الْبَحْرَ، كَالْمُلُوكِ عَلَى الأَسِرَّةِ". فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ. فَقَالَ: "أَنْتِ مَعَهُمْ". ثُمَّ نَامَ، فَاسْتَيْقَظَ وَهْوَ يَضْحَكُ فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاَثًا. قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ. فَقَالَ: "أَنْتِ مِنَ الأَوَّلِينَ". فَتَزَوَّجَ بِهَا عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ، فَخَرَجَ بِهَا إِلَى الْغَزْوِ، فَلَمَّا رَجَعَتْ قُرِّبَتْ دَابَّةٌ لِتَرْكَبَهَا، فَوَقَعَتْ فَاندَقَّتْ عُنُقُهَا.[2]

---

(1) صحيح البخاريّ (20/9)، كتاب الإكراه، باب من اختار الضرب والقتل والهوان على الكفر. من طريق إِسْمَاعِيلَ عن قَيْسٍ عَنْ خَبَّابِ بْنِ الأَرَتِّ به.

(2) صحيح البخاري (36/4)، كتاب الجهاد والسير، باب ركوب البحر. من طريق مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى بْنِ حَبَّانَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ عن أمِّ حرام.

وتسلك أم حرام طريق عكاشة بن محصن، فتظفر بالراحة تنالها عبر طمأنة وتأكيد النبي صلى الله عليه وسلم، فالمسلم مطالبٌ بأن يفكر ويسعى دومًا لأن يكون من أصحاب (أفعل التفضيل) بأن يكون **أحسن** الناس خلقًا، و**أوضأ**هم ناصيةً، و**أرقا**هم روحانيةً، و**أطيبهم** صيتًا، و**أتقا**هم لله تعالى.

والأثرُ الإعلاميُّ البارز المستنبط من هذا الحديث، وهو تطور الوسائل المستخدمة في العملية الإسلامية الجهاديّة، وكأنه بهذا يحضُّ المسلمين على وجوب الترقّي في الأدوات والمنهجية التخطيطية لذلك، وهذا من باب الخبر الذي يفيد الإنشاء.

قتال اليهود حتمية نبوية مهما طال الزمن:

3. عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "تُقَاتِلُونَ الْيَهُودَ حَتَّى يَخْتَبِئَ أَحَدُهُمْ وَرَاءَ الْحَجَرِ فَيَقُولُ يَا عَبْدَ اللَّهِ هَذَا يَهُودِيٌّ وَرَائِي فَاقْتُلْهُ".[1]

الأثر الإعلاميّ: أن الظلم كحالة لا يمكن أن يظلّ مستمرًا أبد الدهر، وأن التعدّي على حقوق الآخرين في فترة زمنية معينة، لا يجعلها حالة اللانهاية، وبالنسبة لليهود تحديدًا كونهم رؤوس الفتن وموقدي نار الحروب فإن تأكيد رسولنا صلى الله عليه وسلم بأن يوم القتال معهم آتٍ يجعلنا نطمئن اطمئنانًا عمليًّا، بمعنى أنه إذا تأكد لدينا أنه لا يمكن الوصول إلى شيء نصبو إليه بالأمانيّ، بذلنا جهدًا مضاعفًا لكي نكون في مستوى جيش النصر والتحرير وطرد اليهود من أرض النبوات والرباط، كما أنه وفي اتجاه آخر يجعل اليهود أنفسهم مضطربين غير مستقرين، لأنهم يعرفون الحق ويأبون الالتزام بتبعاته "وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً"[2].

لا ينقطع الخير من الأمة، وكونوا مسلمين إيجابيين:

4. عَنْ أَبِي بَكْرَةَ رضي الله عنه: أَخْرَجَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم ذَاتَ يَوْمٍ الْحَسَنَ فَصَعِدَ بِهِ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَقَالَ: "ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ، وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ".[3]

الأثر الإعلاميّ: أن إمكان وقوع الاختلاف ووصوله إلى مستويات بعيدة قد يحصل بين المسلمين، وهو وإن كان ابتلاءً متحققًا إلا أن توقع الأمر السيئ يجعل متوقعه مستعدًا ومجهزًا أدوات الاستقبال والتلقي، ولكن رسولنا صلى الله عليه وسلم برغم ذلك كله يطمئن جانب المسلمين بأن هذا الأمر لن يدوم وأن الله تعالى سيوفق لحل الإشكالات ورفع المنازعات وطرد الخلافات السلبيات، ويضرب لذلك مثالا على الحسن اسمًا ومسمىً بأنه سبحانه سيجعل على يديه هذا الأمر، وفيه بيانُ ما للصالحين والعقلاء الفضلاء من يدٍ طولى في رد الأمور إلى نصابها والمياه إلى مجاريها.

---

(1) صحيح البخاري (42/4)، كتاب الجهاد والسير، باب قتال اليهود. من طريق مَالِكٍ عَنْ نَافِعٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ به.

(2) النمل: 14.

(3) صحيح البخاري (205/4)، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام. من طريق حُسَيْنٍ الْجُعْفِيُّ عَنْ أَبِي مُوسَى عَنِ الْحَسَنِ عَنْ أَبِي بَكْرَةَ به.

يقول مصطفى العدويّ: وفي الحديث فضيلة ظاهرة للحسن بن عليّ رضي الله عنه لما حقن الله به من دماء المسلمين، وأصلح الله به ذات بينهم، وتنازله عن الدنيا وعن متاعها وزهرتها لا عن ضعف وخور، ولكن عن عزة ومنعة وقوة رضي الله عنه.[1]

نبوءات ثلاث تحققت، فلتهنأ النفوس، ولتَسعد الجيوب، ولتسافر الظعائن، ولتُفتح القصور:

5. عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ قَالَ: بَيْنَا أَنَا عِنْدَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم إِذْ أَتَاهُ رَجُلٌ فَشَكَا إِلَيْهِ الْفَاقَةَ، ثُمَّ أَتَاهُ آخَرُ، فَشَكَا قَطْعَ السَّبِيلِ. فَقَالَ: "يَا عَدِيُّ هَلْ رَأَيْتَ الْحِيرَةَ". قُلْتُ: لَمْ أَرَهَا وَقَدْ أُنْبِئْتُ عَنْهَا. قَالَ: "فَإِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ لَتَرَيَنَّ الظَّعِينَةَ تَرْتَحِلُ مِنَ الْحِيرَةِ، حَتَّى تَطُوفَ بِالْكَعْبَةِ، لاَ تَخَافُ أَحَدًا إِلاَّ اللَّهَ" – قُلْتُ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِي: فَأَيْنَ دُعَّارُ طَيِّئٍ الَّذِينَ قَدْ سَعَّرُوا الْبِلاَدَ، "وَلَئِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ لَتُفْتَحَنَّ كُنُوزُ كِسْرَى". قُلْتُ: كِسْرَى بْنِ هُرْمُزَ ؟ قَالَ: "كِسْرَى بْنِ هُرْمُزَ، وَلَئِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ، لَتَرَيَنَّ الرَّجُلَ يُخْرِجُ مِلْءَ كَفِّهِ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ، يَطْلُبُ مَنْ يَقْبَلُهُ مِنْهُ، فَلاَ يَجِدُ أَحَدًا يَقْبَلُهُ مِنْهُ". قَالَ عَدِيٌّ: فَرَأَيْتُ الظَّعِينَةَ تَرْتَحِلُ مِنَ الْحِيرَةِ حَتَّى تَطُوفَ بِالْكَعْبَةِ، لاَ تَخَافُ إِلاَّ اللَّهَ، وَكُنْتُ فِيمَنِ افْتَتَحَ كُنُوزَ كِسْرَى بْنِ هُرْمُزَ، وَلَئِنْ طَالَتْ بِكُمْ حَيَاةٌ لَتَرَوُنَّ مَا قَالَ النَّبِيُّ أَبُو الْقَاسِمِ صلى الله عليه وسلم: "يُخْرِجُ مِلْءَ كَفِّهِ".[2]

الأثر الإعلاميّ: التأكيد على أن المستقبل للإسلام، وأن دوام الحال من الحال، وأن على من يقرأ شواهد التاريخ أن يستحضر نواميس الله في الكون التي لا تتغير ولا يعتورها الحؤول، وإذا اعتبرنا أن كسرى كان يضرب فيه المثل مجدًا وشهرةً وثراءً وتاريخًا ضاربًا في أعماق الزمن، لدرجة يتصور معها أحدهم أنه لا يمكن أن ينكسر، ثم يقع هذا الكسرُ له، فإن حالةً من السعي المستمر لتغيير الحال البائس لدى المسلمين هي ما سيتكون لديهم، ليكونوا الأفضل دائمًا كخير أمة أُخرجت للناس.

---

(1) المسند الصحيح من أحاديث الفتن والملاحم، ص 155.

(2) صحيح البخاري (197/4)، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام. من طريق إِسْرَائِيلَ عن سَعْدٍ الطَّائِيِّ عن مُحِلِّ بْنِ خَلِيفَةَ عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ به.

خلاصة المبحث الرابع:

تطرّقنا في هذا المبحث سريعًا إلى أشكال الإعلام في العهد النبويّ، مبتدئين بأول ما قام به النبيُّ صلى الله عليه وسلم من بناء المسجد في المدينة المنورة، ليكون منارة إعلامية فيها مختلف التوجيهات الحيويّة إن لم تكن غالبيتها الكبرى، ليشكل الإعلام المسجديّ العلامةَ الفارقة للمسلمين عن غيرهم، للمزج بين الجانب الروحانيّ والإعلاميّ السياسيّ.

وبيّنّا أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يستغلّ الميدان الحربيّ العسكريّ في توصيل الرسالة الإعلامية، لأن الهدف منه رفع كلمة الله تعالى على كلمة الكافرين، ثم اتّجه بنا السياق إلى الحديث عن الإعلام في ثوبه الأمنيّ فالتاريخيّ، وتكلمنا عن الآثار الإيجابية على حال المسلمين وتفعيلهم ليكونوا دائمًا ألزم لجانب الرقيّ المستمر.

وبانتهاء المبحث الرابع نختم الحديث في الفصل الثاني، ونتوجه للفصل الثالث والأخير، للكلام عن وسائل الاتصال بالآخرين في العهد النبويّ، وموقف الرسول عليه السلام في مواجهة الحرب النفسية.

الفصـــل الثالث:

الفعاليات الإعلامية في الخطاب النبوي
(وسائل الاتصال - مواجهة الحرب النفسية)

وفيه تمهيـــدٌ ومبحثـــــان:

تمهيدٌ: الفئـــات المستهدفـــــة في الخطاب الإعلامـــيّ النبـــويّ.

المبحث الأول: وسائل الاتصـــال الإعلاميّ في العهـــد النبـــويّ.

المبحث الثاني: موقف الرسول الكريم في مواجهة الحرب النفسية.

تمهيد الفصل الثالث:

الفئات المستهدفة في الخطاب النبوي

معروفٌ بالدراسة والتتبع أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يخاطب كلَّ سائل أو طالب احتياجًا باعتبار حالته النفسية وهذا ظاهرٌ باستقراء وصاياه عليه السلام، والبلاغة: موافقة الكلام الفصيح لمقتضى حال السامعين، وقد كان من سنَنِه في التحديث أن يعيد الكلام ثلاثًا؛ لكي يستطيع من لا يستوعب من المرة الأولى أن يستوعب بالتكرار.

بل إن النبيّ عليه السلام كان يسأل الجهة التي يريد التكلم معها عن ماهيّتها وبناءً عليه يقرر التالي، فقد جاء من حديث ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما عند مسلمٍ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم لَقِيَ رَكْبًا بِالرَّوْحَاءِ فَقَالَ: "مَنِ الْقَوْمُ ؟". قَالُوا: الْمُسْلِمُونَ. فَقَالُوا: مَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ: "رَسُولُ اللَّهِ". فَرَفَعَتْ إِلَيْهِ امْرَأَةٌ صَبِيًّا فَقَالَتْ: أَلِهَذَا حَجٌّ ؟ قَالَ: "نَعَمْ، وَلَكِ أَجْرٌ".[1]

وفي الحديث المتفق عليه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، قال: إِنَّ وَفْدَ عَبْدِ الْقَيْسِ لَمَّا أَتَوُا النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "مَنِ الْقَوْمُ أَوْ مَنِ الْوَفْدُ ؟". قَالُوا: رَبِيعَةُ. قَالَ: "مَرْحَبًا بِالْقَوْمِ – أَوْ بِالْوَفْدِ – غَيْرَ خَزَايَا وَلاَ نَدَامَى".[2]

وقد أعطى النبيُّ صلى الله عليه وسلم الغلامَ ابنَ عباس رضي الله عنهما ما يناسب عقله، وما يربطه بالله تعالى وأوجد عنده الأسس التي تجعل منه شخصية مؤمنة بقدر الله لا تتزعزع بأي حال من الأحوال؛ فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَوْمًا فَقَالَ: "يَا غُلاَمُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلاَمُ، وَجَفَّتِ الصُّحُفُ".[3]

---

(1) صحيح مسلم، ص 627 رقم 3143، كتاب الحجّ، باب صحة حج الصبيّ وأجر من حجّ به. من طريق سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عُقْبَةَ عَنْ كُرَيْبٍ مَوْلَى ابْنِ عَبَّاسٍ عن ابنِ عبّاسٍ به.

الروحاء: موضعٌ بين مكةَ والمدينة. (النهاية في غريب الحديث والأثر (894/2).

(2) **متفقٌ عليه.**

أخرجه البخاريّ في صحيحه (20/1)، كتاب الإيمان، باب أداء الخمس من الإيمان. ومسلمٌ في صحيحه، ص 37 رقم 24، كتاب الإيمان، باب الأمر بالإيمان بالله ورسوله وشرائع الدين ، والدعاء إليه. كلاهما من طريق أَبِى جَمْرَةَ [نصر بن عمران] عن ابْنِ عَبَّاسٍ به.

(3) سنن الترمذي، ص 566 رقم 2516، كتاب صفة القيامة، باب قول النبي: "يا حنظلة ساعة وساعة".

قال الترمذي: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مُوسَى [المروزي] أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ أَخْبَرَنَا لَيْثُ بْنُ سَعْدٍ وَابْنُ لَهِيعَةَ عَنْ قَيْسِ بْنِ الْحَجَّاجِ. قَالَ: وَحَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَخْبَرَنَا أَبُو الْوَلِيدِ حَدَّثَنَا لَيْثُ بْنُ سَعْدٍ حَدَّثَنِي قَيْسُ بْنُ الْحَجَّاجِ الْمَعْنَى وَاحِدٌ عَنْ حَنَشٍ الصَّنْعَانِيِّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ:...

الحكم على الحديث: قَالَ الترمذيّ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، فإسناده حسن؛ فيه ابن الحجّاج صدوق.
ورجال الحديث هم: أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مُوسَى، عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ، لَيْثُ بْنُ سَعْدٍ، عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدارميّ، أَبُو الْوَلِيدِ هشام ابن عبد الملك، حَنَشٍ بن عبد الله الصَّنْعَانِيِّ: ثقات.
انظر: التقريب (ص 98 رقم 101)، (ص 540 رقم 3595)، (ص 817 رقم 5720)، (ص 522 رقم 3456)، (ص 1022 رقم 7351)، (ص 278 رقم 1585).

عبد الله بن لهيعة:

أقوال المعدّلين: امتدحه الثوريَّ وقال: عند ابن لهيعة الأصول، وعندنا الفروع. حججتُ حججًا لألقى ابن لهيعة. (تهذيب التهذيب (412/2)، وعن أحمد بن حنبل يقول: من كان مثل ابن لهيعة بمصر في كثرة حديثه وضبطه وإتقانه. (سؤالات الآجريّ لأبي داود (175/2) رقم 1512)، ووصفه بأنه محدّث مصر. (ميزان الاعتدال (168/4–169) رقم 3435).
وقال أحمد بن صالح: كان ابن لهيعة صحيح الكتاب، طلابًا للعلم. وقال قتيبة: حضرت موت ابن لهيعة، فسمعتُ الليث يقول: ما خلّف مثله. (ميزان الاعتدال (168/4–169) رقم 3435). وردّ أحمد بن صالح على من عرّض باختلاط ابن لهيعة بقوله: ليس من هذا شيء، ابن لهيعة صحيح الكتاب، وإنما كان أخرج كتبه فأملى على الناس حتى كتبوا حديثه إملاءً، فمن ضبط كان حديثه حسنًا إلا أنه كان يحضر من لا يُحسن ولا يضبط ولا يُصحّح ثم لم يُخرج ابن لهيعة بعد ذلك كتابًا، وكان من أراد السماع منه استنسخ ممن كتب عنه وجاءه فقرأ عليه، فمن وقع على نسخة صحيحة فحديثُه صحيحٌ، ومن كتب من نسخة لم تُضبط جاء فيه خللٌ كثير. (تهذيب التهذيب (412/2). وقال أبو حاتم: سألت أبا الأسود النضر: كان ابن لهيعة يقرأ ما يُدفع إليه ؟ قال: كنا نرى أنه لم يَفُتْه من حديث مصرَ كثيرُ شيءٍ. (145/5) رقم 682)
وقال ابن عديّ: حديثه حسن، وهو ممن يُكتب حديثُه. (الكامل في الضعفاء لابن عدي (253/5) رقم 977/10).
وقال ابنُ حجر في "التقريب": صدوق، خلط بعد احتراق كتبه، ورواية ابن المبارك وابن وهب عنه أعدل من غيرهما، وله في مسلم بعضُ شيءٍ مقرون. مات سنة أربع وسبعين. (ص 538 رقم 3587). وقالا في التحرير: بل ضعيف، يُعتبر به، وحديثه صحيح إذا روى عن العبادلة. (تحرير تقريب التهذيب (258/2) رقم 3563).
أقوال المجرّحين: قال ابنُ معين: ليس بقوي. (ميزان الاعتدال (167/4) رقم 3435). وضعفه القطان، وكان لا يراه شيئًا (ميزان الاعتدال (168/4) رقم 3435)، وجاء عن ابن مهدي أنه لا يحمل عنه قليلا ولا كثيرًا. (تهذيب التهذيب (411/2)، وقال: ما أعتدُّ بشيء سمعته من حديث ابن لهيعة إلا سماع ابن المبارك ونحوه. (ضعفاء العقيلي، ص 694 رقم 869).
وقال علي بن حجر السعدي: لا ينبغي أن يُحتج بروايته ولا يُعتدّ بحديثه. (كتاب الضعفاء والمتروكين، لابن الجوزي (136/2) رقم 2096). وكذا قال الجوزجاني، وزاد: لا نور على حديثه. (ميزان الاعتدال (168/4) رقم 3435).
وضعّفه أبو حاتم وأبو زرعة، وقالا: يُكتب حديثُه على الاعتبار. ولم يرَ الأول الاحتجاج بحديثه ولو روى عنه ابن المبارك. (الجرح والتعديل، لابن أبي حاتم (147/5) رقم 682)، والنّسائي (كتاب الضعفاء والمتروكين، ص 153 رقم 363)، وقال في موطن آخر: ليس بثقة. (تهذيب التهذيب (413/2)، ورأى الدارقطني أنه يُعتبر بما يروي عنه العبادلة: ابن المبارك، والمقرئ، وابن وهب. (كتاب الضعفاء والمتروكين للدارقطني، ص 162 رقم 322). ولم يرَ ابنُ خزيمة الرواية عنه منفردًا، بل مقرونًا. (تهذيب التهذيب (413/2).
قضية اختلاطه: قال ابن خِرَاش [أحمد بن الحسن]: كان يكتب حديثه فاحترقت كتبه، فكان من جاء بشيءٍ قرأه عليه حتى لو وضع أحدٌ حديثًا وجاء به إليه قرأه عليه. قال الخطيب: فمن ثمّ كثرت المناكير في روايته لتساهله. (تهذيب التهذيب (413/2). وقال ابن حبّان: سبرت أخبار لابن لهيعه، فرأيت التخليط في رواية المتأخرين عنه موجودًا وما لا أصل له من رواية المتقدمين كثيرًا، فرجعت إلى الاعتبار، فرأيته يدلس على أقوام ضعفى على أقوام رآهم ابن لهيعة ثقات، فألزق تلك الموضوعات به. (المجروحين (505/2 رقم 532).

وقد كان يناسب الأعرابيّ الذي أراد النصيحة الجامعة لعدم قدرته على التواصل المستمر مع الرسول صلى الله عليه وسلم؛ لانشغاله في البادية وبعد مسكنه، فعندما سأله سُفْيَانُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الثَّقَفِيِّ رضي الله عنه: يَا رَسُولَ اللَّهِ قُلْ لِي فِي الإِسْلاَمِ قَوْلاً لاَ أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا بَعْدَكَ – وَفِى حَدِيثِ أَبِي أُسَامَةَ غَيْرَكَ – قَالَ: "قُلْ آمَنْتُ بِاللَّهِ فَاسْتَقِمْ".[1]، ونحوٌ منه جاء في حديث ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما عند البخاري يَقُولُ: قَدِمَ وَفْدُ عَبْدِ الْقَيْسِ[2] عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا هَذَا الْحَيِّ مِنْ رَبِيعَةَ، وَقَدْ حَالَتْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ كُفَّارُ مُضَرَ، فَلَسْنَا نَخْلُصُ إِلَيْكَ إِلاَّ فِي شَهْرٍ حَرَامٍ، فَمُرْنَا بِأَشْيَاءَ نَأْخُذُ بِهَا وَنَدْعُو إِلَيْهَا مَنْ وَرَاءَنَا. قَالَ: "آمُرُكُمْ بِأَرْبَعٍ وَأَنْهَاكُمْ عَنْ أَرْبَعٍ، الإِيمَانِ بِاللَّهِ شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ – وَعَقَدَ وَاحِدَةً – وَإِقَامِ الصَّلاَةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَأَنْ تُؤَدُّوا لِلَّهِ خُمُسَ مَا غَنِمْتُمْ، وَأَنْهَاكُمْ عَنِ الدُّبَّاءِ، وَالنَّقِيرِ وَالْحَنْتَمِ وَالْمُزَفَّتِ[3]".[4]، **ويقول منير الغضبان معلقًا:** "ولسنا أمام وفد قادم ليناقش بالإسلام ويتردد في قبوله، ويختبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتأكد من نبوته كما شهدنا مع الوافدين الأوائل، بل نحن مع وفد مسلم قادم للقاء حبيبه المصطفى، ولذلك ما أن حظيت أعينهم بالمدينة المنورة ودلهم عمر رضي الله عنه على الحبيب المختار حتى ارتموا نحوه يقبّلون يديه ورجليه".[5]

وضعفه ابن معين قبل احتراق كتبه وبعدها، وقال: والسماع منه واحد: القديم والحديث. (الكامل في الضعفاء لابن عدي (238/5) رقم 977/10). وكذا كان رأي أبي زرعة. (الجرح والتعديل، لابن أبي حاتم (147/5) رقم 682).

وقال برهان الدين الحلبي: والعمل على تضعيف حديثه. والله أعلم. (الاغتباط، ص 190 رقم 58).

وذكره العلائي في (المختلطين)، وجعل احتراق كتبه حدًا فاصلا لاختلاطه. (ص 65 رقم 26).

قال محقق الاغتباط: وعبد الله بن لهيعة – كما رأينا من كلام الأئمة – صدوقٌ في نفسه غير متهم بالكذب، ولم يقصد الكذب، وإنما جاء ضعفه واختلاطه أنه حدَّث من حفظه بعد احتراق كتبه، واختلاطه هذا يُنسب لهذه العلّة أكثر مما ينسب لذهاب عقله وتغيره قبل موته، [أي لسوء حفظ] ، ورواية العبادلة عنه صحيحة. (الاغتباط، ص 197).

وقت احتراق كتبه (أول اختلاطه): الأرجح أنه سنة سبعين ومائتين. (ميزان الاعتدال (166/4) قم 3435). وقيل: سنة تسع وستين. (تهذيب التهذيب (412/2). **قلت:** والذي ترجّح لي أن ابن لهيعة ثقةٌ قبل احتراق كتبه، وضُعِّفَ بعدها، ورواية العبادلة عنه موثَّقة. ولكن كلام الأئمة عليه بالجملة، وعدم تخريج الشيخين عنه إلا مقروناً يوحي بأنه أقلّ درجة من الثقة، فهو صدوق كما قال ابن حجر في التقريب. والله أعلم.

قَيْسِ بْنِ الْحَجَّاجِ بن خليّ: قال أبو حاتم: صالح الحديث. (الجرح والتعديل (95/7) رقم 545). وذكره ابن حبّان في "الثقات" (329/7) رقم 10305). وقال ابنُ حجر: صدوق. (تقريب التهذيب، ص 803 رقم 5603). وهو كما قال ابن حجر. **لذا فالحديث حسن.**

(1) صحيح مسلم، ص 48 رقم 65، كتاب الإيمان، باب جامع أوصاف الإسلام. من طريق هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الثَّقَفِيِّ به.

(2) **عبد القيس:** هي قبيلة كبيرة يسكنون البحرين. (انظر: فتح الباري (858/7).

(3) انظر معاني الكلمات، ص 99 من هذه الرسالة.

(4) صحيح البخاري (169/5)، كتاب المغازي، باب وفد عبد القيس. من طريق حَمَّادِ بْنِ زَيْدٍ عَنْ أَبِى جَمْرَةَ [نصر بن عمران الضبعي] عن ابْنِ عَبَّاسٍ به.

(5) التربية السياسية (188/1).

مراعاة النبي صلى الله عليه وسلم لأحوال المخاطبين:

المتلقي هو الطرف الثاني من البعد الإنساني في العملية الاتصالية، وهو المتأثر بعملية الإقناع، وقد يكون الضحية عندما تكون الرسالة الإعلامية غير نزيهة، وقد يكون هو المستفيد عندما تكون الرسالة شريفة، وقد يكون فردا أو جمهورا. وقد كان الهديُ النبويُّ قد توصل إلى مخاطبة الناس من خلال مؤهلات الاستجابة، ومن ذلك:

1- مراعاة الفروق الفردية؛ ولذلك كان الرسول صلى الله عليه وسلم يعتمد أسلوب التكرار في حديثه وفي خطبه حتى يتمكن السامع من إدراك ما يرمي إليه.

2- مخاطبة عقل الإنسان ووجدانه وأشواقه، والاهتمام بكل ملكاته، يدرك ذلك من ينظر في مضمون خطب الرسول صلى الله عليه وسلم.

3- الرحمة بالمخاطبين في خطبه سواء كانوا مشركين أو مسلمين.

6- مراعاة الحالة النفسية للمخاطبين في جميع خطب الرسول صلى الله عليه وسلم، وذلك تلافيا لما يعرف بالتشويش النفسيّ في الدراسات الاتصالية.[1]

تحديدُ الخطابِ باعتبارِ المخاطب:

بدايةً على الإعلاميِّ "اختيار المضامين الإعلامية المناسبة لكل فئة من الفئات، فما يوجَّه للأطفال غير ما يوجَّه للبالغين، وما يُقال لعامة الناس غير ما يُخصَّص للفئة المثقفة. وعمومًا فإن صغار السن يلقنون مبادئ الإسلام الأساسية وتطبيقاتها العملية بما يناسب المرحلة التي هم فيها، والبالغون يذكَّرون بالمهام الملقاة على عاتقهم تجاه دينهم وأمتهم، والمثقفون تُطرح عليهم قضايا الصراع الفكري والاتجاهات المعادية للإسلام، وكيفية التصدي، وكيفية التصدِّي لها ليتولوا عملية التوجيه الفكري لأفراد الأمة".[2]

بل إن من ذكاء رجل الإعلام إذا أراد أن تصل معلومته الإعلامية على النحو الذي يريد، ومن غير أن يكون هناك لبس في ساحة التفكير الداخلي عند المستمع فعليه:

"اختيار الوسيلة الإعلامية المناسبة لكل فئة من فئات الجمهور: فالوسائل السمعية البصرية مثل الرائي والخَيَالة [السينما] تستقطب الجمهرة الكبيرة من صغار السنّ، وذوي الثقافة المحدودة، وكذلك الأمر بالنسبة للمذياع، أما الوسائل المطبوعة مثل الكتاب والصحيفة فإنها تستأثر باهتمام المثقفين".[3]

القدوة: الإعلام الصامت

وكان أهم ما يخاطب به الجميع سلوكه العمليّ "لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً"[4].

---

(1) انظر: الجوانب الإعلامية في خطب النبي صلى الله عليه وسلم، ص 217-222.

(2) وسائل الإعلام، الغلاييني، ص 103.

(3) نفسه، ص 103.

(4) الأحزاب: 21.

والقدوة هي إعلامٌ صامتٌ بكلّ ما للكلمة من معنًى، تكمن خطورتها في أنها في حد ذاتها تعتبر واحدة من أهم الوسائل الإعلامية، وتقوم هذه الوسيلة على غريزة التقليد أو المحاكاة في الإنسان، وهذه الغريزة تلعب دورًا هامًا وتغني عن بذل جهود إعلامية كبيرة بهدف غرس فكرة أو الاقتناع برأي أو تعديل سلوك معين لدى الجماهير، وقد كان الداعي الأول للإسلام محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم مضرب الأمثال في هذا الصدد، وكان به من الصفات النبيلة ما تفيض به كتب السيرة، وقد كان يقدم من نفسه القدوة العملية قبل أن يحثهم على شيء بعينة حتى يكون ذلك أدعى عند القبول وأسرع لدى التطبيق.

وانظر إلى هذا الجزء من الحديث النبويّ الشريف:

"... قَالَ فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ قَضِيَّةِ الْكِتَابِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ عليه السلام لأَصْحَابِهِ: "قُومُوا فَانْحَرُوا، ثُمَّ احْلِقُوا". قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا قَامَ مِنْهُمْ رَجُلٌ حَتَّى قَالَ ذَلِكَ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا لَمْ يَقُمْ مِنْهُمْ أَحَدٌ دَخَلَ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ، فَذَكَرَ لَهَا مَا لَقِيَ مِنَ النَّاسِ. فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَتُحِبُّ ذَلِكَ اخْرُجْ ثُمَّ لاَ تُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ كَلِمَةً حَتَّى تَنْحَرَ بُدْنَكَ، وَتَدْعُوَ حَالِقَكَ فَيَحْلِقَكَ. فَخَرَجَ فَلَمْ يُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ، حَتَّى فَعَلَ ذَلِكَ نَحَرَ بُدْنَهُ، وَدَعَا حَالِقَهُ فَحَلَقَهُ. فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ، قَامُوا فَنَحَرُوا، وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَحْلِقُ بَعْضًا، حَتَّى كَادَ بَعْضُهُمْ يَقْتُلُ بَعْضًا غَمًّا .."[1]

فقد كان العمل النبويّ وابتداؤه من الشخصية الأولى في المجتمع المسلم كفيلا بأن تجلو الغبار تمامًا عن ما علق في الأذهان من الغمّ والهمّ والنكد الذي أصابهم في الحديبية، فلم يتكلم النبيُّ صلى الله عليه وسلم وإنما تكلّم فعلُه فطبقه المسلمون من غير تفكير.

والأمر يختلف في الخطاب النبويّ فيما إذا كان موجهًا للمسلمين أو غيرهم:

فعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال – ليلة العقبة –: "تَعَالَوْا بَايِعُونِي عَلَى أَنْ لاَ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا، وَلاَ تَسْرِقُوا، وَلاَ تَزْنُوا، وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلاَدَكُمْ، وَلاَ تَأْتُونَ بِبُهْتَانٍ[2] تَفْتَرُونَهُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ، وَلاَ تَعْصُونِي فِي مَعْرُوفٍ، فَمَنْ وَفَى مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَعُوقِبَ بِهِ فِي الدُّنْيَا فَهْوَ لَهُ كَفَّارَةٌ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَسَتَرَهُ اللَّهُ فَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ، إِنْ شَاءَ عَاقَبَهُ، وَإِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ".[3]

ويظهر في الحديث طبيعة الخطاب النبويّ لهذه الفئة التي تتلقى دعاية الإسلام في المرحلة الأولى منها، فقد ذكر المراد مفصلا وبوضوح لا لبس فيه، وذكر الثواب ترغيبا والعقاب ترهيبًا، وبعض المتعلقات بنفس الأمر كالكفارة بإقامة الحدِّ والعفو باعتبار المشيئة الإلهية في الآخرة.

---

(1) صحيح البخاريّ (196/3)، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط. من طريق مَعْمَرٍ عن الزُّهْرِيِّ عن عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ عَنِ الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ وَمَرْوَانَ بنِ الحكمِ به.

(2) **البهتان:** "الكذب الذي يبهت سامعه، وخصَّ الأيدي والأرجل بالافتراء لأن معظم الأفعال تقع بهما، إذ كانت هي العوامل والحوامل للمباشرة والسعي، وكذا يسمون الصنائع الأيادي، وقد يُعاقب الرجل بجناية قولية فيُقال: هذا بما كسبت يداك". (فتح الباري، لابن حجر (97/1).

(3) صحيح البخاريّ (54/5)، كتاب مناقب الأنصار، باب وفود الأنصار إلى النبي بمكة وبيعة العقبة. من طريق ابْنِ شِهَابٍ عن أَبِي إِدْرِيسَ عَائِذُ اللَّهِ عن عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ به.

مثالٌ آخر/ قصة أبي ذر في طلبه الإمارة:

عَنْ أَبِى ذَرٍّ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ له: "يَا أَبَا ذَرٍّ إِنِّي أَرَاكَ ضَعِيفًا، وَإِنِّي أُحِبُّ لَكَ مَا أُحِبُّ لِنَفْسِي، لاَ تَأَمَّرَنَّ عَلَى اثْنَيْنِ، وَلاَ تَوَلَّيَنَّ مَالَ يَتِيمٍ".[1]

وهذا الذي يوضحه أحد المختصين بقوله: "يحتاج كل فردٍ أن يحسَّ أنه محبٌ ومحبوب. فالحب عاطفة أساسية تعطي الإنسان راحة، وتعاونه أن يرضى عن نفسه، وأن يستريح مع مجتمعه".[2]

وقد استطاع النبي صلى الله عليه وسلم أن يصرفه عن مراده بعد أن وضح له أنه لا يصلح لذلك المكان، بعد أن بيّن له أنه يحبه ويحترمه، فكان مدخلا طبيعيًّا للقبول ولرفع كل ما سينبعث من نفسٍ قد تكون أمَّارة بالسوء في مثل هذه المواقف.

وتحت عنوان (صفات القائد) قال اللواء ركن محمود شيث خطّاب:

عرف الرسول صلى الله عليه وسلم نفسيات وقابليات أصحابه، وعرف مزايا المجتمع، وكلّف كل واحد منهم بواجب يتفق مع قابليته البدنية والعقلية، لذلك استطاع أكثر أصحابه إنجاز مهمتهم بكفاية وإتقان. استمال قلوب المؤلفة قلوبهم بالمال بعد حنين، لأن المادة كانت تطغى على جوانب تفكيرهم، إذ لم يستشعروا بعد حلاوة الإيمان ... ولكنه حرَم الأنصار من غنائم يوم حنين، لأنهم كانوا أغنياء بإيمانهم، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يعرف أن بين أصحابه شجعاناً مغاوير فكلفهم بواجبات تحتاج إلى الشجاعة كأبي دجانة، واستفاد من شعر حسانٍ البليغ، وكان يعرف أن من بينهم صاحب الرأي والمشورة، ومن بينهم من يستطيع قيادة غيره، ومن بينهم من لا يستطيع أن يكون أكثر من جندي بسيط، فكلف كل واحد من هؤلاء بواجب يستطيع إنجازه.[3]

وكان يراعي العقلية غير المسلمة، ويخاطبهم بالأنسب لهم:

عَنِ الأَسْوَدِ بن يزيد بن قيس رضي الله عنه قَالَ: قَالَ لِي [عبدُ الله] ابْنُ الزُّبَيْرِ رضي الله عنه: كَانَتْ عَائِشَةُ تُسِرُّ إِلَيْكَ كَثِيرًا فَمَا حَدَّثَتْكَ فِي الْكَعْبَةِ؟ قُلْتُ قَالَتْ لِي: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: "يَا عَائِشَةُ، لَوْلاَ قَوْمُكِ حَدِيثٌ عَهْدُهُمْ -قَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ بِكُفْرٍ- لَنَقَضْتُ الْكَعْبَةَ فَجَعَلْتُ لَهَا بَابَيْنِ بَابٌ يَدْخُلُ النَّاسُ، وَبَابٌ يَخْرُجُونَ".[4]

وتعليلُ ذلك كما عند ابن حجر "لأن قريشًا كانت تعظِّمُ أمرَ الكعبة جدًا، فخشيَ صلى الله عليه وسلم أن يظنوا لأجل قرب عهدهم بالإسلام أنه غير بناءها لينفرد بالفخر عليهم في ذلك، ويُستفاد منه ترك

---

(1) صحيح مسلم، ص 929 رقم 4612، كتاب الإمارة، باب كراهة الإمارة بغير ضرورة. من طريقِ سَالِمِ بْنِ أَبِى سَالِمٍ الْجَيْشَانِىِّ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِى ذَرٍّ به.

(2) كيف تكوِّن علاقات ناجحة مع الناس، د. صموئيل حبيب، ص 18.

(3) انظر: الرسول القائد، ص 441-442.

(4) صحيح البخاريّ (37/1)، كتاب العلم، باب من ترك بعض الاختيار، مخافةَ أن يقصرَ فهمُ بعضِ الناسِ عنه فيقعوا في أشدَّ منه. من طريق إِسْرَائِيلَ عَنْ أَبِى إِسْحَاقَ عَنِ الأَسْوَدِ [ين يزيد بن قيس] به.

المصلحة لأمن الوقوع في المفسدة، ومنه ترك إنكار المنكر خشية الوقوع في أنكر منه، وأن الإمامَ يسوسُ رعيتَه بما فيه إصلاحُهم، ولو كان مفضولا ما لم يكن محرمًا".[1]

وفي الحديث أن إسرار عائشة للأسود خبرًا مهمًا وذا خصوصية كالذي كان في شأن الكعبة نابعٌ من اقتدائها بالرسول صلى الله عليه وسلم الذي أسرَّ لها نفس الخبر، وعلّلَ سبب عدمِ إعلان الخبر للناس على الملأ بأنهم لن يستطيعوا رؤية الجانب الإيجابيّ العملي بعيد النظر في ما نوى أن يصنعه لو فعل.

مخاطبة أهل الكتاب وفق عقولهم:

ويجعل الرسول معاذَ بنَ جبلٍ قبيل إرساله سفيرًا له لليمن يعرف طبيعة الناس، ويدلّه على آليات التعامل معهم ويمنحه حكمة التدريج مبيناً له سبلها، وهذا فيما قال له:

"إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَإِذَا جِئْتَهُمْ فَادْعُهُمْ إِلَى أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، فَإِنْ هُمْ طَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ طَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْكُمْ صَدَقَةً، تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ، فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ، فَإِنْ هُمْ طَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ".[2]

وفي الحديث تبيان الدقة الكاملة والعظمة الآكدة المتحققة في خطاب النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذٍ، فبعد أن أعطاه الدرس الأول في فقه التدريج، علمه كيف يكون أسلوب طرحه في الكلام، إذ عليه أن يخبرهم – لأن الإسلام سيُعرض عليهم لأول مرة – أن الصدقة التي سيُطلب إليهم دفعُها هي من باب التكافل الاجتماعيّ وليس من باب إنهاك جيوبهم، تُحصَّل من أغنيائهم ويستفيد منها فقراؤهم.

ثم إنّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم حدَّ له للعدل حدودًا وأمره ألا يتجاوزها، وتمثّل ذلك في بعدين، **أولهما:** عدم الاعتداء على أموالهم الخاصّة بعد تقديم حقها وإخراج صدقتها، **وثانيهما:** ألا يظلم أحدًا، وغلّفَ طلبه بأن دعوة المظلوم يقبلها الله تعالى ولا تُحجب عنه أبدًا.

وننتقل إلى بداية المبحث الأول في هذا الفصل ويتحدّث عن وسائل الاتصال بالآخرين في العهد النبوي.

---

(1) فتح الباري، لابن حجر (329/1).

(2) صحيح البخاري (162/1)، كتاب المغازي، باب بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع. من طريق يَحْيَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ صَيْفِيٍّ عَنْ أَبِي مَعْبَدٍ مَوْلَى ابْنِ عَبَّاسٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ به.

المبحث الأول:

وسائل الاتصال بالآخرين في العهد النبوي

وفيه أربعـــة مطالب:

المطلب الأول: الخطـــبـــــــــة.

المطلب الثاني: الحـــــــــــوار.

المطلب الثالث: الرسائل والبعوث.

المطلب الرابع: الشـــعـــــــــــر.

المبحث الأول:
وسائل الاتصال بالآخرين في العهد النبوي

وفيه أربعة مطالب:

تمهيد:

تعريف الاتصال: هو جهد إنساني هدفه إنشاء صلة بالناس، أو تحسين صلة، أو تغيير صلة على أساس عقائدي، أو مهني أو مصلحي".[1]

أو "هو عملية تتم بين طرفين يتخاطبان، ويستطيعان عن طريق الاتصال بينهما أن يتشاركا في فكرة أو رأي أو شعور أو عمل ما، ويمكن أن يكون كل طرف من الطرفين شخصًا واحدًا، والآخر عدة أشخاص".[2]

ويلزمنا هنا أن نتعرف على أركان الاتصال لفهم الكلام التالي في سياقها، وهي على النحو الآتي:

1. **المرسل:** وهو إما أن يكون متكلمًا أو كاتبًا أو مستخدمًا لغة الإشارة.
2. **الرسالة:** وهي مادة الإرسال (الاتصال) وتكون إما منطوقة وإما مكتوبة وإما ملموحة بالإشارة.
3. **المستقبِل:** وهو المرسَل إليه أو المتلقي، ويكون إما مستمعًا وإما قارئًا وإما مبصرًا رموز الإشارة".[3]
4. **الوسيلة:** هي العنصر الذي يحمل الرسالة الإعلامية، سواء أكانت سمعية أو بصرية أو وسيلة مقروءة.
5. **التأثير:** هو الهدف النهائي للرسالة الإعلامية؛ لأن الرسالة التي لا تحدث تأثيرها سوف تعمل في فراغ، وقد يرجع السبب في ذلك إلى قصور في الرسالة نفسها أو في المرسل، أو في عدم انتقاء الوسيلة المناسبة لتوصيل هذه الرسالة.[4]

جديرٌ بالذكر أن الرسالة الإعلامية هي الحقيقة أو الفكرة أو المفهوم المطلوب توصيله، بحيث يحدث التأثير المطلوب لدى المستقبل. واستجابة المستقبل للرسالة هو مقياس نجاحها الوحيد. وتؤدي الرسالة دورها إذا كانت واقعة في دائرة اهتمام القطاع الأكبر من الجمهور، وتناسبت مع الوسيلة الإعلامية التي تبث من خلالها، ولم تتصادم مع عادات المجتمع.[5]

---

(1) النظرية الإعلامية في الإسلام، محمد الغزالي، ص 32.

(2) مائة سؤال عن الإعلام، طلعت همّام، ص 24.

(3) مهارات الاتصال، راشد علي عيسى، ص 39-40.

(4) الإعلام الإسلامي وتطبيقاته العملية، د. محي الدين عبد الحليم، ص 28.
م. الوسيلة، التأثير ورد الفعل [ويسمى الاستجابة أحيانًا]. (الخبر الصحفي، عبد الله بدران، ص 13).

(5) الإعلام في المجتمع الإسلامي، حامد عبد الواحد، بتصرف، ص 30-31.

المطلبُ الأول/ الخطبـــــة:

"الخطبة تعتبر من أقدم وسائل الإعلام في المجتمعات الإنسانية، وقد كانت وسيلة الإعلام والإقناع الممتازة في عصور البداوة الأولى، وفي هذه البيئات تظهر الموهبة اللسانية".[1]

كما "أنَّ الصلة بين خطب اليوم وحقيقة الدين كالصلة بين سيف المنبر وأسلحة القتال في البر والبحر والجو. الخطابة في الإسلام مظهر الحياة المتحركة فيه، الحياة التي تجعل هذا الدين يزحف من قلب إلى قلب، ويثب من فكر إلى فكر، وينتقل مع الزمان من جيل إلى جيل، ومع المكان من قطر إلى قطر، وذاك هو السر في أن نبي الإسلام كان يخطب كل أسبوع وكل عيد، ويخطب أو ينيب عنه أميرًا يخطب في وفود الحجيج عند جبل الرحمة، وتتفجر ينابيع الخطابة الصحيحة من معاني القرآن وأغراضه".[2]

أهمية وتأثير الخطبة في العمل الدعوي الإسلامي:

1. تتميز الرسالة الإعلامية الدينية التي تحملها الخطبة الدينية الناجحة بقدرتها على إحداث تأثير خاص لدى الرأي العام المتلقي لهذه الخطبة، بحكم ما ترتبط به الخطبة الدينية في أذهان الناس من مفهوم خاص، فهي تنهل من لغة القرآن الكريم والأحاديث النبوية في أغلب الأحيان، أو كبار الفقهاء وأئمة المسلمين الضاربين في مجال الفكر الديني.

2. أن الإسلام يضع الخطابة في مكانة سامية، ويقدرها حق قدرها، بل ويكسبها شيئًا من القدسية، ويحيطها بهالة من النور، فلا تصح بعض الصلوات إلا بها مثل خطبة الجمعة.[3]

وبالتطورات الاتصالية على مستوى العالم صارت هناك أهمية أكبر وأوسع للخطبة، خاصة مع دخول الحلبة السياسية من قبل العلماء والمشايخ، بعد مغادرة ميدان الفصل المقيت بين الدولة والدين تحت شعار أنه لا دين في السياسة ولا سياسة في الدين، وبناءً عليه صار من أهداف الخطبة تجييش الرأي العام وتسييره باتجاه خدمة الإسلام والعمل للرقيّ بحال المسلمين إلى وضع أفضل، وأضحت الخطبة متعددة المضامين ففيها الموعظة الدينية الصرفة والمعالجة لوضع سياسيّ راهن وتقديم الحلول للمشاكل الاقتصادية مستقىً من القرآن والسنة.

مقوِّماتُ الخطبةِ الناجحة:

مراعاة الكلام لمقتضى الحال، وحدة الموضوع، الوضوح: باختيار الألفاظ المفهومة والعبارات السهلة، الجدة والحداثة، القصد في العرض بين الإيجاز والإسهاب، فلكل مقام مقال.[4]

مع وجود مجموعة من الصفات لا بدّ من توافرها أو غالبتها في الخطيب وهي: الاستعداد الطبيعي ووجود الملكة والموهبة، صدق اللهجة بالإخلاص التعبيريّ والحرص على الحقيقة، طلاقة اللسان وبلاغة البيان،

---

(1) الإعلام الإسلامي وتطبيقاته العملية، محيي الدين عبد الحليم، ص 57.

(2) مع الله، لمحمد الغزالي، ص 306.

(3) الإعلام الإسلامي وتطبيقاته العملية، د. محي الدين عبد الحليم، ص 151-152.

(4) الدعوة والخطابة، علي عبد العظيم، بتصرف، ص 42-52.

سعة الثقافة والاطّلاع المستمر، معرفة نفسية السامعين بهدف التغلغل إلى قلوبهم، روعة المنظر وجودة الإلقاء.[1]

نماذج من خطب النبيّ صلى الله عليه وسلم:

أولاً/ خطبةُ الصفا:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ "وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ"[2] صَعِدَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم عَلَى الصَّفَا فَجَعَلَ يُنَادِي: "يَا بَنِي فِهْرٍ، يَا بَنِي عَدِيٍّ". لِبُطُونِ قُرَيْشٍ حَتَّى اجْتَمَعُوا، فَجَعَلَ الرَّجُلُ إِذَا لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَخْرُجَ أَرْسَلَ رَسُولاً لِينْظُرَ مَا هُوَ، فَجَاءَ أَبُو لَهَبٍ وَقُرَيْشٌ فَقَالَ: "أَرَأَيْتَكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلاً بِالْوَادِي تُرِيدُ أَنْ تُغِيرَ عَلَيْكُمْ، أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ ؟". قَالُوا: نَعَمْ، مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إِلاَّ صِدْقًا. قَالَ: "فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيِ عَذَابٍ شَدِيدٍ". فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبًّا لَكَ سَائِرَ الْيَوْمِ، أَلِهَذَا جَمَعْتَنَا ؟! فَنَزَلَتْ "تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ * مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ"[3].[4]

وفي روايةٍ أخرى بنفس الإسناد عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: صَعِدَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم الصَّفَا ذَاتَ يَوْمٍ فَقَالَ: "يَا صَبَاحَاهْ" فَاجْتَمَعَتْ إِلَيْهِ قُرَيْشٌ ...[5] الحديث.

وفي روايةِ مسلمٍ: عَنْ قَبِيصَةَ بْنِ الْمُخَارِقِ وَزُهَيْرِ بْنِ عَمْرٍو قَالاَ: لَمَّا نَزَلَتْ "وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ" قَالَ: انْطَلَقَ نَبِيُّ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِلَى رَضْمَةٍ[6] مِنْ جَبَلٍ فَعَلاَ أَعْلاَهَا حَجَرًا ثُمَّ نَادَى: "يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافَاهْ إِنِّي نَذِيرٌ: إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ رَأَى الْعَدُوَّ فَانْطَلَقَ يَرْبَأُ أَهْلَهُ فَخَشِيَ أَنْ يَسْبِقُوهُ فَجَعَلَ يَهْتِفُ يَا صَبَاحَاهْ".[7]

وفي هذا يتضح لنا تهيئة النبي صلى الله عليه وسلم المناخ والبيئة المناسبين لخطابه الإعلامي، وقد تمثل ذلك فيما يلي:

1. اختياره صلى الله عليه وسلم منطقة عالية تشرف على جميع الحضور، وتسمح لهم برؤية المتكلم وطريقة إخراجه الكلمات واستخدامه حركات الجسد. وقد كان النبيّ صلى الله عليه وسلم في هذا الجزء تحديدًا غاية في التميز والنجاح الإعلامي، لأن هذا البند من صفات الخطيب المؤثِّر، فقد كان صوته

---

(1) انظر: الدعوة الإسلامية والإعلام الديني، عبد الله شحاتة، ص 22-26.

(2) الشعراء: 214.

(3) المسد: 1-2.

(4) صحيح البخاريّ (111/6)، كتاب التفسير، باب "وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ، وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ" (الشعراء:214-215). من طريق عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ به.

(5) صحيح البخاريّ (122/6)، كتاب التفسير، باب "إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ" (سبأ: 46). من طريق الأَعْمَشِ عن عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ به.

(6) **الرضمة:** واحدة الرضم والرضام وهي دون الهضاب. (الفائق في غريب الحديث والأثر، للزمخشري (170/1).

(7) صحيح مسلم، ص 128 رقم 394، كتاب الإيمان، باب في قوله تعالى: "وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ" (الشعراء: 214). من طريق أَبِي عُثْمَانَ عَنْ قَبِيصَةَ بْنِ الْمُخَارِقِ وَزُهَيْرِ بْنِ عَمْرٍو به.

جهيرًا، وهندامه حسنًا، ولم تكثر حركاته سلبًا، وجالت عيونه بدقة ودرس لتطبع الأذهان بعذوبة المنطق وتتغلغل في أعماق الوجدان بصدقها.

2. مناداته صلى الله عليه وسلم للناس بأعلى صوته، واستخدامه لذلك عبارةً كانت مشتهرة عند العرب إذا كانت هناك أخبارٌ من الأهمية أو الخطورة بمكان.

3. تجهيز عقلية وأسماع الحاضرين لقبول كلامه صلى الله عليه وسلم، بالمناقشة الحوارية التي ألجأهم فيها نبينا عليه السلام لذكر شيء معروف ومشتهر به.

4. مناداته للقبائل بأحب أسمائها إليها، واختار منهم عيونهم؛ لأن حضورهم سيشكل حافزًا لغيرهم من انحطت درجتهم عنهم للحضور، كما أن المقام الإعلامي لا يسمح بذكر جميع الأسماء والمسميات.

وأما الخطبة الصفاوية المتميزة، فقد كانت قوية نابضة بالحركة، مليئة بالتفاعل وتحريك الآخر وهزّ المشاعر والوجدان، ناهيك عن أن شخصية النبي صلى الله عليه وسلم قد لعبت الدور الأبرز فيها، لما تضفيه من احترام وتقدير وتبجيل مسبقة لدى الناس لها، فصاحبها الصادق الأمين، لم يجربوا عليه كذبة واحدة، وكانت أماناتهم عنده موجودة حتى بعد إعلانه بالنبوة. ولكي نطّلع على الأبعاد الإعلامية في خطبته نشير إلى ما يأتي:

1. قصيرة الزمن، قليلة الكلمات، دقيقة التعابير، محكمة الاختيار في ألفاظها.

2. جمعت بين التبشير والنذير، وبرز الأول بإيضاح النبي صلى الله عليه وسلم لهم أنهم قومه وأنه يخاف عليهم ويحرص أن يكونوا دائما متميزين وفي منأىً من استهداف المخاطر.

3. تعاملت كلمته مع الوضع المزري الذي كانت تحياه قريش صغيرها وكبيرها؛ من فساد أخلاقي، واهتراء اجتماعي، وتبعية لقوى الهيمنة العالمية في عالمهم، ومقاتلتهم بعضًا لأتفه الأسباب، واعتماد مبدأ: البقاء للأصلح، وبناء تحالفاتهم على ذلك. وظني أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم كان مستحضرًا كل تلك المظاهر عندما حذرهم من العذاب المنتظر إن ظلوا على درب الضلال والانحراف.

4. لا تذكر لنا الروايات أن رسولنا صلى الله عليه وسلم ردّ مقال السوء على عمِّه أبي لهب – عليه من الله ما يستحق – رغم كونه الوحيد الذي أساء الأدب مع الرسول عليه السلام، وهذا يؤكد على أن الداعية في مقامه ومقاله الأول عليه أن يراعي إقامة الحجة على الناس ثم ينظر تأثيراتها وتداعياتها في سلوكهم العامّ، وبعد ذلك يحدّد الصفات المفصلة لكل فردٍ منهم ويبني على ذلك تصوره التعامليّ المستقبليّ.

الدلالات والمعاني والمفاهيم الإعلامية في خطبة الصفا

1- مبدأ البشارة والنذارة:

فالإعلام الإسلامي يبشر الناس، ويفتح أمامهم آفاق الأمل، ولا يثبط هممهم، وهو أيضا ينذرهم من سوء المصير لمن لم يعتبر بالآيات والسنن، وأتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الأماني.

2- من الاتصال الشخصيّ إلى الاتصال الجمعيّ:

لقد كانت هذه الخطبة نقلة عظيمة للحركة بالدعوة الإسلامية في العهد المكي، حيث كانت البداية الحقيقية للاتصال الجمعي، الذي تميزت به الحضارة الإسلامية في عهد النبوة والخلافة الراشدة.

3- فن التوقيت:

واتّضح ذلك من اهتبال الرسول صلى الله عليه وسلم ظروف الزمان المواتيـــة، ودرس اللحظـــة المناسبة لتحقيق أكبر قدر ممكن من الإقناع برسالات ربه.

4- إشراك الجمهور في العملية الاتصالية والحوار المفتوح:

وهذا الأسلوب الحواريّ في الإعلام له أثره الفعال في تحقيق الإقناع والاقتناع.

5- القدرة على بثِّ الثقة في الجمهور:

فالقائم بالاتصال في هذه الخطبة هو الرسول صلى الله عليه وسلم الذي انتزع الله له إجماعا عاما من قريش بأنه الحكم العدل والصادق الأمين كلمة قالوها، وشاء الله أن تكون عليهم حجة إلى يوم القيامة.

6- إحكام الاتصال:

فالرسول صلى الله عليه وسلم في هذه الخطبة لم يتجاوز حقيقة الألوهية والعبودية، وحقيقة البعث والنشور والجزاء والحساب يوم القيامة، وما ينتظره المحسنون من الأجر والمثوبة، والمعاندون الكافرون من العذاب. وإحكام الاتصال غاية الحكمة.

7- التكرار والملاحقة:

هذه الدلالة تؤكد على أسلوب من أساليب الإعلام وهو التكرار الذي يساعد العمل الإعلامي على الانتشار بين الجماهير، ويعد من أجدى الأساليب الإعلامية في تغيير اتجاهات الرأي العام إذا أُتقن.[1]

ثانيًا/ خطبـــة الفتح:

عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: لَمَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ صلى الله عليه وسلم مَكَّةَ قَـــامَ فِـــي النَّاسِ، فَحَمِدَ اللَّهَ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: "إِنَّ اللَّهَ حَبَسَ عَنْ مَكَّةَ الْفِيلَ، وَسَلَّطَ عَلَيْهَا رَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ، فَإِنَّهَا لاَ تَحِلُّ لأَحَدٍ كَانَ قَبْلِي، وَإِنَّهَا أُحِلَّتْ لِي سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ، وَإِنَّهَا لاَ تَحِلُّ لأَحَدٍ بَعْدِي[2]، فَلاَ يُنَفَّرُ صَـــيْدُهَا[3]، وَلاَ يُخْتَلَى[4] شَوْكُهَا، وَلاَ تَحِلُّ سَاقِطَتُهَا إِلاَّ لِمُنْشِدٍ[5]، وَمَنْ قُتِلَ لَهُ قَتِيلٌ فَهْوَ بِخَيْرِ النَّظَرَيْنِ، إِمَّا أَنْ يُفْـــدَى،

---

(1) انظر تلك الدلائل في: الجوانب الإعلامية في خطب الرسول صلى الله عليه وسلم. (ص 10-24).

(2) "**لاَ تَحِلُّ لأَحَدٍ بَعْدِي**": يعني للقتال الذي حلّ له صلى الله عليه وسلم ومحاربة أهلها؛ لأنهم لا يكفرون فيُقاتلون. (إكمـــال المعلم (470/4).

(3) "**فَلاَ يُنَفَّرُ صَيْدُهَا**": حجة على تحريم اصطياده؛ لأنه إن نهى عن تنفيره فاصطياده آكد في التحـــريم. (إكمـــال المعلـــم (472/4).

(4) "**لاَ يُخْتَلَى**": أي لا يُحصد [كلؤُها]، وذكر الشوك دالٌّ على منع قطع غيره من باب أولى. (فتح الباري (302/1).

والخلى: الكلأ الرطب، فإذا يَبِسَ فهو حشيش وهشيم. واتفق الفقهاء أن النهيَ فيما نبت بأرضها مما لم يعانـــه البـــشر مـــن الزراعة والخضر [التخضير] والقصيل [القطع]، فإن هذا مباحٌ زراعتُه واختلاؤُه. (إكمال المعلم (471/4).

(5) "**وَلاَ تَحِلُّ سَاقِطَتُهَا إِلاَّ لِمُنْشِدٍ**": أي معرِّف وأما الطالب فيقال له الناشد تقول نشدت الـــضالة إذا طلبتهـــا وأنـــشدتها إذا عرفتها وأصل الانشاد والنشيد رفع الصوت والمعنى لا تحل لقطتها إلا لمن يريد أن يعرفها فقط فأما من أراد أن يعرفها ثم يتملكها فلا.. واختُصت مكة بذلك، لإمكان إيصال اللقطة إلى ربِّها، وقال أكثر المالكية وبعض الشافعية: هـــي - مكـــة -

وَإِمَّا أَنْ يُقِيدَ". فَقَالَ الْعَبَّاسُ: إِلاَّ الإِذْخِرَ، فَإِنَّا نَجْعَلُهُ لِقُبُورِنَا وَبُيُوتِنَا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "إِلاَّ الإِذْخِرَ". فَقَامَ أَبُو شَاه – رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ – فَقَالَ اكْتُبُوا لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "اكْتُبُوا لأَبِي شَاه"[1]. قُلْتُ – يعني الوليد بن مسلم – لِلأَوْزَاعِيِّ: مَا قَوْلُهُ اكْتُبُوا لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ: هَذِهِ الْخُطْبَةَ الَّتِي سَمِعَهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم.[2]

الخطبة في نقاط واقعية وإعلامية:

كان فتح مكة من أكبر المناسبات الإعلامية وأوسعها شمولا وأطولها مدة، في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم "ومما لا شك فيه أن هذا اللقاء العظيم بين المسلمين جميعًا ورسولهم صلى الله عليه وسلم أتاح فرصة واسعة أمام كثيرين ممن جاءوا من مختلف البلاد، فتيسر لهم سماع كثير عن الإسلام وأحكامه، وأتيح لهم أن يسألوه ويستفتوه في كل ما يحتاجون إليه من أمور دينهم، كما أتاحت هذه الفرصة اللقاء بين جميع المسلمين من مختلف أنحاء الجزيرة، والاطمئنان على أحوالهم وأمورهم، ومثل هذه اللقاءات تسهل تناقل أخبار الدعوة وأمورها، وبيان أحكامها وكل ما يتعلق بها... إنه لون من ألوان الإعلام الفريد، يجمع بين المسموع والمنظور، تتجاوب معه النفوس، فتنزع إلى العمل والتطبيق".[3]

1. يظهر في كلمات الخطبة قصر العبارات وجزالة الكلمات وفخامة المعاني ودقة النظم والسبك اللّغويّ، فالرسول يخاطب أهل الفصاحة والبلاغة، وهو منهم بل على رأسهم لتأييده بالوحي السماويّ.

ب. تطرّق الرسول صلى الله عليه وسلم في خطابه إلى القضايا التي كانت تحتل المساحة الأكبر من صفحة الجاهلية، وأبرز سماتها التعدّي على الحقوق ونشر ثقافة الغاب وشريعتها، فأشار بوضوح ومن منطق القوة والسيادة إلى المراد من غير أن يكون هناك غلطٌ مباشر أو هجاء صريح، وهذا شأن من يكون صاحب حجة ومنبع إقناع.

2. بدأ رسولنا صلى الله عليه وسلم بطمأنة المكيين على مستقبلهم وحالهم وما ستؤول إليه أمورُهم، بأن تحليل مكة لن يكون مسموحًا به في إطار الشرع إلا ساعة الفتح، لكنس الباطل وإحلال الحق محلّه.

3. هذا وقد أكد رسولُنا صلى الله عليه وسلم أن الإله الذي منع الفيل من أن يعيث الفساد والخراب بمكة، هو الذي أي الرسول وصحبه المؤمنين بفتح مكة، وهذا معناه أن عليهم أن ينقادوا لله تعالى الذي حمى بيته، ليحموا عقولهم من درن الشرك وآفة العصيان.

كغيرها من البلاد، وإنما تختص مكة بالمبالغة في التعريف؛ لأن الحاج يرجع إلى بلده وقد لا يعود، فاحتاج الملتقط بها إلى المبالغة في التعريف. (فتح الباري (125/5)).

(1) "**اكْتُبُوا لأَبِي شَاه**": فيه دليلٌ على جواز تدوين العلم والسنن وكتبه في الصحائف.

(2) **متفقٌ عليه.**

أخرجه البخاريُّ في صحيحه (125/3)، كتاب اللقطة، باب كيف تُعَرَّف لقطةُ أهل مكةَ ؟. ومسلمٌ في صحيحه، ص 635 رقم 3195، كتاب الحجّ، باب تحريم مكة وصيدها وخلاها وشجرها، ولقطتها إلا لمنشد على الدوام.

كلاهما من طريق الأَوْزَاعِيِّ عن يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ عن أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عن أَبِي هُرَيْرَةَ به.

(3) أضواء على الإعلام في صدر الإسلام، د. محمد عجّاج الخطيب، ص 55.

4. أرسى النبيُّ صلى الله عليه وسلم قواعدَ هامة بصفته القائد الأعلى للقوات الفاتحة والحاكم الأول في مكة، كلها يهدف إلى إشاعة جو السكينة والهدوء والطمأنينة في ربوع مكة، فلا تنفير للطير، ولا قطع للمزروع، ولا استحواذ على اللقطة المكيّة. وكل هذا من شأنه أن يشيع جوّ الألفة أيضًا والتحابب والتواصل، لأن معنى تلك الأوامر من النبي صلى الله عليه وسلم أن الله تعالى سيفتح عليهم ويرزقهم البدائل ويعطيهم من حيث لا يحتسبون ويمنحهم من حيث لا يشعرون.

5. خصّ الرسول صلى الله عليه وسلم الدم بحديث منفرد؛ لكونه الحدث الأجلّ والمصاب الأخطر، وجعل القاتل منتظرًا أحد أمرين: إما العفو من أهل القتيل، أو يُقاد إلى ساحة القصاص العادل فيُقتل مجازاةً بالمثل، وهذا من شأنه أن ينشر الاطمئنان واستشعار أن الحق لا بد واصلٌ أهلَه، كما يجعل الجاهليين المتساهلين في الدماء يفكرون ألف مرة قبل الإقدام على أي خطوة مائلة عن الصواب، ويجعلهم يحجمون خوفًا إن لم يفعلوا عن قناعة وإرادة.

6. كما أن في منتهى الخطاب تأكيدًا على المناحي العلمية والأساليب التعليمية، وأن الذي تدفعه الحاجة والحرص البيّن إلى حفظ مقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن ثَمَّ نشره في الآفاق، له أن يُوثّق ما يبتغي وأن يثبت غيره المعلومة بتقييد الكتابة إن عجز عن حفظٍ في الصدور، كما أن في هذا إشارة واضحة إلى النقل الحرفّ للكلام متى أمكن واستطاع الناقل.

ثالثًا/ خطبة الوداع:

الحجُّ بشكلٍ عام:

لقد كان حج الرسول صلى الله عليه وسلم مناسبة إعلامية عظيمة كان فيها النبي صلى الله عليه وسلم رئيس مؤتمر الحجيج العام الذي جاء من شتى النواحي ومختلف الأصقاع ليستمع إلى البثّ النبوي المباشر وينهل منه مراسلو المناطق الإجابات الواضحة الرسمية في كل ما يريدون.

وإنها من أعظم المناسبات الإعلامية وأبعدها أثرًا في نفوس الأفراد والجماعة في عصر النبي صلى الله عليه وسلم، بل وفي العصور التي تلته، إلى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها، ذلك لأن حجة الرسول صلى الله عليه وسلم تلك هي الحجة الوحيدة التي حجّها في الإسلام ...، ولم تكن مناسبة إعلامية محدودة بزمانها ومكانها، تنقضي آثارها بمضيها، أو يطوي عليها الزمان صفحة النسيان مع توالي الأيام، وتتالي الأجيال، بل إن هذه المناسبة تتجدد في المسلمين كل عام.[1]

"وحجة الوداع من أعظم المناسبات الإسلامية وأبعدها أثرًا في نفوس الأفراد والجماعة في عصر النبيّ صلى الله عليه وسلم، بل وفي العصور التي تلته، إلى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها، ذلك لأن حجة الرسول صلى الله عليه وسلم هذه كانت الحجة الوحيدة التي حجّها في الإسلام، وهو الأسوة

(1) نفسه، ص 59.

الحسنة لجميع المسلمين على مرّ العصور والأزمنة، واختلاف المنازل والدور، وتفاوت البلاد والأوطان".[1]

الوداعُ والإبداعُ في خطبةِ الوداع:

جاء في صحيحِ مسلمٍ من حديثِ جابرِ بنِ عبدِ الله رضي الله عنهما أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم عندما أَتَى عَرَفَةَ انتظر حَتَّى إِذَا زَاغَتِ الشَّمْسُ أَمَرَ بِالْقَصْوَاءِ فَرُحِلَتْ لَهُ فَأَتَى بَطْنَ الْوَادِي فَخَطَبَ النَّاسَ وَقَالَ: "إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، أَلاَ كُلُّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمَيَّ مَوْضُوعٌ، وَدِمَاءُ الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعَةٌ، وَإِنَّ أَوَّلَ دَمٍ أَضَعُ مِنْ دِمَائِنَا دَمُ ابْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ كَانَ مُسْتَرْضِعًا فِي بَنِي سَعْدٍ فَقَتَلَتْهُ هُذَيْلٌ، وَرِبَا الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ وَأَوَّلُ رِبًا أَضَعُ رِبَانَا رِبَا عَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَإِنَّهُ مَوْضُوعٌ كُلُّهُ، فَاتَّقُوا اللَّهَ فِي النِّسَاءِ؛ فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانِ اللَّهِ، وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللَّهِ، وَلَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَنْ لاَ يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ أَحَدًا تَكْرَهُونَهُ. فَإِنْ فَعَلْنَ ذَلِكَ فَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبَرِّحٍ وَلَهُنَّ عَلَيْكُمْ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ، وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ كِتَابَ اللَّهِ. وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ ؟". قَالُوا: نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ وَأَدَّيْتَ وَنَصَحْتَ. فَقَالَ بِإِصْبَعِهِ السَّبَّابَةِ يَرْفَعُهَا إِلَى السَّمَاءِ وَيَنْكُتُهَا إِلَى النَّاسِ: "اللَّهُمَّ اشْهَدِ اللَّهُمَّ اشْهَدْ". ثَلاَثَ مَرَّاتٍ".[2]

أهميةُ وأهدافُ خطبةِ حجةِ الوداع وآثارها على الشخصية المسلمة:

1. تبيان عظيم الحرمة الشخصية والملكية الخاصة، وعدم جواز التعدّي عليها بأي شكل من الأشكال، وتحريمها بين المسلمين إلى قيام الساعة.

2. يقدم رسولنا صلى الله عليه وسلم من نفسه القدوة الكاملة والأسوة الصالحة التي إذا أمرت بدأت بنفسها ولم تستثنِ أهلها وعائلتها وقرابتها، ليكون ذلك أدعى في قبول الأمر وتنفيذ التكليف، وأن الكل سواسية أمام التوجيهات الإلهية والنبوية.

3. إبراز الحق وتجليته، وإزهاق الباطل وتعريته، وأن ما كان من أمر الجاهلية فلا مكان له سوى الأسفل والدونية والاحتقار والازدراء على أعلى مستوياته وبجميع تجلياته.

4. نشر القواعد الإسلامية الكلية، لتفقيه الناس ووضع المحددات العامة لسلوكهم الحيويّ، وأن العلاقة البينيّة يجب أن تكون على أرقى مستوى وفي أعلى النُزُل، ويضرب لذلك مثالا على أكل مال الناس بالباطل وفق المبدأ الجاهليّ: إما أن تقضي وإما أن تربي، فبيّن أنه ليس لأحد من ماله الذي داينه إلا رأسه وأن الزيادت التي يضعها مع تراكم الزمن موضوعة، والوضع معناه إزالة أحقية صاحبها بها، مع كونها منخفضة الشأن مستحقرة، وهذا واضحٌ في كتاب الله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ

---

(1) الإعلام في صدر الإسلام، عبد اللطيف حمزة، ص 59.

(2) صحيح مسلم، ص 575 رقم 2839، كتاب الحجّ، باب حجة النبيّ صلى الله عليه وسلم. من طريق جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ حُسَيْنٍ عَنْ أَبِيهِ عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ به.

مِنَ الرِّبا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لا تَظْلِمُونَ وَلا تُظْلَمُونَ"[1].

5. التأكيد على حرمة البيت الزمانية والمكانية، وأن على المسلمين أن ينشئوا حالة من التكامل والتفاعل من أجل الحفاظ عليه، فهو وإن ورد بأسلوب الخبر إلا أنه يفيد الإنشاء، بمعنى: أيها المسلمون، حافظوا على حرمة البيت الحرام.

6. إعلان مبدأ المساواة في أكمل صورة بين الرجل والمرأة، وإبراز قيمة المرأة وإيجاب احترامها شخصًا وكيانًا، وأن على من كانت له القوامة على زوجته أن يراعي حق الله فيها، فلا يظلمها ولا يهينها.

7. من حرص النبيّ صلى الله عليه وسلم على أمته لأنه سيغادر عتبة الدنيا إلى الرفيق الأعلى، فإنه أعطى لأمته من أسباب التقوّي الإيماني والزاد الروحاني والتبصرة في طريق الحياة ما يدلهم على المعيار الخالد والمقياس الأعظم متمثلا بالقرآن والسنة المطهرة، بحيث ما وافق هذين المصدرين كان مقبولا وما خالفهما كان الرد جوابَنا عليه.

8. بناء الشخصية المسلمة والمجتمع الإسلامي الفاضل، وإبراز ملامحه العامة والتأكيد على أدائها.

9. استخدم النبيِّ صلى الله عليه وسلم مبدأ الحوار البسيط في الختام، ليستجلب إقرار المستمعين على سماع كلامه، وأنه علامةٌ على تطبيقهم بعد ذلك.

الجوانب الإعلامية في خطبة الوداع

1- حسن الابتداء وبراعة الاستهلال لتهيئة المتلقي لقبول الفكرة:

إن من بلاغة القول التألق في المدخل المثير للانتباه، وجعله نابضا بالحركة والحياة، حتى يصل المعنى إلى قلب السامع في أحسن صورة، فيكون أدعى للإقناع بالأفكار، وقد تميزت خطب النبي صلى الله عليه وسلم في اتصاله بالناس كلها بحسن الابتداء وخاصة في هذه الخطبة.

2الانتقال من الاتصال المباشر بالجماعة الإسلامية إلى الاتصال الجماهيري:

فقد كانت هذه الخطبة بمثابة البيان الختامي لرسالة الإسلام، حمل الرسول صلى الله عليه وسلم أمته أمانة تبليغها إلى من لم تبلغه من البشر في كل أصقاع الدنيا.

3- الإعلان عن حقوق الإنسان في الإسلام:

بهذا البيان في هذه الخطبة الجامعة حقنت الدماء التي لم يكن لها قبل الإسلام حرمة كالتي حظيت بها بعد الإسلام، وحرم الاعتداء على الأموال والأعراض بغير حقّ.

4- إعلان مبدأ المسؤولية الإعلامية في الإسلام:

وذلك انطلاقا من قول الله تعالى: "وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ"[2]، ولذا نرى أن الرسول صلى الله عليه وسلم حمَّل جمهور المسلمين مسؤولية الإعلام بدين الله، وأداء واجب البلاغ المبين، وهم بدورهم حملوا هذه المسؤولية لكل أفراد الأمة.

---

(1) البقرة: 278-279.

(2) آل عمران: 104.

5- التكرار وأهميته:

أ. جذب انتباه المستقبل للرسالة الإعلامية ليقبل بعقله وحواسه لتلقي الرسالة وليبتعد في نفس الوقت عن مختلف عوامل التشويش التي تؤثر على فاعلية العملية الإعلامية.

ب. التأكيد على أهمية الرسالة وقيمها وضرورة استيعابها وحفظها.[1]

المطلب الثاني/ الحـــوار:

يعدُّ الحوار من أهم وسائل التواصل وأصدقها في إعطاء المراد للطرف الآخر بعد استنطاقه مطلوبه، واستخباره عن الكلمات أو الحالات التي تحتاج إلى تعرّف أقرب وسؤال صاحب الحاجة نفسه، وقد استخدم النبيُّ صلى الله عليه وسلم هذا الأسلوب في أكثرَ من موطن من سيرته المطهّرة، لحرصه على التواصل مع صحابته والناس.

وكما قيل فإنه "إذا ساد الحوار القائم على احترام رأي الآخر، سادت المودة حتى مع اختلاف الرأي، ذلك أن الحوار يعطي للنفس فرصة بثّ همومها والكشف عن إشكاليّاتها ومكامنها المعتمة، ويفيد من ذلك الكشف كل من المتحاورين معًا".[2]

أدبيات المحادثة أو الحوار عند الرسول عليه السلام:

1. الاحترام المتبادل: وقد كان رسولنا صلى الله عليه وسلم يحترم من يحاوره ولو كان مشركًا، يتخيّر الألفاظ والعبارات، في ذوق وحسن أدب.
2. الجدل بالتي هي أحسن: وهذا يتطلب اتباع الأسلوب الليّن والكلمة الطيبة والردّ اللطيف.
3. حسن الاستماع والفهم: والرسول صلى الله عليه وسلم يعلمنا دروسًا كثيرة من حيث إعطاء الفرصة للمحاور حتى يفرغ، ثم الطلب منه أن يضيف إلى حديثه إذا نسي شيئًا، وهو في كل ذلك لا يقاطعه أبدًا.
4. تجنّب جارح الكلام وفاحش القول: وهدوء النفس وعفة اللسان وطهارة القلب، فلم يكن رسولنا صلى الله عليه وسلم سبّابًا ولا فاحشًا ولا لعّانًا.[3]
5. تجنب تكذيب المتكلم وتسخيفه، فاحترام وجهة نظره أمر توجبه حرية الرأي.
6. التأني قبل إطلاق التعميمات والأحكام.[4]

خصائص شخصية النبي في الحوار:

"يمثل الحوار مهارة رفيعة المستوى، تتطلب من صاحبها مراعاة الآداب اللازمة لذلك، من قوة الشخصية، والقدرة على الإقناع، وحسن الاستماع، وامتلاك الأداء التهذيبي عند الحوار، ومراعاة مقامات المتحدثين، والانتباه إلى مسألة ملاءمة الوقت والمكان والظرف. يُزاد على ذلك السمات الشخصية اللازمة

---

(1) انظر: الجوانب الإعلامية في خطب الرسول صلى الله عليه وسلم (86-110).

(2) مهارات الاتصال، راشد علي عيسى، ص 49.

(3) انظر: الحكمة والحوار "علاقة تبادلية"، عباس محجوب، ص 191-198.

(4) مهارات الاتصال، راشد علي عيسى، ص 99.

من مرونة وحزم ولين وشجاعة وهدوء، ومستوى علوّ الصوت وخفضه وتنويعه، وحسن الهيئة والهندام، وإدارة ملامح الوجه بالابتسام أو الجدّ أو العبوس، واستخدام لغة الجسد بدراية وحنكة، وغير ذلك مما يلزم المحاور الدبلوماسي الفائق".[1]

وهذه المواصفات جميعها كانت موجودة في شخص النبي صلى الله عليه وسلم، بل إنك إذا أردت أن تجعل سمات للمحاور الناجح في نقاط، فما عليك إلا أن تقتبس ذلك من سيرة المصطفى عليه السلام.

أولُ خطوةٍ في الاتصالِ الناجحِ إنصاتٌ:

فعندما أراد أبو الوليد عتبة بن ربيعة مناقشة الرسول صلى الله عليه وسلم في أمر الرسالة ليثنيه عنه، كان أول ما قاله له النبيُّ عليه السلام: "قل أبا الوليد أسمعْ"، هكذا وناداه بأحب أسمائه إليه، ولم يقاطعه البتّة، بل إنَّ أبا الوليد عندما أنهى كلامه، قال له الرسول: "أفرغت يا أبا الوليد"، حتى يتأكد من أن المجال سيكون مفتوحًا أمامه للحديث بلا مقاطعة، وعندما أجابه أبو الوليد إيجابًا استسمعه رسولنا صلى الله عليه وسلم واستصغاه، ليهيئ لديه البيئة السمعية والعقلية لاستيعاب ما سيقول.[2]

وجاء عن الضحَّاك بن مزاحم أنه قال: "أول باب العلم: الصمت، والثاني: استماعُه، والثالث: العمل به، والرابع: نشره وتعليمه". وجاء عن محمد بن النضر الحارثي: "كان يُقال: أول العلم الإنصات له، ثم الاستماع له، ثم حفظُه، ثم العمل به، ثم بثُّه".[3]

كما جاء عن الأصمعي قولُه: "سمعتُ أعرابيًّا يقول: لا ينتفع الرجل بالقول – وإن كان بليغًا – مع سوء الاستماع". واعتبر الأوزاعيُّ أن كمال الاستماع يعطي تمام القوة في تحمل الرواية فقال: "حسن الاستماع قوة للمحدِّث"[4]، وأبلغ من كل ما سبق ما نُقِل عن حفص بن غياث قال: "حدثنا بعض أصحاب عطاء عن عطاء قال: "إن الشابَ ليتحدَّثُ بحديث فأستمع له كأني لم أسمع، ولقد سمعتُه قبل أن يُولدَ".[5]

جعفرٌ رضي الله عنه في الحبشة .. المحاورُ المبدِع:

شكّل وجود المهاجرة الأولى إلى الحبشة استحداث أول جالية إسلامية، كان ينبغي أن يكون لها ناطق رسمي باسمها، كما يظهر على صعيد المهتمين بالإعلام، إذ من الضرورة بمكان أن تكون لدى كل مؤسسة أو هيئة أو تجمع فضلا عن الدول والاتحادات من يتكلم باسمها ويكون عندها مصدر المعلومات المركزية، يعرف ما يسمح منها بنشره وما يظل طيّ الكتمان، على أن يكون متمتعًا بصفات جوهرية لازمة يمكن استنباطها من خلال الحوار الذي دار بين جعفرٍ رضي الله عنه سفير الرسول صلى الله عليه وسلم في الحبشة والنجاشي في وجود عمرو بن العاص رضي الله عنه داهية العرب:

---

(1) نفسه، ص 56.

(2) انظر القصة: السيرة النبوية لابن هشام (1/293–294).

(3) الجامع (1/194).

(4) نفسه (1/195).

(5) السابق (1/200).

أولاً: التمهيد للفكرة الإيجابية بنقض السلبية

يقول منير الغضبان: "لقد استطاع جعفر رضي الله عنه أن يقدم الإسلام بصورة فريدة قلما نجد لها نظيرًا في التاريخ".[1]

فقد عرض جعفر رضي الله عنه لمساوئ الجاهلية باختصار، وبمشاهد تنفر منها النفس، ويزدريها الشعور العام، ولا يقبلها عاقل أيًّا كان.

ثانيًا: دقة الطرح لفكرة الدعوة مع الإيجاز غير المخلّ

بعد الجزئية الأولى صار الطريق معبدًا وسلسًا لسماع البديل عن السابق بتلهف، فقدم جعفر الصورة الواقعية المشرقة التي اختصرها في محاسن الأخلاق وأسس الإسلام العامة التي تستهوي كل حصيف أريب بله ملك حكيم مجرب.

ثالثًا: استمالة الجانب الآخر للوقوف مع المتحدث

وذلك بسرد جعفر لجملة بسيطة من أحداث الاضطهاد والمعاناة التي لاقوها من قومهم، لا لسبب إلا أنهم قالوا ربنا الله، واستخدم لذلك أدق العبارات وأقوى الوشائج بينها.

رابعًا: المدح المتزن للجهة الأخرى (للملك)

بحيث كان من غير إسفاف ولا قلب للحقيقة لما عداها، وذُكرت فيه الأشياء الإيجابية التي مثلت حافز المسلمين طالبي اللجوء إلى الحبشة في اختيار الحبشة عن غيرها، وإثارة مكامن النخوة والشهامة والرجولة في نفس الملك لإنقاذ المستضعفين.

خامسًا: إغفال نقاط الخلاف

إذ المطلوب تحصيل النفع العام للمسلمين، من خلال بوابة القواسم المشتركة والمصالح المتقاطعة، من غير تنازلات في جوهر العقيدة، بل كان استخدام الكلمة السواء موفقًا في غاية التوفيق من جعفر عندما اختار صدر سورة مريم ليقرأه فأثار شجون النجاشي لدرجة أنه صرح بانتماء دين محمد إلى دين عيسى، ثم أعطى المسلمين تجديد عقد الأمان.

الرسولُ والمشركون في حوار الحكم المسبق:

وأول الدعوة الإسلامية وبداية بروز نجمها في السماء القرشية كانت هناك تواصلات مباشرة وغير مباشرة بين الرسول صلى الله عليه وسلم وقادة الشرك المكيّ.

وكانت السمة الغالبة على لغة المشركين أنهم كان عندهم حكمٌ مسبقٌ على قضية النقاش مع الرسول صلى الله عليه وسلم، ويبدو أنهم كانوا يعتقدون أن الجواب المطلوب من الرسول مباشرة دون تعب ولا عنت، ولكن هذا لم يكن في حسبانهم بالمطلق، فخابوا وخسروا.

وعندما لم يستطع مشركو قريش أن ينتزعوا من الرسول صلى الله عليه وسلم موقفًا بتراجعه بعد سلسلة الاضطهادات والتعذيبات التي لحقت به وبصحبه الكرام، رأت أن تتخذ الأسلوب الفرعونيَّ في

(1) المنهج الحركي للسيرة النبوية (95/1).

النقاش المتعالي قبل العود مرة أخرى إلى استخدام القوة الهائجة، فأرسلوا إليه بدعوى القرابة وإرادة الحل الجذريّ، فكان ملخص الحوار بينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم تقريعًا للنبي واتهامَه بأشنع التهم "فما بقي من قبيح إلا قد جئته فيما بيننا وبينك"، وعرضوا عليه المالَ والتسويدَ والعلاجَ من المرض إن كان، والطبَّ إذا كان ممسوسًا من الجن. ففنّد ما قالوه، وأنه لا يطلب شيئًا مما يظنون، وبين أنه رسولُ ربه، فإما يقبلوه فينجوا، أو يتركوه فيهلكوا. فلما أدركوا أن الأمر ازداد تعقيدًا صاروا يطالبون النبي بالمعجزات بهدف التعجيز لا الإيمان، مثل بسط بلادهم وتفجير الأنهار، ورجعة قصيٍّ بنِ كلابٍ، أو إرسال ملك ليصدق النبي، أو أن يكون للنبي جنات وكنوز وقصور. فيرد عليهم النبي بنحوٍ مما سبق، ويزيد: "ما أنا بفاعل".

فصاروا يطلبون العذاب من ربهم استهزاء وسخرية، وشككوا في أن مصدر الوحي سماوي وادّعوا أرضيته. فما كان من النبي إلا أن انصرف عنهم حزينًا أنه لم يستطع أن يؤثر فيهم.

وواضحٌ من السياق الكامل للحوار أن النبي صلى الله عليه وسلم وعلى الرغم من الإساءات الخطيرة والمدعاة التي كانوا يفترونها على شخصه الكريم، إلا أنه لم يقاطعهم ولم تستفزه كلماتهم، وإنما كان يرد عليه بحكمة وواقعية.

وقد حاور المصطفى صلى الله عليه وسلم بالأحجية (وهي اللغز يتبارى الناسُ في حلِّه):

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً لاَ يَسْقُطُ وَرَقُهَا، وَإِنَّهَا مَثَلُ الْمُسْلِمِ، فَحَدِّثُونِي مَا هِيَ ؟ فَوَقَعَ النَّاسُ فِي شَجَرِ الْبَوَادِي. قَالَ عَبْدُ اللَّهِ وَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ، فَاسْتَحْيَيْتُ ثُمَّ قَالُوا حَدِّثْنَا مَا هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ: "هِيَ النَّخْلَةُ".[1]

وفي الحديث إثارةُ الرأي العام نحو تفكير معيّن لاستكناه دواخلهم ومعرفة كيفية تفكيرهم واتجاهاتهم، استنادًا إلى معلومات صحيحة، فقد يطرح الإمام عبر الفضائيات أو غيرها أسئلة معينة يتعسس فيها الأخبار الحقيقية عنه، ويتحسس أحوال رعيته، فيتجه الإعلام لتحصير بعض الأسئلة التي تحتمل وجوهًا متعددة، وقطعًا ستختلف الإجابات باختلاف المجيبين، لكن بتحليلها جميعًا ستكتمل الصورة النموذجية لما هو موجودٌ بالحقيقة الطبيعية عن غالب الناس، من غير عناء ولا جهد كبير، وهذا ما يجعلنا نفتخر أحيانًا بالآلة الإعلامية المعاصرة الضخمة إذا استخدمناها الاستخدام النافع، فاستطلاعٌ عبر الانترنت مثلا يضمن السرية مع السرعة المناسبة لاستقصاء الآراء حول قضية معينة ودراسة الظروف في إطارها، وضمن العينة العشوائية التي تتطلبها أمثال هذه الإجراءات الإنسانية رائعة النتاج.

ولذا فقد ترجم البخاري فأحسن وأجزل إذ قال فيها: "ليختبر ما عندهم من العلم" في ترجمة أخرى، إذ قد كان بمقدور الرسول صلى الله عليه وسلم أن يفيد صحابته بتلك المعلومة من غير استفزاز آلة

---

(1) **متفقٌ عليه.**

أخرجه البخاريّ في صحيحه (22/1)، كتاب العلم، باب قول المحدِّث حدثنا وأنبأنا وأخبرنا. ومسلمٌ في صحيحه، ص 1383 رقم 6992، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب مثل المؤمن مثل النخلة. كلاهما من طريق إِسْمَاعِيلَ بْنِ جَعْفَرٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما به.

تفكيرهم، ولكنه أراد مرمىً بعيدًا، وهو التصنيف العملي لعقول المسئولين وترتيبهم في مجموعات غير معلنة يتم التواصل معها بعد ذاك بالشكل الإداري الذي يضع كل منزلة من منازل العلم في أهلها.

حوار النبي عليه السلام مع ثُمَامَةَ بنِ أُثَال:

جاء في صحيح البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: بَعَثَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم خَيْلاً قِبَلَ نَجْدٍ، فَجَاءَتْ بِرَجُلٍ مِنْ بَنِي حَنِيفَةَ[1] يُقَالُ لَهُ ثُمَامَةُ بْنُ أُثَال، فَرَبَطُوهُ بِسَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: "مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ ؟".

فَقَالَ: عِنْدِي خَيْرٌ يَا مُحَمَّدُ؛ إِنْ تَقْتُلْنِي تَقْتُلْ ذَا دَمٍ، وَإِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَى شَاكِرٍ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْمَالَ فَسَلْ مِنْهُ مَا شِئْتَ. حَتَّى كَانَ الْغَدُ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: "مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ ؟".

قَالَ: مَا قُلْتُ لَكَ إِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَى شَاكِرٍ. فَتَرَكَهُ حَتَّى كَانَ بَعْدَ الْغَدِ، فَقَالَ: "مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ ؟".

فَقَالَ: عِنْدِي مَا قُلْتُ لَكَ. فَقَالَ: "أَطْلِقُوا ثُمَامَةَ"، فَانْطَلَقَ إِلَى نَخْلٍ قَرِيبٍ مِنَ الْمَسْجِدِ فَاغْتَسَلَ ثُمَّ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ..[2] الحديث.

وفي الحديث عدة أمور ينبغي التوقف عندها للاستفادة:

1. تبيان معرفة الرسول صلى الله عليه بأحوال الناس ومقاماتهم عند أقوامهم، وعلمه بأن احترام سيد القوم احترامٌ لجميع قومه.

2. كما برز حوار الرسول عليه السلام مع ثمامة بالابتسام واستقباله بالبشر ووضاءة الوجه، مما عكس على قلب وروح ثمامة إضمارًا للإيمان إن هو خُلِّص من حالة التقييد، وقد كان.

3. وفيه المنّ على الأسير الكافر بالعفو، بعد ملاطفته ومعاملته بالحسنى طمعًا في إسلامه، أو على الأقلّ سيتم من خلاله شيئان: نشر أسلوب التعامل السمح من قبل المسلمين معه لقومه ولمن ينتهي إليهم من أشراف القبائل، ثم تحييده عن قتال المسلمين ومحاربتهم، وفي كلٍّ خيرٌ.

4. المعاملة باللطف تفضي في الغالب إلى نتائج منقطعة النظير، وهذا الذي جعل نفسية ثمامة تجاه الرسول تنقلب تمامًا من بغض كامل إلى حب كامل، ومن كراهيته للبلد إلى حبها واحترامها، وهذا يعني أن المسلم الواحد قد يكون سببًا في حب الإسلام وبلاده من خلاله، فلا يستهن بموقعه وموقفه.

---

(1) **حنيفة**: قبيلة كبيرة شهيرة ينزلون اليمامة بين مكة واليمن. (فتح الباري (861/7).

(2) صحيح البخاريّ (169/1)، كتاب المغازي، باب وفد بني حنيفة، وحديث ثمامة بن أثال. من طريق اللَّيْثِ عن سَعِيدِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ عن أَبِي هُرَيْرَةَ به.

وهذه هي تتمة الحديث:

يَا مُحَمَّدُ: وَاللَّهِ مَا كَانَ عَلَى الأَرْضِ وَجْهٌ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ وَجْهِكَ، فَقَدْ أَصْبَحَ وَجْهُكَ أَحَبَّ الْوُجُوهِ إِلَيَّ، وَاللَّهِ مَا كَانَ مِنْ دِينٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ دِينِكَ، فَأَصْبَحَ دِينُكَ أَحَبَّ الدِّينِ إِلَيَّ، وَاللَّهِ مَا كَانَ مِنْ بَلَدٍ أَبْغَضُ إِلَيَّ مِنْ بَلَدِكَ، فَأَصْبَحَ بَلَدُكَ أَحَبَّ الْبِلاَدِ إِلَيَّ، وَإِنَّ خَيْلَكَ أَخَذَتْنِي وَأَنَا أُرِيدُ الْعُمْرَةَ، فَمَاذَا تَرَى فَبَشَّرَهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَأَمَرَهُ أَنْ يَعْتَمِرَ، فَلَمَّا قَدِمَ مَكَّةَ قَالَ لَهُ قَائِلٌ: صَبَوْتَ. قَالَ: لاَ، وَلَكِنْ أَسْلَمْتُ مَعَ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، وَلاَ وَاللَّهِ لاَ يَأْتِيكُمْ مِنَ الْيَمَامَةِ حَبَّةُ حِنْطَةٍ حَتَّى يَأْذَنَ فِيهَا النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم.

5. تكرار السؤال استشفافاً لداخل قد يتغير مع الساعات والمعاملة، وكان الهدف من تكرار الإجابة على نفس السؤال على مدار أيام التحقيق الثلاثة "سبرَ غور سيد الحجاز – يعني الرسول صلى الله عليه وسلم –، وروحُه بيدِه، وكرامتُه بيدِه، وهو لا يملك حتى إعلانَ قومِه عن حالِه، إنه لا يدري مصيرَه، لكنه لا يعطي على إطلاقِ السراحِ إلا الشكرَ".[1]

يعلق منير الغضبان على القصة بقوله:

إنها قصة العظمة النبوية الخالصة في التربية السياسية لخصومه وأعدائه، فقد ساق الله تعالى هذا العدوَّ الذي جاءه الكتاب من النبي صلى الله عليه وسلم فلم يأبه به، ولعله اشترط المشاركة في الحكم أو سب سبًّا قبيحًا، لا ندري، لكن الذي ندريه أن محمدًا عنده هو أبغض العدو، وأكره الخلق، وانعكس هذا الكره والمقت على دين محمد، وبلد محمد.[2]

الحوارُ الذي دار بين النبي صلى الله عليه وسلم وسهيلِ بنِ عمرو قبيل صلح الحديبية[3]:

قَالَ مَعْمَرٌ: فَأَخْبَرَنِي أَيُّوبُ عَنْ عِكْرِمَةَ، أَنَّهُ لَمَّا جَاءَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: "لَقَدْ سَهُلَ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ". قَالَ مَعْمَرٌ: قَالَ الزُّهْرِيُّ فِي حَدِيثِهِ: فَجَاءَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو فَقَالَ: هَاتِ، اكْتُبْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ كِتَابًا، فَدَعَا النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم الْكَاتِبَ،

فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: "بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ".

قَالَ سُهَيْلٌ: أَمَّا الرَّحْمَنُ فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا هُوَ، وَلَكِنِ اكْتُبْ بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ. كَمَا كُنْتَ تَكْتُبُ.

فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ: وَاللَّهِ لاَ نَكْتُبُهَا إِلاَّ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ.

فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: "اكْتُبْ بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ". ثُمَّ قَالَ: "هَذَا مَا قَاضَى عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ".

فَقَالَ سُهَيْلٌ: وَاللَّهِ لَوْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ مَا صَدَدْنَاكَ عَنِ الْبَيْتِ وَلاَ قَاتَلْنَاكَ، وَلَكِنِ اكْتُبْ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ.

فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: "وَاللَّهِ إِنِّي لَرَسُولُ اللَّهِ وَإِنْ كَذَّبْتُمُونِي. اكْتُبْ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ".

قَالَ الزُّهْرِيُّ وَذَلِكَ لِقَوْلِهِ: "لاَ يَسْأَلُونِي خُطَّةً يُعَظِّمُونَ فِيهَا حُرُمَاتِ اللَّهِ إِلاَّ أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا".

فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: "عَلَى أَنْ تُخَلُّوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْبَيْتِ فَنَطُوفَ بِهِ".

فَقَالَ سُهَيْلٌ: وَاللَّهِ لاَ تَتَحَدَّثُ الْعَرَبُ أَنَّا أُخِذْنَا ضُغْطَةً[4] وَلَكِنْ ذَلِكَ مِنَ الْعَامِ الْمُقْبِلِ فَكَتَبَ.

فَقَالَ سُهَيْلٌ: وَعَلَى أَنَّهُ لاَ يَأْتِيكَ مِنَّا رَجُلٌ، وَإِنْ كَانَ عَلَى دِينِكَ، إِلاَّ رَدَدْتَهُ إِلَيْنَا.

---

(1) التربية السياسية، منير الغضبان، (224/1).

(2) نفسه، (222/1).

(3) **الحُدَيْبِيَة:** بضم الحاء وفتح الدال وياء ساكنة وهناك من شدّدها، قرية متوسطة ليست بالكبيرة، سميت ببئر عند الشجرة التي بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم تحتها، وقيل سميت بشجرة حدباء كانت في ذلك الموضع. بينها وبين مكة مرحلة، وبينها بين المدينة تسع مراحل. (معجم البلدان، للحموي، بتصرف (229/2).

(4) **ضُغْطَةً:** قهرًا. (فتح الباري (484/5).

قَالَ الْمُسْلِمُونَ: سُبْحَانَ اللَّهِ كَيْفَ يُرَدُّ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَقَدْ جَاءَ مُسْلِمًا ؟

فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ دَخَلَ أَبُو جَنْدَلِ بْنُ سُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو يَرْسُفُ فِي قُيُودِهِ، وَقَدْ خَرَجَ مِنْ أَسْفَلِ مَكَّةَ، حَتَّى رَمَى بِنَفْسِهِ بَيْنَ أَظْهُرِ الْمُسْلِمِينَ.

فَقَالَ سُهَيْلٌ: هَذَا يَا مُحَمَّدُ أَوَّلُ مَا أُقَاضِيكَ عَلَيْهِ أَنْ تَرُدَّهُ إِلَيَّ.

فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: "إِنَّا لَمْ نَقْضِ الْكِتَابَ بَعْدُ". قَالَ: فَوَاللَّهِ إِذًا لَمْ أُصَالِحْكَ عَلَى شَيْءٍ أَبَدًا.

قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: "فَأَجِزْهُ لِي"[1]. قَالَ: مَا أَنَا بِمُجِيزِهِ لَكَ.

قَالَ: :بَلَى، فَافْعَلْ". قَالَ: مَا أَنَا بِفَاعِلٍ.

قَالَ مِكْرَزٌ [بن حفص، وهو أحد أعضاء وفد التفاوض مع النبيّ صلى الله عليه وسلم بالإضافة إلى حويطب بن عبد العزّى]: بَلْ قَدْ أَجَزْنَاهُ لَكَ.

قَالَ أَبُو جَنْدَلٍ: أَيْ مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ، أُرَدُّ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَقَدْ جِئْتُ مُسْلِمًا أَلاَ تَرَوْنَ مَا قَدْ لَقِيتُ ؟! وَكَانَ قَدْ عُذِّبَ عَذَابًا شَدِيدًا فِي اللَّهِ.

قَالَ فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: فَأَتَيْتُ نَبِيَّ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَقُلْتُ أَلَسْتَ نَبِيَّ اللَّهِ حَقًّا ؟! قَالَ: "بَلَى".

قُلْتُ: أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ وَعَدُوُّنَا عَلَى الْبَاطِلِ ؟!

قَالَ: "بَلَى". قُلْتُ: فَلِمَ نُعْطِ الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا إِذًا ؟!

قَالَ: "إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ، وَلَسْتُ أَعْصِيهِ وَهْوَ نَاصِرِي". قُلْتُ: أَوَلَيْسَ كُنْتَ تُحَدِّثُنَا أَنَّا سَنَأْتِي الْبَيْتَ فَنَطُوفُ بِهِ؟

قَالَ: "بَلَى، فَأَخْبَرْتُكَ أَنَّا نَأْتِيهِ الْعَامَ ؟". قَالَ: قُلْتُ لاَ.

قَالَ: "فَإِنَّكَ آتِيهِ وَمُطَوِّفٌ بِهِ". قَالَ: فَأَتَيْتُ أَبَا بَكْرٍ فَقُلْتُ يَا أَبَا بَكْرٍ، أَلَيْسَ هَذَا نَبِيَّ اللَّهِ حَقًّا ؟! قَالَ: بَلَى.

قُلْتُ: أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ وَعَدُوُّنَا عَلَى الْبَاطِلِ ؟ قَالَ: بَلَى.

قُلْتُ: فَلِمَ نُعْطِ الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا إِذًا ؟! قَالَ: أَيُّهَا الرَّجُلُ، إِنَّهُ لَرَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَلَيْسَ يَعْصِي رَبَّهُ وَهْوَ نَاصِرُهُ، فَاسْتَمْسِكْ بِغَرْزِهِ، فَوَاللَّهِ إِنَّهُ عَلَى الْحَقِّ.

قُلْتُ: أَلَيْسَ كَانَ يُحَدِّثُنَا أَنَّا سَنَأْتِي الْبَيْتَ وَنَطُوفُ بِهِ ؟! قَالَ: بَلَى، أَفَأَخْبَرَكَ أَنَّكَ تَأْتِيهِ الْعَامَ ؟ قُلْتُ: لاَ. قَالَ: فَإِنَّكَ آتِيهِ وَمُطَوِّفٌ بِهِ.

قَالَ الزُّهْرِيُّ: قَالَ عُمَرُ فَعَمِلْتُ لِذَلِكَ أَعْمَالاً.

قَالَ: فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ قَضِيَّةِ الْكِتَابِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم لأَصْحَابِهِ: "قُومُوا فَانْحَرُوا، ثُمَّ احْلِقُوا".

قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا قَامَ مِنْهُمْ رَجُلٌ حَتَّى قَالَ ذَلِكَ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا لَمْ يَقُمْ مِنْهُمْ أَحَدٌ دَخَلَ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ، فَذَكَرَ لَهَا مَا لَقِيَ مِنَ النَّاسِ. فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَتُحِبُّ ذَلِكَ اخْرُجْ ثُمَّ لاَ تُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ كَلِمَةً حَتَّى تَنْحَرَ

---

(1) **فَأَجِزْهُ لِي:** من الإجازة، أي أمضِ لي فعلي فيه فلا أردُّه إليك، أو أستثنيه من القضية.

ومعنى (أجرناه لك) في قول مِكرز وحويطب بأن أبا جندل لن يعذَّب، وأنهما سيحميان من أبيه. (فتح الباري(486/5).

بُدْنَكَ، وتَدْعُوَ حَالِقَكَ فَيَحْلِقَكَ. فَخَرَجَ فَلَمْ يُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ، حَتَّى فَعَلَ ذَلِكَ نَحَرَ بُدْنَهُ، وَدَعَا حَالِقَهُ فَحَلَقَهُ. فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ، قَامُوا فَنَحَرُوا، وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَحْلِقُ بَعْضًا، حَتَّى كَادَ بَعْضُهُمْ يَقْتُلُ بَعْضًا غَمًّا....[1]

شرح بعض المقاطع الهامّة:

*** قول عُمَرُ: فَعَمِلْتُ لِذَلِكَ أَعْمَالاً:**

قال ابن حجر عن بعض الشرَّاح: أي من الذهاب والمجيء والسؤال والجواب، ولم يكن ذلك شكًّا من عمر، بل طلبًا لكشف ما خفي عليه، وحثًّا على إذلال الكفار، لما عرفه من قوته في نصرة الدين.

ويعلق ابن حجر بأن ذلك مردودٌ، بل المراد به الأعمال الصالحة ليكفر عنه ما مضى من التوقف في الامتثال ابتداءً.[2]

*** قوله: "فَوَاللَّهِ مَا قَامَ مِنْهُمْ رَجُلٌ":**

قيل كأنهم توقفوا لاحتمال أن يكون الأمر بذلك للندب، أو لرجاء نزول الوحي بإبطال الصلح المذكور، ويُحتمل أن يكونوا ألهتهم صورة الحال فاستغرقوا في الفكر لما لحقهم من الذلّ عند أنفسهم مع ظهور قوتهم واقتدارهم في اعتقادهم على بلوغ غرضهم وقضاء نسكهم بالقهر والغلبة، أو أخروا الامتثال لاعتقادهم أن الأمر المطلق لا يقتضي الفور، ويُحتمل مجموع هذه الأمور لمجموعهم.[3]

قَالَ أَبُو جَنْدَلٍ: أَيْ مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ، أُرَدُّ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَقَدْ جِئْتُ مُسْلِمًا أَلاَ تَرَوْنَ مَا قَدْ لَقِيتُ ؟! وَكَانَ قَدْ عُذِّبَ عَذَابًا شَدِيدًا فِي اللَّهِ.

إنهم – أي الصحابة – أمام هذا المنظر الذي بكت له قلوبهم قبل عيونهم يشعرون وكأن أيديهم مشدودة إلى الوراء؛ شدها الوفاء بالعهد الذي أعطاه النبي صلى الله عليه وسلم قريشًا، وشرف الكلمة التي التزم تنفيذها ضمن نصوص معاهدة الصلح، الذي جعلهم يقفون مكتوفي الأيدي لا يجرؤون على التعرض لسهيل بن عمرو الذي صادر حرية ابنه الشاب المسلم وأجبره على العودة ليعيش في مجتمع الوثنية الذي لا يريد العيش فيه.[4]

*** من فوائد ومواقف الحديبية الهامة:**

1. كان النبيُّ صلى الله عليه وسلم يعجبه الاسمَ الحسنَ والفألَ الحسنَ، وعندما رأى أن رأس المفاوضين سهيلٌ، أشار إلى المسلمين بأن الأمر سيسهل ويتيسر.

2. وفي الأثر تأكيدٌ على أهمية الكتابة والتوثيق، خاصة إذا كان الأمر مع المشركين والأعداء، حتى لا يكون هناك تلاعبٌ بالنصّ ما إذا كان شفهيًا، بالإضافة إلى أن الأصل في السلوك الدوليّ والعلاقات العامة التوثيق لا الثقة.

---

(1) صحيح البخاريّ (3/195–196)، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط. من طريق الزُّهْرِيِّ عن عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ عَنِ الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ وَمَرْوَانَ [ين الحكم] به.

(2) فتح الباري (5/488).

(3) نفسه (5/489).

(4) صلح الحديبية، محمد أحمد باشميل، ص 323.

3. وقع خلافٌ شديدٌ جدًا أثناء كتابة الوثيقة مردُّه إلى صلف سهيلٍ ومحاولته الاستحواذ على طبيعة النصّ، لدرجة أن المسلمين تدخلوا في هذا الأمر واعترضوا بشدة وقالوا أنهم لن يسمحوا بأي تغيير لما رأوه من دنية يعطونها في دينهم، وهذا بعيدٌ عن جوّ المفاوضات والدبلوماسية التي تفترض على صاحبها أن يكون له سقفٌ أعلى وسقفٌ بديل لا ينزل عنه، وهذا ما كان من رسولنا صلى الله عليه وسلم الذي رأى أن الجوهر العام للاتفاق لن تغيره بعض الكلمات، وفي كل الأحوال فإن كتابة: محمد رسول الله، لن يكون معناها ولا مؤداها اعترافًا قرشيًا بنبوة المصطفى، والهدف في الاتفاق تحديد طرفيه، فهذا ليس مفيدًا الوقوف عنده كثيرًا.

4. قبول النبي صلى الله عليه وسلم لأداء العمرة العام القابل للصلح، فيه قمة الحنكة المحمدية، ذلك أن الخيار الثاني ربما سيكون المواجهة العسكرية المباشرة مع مشركي مكة، فهل يكون رسول الله وهو القائد الأعلى لهذه القوات المسلحة دافعًا لها إلى حرب قد لا تحمد عقباها وستؤدي في أيٍّ صورها إلى مقتلة ربما تكون كبيرة لأعداد من المسلمين هو بحاجة إلى كل فردٍ وعنصر فيهم. تساؤل أشار التاريخ إلى جوابه.

5. الحلم الشديد الذي تحلى به نبينا صلى الله عليه وسلم، برغم شدة المعارضة والانتقاد الصريح وعدم الالتزام بأمره في الحلق وذبح الهدايا، ويدلل ذلك على مراعاة النبيّ عليه السلام لصحابته الذين لم يطّلعوا على الجوانب الخاصة من عقد الاتفاقية لأنها من الوحي ولم يأتِ وقتُ إبلاغها لهم، ولذا قال أنه عبد الله وهو ناصره ومؤيده.

6. في الحديث براعة المرأة المسلمة ودورها البارز في توجيه الرأي العام بالقدوة والإشارات النبوية الصامتة، وقد مثّل نجاحها عاملا مهمًا في راحة النبي صلى الله عليه وسلم وهدوئه بعد غضبه الداخليّ.

7. قمة التكافل والتكافؤ والإحساس الراقي بأن المؤمنين جسدٌ واحدٌ إذا اشتكى فيه أبو جندل تداعى له عمر والسَّعْدان وجميعُ الصحابة بالسهر والألم والحمّى، فقد آلمهم الموقف ولم يستطيعوا فهم أو تفهم أن يسلموا واحدًا من المسلمين لعدو الله ورسوله والمسلمين، وهم يستطيعون فكاكه وتخليصه.

8. قمة الطاعة والانضباط من الجنود، رغم لأواء الموقف النفسيّة وتضرره حتى أقصى خلة في أجسامهم، إلا أن أمر الرسول وإشارته كانت تنهي كل ذلك لأنهم يعلمون أنهم لا يكتمل إيمانهم حتى يرضوا بقضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ويسلموا تمامًا "فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً"[1].

9. الوفاء الشديد بالعهد واحترام الكلمة مهما كانت الظروف أو تغيرت المعطيات، والإسلام يعلمنا أن ننطلق في التعامل مع الناس وفق مفهومنا الراقي لا كردّ فعل على مسلكيات خاطئة للأعداء، اللهم إلا أن يكون مثلا وتأصيله: "مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ"[2].

---

(1) النساء: 65.

(2) الحشر: 5.

10. "في قضية عدم إجازة سهيلٍ ابنَه النبيَّ صلى الله عليه وسلم أن الاعتبار في العقود بالقول ولو تأخرت الكتابة والإشهاد، ولأجل ذلك أمضى النبي صلى الله عليه وسلم لسهيل الأمر في ردِّه ابنه إليه، وكان النبي عليه السلام تلطَّفَ معه بقوله: "إِنَّا لَمْ نَقْضِ الْكِتَابَ بَعْدُ" رجاءَ أن يجيبَه لذلك ولا ينكره بقية قريش لكونه ولده، فلما أصرَّ على الامتناع تركه له"[1].

11. وفي الحديث مع أمِّ سلمة "فضل المشورة، وأن الفعل إذا انضمّ إلى القول كان أبلغ من القول، وجواز مشاورة المرأة الفاضلة"[2].

*** ومن مظاهر النجاح بعيدة المدى في الاتفاقية:**

1. اعتراف قريش بدولة الإسلام:

"خاصة بعد حرب الإفناء الطويلة التي شنتها قريش ضد المسلمين، كما تفيد أن الصلح لا يكون إلا بين خصمين وندَّين"[3].

2. استمالة الرأي العام مع المسلمين وضد المشركين:

"لقد كشفت الأيام بعد الحديبية بقليل أن شروط قريش لم تكن لصالحها، فقد اهتزّ مكانُها ومركزُها، حين تسامع العرب أنها تصدُّ عن البيت، ثم إن الذين يسلمون من قريش ويعيدهم الرسول صلى الله عليه وسلم صاروا يشكلون قوة تتعرض لقوافل قريش فاضطرت قريش أن تتنازل عن هذا الشرط، وترجو محمدًا صلى الله عليه وسلم أن يؤوي أولئك المسلمين ولا يعيدهم. وكانت درسًا بليغًا طهَّر بنتائجه كثيرًا من النفوس التي وجدت على هذه المعاهدة أثناء كتابتها".[4]

3. اختلاط الفريقين والدعوة الصامتة بالأخلاق الفاضلة:

وطالما أننا نتحدث عن وسائل الاتصال فلا بدّ أن ننظر إلى صلح الحديبية على أنه فتحٌ إعلاميٌّ غيرُ مسبوق، لأنه أتاح فرصة الاختلاط بين المسلمين والمشركين، ليطّلع الأخيرون على صفات وأخلاق وآداب المسلمين، وكيف أن الإسلام استطاع أن يغيّرهم إلى الأحسن ويصنع منهم قادة الصلح والحرب معًا، وهذا جعل الكثيرين منهم يتأثرون إيجابًا فأسلم بعضهم وتأخر إسلام آخرين لعام الفتح أو الوفود.

4. تفهم المشركين لحقيقة الإسلام:

فقد أثبتت دبلوماسية المصطفى عليه السلام بعد نظر لم يكن للسطحيين أن يدركوا مراميه إلا في الساعات التي تلت توقيع المعاهدة، وكان كل من سمع عن أدبيات وأخلاقيات تعامل الرسول والتزام المسلمين بما مثّل عندهم إجحافًا ظاهرًا في بعض جوانبه، رأيته ينقل – قصد أم لم يفعل – الانطباعاتِ الإيجابيةَ التي لمسها في المسلمين، فكان ذلك مؤذنًا ببدء إزالة اللبس والغشاوة المصطنعة أو المضلِّلة التي اكتنفت عقول المشركين العوامّ وبعض الخواص من وسائل إعلامٍ كاذبة.

---

(1) انظر: فتح الباري، لابن حجر (486/5).

(2) انظر: نفسه (490/5).

(3) انظر: دراسات في السيرة، ص 416.

(4) أدب الحوار في الإسلام، سيف الدين شاهين، ص 81.

5. توسيع دائرة الدعوة إلى الإسلام:

إذ وفرت أجواء الأمن الذي أشاعته المعاهدة الحديبية إمكانية التواصل السريع والمباشر والقويّ مع الناس أجمعين على اختلاف الأقطار وتنوع الأمصار، وأرسل النبيُّ صلى الله عليه وسلم بعدها كتبه ورسائله إلى الملوك والزعماء: كسرى وقيصر والنجاشيّ وأمراء مصر ودمشق وبُصرى[1] وغيرها.

المطلبُ الثالث/ الرسائل (الكتب) والبعوث:

ومن وسائل التواصل مع الآخر إرسال الرسائل والكتب، وقد زاد استخدامُها في عصرنا الحاليّ بشكل كبير جدًا، فلا تكاد تخلو مؤسسة أو شركة أو هيئة علمية أو اقتصادية أو سياسية أو اجتماعية من التعامل بالكتب والرسائل التوثيقية والمطالبيَّة، ويتم أرشفتها في عملية إدارية معروفة الأطر ومحددة الأبعاد، و"إن من يمعن النظر في هذه الكتب يدرك أهميتها من الناحية الإعلامية وأثرها البعيد في التغيير الاجتماعي، ومدى الحرية التي كان يتمتع بها غير المسلمين [في المجتمع المسلم]"[2].

هذا وقد كتب الرسول إلى جميع الملوك، فَعَنْ أَنَسٍ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم كَتَبَ إِلَى كِسْرَى وَإِلَى قَيْصَرَ وَإِلَى النَّجَاشِيِّ وَإِلَى كُلِّ جَبَّارٍ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَلَيْسَ بِالنَّجَاشِيِّ الَّذِي صَلَّى عَلَيْهِ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم.[3]

ومن نصوصها ما يأتي:

كتاب الرسول صلى الله عليه وسلم إلى هرقل الروم:

ورد في خبر أبي سفيان بن حربٍ الطويل مع هرقل، وفيه "... ثُمَّ دَعَا بِكِتَابِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم الَّذِى بَعَثَ بِهِ دِحْيَةُ إِلَى عَظِيمِ بُصْرَى، فَدَفَعَهُ إِلَى هِرَقْلَ فَقَرَأَهُ فَإِذَا فِيهِ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ، سَلاَمٌ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى، أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الإِسْلاَمِ، أَسْلِمْ تَسْلَمْ، وَأَسْلِمْ يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ، فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَعَلَيْكَ إِثْمُ الأَرِيسِيِّينَ[4] وَ"يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَنْ لاَ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ" ..."[5].[6]

---

(1) **بُصْرَى**: بالضمّ والقصر، في موضعين إحداهما بالشام من أعمال دمشق، والأخرى من قرى بغداد. (انظر: معجم البلدان، للحمويّ (441/1).

(2) أضواء على الإعلام في صدر الإسلام، د. محمد عجّاج الخطيب، ص 52.

(3) صحيح مسلم، ص 897 رقم 4501، كتاب الجهاد والسير، باب كتب النبيّ صلى الله عليه وسلم إلى ملوك الكفار يدعوهم إلى الله عز وجلّ. من طريق عَبْدِ الأَعْلَى عَنْ سَعِيدٍ عَنْ قَتَادَةَ عن أَنَسٍ به.

(4) **الأريسيين**: "جمع أريسي، وهو الأكّار. قال ابن حجر: وفي الكلام حذفٌ دلَّ المعنى عليه وهو: فإن عليك مع إثمك إثم الأريسيين، لأنه إذا كان عليه إثم الأتباع بسبب أنهم اتبعوه على استمرار الكفر فلأن يكون عليه إثم نفسه أولى، وهذا يعدُّ من مفهوم الموافقة. (فتح الباري (158-/59).

(5) آل عمران: 64.

(6) **متفقٌ عليه.**

وأرسل مثلها إلى المقوقس عظيم القبط والي مصر.

عظيم الروم: "فيه عدولٌ عن ذكره بالملك أو الإمارة، لأنه معزول بحكم الإسلام، لكنه لم يخله من إكرام لمصلحة التآلف.

سَلَامٌ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى: "ليس المراد هنا التحية، إنما معناه سلم من عذاب الله من أسلم، ولهذا جاء بعده أن العذاب على من كذب وتولى، وكذا جاء في بقية الكتاب: "فإن توليت فإنما عليك إثم الأريسيين". فمحصل الجواب أنه لم يبدأ الكافر بالسلام قصدًا وإن كان اللفظ يُشعر به، لكنه لم يدخل في المراد لأنه ليس ممن اتبع الهدى فلم يسلم عليه".

ودِعَايَةِ الإِسْلَامِ: وهي شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله.[1]

سبب اختيار دحية بن خليفة ليكون سفير النبي صلى الله عليه وسلم إلى هرقل الروم:

يقول ابن حجر في الإصابة عنه: "وكان يُضرب به المثل في حسن الصورة وكان جبرائيل عليه السلام ينزل على صورته"[2].

وهكذا ينبغي على السفير أن يكون حسن الطلعة لطيف القسمات، يحفظ الكلام الذي يود تبليغه، ويكون مقبولا عند من يريد أن يراسلهم.

"ولقد كان لجمال دحية أثرٌ عظيمٌ في نفس قيصر وحاشيته عندما قدم عليهم حاملا رسالة النبي الكريم، فضلا عن رجاحة عقله وسرعة بديهته وهيبته الشخصية الطاغية".[3]

رسالة النبيّ صلى الله عليه وسلم إلى كسرى فارس:

عن ابنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بَعَثَ بِكِتَابِهِ إِلَى كِسْرَى، فَأَمَرَهُ أَنْ يَدْفَعَهُ إِلَى عَظِيمِ الْبَحْرَيْنِ، يَدْفَعُهُ عَظِيمُ الْبَحْرَيْنِ إِلَى كِسْرَى، فَلَمَّا قَرَأَهُ كِسْرَى خَرَّقَهُ، فَحَسِبْتُ أَنَّ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ قَالَ فَدَعَا عَلَيْهِمُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم أَنْ يُمَزَّقُوا كُلَّ مُمَزَّقٍ.[4]

أخرجه البخاريّ في صحيحه (45/4)، كتاب الجهاد، باب دعاء النبي إلى الإسلام والنبوة. ومسلمٌ في صحيحه، ص 896 رقم 4499، كتاب الجهاد والسير، باب كتاب النبي إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام. كلاهما من طريق الزُّهْرِيِّ عن عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ عن أَبِي سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ به.

وفي رواية مسلم: "وَكَانَ دِحْيَةُ الْكَلْبِيُّ جَاءَ بِهِ – يعني كتاب النبي إلى هرقل – فَدَفَعَهُ إِلَى عَظِيمِ بُصْرَى فَدَفَعَهُ عَظِيمُ بُصْرَى إِلَى هِرَقْلَ ..".

(1) انظر: فتح الباري (158-/59).

(2) الإصابة، ابن حجر (162/1) رقم 2386.

(3) سفراء النبي وكتّابه ورسائله، د. مختار الوكيل، ص 51.

(4) صحيح البخاريّ (45/4)، كتاب الجهاد، باب دعوة اليهوديّ والنصرانيّ وعلى ما يقاتلون عليه. من طريق عُقَيْلٍ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ عن عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ به.

وعن سعيد بن المسيب قال: كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى كسرى وقيصر والنجاشي[1]: "أما بعد: تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَنْ لاَ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا: اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ"[2].

السمتُ العامُّ في رسائل المصطفى عليه السلام:

والملاحظ على كتب الرسول صلى الله عليه وسلم وسياسته الخارجية بشكل عام "أن الحرب آخر ما كان يفكر فيه، فهو يدعو الناس إلى دين الله بالحكمة والموعظة الحسنة، ويركزّ على حكام الدول وقادة القبائل؛ لأن الناس تبعٌ لزعمائهم في معظم شئونهم".[3]

ومن نظرة عامة على كتب الرسول صلى الله عليه وسلم نلاحظ ما يأتي:

1. الدعوة إلى التوحيد الخالص لله وحده، وترك عبادة الأوثان أو البشر كما كان يحدث في فارس.
2. خطاب الزعماء بالقواسم المشتركة والنقاط التي يُرجى أن تكون محل إجماع من الكل المخاطِب والمستمِع، وفي ذلك تحريك للفطرة بليغ وهام.
3. مناداة الزعماء بأحبّ أسمائهم إليهم والإشارة إليهم على ما كانوا عليه، وعدم التجريح بهم أو تسفيه حالتهم لئلا يُثار الخلاف فلا يحدث المتوخّى.
4. قصر نصّ الرسالة؛ لكي يصل المراد في كلمات بليغة تُحفظ تبقي الأثر في نفس السامع حتى وإن لم يقرأها أكثر من مرة أو عندما يمزقها كما فعل سفيه فارس.
5. قول الرسول صلى الله عليه وسلم: " أَسْلِمْ تَسْلَمْ" تأكيدٌ على أن السلامة من الأذى والمشاكل يكون بالانتماء إلى الإسلام بعد الاستسلام الكامل لله تعالى.
6. الإغراء بالأجر والثواب، وأنه سيكون مضاعفًا في حقّ الزعيم الذي ستُضاف إلى قائمة حسناته الخاصة دعوته أهل بلده إلى الإسلام إذ الدالُّ على الخير مثلُ فاعله، و "مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ لاَ يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلاَلَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ لاَ يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا"[4].

---

(1) معروف أن كسرى زعيم الفرس، وقيصر زعيم الروم، والنجاشي ملك الأحباش، والرسول عليه السلام خاطب كل أولئك.

(2) آل عمران: 64.

(3) قيادة الرسول السياسية والعسكرية، أحمد راتب مرموش، ص 202-203.

(4) صحيح مسلم، كتاب العلم، باب من سنّ سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى. من طريق الْعَلاَءِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ به.

البعوث (السفارات):

"البعث: الإرسال"[1]. والمبعوثون رسلُ زعيمهم أو حاكمهم لهدف معيّن في أيّ مجال من مجالات الحياة، إما لإنشاء علاقة سياسية أو تحسينها، أو حلّ مشكلة اجتماعية أو اقتصادية، أو لنشر الأفكار والدعوة إلى الله، وما أشبه ذلك.

أهمية السفارة في الإسلام:

سفر: أصلُ واحدٌ بمعنى الانكشاف والجلاء. من ذلك: السَّفَر؛ لأن الناس ينكشفون عن أماكنهم. وأما قولهم: سفر بين القوم سِفارة، إذا أصلح لأنه أزال ما كان هناك من عداوة وخلاف.[2]

والسفير: "رسول بعض القوم إلى قوم".[3]

والمعنى العام أن المرسِل يختار له من الوجوه أصلحها، ومن النفوس أطهرها، ومن الطلّة أبهاها، ومن البديهة أرقاها، بحيث يسفر رسوله عن الخير والبلاغة مضمونًا وظاهرًا، ويكون وجهه وكلامه معًا مبعثًا على التأثير القويّ في نفوس من يراه. وسيتضح لنا بعد قليل مدى اهتمام الرسول صلى الله عليه وسلم بسفرائه، وأنه كان يختارهم وفق أرقى الشروط وأدقّ المواصفات. "حيث عُرِفَ عنهم شدة الإيمان أولا، ثم براعة الاتصال على حسن الإقناع والتأثير وبلاغة اللسان ثانيًا"[4].

خطورة عمل المبعوثين:

وقد كانت رسله وبعوثه صلى الله عليه وسلم وولاته خير من يحمل الرسالة، ويؤدي الأمانة، ويقوم بالدور الإعلامي المناسب لذلك كله، ويجمع خصائص الإعلام الإسلامي التي أسلفنا ذكرها، من أمانة النقل، وصدق الحديث، والنزاهة، والموضوعية.[5]

ومن صفاتهم المطلوبة:

وقد كان جميع السفراء من الشباب الذين يتحلون بالسجايا الكريمة والخصال الشريفة وجمال الصورة ونقاء السريرة. فضلا عن توقد الذكاء واللماحية الشفافة والبديهة الحاضرة والحجة الباهرة.[6]

أولاً/ مصعب بن عمير رضي الله عنه إلى المدينة:

يقول ابن إسحاق: فلما انصرف القوم – بُعيد بيعة العقبة الأولى – بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم مصعب بن عمير، وأمره أن يقرئهم القرآن، ويعلمهم الإسلام، ويفقههم في الدين، فكان يسمَّى: المقرئ بالمدينة.[7]

---

(1) العين، للفراهيديّ (147/1).

(2) معجم المقاييس، لابن فارس، ص 483.

(3) العين، للفراهيديّ (251/2).

(4) مهارات الاتصال، راشد علي عيسى، ص 79–80.

(5) أضواء على الإعلام في صدر الإسلام، د. محمد عجّاج الخطيب، ص 48–49.

(6) سفراء النبي صلى الله عليه وسلم وكتابه ورسائله، د. مختار الوكيل، ص 50.

(7) سيرة ابن هشام (434/1).

صفاتُ السفير مصعب رضي الله عنه:

"وقد كان مصعب أنعمَ غلامٍ بمكّة وأجودَه حلةً مع أبويه"[1].

وقد كان فتى مكة شبابًا وجمالا وسبيبًا[2]، وكان أبواه يحبانه، وكانت أمه مليئة كثيرة المال تكسوه أحسن ما يكون من الثياب وأرقّه، وكان أعطر أهل مكة، يلبس الحضرميّ من النعال، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكره ويقول: "ما رأيت بمكة أحسن لمة[3]، ولا أرق حلة، ولا أنعم نعمة من مصعب بن عمير". وعن عامر بن ربيعة قال: كان مصعب بن عمير لي خدنًا، فلم أرَ رجلا قطُّ أحسنَ خلقًا ولا أقلَّ خلافًا منه.[4]

ويظهر أن سفارة مصعب رضي الله عنه كانت أول سفارة رسمية في الإسلام، وكانت سرية غير معروفة للجميع، ويكمن خطرُها في أن مصعبًا سيكون ممثل الرسول صلى الله عليه وسلم والناطق الرسمي باسم المسلمين في المدينة المنورة، وهذا يستلزم الدقة الكاملة والانضباط التام، بعد أن أهّلته صفاته الشخصية من حسن سيرة وبهاء صورة وقوة منطق وإقناع لكي يكون المرشح الأول لهذا المنصب الخطير. وأعتقد أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم أراد أن يتحلى سفيره بصفة استيعاب الآخر مهما جهل عليه أو آذاه وألا يصدر ضجيجًا أو جلبة فكرية في سياقٍ لا يخدم الدعوة، لأن كل حركة وكلمة بل وطريق إخراج الألفاظ ستكون معددة ومحسوبة عليه، وأثبت مصعبٌ في ذلك نجاحًا منقطع النظير تمثل في استيعابه سيديْ المدينة (أسيدِ بنِ حضير وسعدِ بنِ معاذ رضي الله عنهما)، فعندما جاء أسيدٌ لمصعبٍ "وقف عليه متشتمًا. قال له: ما جاء بكما (وكان معه أسعد بن زراة رضي الله عنه) إلينا تسفِّهان ضعفاءنا ؟ اعتزلانا إن كانت لكما بأنفسكما حاجة؛ فقال له مصعب: أوَ تجلس فتسمع، فإن رضيت أمرًا قبلته، وإن كرهته كُفَّ عنك ما تكره ! قال: أنصفت.[5]

فقد استوعبه مصعب تمامًا وكلم عقله الذكي وأقنعه واختار له من الكلمات والعبارات ما يطرق القلب فيستقر فكان ذلك سببًا في إسلامه ثم إسلام سعدٍ من بعدُ.

خاصةً بعد أن "نجحت وفادة مصعب بن عمير رضي الله عنه في شرح تعاليم الدين الجديد، وتعليم القرآن الكريم وتفسيره، وتقوية الروابط الأخوية بين أفراد القبائل المؤمنة من ناحية، وبين النبي صلى الله عليه وسلم وصحبه بمكة المكرمة، لإيجاد القاعدة الأمينة لانطلاق الدعوة. وكذلك تأمين العلاقات الإنسانية بشكل عام في المجتمع الجديد".[6]

---

(1) الإصابة (101/6) رقم 7996.

(2) **السبيب**: رقيقُ الثوب، جميلُ الخصلة من الشعر. (المعجم الوسيط، ص 442).

(3) **اللُّمّة**: شعر الرأس إذا كان فوق الوفرة. (العين (103/4).

(4) انظر: الطبقات الكبرى، لابن سعد (108/3-109).

(5) انظر القصة: سيرة ابن هشام (436/1).

(6) الوفود في العهد المكيّ، علي الأسطل، ص 155.

ثانيًا وثالثًا/ معاذ بن جبل وأبو موسى الأشعري رضي الله عنهما (إلى اليمن):

يقول ابن القيم: وبعث – رسول الله صلى الله عليه وسلم – أبا موسى الأشعري ومعاذ بن جبل إلى اليمن داعيين إلى الإسلام فأسلم عامة أهلها طوعا من غير قتال.[1]

عَنْ أَبِى بُرْدَةَ رضي الله عنه قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَبَا مُوسَى وَمُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ إِلَى الْيَمَنِ، قَالَ وَبَعَثَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَى مِخْلاَفٍ[2] قَالَ وَالْيَمَنُ مِخْلاَفَانِ ثُمَّ قَالَ: "يَسِّرَا وَلاَ تُعَسِّرَا، وَبَشِّرَا وَلاَ تُنَفِّرَا". فَانْطَلَقَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا إِلَى عَمَلِهِ ...[3]

مواصفات أبي موسى الأشعريّ رضي الله عنه:

كان حسنَ الصوت بالقراءة، وقال النبيّ صلى الله عليه وسلم له: "يَا أَبَا مُوسَى لَقَدْ أُوتِيتَ مِزْمَارًا مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ".[4]

قال العجليّ: بعثه عمر رضي الله عنه أميرًا على البصرة، فأقرأهم وفقههم، ولم يكن في الصحابة أحدٌ أحسنَ صوتًا منه.[5]

وهي وإن كانت في نظر كثيرين صفة تكميلية، إلا أنها تزيد الجمال جمالا، بل وتبعث على الراحة والطمأنينة في نفوس من يسمعها، لأن البشر جبِلوا على حبِّ الجمال من كل شيء.

قال مسروق: كان القضاء في الصحابة إلى ستة: عمر، وعليّ، وابن مسعود، وأبيّ، وزيد وأبي موسى.[6]

وعن أنسٍ رضي الله عنه قال: بعثني الأشعريّ إلى عمر، فقال لي: كيف تركت الأشعريّ ؟ قلتُ: تركته يعلّم الناس القرآن. فقال: أما إنه كَيِّسٌ ! ولا تُسمعها إياه.[7]

وقال الذهبي: كان أبو موسى صوّامًا قوّاما ربانيًا زاهدًا عابدًا، ممن جمع العلم والعمل والجهاد وسلامة الصدر، لم تغيّره الإمارة ولا اغترّ بالدنيا.[8]

عن أبي لبيد قال ما كنا نشبه كلام أبي موسى إلا بالجزار الذي ما يخطئ المفصل.[9]

---

(1) زاد المعاد (115/1).

(2) **المِخْلاف:** بكسر الميم وسكون المعجمة وآخره فاء، بلغة أهل اليمن، وهو الكورة والإقليم والرستاق بضم الراء وسكون المهملة بعدها. (فتح الباري (824/7).

(3) صحيح البخاريّ (161/5)، كتاب المغازي، باب بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع. من طريق أَبِي عَوَانَةَ عن عَبْدِ الْمَلِكِ عَنْ أَبِى بُرْدَةَ به.

(4) صحيح البخاريّ 195/06)، كتاب فضائل القرآن، باب حسن الصوت بالقراءة. من طريق بُرَيْدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِى بُرْدَةَ عَنْ جَدِّهِ أَبِى بُرْدَةَ عَنْ أَبِى مُوسَى به.

(5) سير أعلام النبلاء (383/2).

(6) نفسه (388/2).

(7) السابق (390/2).

(8) السابق (396/2).

(9) السابق (398/2).

وفيما ذكرناه بيان كمال الإشارة إلى حكمته وحنكته ودقته وكياسته وحصافته، وأنه جمع بين الجمالين؛ جمال الوجه ووضاءته، وجمال الكلام وبلاغته.

معاذ بن جبل رضي الله عنه وصفات الدبلوماسيّ الرائع:

قال ابن حجر عنه: الإمام المقدم في علم الحلال والحرام. قال أبو إدريس الخولاني: كان أبيض الوجه، برّاق الثنايا، أكحل العينين. وقال كعب بن مالك: كان شابًا جميلا سمحًا من خير شباب قومه. وقال الواقديّ: من أجمل الرجال وشهد المشاهد كلها.[1]

وقال علي بن محمد المدائني: معاذ لم يُولد له قطّ، طَوال، حسنُ الثغر، عظيم العينين، أبيضُ، جعدٌ، قطط.[2]

وبعث **العلاء بن الحضرمي** إلى المنذر بن ساوى العبدي ملك البحرين فأسلم وصدق.

وكتب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابًا يدعوه فيه إلى الإسلام، فكتب المنذر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: أما بعد، يا رسول الله فإني قرأت كتابك على أهل البحرين، فمنهم من أحبَّ الإسلام وأعجبه ودخل فيه، ومنهم من كرهه. وبأرضي مجوس ويهود، فأحدثْ إليّ في ذلك أمرَك. فكتب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى المنذر بن ساوَى، سلامٌ عليك، فإني أحمدُ إليك الله الذي لا إلا هو وأشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبدُه ورسولُه، أما بعد: فإني أذكرك الله عزَّ وجلّ، فإنه من ينصح لنفسه، وإنه من يطِعْ رسلي ويتبع أمرهم فقد أطاعني، ومن نصح لهم فقد نصح لي، وإن رسلي قد أثنوا عليك خيرًا وإني قد شفَّعتُك في قومك، فاترك للمسلمين ما أسلموا عليه، وعفوتُ عن أهل الذنوب، فاقبلْ منهم، وإنك مهما تُصلحْ فلن نعزلك عن عملك، ومن أقام على يهوديّة أو مجوسية فعليه الجزية".[3]

وبعث **حاطب بن أبي بلتعة** إلى المقوقس واسمه جريج بن ميناء ملك الإسكندرية عظيم القبط فقال خيرا وقارب الأمر ولم يسلم وأهدى للنبي صلى الله عليه وسلم مارية وأختيها سيرين وقيسرى.[4]

وقال حاطب للمقوقس لما لقيه وسلّمه رسالة المصطفى: إنه كان قبلك رجلٌ يزعم أنه الربُّ الأعلى، فأخذه الله نكال الآخرة والأولى، فانتقم به، ثم انتقم منه، واعتبر بغيرك ولا يُعتبر بك. قال: هاتِ. قال: إن لنا دينًا لن ندعَه إلا لما هو خيرٌ منه، وهو الإسلام الكافي به الله فقدَ ما سواه، إن هذا النبي صلى الله عليه وسلم دعا الناس، فكان أشدَّهم عليه قريش، وأعداهم له يهود، وأقربهم منه النصارى، ولعمري، ما بشارة موسى بعيسى بن مريم إلا كبشارة عيسى بمحمد صلى الله عليه وسلم، وما دعاؤنا إياك إلى

---

(1) الإصابة (106/6) رقم 8032).

(2) سير أعلام النبلاء (445/1).

(3) عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير (352/2-353).

(4) زاد المعاد (115/1).

القرآن إلا كدعائك أهلَ التوراة إلى الإنجيل، وكلُّ نبيٍّ أدرك قومًا فهم من أمته، فالحقُّ أن يطيعوه، فأنت ممن أدركه هذا النبيُّ، ولسنا ننهاك عن دين المسيح، ولكنا نأمرك به. فقال المقوقس: إني قد نظرت في أمر هذا النبيّ فوجدته لا يأمر بمزهودٍ فيه، ولا ينهى إلا عن مرغوبٍ فيه، ولم أجده بالسحر الضالّ، ولا الكاهن الكاذب، ووجدتُ معه آلة النبوة بإخراج الخبء والإخبار بالنجوى، وسأنظر.[1]

ولكن المقوقس الخبيث آثر ملكه الفاني على الإسلام الذي كان سيؤدي به إلى الحقيقة الباقية لو أنه اتّبع السبيل القويم.

رابعًا/ حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه، ومسوّغات اختياره:

"كان أحد فرسان قريش في الجاهلية وشعرائها"[2].

قال ابن سعد: أخبرنا محمد بن عمر [الواقديّ] قال: حدثني شيخٌ من ولد حاطب عن آبائه، قالوا: كان حاطب رجلا حسنَ الجسم، خفيف اللحية أجنأ[3]، وكان إلى القصر ما هو، شثن[4] الأصابع.[5]

ومما سبق نستطيع أن نجمل الصفات التي لا بدّ من توافرها في شخص السفير، من خلال مبعوثي رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الأقوام والأمصار:

1. جمال الوجه، وحسن الصورة، والوضاءة وحسن الطلّة، وخفّة البسمة، ولطافة الحركة. وبمعنى آخر: الجاذبية الشخصية.
2. القدرة على كسب حبّ الناس، واستمالتهم، بل وفرض حبّ الناس له.
3. الهندام الجميل، والقوام الطويل، واختيار اللباس الذي يجعله مهيبًا، ليسدَّ الثغرات جميعًا، فالقِصَر مذمومٌ وهو علامة نقص في الغالب، وإذا كان العاقل تعجبه الفصاحة واللباقة واللياقة، فإن السفيه يعقد اللباس الحسن لسانه عن التجريح والتخطئة وما شاكلهما.
4. عدم المراء والجدال بلا فائدة، والقدرة على التوفيق بين الناس وتجميع الآراء، وضمّ المجموع العام تحت لواء القبول بالمنطق.
5. كمال العلم مع تمام الفهم، والقدرة على حلّ المشاكل المستعصية بحنكة وروية وثبات.
6. السماحة واللطافة وسعة الناس بكمال حسن الخلق وعظيم التأدب.

وبالإجمال فإن السفراء يُختارون من بين أقرانهم بعد كمال المواصفات، بحيث يشار إليهم بصيغة (أفعل) التفضيل، بأنهم الأحسن والأفضل والأقوى والأحصف في مجال كيت وكيت.

---

(1) عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير (2/350-351).

(2) الإصابة، ابن حجر (1/314) رقم 1533.

(3) هو الذي في كاهله انحناءٌ على صدره، وليس بالأحدب. (العين للفراهيدي (1/262).

(4) الخشونة، ورجلٌ شَثِنُ الكفِّ، أي غليظها. (العين للفراهيدي (2/306).

(5) الطبقات الكبرى (3/106).

المطلبُ الرابع/ الشِّعــر:

كانت العرب أمةً أميةً، وكان اعتمادهم المباشر على عقولهم واستخدامهم المستمر لحوافظه وذاكرتهم يمثل الاستعاضة عن الكتابة والتدوين وما إليه من وسائل التوثيق، وقد كانوا كذلك قمة في البلاغة والفصاحة خاصة أهل قريش الذين نزل القرآن المعظَّم بلغتهم ولهجتهم، وقد أسلم إليهم الشعر أزمتَه وأناخ مستسلمًا في بابهم مستظلا بمهارتهم وبراعتهم التصويرية والتشبيهيّة، وكانت موسيقى آذانهم تطرب للمتناسق ويحلو سمرها ونغمها مع التناغم والتآلف، فتذوقوا الشعر وألفوه وأقاموا لذلك الأسواق وتبادلوا الأشعار وصححوها وبرّز فيها أصحاب المعلقات كأشهر من كتب شعرًا في الجاهلية، إلى أن وصلوا إلى مرحلة صار الشعر معها ديوانهم ووسيلة تواصلهم، هو الذي يصف أحوالهم ويؤرِّخ لحياتهم ويشخص حلَّهم وظعنهم"[1].

ولكن عندما جاء الإسلام ضبط كلَّ شيء في حياة الإنسان وبالنسبة للشعر فقد"كان يوجه الشعراء إلى أن يتمثلوا في شعرهم المفاهيم الإسلامية والقيم الجديدة، لأن الإسلام كان ثورة غيرت كثيرًا من نظم الجاهلية ومفاهيمها، وأقامت مثلا وقيمًا جديدة"[2].

وهو صلى الله عليه وسلم الذي قال فيما اشتُهر عنه من الحديث: "إِنَّ مِنَ الشِّعْرِ حِكْمَةً"[3].

ومعنى الحديث: أن من الشعر قولا صادقًا مطابقًا للحق. وقيل أصل الحكمة المنع، فالمعنى أن من الشعر كلامًا نافعًا يمنع من السفه.[4]

وقد كان يعجبه كلام بعض الشعراء الحكماء:

فَعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: "أَصْدَقُ كَلِمَةٍ قَالَهَا الشَّاعِرُ كَلِمَةُ لَبِيدٍ: أَلاَ كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلاَ اللَّهَ بَاطِلُ، وَكَادَ أُمَيَّةُ بْنُ أَبِى الصَّلْتِ أَنْ يُسْلِمَ"[5].

وكان يتفاعل مع الشعر، ويرتجز به، فعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال:

لَمَّا كَانَ يَوْمُ الأَحْزَابِ، وَخَنْدَقَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، رَأَيْتُهُ يَنْقُلُ مِنْ تُرَابِ الْخَنْدَقِ حَتَّى وَارَى عَنِّى الْغُبَارُ جِلْدَةَ بَطْنِهِ، وَكَانَ كَثِيرَ الشَّعَرِ، فَسَمِعْتُهُ يَرْتَجِزُ بِكَلِمَاتِ ابْنِ رَوَاحَةَ، وَهْوَ يَنْقُلُ مِنَ التُّرَابِ يَقُولُ:

اللَّهُمَّ لَوْلاَ أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا وَلاَ تَصَدَّقْنَا وَلاَ صَلَّيْنَا

---

(1) الإعلام الإسلامي وتطبيقاته العملية، د. محي الدين عبد الحليم، ص 148.

(2) الإسلام والشعر، فايز ترحيني، ص 90.

(3) صحيح البخاريّ (34/8)، كتاب الأدب، باب ما يجوز من الشعر والرَّجَز والحُداء وما يُكره منه. من طريق مَرْوَانِ بْنِ الْحَكَمِ عن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الأَسْوَدِ عن أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ به.

(4) انظر في معناه: فتح الباري (762/10).

(5) **متفقٌ عليه.**

أخرجه البخاريّ في صحيحه (35/8)، كتاب الأدب، باب ما يجوز من الشعر والرجز والحُداء وما يُكره منه.

ومسلمٌ في صحيحه، ص 1131 رقم 5782، كتاب الشعر، بابٌ في إنشاد الأشعار، وبيان أشعر كلمة، وذمّ الشعر.

كلاهما من طريق عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ عن أَبِي سَلَمَةَ عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ بِهِ.

فَأَنْزِلَنْ سَكِينَــةً عَلَيْنَــا وَثَبِّتِ الأَقْدَامَ إِنْ لاَقَيْنَا
إِنَّ الأُلَى قَدْ بَغَوْا عَلَيْنَــا وَإِنْ أَرَادُوا فِتْنَةً أَبَيْنَا

قَالَ: ثُمَّ يَمُدُّ صَوْتَهُ بِآخِرِهَا[1].

وعن أنس بن مالكٍ رضي الله عنه قال: كَانُوا يَرْتَجِزُونَ وَرَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مَعَهُــمْ وَهُمْ يَقُولُونَ:

اللَّهُمَّ لاَ خَيْرَ إِلاَّ خَيْرُ الآخِرَهْ فَانْصُرِ الأَنْصَارَ وَالْمُهَاجِرَهْ[3]

من شعراء الرسول:

قال ابن سيرين: كان شعراء رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن رواحة وحسان ابن ثابت وكعب بن مالك.[4]

فمنهم عبد الله بن رواحة رضي الله عنه:

قال ابن رواحة: مررت بمسجد النبي صلى الله عليه وسلم فجلستُ بين يديه، فقال: "كيف تقول الشعر إذا أردت أن تقول ؟" قلت: أنظر في ذاك ثم أقول. قال: "فعليك بالمشركين" ولم أكن هيأت شيئا ثم قلت:

فخبروني أثمان العباء متى كنتم بطارق أو دانت لكم مضر

فرأيته قد كره هذا أن جعلت قومه أثمان العباء فقلت:

يا هاشــم الخير إن الله فضلكــم على البريــة فضــلا ما لــه غير
إني تفرست فيــك الخير أعرفــه فراسة خالفتهــم في الذي نظــروا
ولو سألت إن استنصرت بعضهم في حل أمرك ما آووا ولا نصروا
فثبــت الله ما آتــاك من حســن تثبيت موسى ونصرا كالذي نصروا

فأقبل صلى الله عليه وسلم بوجهه مستبشرًا: وقال "وإياك فثبت الله"[5].

وقال ابن سيرين: كان حسان وكعب يعارضان المشركين بمثل قولهم بالوقائع والأيــام والمــآثر، وكان ابن رواحة يعيرهم بالكفر وينسبهم إليه فلما أسلموا وفقهوا كان أشد عليهم[6].

وَعَنْ أَنَسٍ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم دَخَلَ مَكَّةَ فِي عُمْرَةِ الْقَضَاءِ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ بَيْنَ يَدَيْهِ يَمْشِي وَهُوَ يَقُولُ: خَلُّوا بَنِي الْكُفَّارِ عَنْ سَبِيلِهِ الْيَوْمَ نَضْرِبْكُمْ عَلَى تَنْزِيلِهِ
ضَرْبًا يُزِيلُ الْهَامَ عَنْ مَقِيلِهِ وَيُذْهِلُ الْخَلِيلَ عَنْ خَلِيلِــهِ

---

(1) صحيح البخاري (110/5)، كتاب المغازي، باب غزوة الخندق، وهي الأحزاب. من طريق يوسفَ بنِ إسحاق عَنْ أَبِى إِسْحَاقَ عن الْبَرَاءِ به.

(3) صحيح مسلم، ص 915 رقم 4567، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة الأحزاب وهي الخندق. من طريق عَبْدِ الْوَارِثِ عَنْ أَبِى التَّيَّاحِ حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ به.

(4) سير أعلام النبلاء، للذهبي (233/1).

(5) نفسه (234/1).

(6) السابق (235/1).

فَقَالَ لَهُ عُمَرُ رضي الله عنه: يَا ابْنَ رَوَاحَةَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَفِي حَرَمِ اللَّهِ تَقُولُ الشِّعْرَ ؟! فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: "خَلِّ عَنْهُ يَا عُمَرُ فَلَهِيَ أَسْرَعُ فِيهِمْ مِنْ نَضْحِ النَّبْلِ". قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ[1].

وفي الحديث أن الرسول صلى الله عليه وسلم أمر باستخدام الأسلوب الذي يصل تأثيره وفعاليته في المشركين والأعداء على أشد ما يكون الوقع والجرح.

ومنهم كعب بن مالك رضي الله عنه:

"شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه وأحد الثلاثة الذين خلفوا فتاب الله"[2].

وقد أسلمت دوسٌ فَرَقًا من بيتٍ قاله كعبٌ: نخيرها ولو نطقت لقالت قواطعهن دوسا أو ثقيفا

عن ابن المنكدر عن جابر: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لكعب بن مالك: ما نسي ربك لك وما كان ربك نسيا بيتًا قلته، قال: ما هو ؟ قال: أنشده يا أبا بكر فقال:

زعمت سخينة أن ستغلب ربها وليُغلبن مُغالب الغلاب[3]

وأشهرهم حسان بن ثابت رضي الله عنه:

وقد فُضِّل حسان بن ثابت رضي الله عنه على الشعراء بثلاث: كان شاعر الأنصار في الجاهليّة، وشاعر النبي صلى الله عليه وآله وسلم في أيام النبوة، وشاعر اليمن كلها في الإسلام[4].

الحضُّ على مناصرة الدعوة بمختلف الألوان:

ومن ذلك ما أخرجه البخاريُّ أن حسانًا استشهد أبا هريرة عن قوله صلى الله عليه وسلم: "يَا حَسَّانُ، أَجِبْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ أَيِّدْهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ"[5]، فأقرَّه أبو هريرة.

---

(1) سنن الترمذي، ص 636 رقم 2874، كتاب الأدب، باب ما جاء في إنشاد الشعر. من طريق عَبْدِ الرَّزَّاقِ عن جَعْفَرَ بْنِ سُلَيْمَانَ عن ثَابِتِ بنِ أسلم البناني عَنْ أَنَسٍ به.

الحكم على الحديث: إسناده صحيح؛ رواته ثقات.

ورجال الحديث هم: إِسْحَاقُ بْنُ مَنْصُورٍ، ثابت بن أسلم: ثقتان. (انظر: التقريب (ص 182 رقم 388)، (ص 185 رقم 818). عَبْدُ الرَّزَّاقِ الصنعاني: ثقة سماعه بعد المائتين لا شيء.

جعفر بن سليمان: وثقه ابن معين، وابن المديني، وابن سعد، وزاد: به ضعف (تهذيب التهذيب (308/1)، وابنُ شاهين، وقال: والخلاف في جعفر من ابن عمّار (محمد بن عبد الله) في ضعفه ومن يحيى بن سعيد تركه، لعلة المذهب. (من اختلف العلماء ونقّاد الحديث فيه، لابن شاهين، ص 79). وقال أحمد: لا بأس به، وعندما قيل له: إن سليمان بن حرب لا يكتب حديثه، فقال: إنما كان يتشيّع. وكان يحيى بن القطّان يستضعفه ولا يروي حديثه. (تهذيب التهذيب (308/1).

قلت: هو ثقة، ومن أعلّ روايته فلتشيّعه. والله أعلم. وقال ابنُ حجر في "التقريب": صدوق زاهد. (ص 199 رقم 950).

(2) سير أعلام النبلاء (523/2).

(3) نفسه (525/2).

(4) الإصابة، لابن حجر (8/2) رقم 1699.

(5) **متفقٌ عليه.**

الهجاء في خدمة الدعوة:

ومثله جاء عند البخاري من قول النبي صلى الله عليه وسلم لحسان: "اهْجُهُمْ – أَوْ هَاجِهِمْ – وَجِبْرِيلُ مَعَكَ"[1]. وفي هذا السياق يأتي الحديث الإعلامي عن وجوب ضرورة استغلال الشعر كوسيلة ناجعة ناقعة في الذبّ عن القيادة المسلمة، كما جاء في سياق الحوار بين النبي المختار صلى الله عليه وسلم وشاعره حسان:

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَت: اسْتَأْذَنَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِي هِجَاءِ الْمُشْرِكِينَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "فَكَيْفَ بِنَسَبِي ؟!". فَقَالَ حَسَّانُ: لأَسُلَّنَّكَ[2] مِنْهُمْ كَمَا تُسَلُّ الشَّعَرَةُ مِنَ الْعَجِينِ[3].

وقد كان شعر حسان من أبلغ المساهمين في تبرئة عائشةَ أمِّ المؤمنين بعدما خيض في عرضها الشريف، ومما قاله في ذلك:

فإن أبي ووالدَه وعرضي لعرض محمدٍ منكم وقاءُ

وقال: حصانٌ رزانٌ ما تُزَنّ بريبة وتصبح غرثى من لحوم الغوافل[4]

خلاصة المبحث الأول:

تنوعت وسائل الاتصال في العهد النبويّ، واستخدمها النبيُّ صلى الله عليه وسلم جميعًا، لكي لا يبقى واحدٌ من المخاطبين إلا ويتفاعل مع إحدى الوسائل، وتنوعت الجهات المستهدفة من ملوك وأمراء، وكبار وصغار، ورجال ونساء.

وذكرنا أربع وسائل أولها الخطبة، يليها الحوار ثم الرسائل والبعوث فالشعر.

وننتقل الآن إلى آخر مباحث الرسالة ويتحدث عن موقف الرسول صلى الله عليه وسلم في مواجهة الحرب النفسية، والمواطن التي استخدم فيها هذا الأمر.

أخرجه البخاريّ في صحيحه (36/8)، كتاب الأدب، باب هجاء المشركين. ومسلمٌ في صحيحه، ص 1236 رقم 6280، كتاب فضال الصحابة، باب فضائل حسان بن ثابت رضي الله عنه. كلاهما من طريق أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ عن حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ الأَنْصَارِيِّ عن أَبِي هُرَيْرَةَ به.

(1) صحيح البخاري (113/5)، كتاب المغازي، باب مرجع النبي من الأحزاب ومخرجه إلى بني قريظة، ومحاصرته إياهم. من طريق عَدِيِّ بْنِ ثَابِتٍ عَنِ الْبَرَاءِ [بنِ عازب] به.

(2) **لأسلّنك:** لأخلصن نسبك من هجوهم بحيث لا يبقى شيء من نسبك فيناله الهجو، كالشعرة إذا انسلّت لا يبقى عليها من العجين شيء. وفي الحديث جواز سبِّ المشركِ جوابًا عن سبه للمسلمين، ولا يعارض ذلك مطلقَ النهي عن سبِّ المشركين لئلا يسبوا المسلمين، لأنه محمولٌ على البداءة به، لا على من أجاب منتصرًا. (فتح الباري (772/10).

(3) صحيح البخاريّ (36/8)، كتاب الأدب، باب هجاء المشركين. من طريق هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ به.

(4) أسد الغابة (8/2) رقم 1153.

المبحث الثاني:

موقف الرسول الكريم في مواجهة الحرب النفسية

وفيه خمســـة مطالب :

المطلب الأول: ماهيـــــة الحرب النفسية ومفهومهـــــــا.

المطلب الثاني: أساليب الحرب النفسية ضد الرسول المصطفى.

المطلب الثالث: الشائعـــــات أخطـــــر حالات الحرب النفسية.

المطلب الرابع: مواطـــــن استخدم فيها النبي الحرب النفسيـــة.

المطلب الخامس: كيفيـــــة مواجهـــة النبي للحرب النفسيـــــة.

المبحث الثاني:
موقف الرسول الكريم في مواجهة الحرب النفسيّــة

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول/ ماهية الحرب النفسية ومفهومها:

"هي استخدامُ مخططٍ من جانب الدولة لإجراءات دعائية بقصد التــأثير علــى آراء وعواطــف ومواقف وسلوك جماعات أجنبية عدائية أو محايدة أو صديقة بطريقة تعين على تحقيق سياســة الدولــة وأهدافها"[1].

وهي مصطلحٌ من كلمتين، تأثيرُ الأولى على الأخيرة يعني تحويلَ الجانــبِ المــريحِ والمــستقرِ والهادئِ والاعتياديِّ في نفسِ الإنسانِ إلى عدمِ الاستقرارِ وتغيرِ المزاجِ والارتباكِ والاضطرابِ والقلــقِ وما إلى ذلك من مشاكلِ النفسِ، بسبب تأثيراتٍ نفسيةٍ خارجيةٍ كإثارةِ الشائعاتِ وترويجِ الأكاذيبِ، وبــثِّ روحِ الهزيمةِ والانكسارِ في الطرفِ الآخرِ.

ونحن مأمورون أن نستخدم من الوسائل العسكرية وغيرها في مقارعة العدوّ ما يمثــل أخلاقنــا ونكون فيه في العدوة القصوى من القوة بدليل قول الجليل: "وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَــاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ"[2]، وتنكير (قُوَّةٍ) يُدخِل في ثناياها التأثير على معنويات العدوّ وتحبيط جيشه وبثّ الرعب والهزيمة فيه، وقوله صلى الله عليه وســلم "نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ"[3] بابُ التأصيل والمدخل لاستخدام فنون الحرب النفسية، ذلك أن إيماننــا بالله سيعطينا القوة الربانية لتخويف العدوّ منا قبل وصولنا إليه، ولكن هذا لا يمنع من أن نثير حوله نقــع الرعب والتخويف لكي نضيف إلى قوةِ السلاح قوةَ إضعاف قوتِه.

المطلب الثاني/ أساليب الحرب النفسية ضد الرسول المصطفى عليه السلام:

رياح الطائف لم تأتِ بخير:

عن عُرْوَةَ بنِ الزبير أَنَّ عَائِشَةَ رضي الله عنها زَوْجَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم حَدَّثَتْهُ أَنَّهَا قَالَتْ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم: هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ ؟! قَالَ: "لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ،

---

(1) انظر: الحرب النفسية "نقلا عن معجم المصطلحات الحربية للجيش الأمريكي"، د. فهمي النجار، ص 67-68.

(2) الأنفال: 60.

(3) صحيح البخاريّ (95/1)، كتاب الصلاة، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: "وَجُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا". حَدَّثَنَا سَيَّارٌ – هُوَ أَبُو الْحَكَمِ – قَالَ حَدَّثَنَا يَزِيدُ الْفَقِيرُ قَالَ حَدَّثَنَا جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ به.

وَكَانَ أَشَدُّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلَالٍ[1]، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلاَّ وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ[2] .."[3].

وأصلُ القصةِ أن الرسول صلى الله عليه وسلم ذهب إلى الطائف حتى انتهى إلى زعمائها فجلس إليهم وكلمهم بما جاء به من نصرته على الإسلام والقيام على من خالفه من قومه. فقال له أحدهم: هو يَمْرط (يمزق) ثياب الكعبة إن كان الله أرسلك. وقال الآخر: أما وجد الله أحدًا غيرك يرسله. وقال الثالث: والله لا أكلمك أبدًا، لئن كنت رسولا من الله كما تقول لأنت أعظم خطرًا من أن يُردَّ عليك الكلام، ولئن كنت تكذب على الله ما ينبغي لي أن أكلمك.

فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من عندهم وقد يئسَ من خبر ثقيف، وقد قال لهم: إذ فعلتم ما فعلتم فاكتموا عليّ. وكره رسول الله أن يبلغ قومَه، فأقام بالطائف عشرة أيام وقيل شهرًا لا يدع أحدًا من أشرافهم إلا جاء إليه وكلمه، فلم يجيبوه وخافوا على أحداثهم منه فقالوا: يا محمد اخرج من بلدنا. وأغروْا به سفهاءهم وعبيدهم يسبُّونه ويصيحون به حتى اجتمع عليه الناس. ووقفوا له صفّين على طريقه، فلما مرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الصفّين جعل لا يرفع رجليه ولا يضعهما إلا رضخوهما بالحجارة حتى أدموْا رجليه – بأبي هو وأمي وأهلي حبيب الله عليه السلام –.[4]

"ونلاحظ حرص رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجانب السياسيّ في الموضوع حين طلب من قادة ثقيف كتمان الأمر، لما له من مضاعفات خطيرة في مكة. غير أن هؤلاء الزعماء نكثوا عهدهم"[5].

فليس مستغربًا بعد ذلك أن يهيم الرسول صلى الله عليه وسلم على وجهه ولا يدري أن يجري، فقد أسيء إليه أبلغ إساءة وأشنعها ونيل منه بمختلف الوسائل، واستُخدمت ضده أبشع الكلمات وأقبحها وأحطّها، واستُحقِر وهو سليل المجد، واستُبسِط وهو خدين العلا، وأهين وهو تِربُ الكرامة في منشأها الأول. ولم يتوقف العتاة المتغطرسون في محطّة الكلام، بل أغروا به السفهاء ليلطخوا ما تبقى من جانب نفس مشرق وهادئ بحجارتهم وغلطهم، ليدمى النبيُّ قدمًا وكلا، فالإصابات مباشرة والجراحات متحققة، ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم، ولكن النفسَ المتعلقة تردد دائما مع أيّ جرح نفسي أو جسدي: "هَلْ أَنْتِ إِلاَّ إِصْبَعٌ دَمِيتِ، وَفِى سَبِيلِ اللَّهِ مَا لَقِيتِ"[6].

---

(1) هو من أكابر أهل الطائف من ثقيف. (فتح الباري (440/6).

(2) **قرن الثعالب** أو قرن المنازل: هو ميقات أهل نجد، على يوم وليلة من مكة. (معجم البلدان، للحموي (332/4).

(3) **متفقٌ عليه.**

أخرجه البخاريّ في صحيحه (115/4)، كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم: آمين، والملائكة في السماء فوافقت إحداهما الأخرى غُفِر له ما تقدَّم من ذنبه. ومسلمٌ في صحيحه، ص 909 رقم 4545، كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبي صلى الله عليه وسلم من أذى المشركين والمنافقين. كلاهما من طريق ابْنِ شِهَابٍ عن ابنِ الزبير عن عَائِشَةَ رضي الله عنها به.

(4) سبل الهدى والرشاد (577/576/2).

(5) المنهج الحركي، للغضبان، ص 136.

(6) **متفقٌ عليه.**

أولاً/ التكذيب وإثارة الشبهات والدِّعاية الكاذبة:

فقد اتّهموا النبيَّ صلى الله عليه وسلم تارة بأنه شاعرٌ وأخرى بأنه كاهنٌ ورموه بالجنون وأنه يتعلم باليمامة على يد روميّ، وانظر إلى الآيات الآتية توضح هذا الأمر:

قال تعالى: "بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ"[1].

يقول الزمخشريّ: "أضربوا عن قولهم هو سحر إلى أنه تخاليط أحلام، ثم إلى أنه كلام مفترًى من عنده، ثم إلى أنه قول شاعر، وهكذا الباطل لجلج، والمبطِل متحيّر رجّاع غير ثابت على قول واحد. ويجوز أن يكون تنزيلا من الله تعالى لأقوامهم في درج الفساد: وأن قولهم الثاني أفسد من الأول، والثالث أفسد من الثاني، وكذلك الرابع من الثالث"[2].

وقال سبحانه: "وَيَقُولُونَ أَإِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ"[3].

أي أنهم ينكرون الرسالة. وقولهم "لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ": تخليطٌ في كلامهم، وارتباكٌ في غيّهم، فإن الشاعر هو عنده من الفهم والحذق وجودة الإدراك ما ينظم به المعاني الغريبة ويصوغها في قالب الألفاظ البديعة، ومن كان مجنوناً لا يصل إلى شيء من ذلك[4].

وقال عزّ من قائل: "وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ"[5].

اختلف العلماء في تعيين هذا البشر الذي زعموا عليه ما زعموا. قيل: نصرانيّ اسمه جبر، وقيل: يعيش لعبد بن الحضرميّ، وقيل: اسمه أبو ميسرة يتكلم الرومية، وغير ذلك كثير.

"لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ": لسان الذي يميلون إليه ويزعمون أنه يعلمك أعجميّ، والعجمة: الإخفاء وعدم الفصاحة والبيان، والعرب تسمي كل من لا يعرف لغتهم ولا يتكلم بها أعجميًّا[6].

وظاهرُ الآية أن المعلم المزعوم ليس عربيًّا، فكيف يكون تعليمه عربيًّا فصيحًا كالحالة التي كان عليه الرسول صلى الله عليه وسلم والقرآن العظيم.

وهذا كله بهدف التشكيك في العقيدة وزعزعة الاستقرار الإيمانيّ في نفوس أصحاب النبيّ صلى الله عليه وسلم، وهو يوضح مدى العقلية المنحدرة والإسفاف الذي كانت تتحلى به الجاهلية، فالوسائل القبيحة التي كانوا يتبعونها مبرَّرةٌ لديهم في سبيل تحقيق مرادٍ ذميم وغاية منحطّة.

أخرجه البخاريّ في صحيحه (35/8)، كتاب الجهاد، باب من يُنكب في سبيل الله. ومسلمٌ في صحيحه، ص 909 رقم 4546، كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبي صلى الله عليه وسلم من أذى المشركين والمنافقين. كلاهما من طريق الأَسْوَدِ بْنِ قَيْسٍ عَنْ جُنْدُبِ بْنِ سُفْيَانَ به.

(1) الأنبياء: 5.

(2) الكشاف، للزمخشريّ (101/3).

(3) الصافات: 36.

(4) انظر: تفسير البحر المحيط، لأبي حيّان الأندلسيّ (343/7).

(5) النحل: 103.

(6) انظر: فتح القدير، للشوكاني (245/3).

وهم في المواطن كلها يحاولون توجيه الرأي العام إلى أن هناك مشكلة نفسية عند الرسول صلى الله عليه وسلم، فهو عندهم يروي ما يقوله من نسج الأحلام التي يراها، بل من أدناها فهي أضغاث[1] مختلطة مشوّهة ولا يمكن أن تكون مقبولة، وأنه يفتري من عنده، وهذا يعني الكذب في حقه صلى الله عليه وسلم والكذب على الله تعالى، لأنه قال أنه مأمورٌ بتبليغهم من الله، وأنه يحاول أن يطاول زمزمة الكهّان وسجعهم، وأن يكون له شأنٌ ويُشار إليه بالبنان، وكلها أمراضٌ نفسية.

بل تعدّى ذلك إلى قدحهم في عقله وعقليّته، وأنه مجنون لا يعقل ما يقول، وأخيرًا اتهموه بمصادرة عقه لصالح أعجميٍّ يعلمه بعض ما يقوله للناس.

ولك أن تتصور إنسانًا يجرّده قومه من أدنى المقومات البشرية الطبيعية، سيجعله هذا مرفوضًا من أهله ومن يتسامع أخباره من الأقوام الأخرى، ولكن "يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ"[2].

ثانيًا/ الحيلولة بين الناس وبين سماعهم القرآن ومعارضته بأساطير الأولين:

قال تعالى: "وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْراً وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ"[3].

ومقصودهم في ذلك: "القدح في كون القرآن معجزًا، فكأنهم قالوا: إن هذا الكلام من جنس سائر الحكايات المكتوبة، والقصص المذكورة للأولين، وإذا كان هذا من جنس تلك الكتب المشتملة على حكايات الأولين وأقاصيص الأقدمين لم يكن معجزًا خارقًا للعادة"[4].

وطبعًا يترتب على ذلك التكذيب برسالة الرسول صلى الله عليه وسلم والتشكيك بالرسول نفسه، وأنه تخلى عن الطريق التي كان يُشتهر به كونه الصادق الأمين.

فهم الذين قالوا عن القرآن وحديث النبيّ العدنان: "أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً"[5] وبانت ملامح السياسة العامّة لذلك عبر ما وضحته الآية: "وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ"[6].

اكْتَتَبَهَا: أي أمر أن تكتب له. فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ: أي تُقرأ عليه ليحفظها لا ليكتبها، لأنه لم يكن كاتبًا. بُكْرَةً وَأَصِيلاً: غدوة وعشيًّا.[7]

---

(1) أحلام ملتبسة. (العين، للفراهيدي (18/3).

(2) التوبة: 32.

(3) الأنعام: 25.

(4) التفسير الكبير، للفخر الرازي (198/12).

(5) الفرقان: 5.

(6) الأنفال: 31.

(7) زاد المسير، لابن الجوزيّ (73/6).

قال ابنُ هــشام: "وكان النضر بن الحارث من شياطين قريش، وممن كان يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويَنْصب لع العداوة، وكان قد قدِم الحيرة، وتعلَّم بها أحاديث ملوك الفرس، فكان إذا جلس رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مجلسًا فذكَّر فيه بالله، وحذَّر قومه ما أصاب من قبلهم من الأمم من نقمــة الله، خَلَفَه في مجلسه إذا قام، ثم قال: أنا والله يا معشرَ قريش، أحسنُ حديثًا منه، فهلمَّ إليّ، فأنــا أحــدّثكم أحسنَ من حديثه، ثم يحدّثهم عن ملوك فارس ورستم، ثم يقول: بماذا محمدٌ أحسنُ حديثًا مني ؟".[1]

ثالثًا/ الأسئلة التعجيزية (المغالطات):

ولما فنّد لهم رسول الله دعاواهم وعروضهم المغرية في التسويد والتمجيــد، والعــلاج إن كــان احتياج، وجمع المال حتى يكون أولَّ الرجال، استخدموا معه المغالطات وطالبوه بالتعجيز تهكمًا لا طلبًــا للإيمان فقد قال تعالى مخبرًا عن بواطنهم: "وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلاً مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ"[2].

وفي هذا **يقول ابنُ إسحاق:** "قالوا: يا محمد فإن كنت غيرَ قابلٍ منّا شيئًا مما عرضناه عليك، فإنك قد علمت أنه ليس من الناس أحدٌ أضيقَ بلدًا، ولا أقلّ ماءً، ولا أشدَّ عيشًا منَّا، فسلْ لنا ربَّك الذي بعثك بما بعثك به، فليسيِّر عنّا الجبال التي ضيّقت علينا، وليبسط لنا بلادنا، وليفجِّر لنا فيها أنهارًا كأنهــار الــشام والعراق، وليبعث لنا من مضى من آبائنا ...".[3]

وهذا هو التصوير القرآني الكامل لتلك المطالبات والمغالطات الترّهات، قال تعالى: "وَقَــالُوا لَــنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعاً ، أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَــارَ خِلالَهَــا تَفْجِيراً ، أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفاً أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلائِكَةِ قَبِيلاً ، أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْــتٌ مِــنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَاباً نَقْرَأُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْــتُ إِلَّــا بَشَراً رَسُولاً"[4].

رابعًا/ التشفي والغل:

فقد جاء في صحيح البخاري من حديث البراء بن عازب واصفًا مشهد نهاية الغزوة في أحد "... وَأَشْرَفَ أَبُو سُفْيَانَ فَقَالَ: أَفِي الْقَوْمِ مُحَمَّدٌ ؟ فَقَالَ:"لاَ تُجِيبُوهُ". فَقَالَ: أَفِي الْقَوْمِ ابْنُ أَبِي قُحَافَــةَ ؟ قَــالَ:"لاَ تُجِيبُوهُ". فَقَالَ: أَفِي الْقَوْمِ ابْنُ الْخَطَّابِ ؟، فَقَالَ: إِنَّ هَؤُلاَءِ قُتِلُوا، فَلَوْ كَانُوا أَحْيَاءً لأَجَابُوا، فَلَمْ يَمْلِكْ عُمَــرُ نَفْسَهُ، فَقَالَ: كَذَبْتَ يَا عَدُوَّ اللَّهِ، أَبْقَى اللَّهُ عَلَيْكَ مَا يُخْزِيكَ. قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: أُعْلُ هُبَلْ. فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: "أَجِيبُوهُ". قَالُوا: مَا نَقُولُ؟ قَالَ: "قُولُوا: اللَّهُ أَعْلَى وَأَجَلُّ". قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: لَنَا الْعُزَّى وَلاَ عُزَّى

---

(1) السيرة النبوية، لابن هشام (300/1).

(2) الأنعام: 111.

(3) السيرة النبويّة، لابن هشام، (296/1).

(4) الإسراء: 90-93.

لَكُمْ. فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم:"أَجِيبُوهُ". قَالُوا: مَا نَقُولُ؟ قَالَ: " قُولُوا: اللَّهُ مَوْلاَنَا وَلاَ مَوْلَى لَكُمْ ". قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: يَوْمٌ بِيَوْمِ بَدْرٍ، وَالْحَرْبُ سِجَالٌ[1]، وَتَجِدُونَ مُثْلَةً[2] لَمْ آمُرْ بِهَا وَلَمْ تَسُؤْنِي.[3]

وفي مسند أحمد من حديث عبد الله بن مسعود إضافةٌ على هذا القول الأخير من أبي سفيان، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: ".. لاَ سَوَاءَ أَمَّا قَتْلاَنَا فَأَحْيَاءٌ يُرْزَقُونَ وَقَتْلاَكُمْ فِي النَّارِ يُعَذَّبُونَ .."[4].

"**لاَ تُجِيبُوهُ**": إمعانًا في إغاظة أبي سفيان وإعادته بما لا يشتهي، إذ القضاء على القيادة هو العلامة الأبرز على الخلاص من المعركة بالظفر الآكد، وظاهر الأمر أن أبا سفيان أحسّ أن هناك خدعة معينة، أو أنه أراد أن يتم فصول التأكد من الأمر بكافة الوسائل، فاستخدم أسلوبًا استفزازيًا وهو: "إِنَّ هَؤُلاَءِ قُتِلُوا، فَلَوْ كَانُوا أَحْيَاءً لأَجَابُوا"، وكان له ما أراد، إذ لم يستطع الفاروق أن يتحمل هذا الضغط النفسي الشديد، فأراد أن يصدّر جزءًا منه للخارج، فكان أن ردّ عليه بأسلوب لاذع شديد اللهجة طمعًا في إخراسه وإشعاره بخيبته.

ثم صار دخولٌ في مرحلة الرد على سطوة الباطل الإعلامية، بمعنى أنه عندما أراد أن يزهو بأثوابه ويطير بأرياش غروره، كان لا بد من قصّها، وهو ما يؤكد أن خسارة المعركة عسكريًا لا تجيز

---

(1) **سِجَال**: بالكسر أي مرة كذا ومرة كذا، مأخوذ من مساجلة المستقيين، حيث يدلي هذا سجله مرة وهذا مرة. (هدي الساري، ص 209).

(2) **مُثلة**: بضم الميم وسكون المثلثة، ويُروى بفتح أوله وضمّ ثانيه، ويُروى بضمهما معًا، هو ما فعل من التشويه بالقتلى وجمعه مثلات بضمتين. (هدي الساري، ص 309).

(3) صحيح البخاري (94/5)، كتاب المغازي، باب غزوة أحد. من طريق إِسْرَائِيلَ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ عَنِ الْبَرَاءِ به.

(4) مسند أحمد (287/1) رقم 2609.، مسند عبد الله بن العبّاس رضي الله عنهما.

قال أحمد: حَدَّثَنِي سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي الزِّنَادِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ:...

الحكم على الحديث: إسناده حسن، وله شاهدٌ من حديث ابن مسعود رضي الله عنه كما في مصنف ابن أبي شيبة (371/7) رقم 36783)، وسليمان بن داود بصري [تلميذ ابن أبي الزناد].

ورجال الحديث هم: سليمان بن داود، عبد الله بن ذكوان القرشي، عبيد الله بن عبد الله بن عتبة: ثقات.

انظر: التقريب (ص 406 رقم 2565)، (ص 504 رقم 3322)، (ص 604 رقم 43387).

عبد الرحمن بن أبي الزناد: ضعفه ابنُ المدينيّ، وابنُ معين وكان يرى عدم الاحتجاج به هو والنَّسائي (الضعفاء والمتروكين، ص 160 رقم 387)، لكن ابن معين قال: هو أثبت الناس في هشام بن عروة. وقال أحمد: مضطرب الحديث، فما حدّث بالمدينة فهو صحيح، وما حدّث ببغداد أفسده البغداديون. وبهذا قال ابن المدينيّ والساجيّ.

ووثقه يعقوب بن شيبة وقال: في حديثه ضعف. ووثقه العجليّ (معرفة الثقات (77/2) رقم 1039)، والترمذيّ، وصحح الترمذي له عدة من أحاديثه، وقال في اللباس: ثقة حافظ. (تهذيب التهذيب (504/2-505).

وذكره ابن حبّان في (المجروحين) وقال: كان ممن ينفرد بالمقلوبات عن الأثبات وكان ذلك من سوء حفظه وكثرة خطئه فلا يجوز الاحتجاج بخبره إذا انفرد فأما فيما وافق الثقات فهو صادق في الروايات يُحتج به. (21/2) رقم 590). وذكره ابن الجوزيّ في الضعفاء، وقال: كان ابن مهدي لا يحدِّث عنه. (94/2) رقم 1869).

وقال ابنُ حجر: صدوق تغير حفظه لما قدم بغداد. (تقريب التهذيب، ص 578 رقم 2886).

قلت: هو كما قال ابن حجر في التقريب. والله أعلم.

للمسلم المتفائل أن يخسرها إعلاميًّا، ولذا قال النبي صلى الله عليه وسلم لصحابته المرافقين له: "أَجِيبُوهُ"، عندما قال أبو سفيان: أُعْلُ هُبَلْ، لأن السكوت على مثل هذا الهراء من شأنه أن يمثل علامة إقرار به أو ما شابه.

ولاحظنا في الخطاب الإعلامي النبوي أنه انطلق إلى مرحلة الدفاع الواجب، وأنــه اختــار أدقّ الكلمات وأبلغها وأكثرها تعبيرًا عن المراد، وهو في كلا ردّيه يذكر لفظ الجلالة ليدعم موقفــه ويعطيــه الزخم المطلوب، وفي الاتجاه المقابل يشكل راحة معنوية لصحابة الرسول بعدما أصابهم من همٍّ وخــسار ليس بالهين فقدوا فيه سبعين شهيدًا.

خامسًا/ الحصار الاقتصادي وحملات التيئيس:

ولما لم يستطع المشركون التأثير على معنويات الرسول صلى الله عليه وسلم والنيل منها بالطرق المادية والاضطهادات والملاحقات، لجؤوا إلى حصر منبع الإشكال كما اعتقدوا في شِعب وزاوية تكــون تحت الرقابة الشديدة والصرامة القصوى في التعامل، وهو ما كان بإلجاء الرسول ومن اتبعه اقتناعًــا أو تابعه حميّةً في شعب أبي طالب سنواتٍ جفّ فيها الضرع وبليت الأواني وأُكِلَ اليابس واحتُفِيَ بالجيفــة، وطار الشوق إلى خذاريف الهناءة.

فقد روى ابن سعد على لسان المطعم بن عديّ قال:

لما بلغ قريشًا فعلُ النجاشيّ لجعفر وأصحابه وإكرامه إياهم، كبُر عليهم ذلك وغضبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأصحابه، وأجمعوا على قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكتبوا كتابًا على بني هاشم ألا يناكحوهم، ولا يبايعوهم، ولا يخالطوهم، .. وقطعوا عنهم الميرة والمادّة، فكانوا لا يخرجون إلا من موسم إلى موسم حتى بلغهم الجهد، وسمِع أصوات صبيانهم من وراء الشِّعب، فأقاموا في الــشّعب ثلاث سنين، ثم أطلع الله رسوله على أمر صحيفتهم وأن الأرضة قد أكلت ما فيها من جوْر وظلم وبقي ما كان فيها من ذكر الله عزّ وجلّ. فمن قريش من سرّه ذلك ومنهم من ساءه. وكان الذي كتــب الــصحيفة منصور بن عكرمة العبدري، فشُلّت يده، وعلقوا الصحيفة في جوف الكعبة.[1]

وكان غرضهم من ذلك كلِّه التأثير على معنويات الرسول وصحبه فيتراجعــوا، والــضغط علــى عشيرته فيحجموا عن حمايته فيكون في الهواء الطلق وجهًا لوجه مع آلة الشرك الطاحنة، ولكنّ ذلك كله لم يحدث، مما ردّ الشرك خاسئًا لم يظفر بخفيّ حنين ولم ينل خيرًا، وازداد المسلمون إيمانًا وثباتًا علــى الحقّ بتوفيق الله لهم.

وغير ذلك أمثلةٌ كثيرة لا يتّسع المقام لذكرها موجودة في مظانّها من كتب السير والمغازي.

---

(1) الطبقات الكبرى، لابن سعد. (1/177-178).

المطلب الثالث/ الشائعات "أخطر حالات الحرب النفسية" (شائعة الإفك نموذجًا):

قد يظنّ السواد الأعظم أن الشائعات يكثر مداها ويرتفع صوتها في فترة الحرب والخلافات فقط، والواقع أنها لا تعرف وقتًا محددًا ترتمي في أحضانه، إذ ربما يكون الجو هادئًا وادعًا، وسماؤه صافيةً من سحب الإشكالات والتوترات وإرهاصات الأزمات، ويكون وقتذاك من يسعى في الخفاء وبطريقة سبئية لتبديد هذه الأجواء وتسريح جيش الازدهار والتقدم إلى غياهب القلق والتوتر.

ومن ذلك شائعات الأمن أو الخوف:

حفلت آيات القرآن الكريم بالعديد من المشاهد التي توضّح خطورة الشائعة على المجتمع المسلم، وتبيّن وسائل الوقاية منها وعلاجها إن وقع المسلمون في محذور الوقع فيها:

قال تعالى: "وَإِذَا جَاءهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ، وَلَوْلاَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً"[1].

يقول سيد قطب: الصورة التي يرسمها هذا النص، هي صورة جماعة في المعسكر الإسلامي، لم تألف نفوسهم النظام، ولم يدركوا قيمة الإشاعة في خلخلة المعسكر، وفي النتائج التي تترتب عليها، وقد تكون قاصمة؛ لأنهم لم يرتفعوا إلى مستوى الأحداث، ولم يدركوا جدية الموقف، وأن كلمة عابرة وفلتة لسان، قد تجرّ من العواقب على الشخص ذاته، وعلى جماعته كلها ما لا يخطر له ببال، وما لا يتدارك بعد وقوعه بحال ! أو – ربما – لأنهم لا يشعرون بالولاء الحقيقي الكامل لهذا المعسكر؛ وهكذا لا يعنيهم ما يقع له من جراء أخذ كل شائعة والجري بها هنا وهناك، وإذاعتها، حين يتلقاها لسانٌ عن لسان. سواء كانت إشاعةَ أمن أو إشاعة خوف. فكلتاهما قد يكون لإشاعتها خطورة مدمرة ! – فإن إشاعة أمر الأمن مثلا في معسكر متأهب مستيقظ متوقع لحركة من العدو. إشاعة أمر الأمن في مثل هذا المعسكر تحدث نوعا من التراخي – مهما تكن الأوامر باليقظة – لأن اليقظة النابعة من التحفز للخطر غير اليقظة النابعة من مجرد الأوامر ! وفي ذلك التراخي قد تكون القاضية ! . كذلك إشاعة أمر الخوف في معسكر مطمئن لقوته، ثابت الأقدام بسبب هذه الطمأنينة. وقد تحدث إشاعة أمر الخوف فيه خلخلة وارتباكا، وحركات لا ضرورة لها لاتّقاء مظانِّ الخوف. وقد تكون كذلك القاضية ![2]

وقال سبحانه: "لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ"[3].

قال صاحب فتح القدير: "وإنما أعجب من أعجب من المسلمين بكثرتهم لأنهم كانوا اثني عشر ألفا ...، فقال بعضهم: لن نغلب اليوم من قلة، فوكلوا إلى هذه الكلمة، فلم تغنِ عنهم الكثرة شيئًا، بل انهزموا وثبت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وثبت معه طائفة يسيرة ..."[4].

---

(1) النساء: 83.

(2) في ظلال القرآن (722/2).

(3) التوبة: 25.

(4) فتح القدير، للشوكاني (436/2).

وهذا مثالٌ على شائعة الأمن، والتي تبين أن من غرّته قوته الذاتية تقلب "من انفعال الإعجاب بالكثرة، إلى زلزلة الهزيمة الروحية، إلى حركة الهزيمة الحسيّة، وتولية الأدبار والنكوص على الأعقاب"[1].

ومن الأمثلة على الشائعات: إشاعة مقتل النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة أحد:

يقول المقريزيّ: "ونادى إبليس عند جبل عينين (أَحَد جبال أُحُد): إن محمدًا قد قتل، ثلاث صرخات"[2].

وكان من التأثيرات السلبية على نفسيات المسلمين، ما ذكره المقريزيّ في (الإمتاع)، قال:

واختلط المسلمون وصاروا يُقتلون، ويضرب بعضهم بعضًا، ما يشعرون من العجلة والدَّهش، وجُرِح أسيد بن حضير جرحين، ضربه أحدهما أبو بردة بن نيار، والتقت أسياف المسلمين على اليمان حسيل بن جابر، وهم لا يعرفونه حين اختلطوا، وحذيفة يقول: أبي أبي !! حتى قُتِل. فقال حذيفة: يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين. فزادته عند رسول الله خيرًا[3].

ولحق الأذى الشديد بالرسول عليه السلام؛ فكُسِرت رباعيتُه، وشُجَّ في وجنتيه حتى غاب حلقُ المغفر في وجنته، وأصيبت ركبتاه، جُحِشَتا (أصيبتا بشدة في الحفرة)[4].

وفي هذا الموقف الحسّاس جدًا والمضطرب تمامًا **يقول المباركفوري:** "وهذا هو الظرف الدقيق الذي خارت فيه عزائم كثير من الصحابة المطوّقين، الذين لم يكونوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وانهارت معنوياتهم، حتى وقع داخل صفوفهم ارتباكٌ شديدٌ وعمّتها الفوضى والاضطراب"[5].

ومن المعلوم أن "ائتمار الضعفاء في جنح الظلام لا يقلّ خطورة عن نكاية الأقوياء في ميادين الصدام، بل إن المرء قد يألم لإشاعة ملفقة أكثر مما يألم لطعنة مواجهة"[6].

حديثُ الإفك[7]:

سبب انتشار شائعة الإفك:

"إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّناً وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ"[8].

---

(1) في ظلال القرآن (1617/3).

(2) إمتاع الأسماع (145/1).

(3) انظر: نفسه (145/1).

(4) انظر: السابق (151/1).

(5) الرحيق المختوم، ص 244.

(6) فقه السيرة، محمد الغزالي، ص 307.

(7) **الإفك والأَفَك:** الثانية بفتحتين بمنزلة النَّجس والنِّجس، وأصل الإفك الكذب. (انظر: هدي الساري، ص 120)، والإفك: أسوأ الكذب وأقبحه، وهو مأخوذ من أفك الشيء إذا قلبه عن وجهه. فالإفك هو: الحديث المقلوب. (فتح القدير (16/4). "بل الإفك أبلغ ما يكون من الكذب والافتراء". (الأساس في التفسير، سعيد حوى (3712/7).

(8) النور: 15.

واستفادةً من الآية نطّلع على الأسباب المباشرة:

1. سماع الخبر من طرفه ونقله قصة كاملة: "إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ"، "قال الكلبي: وذلك أن الرجل منهم يلقى الرجل، فيقول: بلغني كذا وكذا، ويتلقونه تلقيا"[1].

ولذا كان من تحذير بعض الخبراء في الحرب النفسية من ذلك قولهم: إن الخبر يكون كلمة في غزة فيصير مجلدًا بمجرد وصوله إلى رفح.

2. افتراء الباطل وادّعاء المعرفة: "وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ "، وذلك واضح في عدم التدقيق والتثبت من المعلومات التي تذكر لأول مرة، وإضافة ما ليس من أصل القضية عليها، للإشارة على مشيع الفتنة أنه الخبير الخرّيت بمناحي الموضوع وتداعياته، ولذا جاء في السياق القرآنية لفظة (بِأَفْوَاهِكُم) فالأمر جاء من اللسان فقط لاشتهاء الكلام والوقيعة بين المسلمين من غير اعتقاد القلب وإقراره من الداخل، لأن الكاذب يعرف أن ما يقوله خطأ ومع ذلك يسوق للخطيئة لكنه لا يتجاوز إطار اللسان.

3. احتقار المنكر والاستهانة بالقبائح: "وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّناً وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ"، هنا إشارة إلى أنه عندما هان عظيم الموضوع في نفس السامع واعتباره عاديا من قبَله، وتسويل الشيطان له أنه قد يكون مدخلا إلى نشر الفضيلة بالتحذير من الرذيلة عبر ذكر قصص واقعية، وجدنا بعد هذا نقل الشائعة، مما يؤكد على أن التخيل الخاطئ بخصوص إطار معين يجعل صاحبه يدور حول ساقية الهوان، كما أن في الآية لفت انتباه إلى عدم استفادة الناقل للغط الكلام منه ، فلن يؤوب عليه خير من ورائه في دنياه، وقد ارتكب منكرًا عظيمًا عند ربه.

حديثُ الشائعات ونقلُ الافتراءات:

وقد جاء في صحيح البخاري من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: "... قَالَ عُرْوَةُ أُخْبِرْتُ أَنَّهُ كَانَ يُشَاعُ وَيُتَحَدَّثُ بِهِ [حديث الإفك] عِنْدَهُ – يعني عبدَ الله بنَ أبيّ بنِ سلول –، فَيُقِرُّهُ وَيَسْتَمِعُهُ وَيَسْتَوْشِيهِ[2]. وَقَالَ عُرْوَةُ أَيْضًا لَمْ يُسَمَّ مِنْ أَهْلِ الإِفْكِ أَيْضًا إِلاَّ حَسَّانُ بْنُ ثَابِت، وَمِسْطَحُ بْنُ أُثَاثَةَ، وَحَمْنَةُ بِنْتُ جَحْشٍ فِي نَاسٍ آخَرِينَ، لاَ عِلْمَ لِي بِهِمْ، غَيْرَ أَنَّهُمْ عُصْبَةٌ[3] – كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى – وَإِنَّ كُبْرَ ذَلِكَ يُقَالُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ ابْنُ سَلُولَ. قَالَ عُرْوَةُ: كَانَتْ عَائِشَةُ تَكْرَهُ أَنْ يُسَبَّ عِنْدَهَا حَسَّانُ، وَتَقُولُ إِنَّهُ الَّذِي قَالَ:

فَإِنَّ أَبِى وَوَالِدَهُ وَعِرْضِي لِعِرْضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وِقَاءُ

---

(1) فتح القدير، للشوكاني (17/4).

(2) **يستوشيه:** يستخرجه (هدي الساري، ص 347).

(3) **عصبة:** جماعة ما بين العشرة إلى الأربعين. (لسان العرب (604/1).

وقد كان أبو بكر يموّن مسطح بن أثاثة لقرابته منه، فلما خاض مع أهل الإفك في أمر عائشة حلف أبو بكر ألا ينفعه، فنزلت "وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُوْلِي الْقُرْبَى". الآية (النور:22)، فعاد أبو بكر إلى الإنفاق عليه. (انظر: الإصابة في تمييز الصحابة (93/6) رقم 7941).

تداعيات حديث الإفك السلبية على لسان عائشة:

1. مرضها وطول مدته: "فَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ فَاشْتَكَيْتُ حِينَ قَدِمْتُ شَهْرًا".

2. تنامي صورة الإفك في المجالس وعند الناس من غير أن يكون لها دور في توضيح الحقيقة: "وَالنَّاسُ يُفِيضُونَ فِي قَوْلِ أَصْحَابِ الإِفْكِ، لاَ أَشْعُرُ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ".

3. غياب ملاطفة النبي صلى الله عليه وسلم لها، بالرغم من شكواها وأنينها: "وَهُوَ يَرِيبُنِي[1] فِي وَجَعِي أَنِّى لاَ أَعْرِفُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم اللُّطْفَ الَّذِي كُنْتُ أَرَى مِنْهُ حِينَ أَشْتَكِى".

4. السؤال غير المباشر عنها، بل باستخدام واسطة، ثم الانصراف سريعًا من غير الاطمئنان المباشر عليها مما أثّر عليها سلبًا خاصة مع عدم ذكر النبيّ عليه السلام لها باسمها: "إِنَّمَا يَدْخُلُ عَلَىَّ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَيُسَلِّمُ ثُمَّ يَقُولُ: " كَيْفَ تِيكُمْ " ثُمَّ يَنْصَرِفُ".

5. وقوعها في حالة من الشكّ وعدم فهم ما يجري حولها، لدرجة أن مرضها صادقها ردحًا طويلا: "فَذَلِكَ يَرِيبُنِى وَلاَ أَشْعُرُ بِالشَّرِّ، حَتَّى خَرَجْتُ حِينَ نَقَهْتُ[2]".

6. اشتداد حالة التأزم لديها عند معرفتها أن المتحدثين في الإفك ممن يشار إليهم ببنان الصلاح والخير (فَازْدَدْتُ مَرَضًا عَلَى مَرَضِى): "فَخَرَجْتُ مَعَ أُمِّ مِسْطَحٍ قِبَلَ الْمَنَاصِعِ[3]، وَكَانَ مُتَبَرَّزَنَا[4]، وَكُنَّا لاَ نَخْرُجُ إِلاَّ لَيْلاً إِلَى لَيْلٍ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ نَتَّخِذَ الْكُنُفَ[5] قَرِيبًا مِنْ بُيُوتِنَا. قَالَتْ وَأَمْرُنَا أَمْرُ الْعَرَبِ الأُوَلِ فِي الْبَرِّيَّةِ قِبَلَ الْغَائِطِ، وَكُنَّا نَتَأَذَّى بِالْكُنُفِ أَنْ نَتَّخِذَهَا عِنْدَ بُيُوتِنَا، قَالَتْ فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَأُمُّ مِسْطَحٍ وَهْىَ ابْنَةُ أَبِى رُهْمِ بْنِ الْمُطَّلِبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ، وَأُمُّهَا بِنْتُ صَخْرِ بْنِ عَامِرٍ خَالَةُ أَبِى بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، وَابْنُهَا مِسْطَحُ بْنُ أُثَاثَةَ بْنِ عَبَّادِ بْنِ الْمُطَّلِبِ، فَأَقْبَلْتُ أَنَا وَأُمُّ مِسْطَحٍ قِبَلَ بَيْتِي، حِينَ فَرَغْنَا مِنْ شَأْنِنَا، فَعَثَرَتْ أُمُّ مِسْطَحٍ فِي مِرْطِهَا[6] فَقَالَتْ: تَعِسَ مِسْطَحٌ. فَقُلْتُ لَهَا: بِئْسَ مَا قُلْتِ، أَتَسُبِّينَ رَجُلاً شَهِدَ بَدْرًا ؟! فَقَالَتْ: أَيْ هَنْتَاهْ[7] وَلَمْ تَسْمَعِي مَا قَالَ !!، قَالَتْ وَقُلْتُ: مَا قَالَ؟ فَأَخْبَرَتْنِي بِقَوْلِ أَهْلِ الإِفْكِ – قَالَتْ – فَازْدَدْتُ مَرَضًا عَلَى مَرَضِي.

---

(1) **يريبني**: أي يشككني من الريب. (هدي الساري، ص 202).

الريب: ما رابك من أمر، تقول: رابني هذا الأمر، إذا أدخل عليك شكًّا وخوفًا. (معجم مقاييس اللغة، ص 432).

(2) **نقهت**: أفقت من مرضي. (هدي الساري، ص 333).

يقال: نَقَهَ ونَقِهَ من مرضة نُقُوهًا، ورجل ناقِهٌ، وله في كل عام مَرْضةٌ ونَقْهةٌ. (أساس البلاغة، ص 653).

(3) **المناصع**: واحدها منصع، وهي الصعيد الأفيح. (هدي الساري، ص 327).

والمناصع: المجالس، سميت بها لأنها في أسفل المواضع وأمكنها. (معجم المقاييس، ص 1029).

(4) **متبرزنا**: البراز: كناية عن قضاء حاجة الإنسان في الخلاء. (هدي الساري، ص 131).

قلت: والمتبرز اسم مكان، وهو يشير إلى مكان قضاء الحاجة، وإبرازها للخارج بغيةَ التخلص منها.

(5) **الكنُف**: الكنيف: بفتح أوله هو الخلاء. (هدي الساري، ص 301).

الكنيف: هو الساتر، وكل حظيرة ساترة عند العرب كَنيف. (معجم المقاييس، ص 911).

(6) **مِرْطها**: المِرْط هو رداءٌ من صوفٍ أو خزٍّ أو كتّان، وجمْعُه: مُرُوط. (العين، للفراهيديّ (135/4).

(7) **هنتاه**: قال الخليل: إذا دعوت امرأة فكنّيت عن اسمها، قلت: يا هنة، فإذا وصلتها بالألف والهاء وقفت عندها في النداء فقلت: يا هنتاه، ولا يُقال إلا في النداء. (هدي الساري، ص 341).

7. عيشها في هم وحزن وأرق ودمع لا ينقطع عن مآقيها ، وعدم قدرتها على تذوق طعم النـــوم البتـــة: "قَالَتْ [لأمها]: سُبْحَانَ اللَّهِ أَوَ لَقَدْ تَحَدَّثَ النَّاسُ بِهَذَا قَالَتْ فَبَكَيْتُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ، حَتَّى أَصْبَحْتُ لاَ يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ، وَلاَ أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ، ثُمَّ أَصْبَحْتُ أَبْكِي".

8. إحساسها أنها توشك أن تتمزق من ثقل الأزمة النفسية عليها: "حَتَّى إِنِّي لأَظُنُّ أَنَّ الْبُكَاءَ فَالِقٌ كَبِدِي".

9. فقدان الوعي، وشدة الحمى عليها: "قالت أم رومان – وهي أم عائشة – فَخَرَّتْ مَغْشِيًّا عَلَيْهَا، فَمَا أَفَاقَتْ إِلاَّ وَعَلَيْهَا حُمَّى بِنَافِضٍ، فَطَرَحْتُ عَلَيْهَا ثِيَابَهَا فَغَطَّيْتُهَا".

مظاهر تجديد ثقة عائشة بنفسها قبل نزول القرآن بتبرئتها:

1. توقف عملية سحّ الدموع تمامًا: "قَالَتْ: فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مَقَالَتَهُ قَلَصَ دَمْعِي حَتَّى مَا أُحِسُّ مِنْهُ قَطْرَةً"، أما مقالة النبي فهي: "... فَإِنْ كُنْتِ بَرِيئَةً، فَسَيُبَرِّئُكِ اللَّـــهُ، وَإِنْ كُنْـــتِ أَلْمَمْـــتِ بِذَنْبٍ، فَاسْتَغْفِرِي اللَّهَ وَتُوبِي إِلَيْهِ، فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ ثُمَّ تَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ".

2. الاستعانة بالصبر اليعقوبيّ: "فَوَاللَّهِ لاَ أَجِدُ لِي وَلَكُمْ مَثَلاً إِلاَّ أَبَا يُوسُفَ حِينَ قَالَ: "فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّـــهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ"[1].

3. التمكن من هيئة الراحة والتوصل إلى مقدمات النوم ومن ثم إلـــى المنـــام الطبيعـــي: "ثُـــمَّ تَحَوَّلْـــتُ وَاضْطَجَعْتُ عَلَى فِرَاشِي".

4. عودة التفكير الاعتيادي إلى عقل عائشة بعد أن أذهلتها الإفاضة في الحديث في عرضها عنه: "وَاللَّـــهُ يَعْلَمُ أَنِّى حِينَئِذٍ بَرِيئَةٌ، وَأَنَّ اللَّهَ مُبَرِّئِي بِبَرَاءَتِي"[2].

آلية التفاعل مع شائعة الإفك:

1. التصريح بنقد المخطئين ولو على حساب الشخصيات المشهورة: "إِنَّ الَّذِينَ جَاؤُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ".

2. النظر إلى القضية باعتبار جميع جوانبها، وعدم السماح للشر بالسيطرة على طرف القضية المجنـــي عليه "لَا تَحْسَبُوهُ شَرّاً لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ..."[3].

3. تقديم الظن الحسن على ما سواه "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّـــنِّ إِثْـــمٌ"[4]، وعدم المساهمة في نقل الخبر من غير تثبت، وإقالة ذوي الهيئات عثراتهم إذا سقطوا في أمر من الممكن تأوله أو احتماله، وتغليب الإيمان بخيرية المسلم بشكل عام على ما عداه "لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُـــونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْراً وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ"[5].

---

(1) يوسف: 18.

(2) انظر القصة بكاملها: صحيح البخاري (5/116–120)، كتاب المغازي، باب حديث الإفك.
من طريق ابْنِ شِهَابٍ عن عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ وَسَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ وَعَلْقَمَةَ بْنِ وَقَّاصٍ وَعُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ عَنْ عَائِشَةَ به.

(3) النور: 11.

(4) الحجرات: 12.

(5) النور: 12.

ولذا جاء حرف " لَوْلَا " معبرًا أيما تعبير، **يقول الشوكاني:** "لولا هذه التحضيضية تأكيدًا للتوبيخ والتقريع ومبالغة في معاتبتهم".[1]

4. العزم ممن أخطأ ولم يقصد ألا يعود لترديد الشائعات مرة أخرى: "يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَداً إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ"[2].

5. استشعار مغبة الشائعة وعظيم عواقبها: "إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ"[3].

6. عدم الخوف من العقوبة، بمعنى أن التهرب منها سيوصل المشيع الفاحشةَ إلى ما هو أسوأ وأخطر حتى يصبح الأمر سجية لا تنفك عنه وخصلة تحسن التعلق بأرديته.

7. **يقول سعيد حوى:** "إن من يدرس حادثة الإفك يجرك حكمة اشتراط الشهود للزنا، وحكمة حد القذف، كما يدرك ضرورة الظن الحسن بالمؤمنين، وأن الأصل في المؤمن والمؤمنة عدم الزنا ".[4]

8. **يقول أبو الأعلى المودودي** في تعليقه على قوله تعالى (وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ): أي ما كان لكم أصلا أن تلقوا آذانكم إلى هذا الكلام الدنيء القذر ..، بل كان من الواجب على كل واحد منكم عند مجرد سماعه له أن يقول بدون شيء من التردد والارتياب: إنه كذب ملفق وفرية صريحة وبهتان عظيم لا أساس له من الحقيقة والواقع"[5].

المطلب الرابع/ مواطن استخدم فيها النبيُّ صلى الله عليه وسلم الحرب النفسية:

أولاً/ في غزوة حمراء الأسد:

فبعيد أن وقعت المقتلة الكبيرة في الصحابة وكثرت الجراحات وبان كما لو أن المشركين ضربوا المسلمين ضربةً قاضية في أحد "أمر الرسول بلالا أن ينادي: إن رسول الله يأمركم بطلب عدوّكم، ولا يخرج معنا إلا من شهد القتال أمس"[6].

ولم يُرِدِ الرسولُ صلى الله عليه وسلم لأحدٍ لم يشارك أن يوافيَه عند الحمراء، لأن همة المشاركين ستكون أقوى وأجودَ حضورًا وفاعلية ممن سيُتوقع استحضار همتُه ونشاطُه ولا يُعرف كيف تكون، ومنه أيضًا أن الرسول عليه السلام أراد ألا يطّلع أحدٌ من الذين لم يشاركوا على أحوال المسلمين وجراحاتهم لأن الأصل في مثل هذه المواقف الكتمان، ولو اطّلع من سيأتي جديدًا فستخور عزيمته، ثم لا شكّ أن

---

(1) فتح القدير (17/4).

(2) النور: 17.

(3) النور: 19.

(4) الأساس في التفسير (3716/7).

(5) تفسير سورة النور، أبو الأعلى المودودي، ص 129.

(6) المغازي، للواقدي (334/1)، **وحمراء الأسد:** موضعٌ على ثمانية أميال من المدينة. (معجم البلدان (301/2).

المسلمين وخاصة منهم من خالف أوامر الرسول بعدم النزول عن الجبل – والمسلمون جسدٌ واحدٌ – استشعروا آلام مغبة عدم الطاعة، فرأوا أن مشاركتهم ربما تمثل تكفيرًا عن ذنب ألموا به. وليس بغائب عن الذهن هنا أن السرعة مطلبٌ في ردّ الكرة على المشركين وعدم السماح لهم بالتقاط الأنفاس، ولو أتيحت الفرصة للمشاركين الجدد فهذا يستلزم انتظارهم وانتظار تجهيزاتهم، الأمر غير الممكن.

ومن مظاهر الامتثال الشديد لكلام الرسول صلى الله عليه وسلم ما يرويه الواقديّ كذلك:

أنَّ عبد الله بن سهل، ورافع بن سهل بن عبد الأشهل رجعا من أحد وبهما جراحٌ كثيرة، وعبد الله أثقلهما من الجراح، فلمّا أصبحوا وجاءهم سعد بن معاذ يخبرهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرهم بطلب عدوّهم قال أحدهما لصاحبه: والله إنَّ تركْنَا غزوة مع رسول الله لغَبْنٌ ! والله ما عندنا دابّة نركبها، وما ندري كيف نصنع ! قال عبد الله: انطلق بنا نتجارّ ونقصد، فخرجا يزحفان، فضَعُفَ رافع فكان عبد الله يحمله على ظهره عُقبةً (نوبةً) ويمشي الآخر عُقبة.[1]

جوُّ الإحباط الذي ساد المشركين من كلامهم:

ثم إن المشركين كانوا يتنادون فيما بينهم عقيب أحد، يقولون: لا محمدًا أصبتم، ولا الكواعب أردفتم، فبئس ما صنعتم ! وكانوا مجمعين على الرجوع، يقول قائلهم: ما صنعنا شيئًا. أصبنا أشرافهم ثم رجعنا قبل أن نستأصلهم[2].

وكان مما ردّ الله تعالى أبا سفيان وأصحابه كلامُ صفوان بن أميّة قبل أن يطلع معبد وهو يقول: يا قوم. لا تفعلوا فإن القوم قد حزنوا وأخشى أن يجمعوا عليكم من تخلّف من الخزرج، فارجعوا والدّوْلة (الغلبة) لكم. فإني لا آمن إن رجعتم أن تكون الدَّوْلة عليكم[3].

فالمشركون قاموا بتحليل النتائج التي أعقبت الغزوة، ووصلوا في غالبهم إلى أنّ المعركة التي لا تحقق أهدافها والسبب التي كانت على أساسه لا تمثل لهم النجاح بحال، فالرسول صلى الله عليه وسلم لم يُقتل، ما يعني أن الدعوة الإسلامية سيظل نموّها مستمرًا وأن المدينة ربما تشكل ضغطًا وخطرًا حقيقيًا على المشركين في المستقبل، وصاروا يحقّرون في إنجازهم، وتفاعلوا مع الحدث وتواطأت نفوسهم على ضرورة الرجوع لملاقاة الرسول عليه السلام وصحبه لتحقيق الأهداف.

وقد أثرت هذه الملامة على أنفسهم، وكان لها الأثر البالغ في تعجيل نكوصهم على أعقابهم بعيد كلام معبد الخزاعيّ وتهديده غير المباشر لهم. وزاد الطينَ بِلةً رأيُ صفوان – وهو من ساداتهم – بأن يرجعوا وهم منصورون أفضل من أن تدور عليهم الدوائر وتوبقهم الهزيمة ويندموا ولات ساعة مندم.

كلام معبد الخزاعيّ وتأثيره على معنويات المشركين:

حيث قال لهم، وعلى رأسهم أبو سفيان: تركت محمدًا وأصحابه خلفي يتحرّقون عليكم بمثل النيران، وقدا أجمع معه من تخلَّف عنه بالأمس من الأوس والخزرج، وتعاهدوا ألا يرجعوا حتى يلحقوكم

---

(1) المغازي، للواقدي (334/1–335).

(2) انظر: نفسه (338/1).

(3) انظر: السابق (339/1).

فيثأروا منكم، وغضبوا لقومهم غضبًا شديدًا ولمن أصبتم من أشرافهم. فقالوا له: ويلك ! ما تقول ؟ قال: والله ما نرى أن نرتحل حتى نرى نواصي الخيل !"[1]

هنا بيت القصيد حيث أن الرسول صلى الله عليه وسلم استطاع أن يوصل رسالته الأولى التي أرادها من خروجه مع صحبه خفافًا وثقالا، وهو جعلهم يفكّرون ألف مرة في معاودتهم الكرّة، فلن يكون من خرج وفيه الجراحات الشديد التي رأوها عيانًا إلا مستعدًا ومستكثرًا ومغاظًا لا براح، وكل هذا سيعطيه نقاطًا في سجل القوة النفسية والعزيمة على حساب عدوّه. وردّ الله الكافرين على أعقابهم لم ينالوا هدفًا طلبوه.

ثانيًا/ في غزوة الخندق:

كما استخدم الحرب النفسية على هامش التحضيرات لغزوة الأحزاب، وكان يعلم أن ضعضعة الجانب النفسي للعدو وإلقاء معنوياتهم في خندق التخذيل لربما صنع ما هو أعظم وأبلغ وأنكى من خندق الخيول والبغال والرجال والأحمال. ودعونا نرى ذلك من خلال قصة إسلام نعيم الأشجعيّ رضي الله عنه. نقسم القصة أجزاءً:

فعندما قذف الله تعالى الإسلام في قلب نعيم بن مسعودٍ الأشجعيّ قبيل الخندق، ذهب إلى النبي صلى الله عليه وسلم مصدقًا به ومشهرًا إسلامه، وقال للرسول صلى الله عليه وسلم: مُرْنِي بِمَا شِئْت يَا رَسُولَ اللّهِ فَوَاَللّهِ لَا تَأْمُرُنِي بِأَمْرٍ إلّا مَضَيْت لَهُ، قَوْمِي لَا يَعْلَمُونَ بِإِسْلَامِي وَلَا غَيْرُهُمْ.

قهر معنويات العدوّ وإحباطُها:

(فقال له المصطفى عليه السلام: "مَا اسْتَطَعْت أَنْ تُخَذّلَ النّاسَ فَخَذّلْ[2]".

قَالَ نعيم : أَفْعَلُ وَلَكِنْ يَا رَسُولَ اللّهِ أَقُولُ فَأَذِنَ لِي. قَالَ: قُلْ مَا بَدَا لَك فَأَنْتَ فِي حِلّ).

وقوله: "مَا اسْتَطَعْت" بالنكرة، يفتح الآفاق الكاملة أمام نعيم ليصنع ما يراه مناسبًا وما يمكنه فعله. وعندما أوضح للرسول عليه السلام أن ما انقدح في ذهنه هو كلامٌ يحدث شرخًا بين صفوف المتحزّبين نال القبول والرضاء والتغطية الشرعية على فعله، وجعله الرسول في حلّ وخيارٍ.

دقة الفعل وروعة اختيار المقال:

(قَالَ: فَذَهَبْت حَتّى جِئْت بَنِي قُرَيْظَةَ فَلَمّا رَأَوْنِي رَحّبُوا وَأَكْرَمُوا وَحَيّوْا وَعَرَضُوا عَلَيّ الطّعَامَ وَالشّرَابَ فَقُلْت: إنّي لَمْ آتِ لِشَيْءٍ مِنْ هَذَا؛ إنّمَا جِئْتُكُمْ نَصبًا بِأَمْرِكُمْ وَتَخَوّفًا عَلَيْكُمْ لِأُشِيرَ عَلَيْكُمْ بِرَأْيٍ وَقَدْ عَرَفْتُمْ وُدّي إيّاكُمْ وَخَاصّةَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ. فَقَالُوا: قَدْ عَرَفْنَا ذَلِكَ وَأَنْتَ عِنْدَنَا عَلَى مَا تُحِبّ مِنْ الصّدْقِ وَالْبِرّ).

فقد استغلّ معرفة القريظيين به وترحيبهم وحفاوتهم وإكرامهم له، ولكي يظهر أنه قد أتى لأمر خطير لم يرضَ تناول طعامٍ أو شراب؛ لإيهامهم أن ما جاء به لا يستحق أن يستغل الوقتُ إلا له، وزعم أمامهم أن السرعة والخوف عليهم والاهتمام بشئونهم هي التي دفعته ليكلمهم في أمر خطير، وأحسن

---

(1) السابق (1/338-339).

(2) **خذّل:** فالتخذيل التحبيط والتقليل. قال ابن فارس: "الخاء والذال واللام أصلٌ واحدٌ يدلُّ على ترك الشيء والقعود عنه". (معجم مقاييس اللغة، ص 309).

التمهيد لذلك أيمام حسن عندما ذكرهم بمكانته عندهم وحظوته لديهم وأن العلاقة التي تحكم تعاملهم معه في دائرة الخصوصية والمكان الراقي، وقد أكّدوا على ذلك، مما جعله يكمل مسيره في الخطة التي أقدمته.

طلب السرية والترتيب المنطقي للأفكار:

(قَالَ: فَاكْتُمُوا عَنّي. قَالُوا: نَفْعَلُ. قَالَ: إنّ أَمْرَ هَذَا الرّجُلُ بَلَاءٌ – يَعْنِي النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ – صَنَعَ مَا قَدْ رَأَيْتُمْ بِبَنِي قَيْنُقَاعَ وَبَنِي النّضِيرِ وَأَجْلَاهُمْ عَنْ بِلَادِهِمْ بَعْدَ قَبْضِ الْأَمْوَالِ. وَكَانَ ابْنُ أَبِي الْحُقَيْقِ قَدْ سَارَ فِينَا فَاجْتَمَعْنَا مَعَهُ لِنَصْرِكُمْ وَأَرَى الْأَمْرَ قَدْ تَطَاوَلَ كَمَا تَرَوْنَ وَإِنّكُمْ وَاَللّهِ مَا أَنْتُمْ وَقُرَيْشٌ وَغَطَفَانُ مِنْ مُحَمّدٍ بِمَنْزِلَةٍ وَاحِدَةٍ أَمّا قُرَيْشٌ وَغَطَفَانُ فَهُمْ قَوْمٌ جَاءُوا سَيّارَةً حَتّى نَزَلُوا حَيْثُ رَأَيْتُمْ فَإِنْ وَجَدُوا فُرْصَةً انْتَهَزُوهَا، وَإِنْ كَانَتْ الْحَرْبُ أَوْ أَصَابَهُمْ مَا يَكْرَهُونَ انْشَمَرُوا إلَى بِلَادِهِمْ. وَأَنْتُمْ لَا تَقْدِرُونَ عَلَى ذَلِكَ الْبَلَدُ بَلَدُكُمْ فِيهِ أَمْوَالُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَنِسَاؤُكُمْ وَقَدْ غَلُظَ عَلَيْهِمْ جَانِبُ مُحَمّدٍ أَجْلَبُوا عَلَيْهِ أَمْسِ إلَى اللّيْلِ فَقَتَلَ رَأْسَهُمْ عَمْرُو بْنُ عَبْدٍ وَهَرَبُوا مِنْهُ مُجَرّحِينَ وَهُمْ لَا غَنَاءَ بِهِمْ عَنْكُمْ لِمَا تَعْرِفُونَ عِنْدَكُمْ).

ثم إنه شارطهم واستكتمهم الأمر الذي جاءهم به، فلما فعلوا أكمل، ولم ينسَ أن ارتباطه بالرسول صلى الله عليه وسلم والذي من المفترض أن يجعله في المقام الأسمى من أي إنسان لديه، لا يزال غير معروف عندهم، وأن أيَّ سقطة ستكلفه العلاقة إن لم توبقه أكثر، فوصف النبيّ بالسوء ولم يمعن في ذلك، بل جرحه بالمقدار الذي يفهمهم أنه معهم ولا يحطّ قدر الرسول إلى أدنى مستوىً، وكان دقيقًا وحكيمًا عندما ذكر لهم إجلاء النبي بني قينقاع والنضير وكأنه يهوديّ منهم مما سيشعرهم بارتباطه الشعوريِّ معهم. عندها فقط استطاع أن يجعلهم يقبلوا كلامهم من التفرقة المنطقية بينهم وبين قريشٍ وغطفان، وحرّك الجانب السلبيّ لديهم وأراهم القسم الفارغ من الإناء وشككهم في حلفائهم، ورسم لهم عنهم صورة المتهرّب من المسئولية الذي سيتركهم وهم أهل البلد يواجهون حربًا يستفرد الرسول صلى الله عليه وسلم فيها بهم، وطمأنهم إلى المطالب التي ينبغي أن يطلبوها من الحلفاء بسبب أنهم لن يستطيعوا الاستغناء عنهم بتاتًا.

بعد التمهيد يظهر بيت القصيد:

(فَلَا تُقَاتِلُوا مَعَ قُرَيْشٍ وَلَا غَطَفَانَ حَتّى تَأْخُذُوا مِنْهُمْ رَهْنًا مِنْ أَشْرَافِهِمْ تَسْتَوْثِقُونَ بِهِ مِنْهُمْ أَلّا يُنَاجِزُوا مُحَمّدًا. قَالُوا: أَشَرْتَ بِالرّأْيِ عَلَيْنَا وَالنّصْحِ. وَدَعَوْا لَهُ وَتَشَكّرُوا، وَقَالُوا: نَحْنُ فَاعِلُونَ.

قَالَ: وَلَكِنْ اُكْتُمُوا عَنّي. قَالُوا: نَعَمْ نَفْعَلُ).

هنا ألقى نعيم بالطعم وشربه اليهود حتى الثمالة بدليل دعائهم له وشكرهم إيّاه، فقد أشار عليهم بالرأي – هكذا عظّمه في عقولهم – كما قال؛ وهو أن يرهنوا من أشراف القرشيين والغطفانيين ما يأمنون به جانب أقوامهم وجندهم من الغدر والهروب إذا ما شمّرت الحرب عن ساقها، وما علموا أن طلب الأشراف بالذات سيجعل للشكّ أطنابا يستحيل رفعها في زمن بسيط. ولكي يزيد نعيم في إحكام الخطّة حتى لا ينكشف أمره ولا تتصرم حبالُها أكد عليهم وجوب كتم رأيه مذكرًا إياهم بالشرط الذي دفعه لإكمال مسيرة نصحه لهم.

شبكة نعيم تكتمل .. رجلا قريظة وقدم أبي سفيان:

(ثُمّ خَرَجَ إلَى أَبِي سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ فِي رِجَالٍ مِنْ قُرَيْشٍ فَقَالَ: يَا أَبَا سُفْيَانَ قَدْ جِئْتُك بِنَصِيحَةٍ فَاكْتُمْ عَنِّي. قَالَ: أَفْعَلُ. قَالَ: تَعْلَمُ أَنّ قُرَيْظَةَ قَدْ نَدِمُوا عَلَى مَا صَنَعُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مُحَمّدٍ وَأَرَادُوا إصْلَاحَهُ وَمُرَاجَعَتَهُ. أَرْسَلُوا إلَيْهِ وَأَنَا عِنْدَهُمْ إنّا سَنَأْخُذُ مِنْ قُرَيْشٍ وَغَطَفَانَ مِنْ أَشْرَافِهِمْ سَبْعِينَ رَجُلًا نُسَلّمُهُمْ إلَيْك تَضْرِبُ أَعْنَاقَهُمْ وَتَرُدّ جَنَاحَنَا الّذِي كَسَرْت إلَى دِيَارِهِمْ – يَعْنُونَ بَنِي النّضِيرِ – وَنَكُونُ مَعَك عَلَى قُرَيْشٍ حَتّى نَرُدّهُمْ عَنْك. فَإِنْ بَعَثُوا إلَيْكُمْ يَسْأَلُونَكُمْ رَهْنًا فَلَا تَدْفَعُوا إلَيْهِمْ أَحَدًا وَاحْذَرُوهُمْ عَلَى أَشْرَافِكُمْ، وَلَكِنْ اُكْتُمُوا عَنّي وَلَا تَذْكُرُوا مِنْ هَذَا حَرْفًا. قَالُوا: لَا نَذْكُرُهُ).

خزنت الذاكرة النعيميّة الحدث الذي صنعته مع بني قريظة، وصوّرته في الحافظة بكل وقائعه وكلماته وحركاته وأنفاسه وصورته، واحتضنه جزءٌ من عقله بكل قوّة واهتمام، وقد كان نعيم محتاجًا لذلك كله، لأن خطأً واحدًا مهما كان بسيطًا سيؤذن بربط الخيوط بعضها بالآخر، ومن ثم اكتشاف أمره، ولذا حاول جهده ألا يجعل لعمله أثرًا في أوله وآخره. وهنا ظهر في حديثه مع أبي سفيان أنه بنى على عزم اليهود موقفَ من فعل، وصار يحدِّث أبا سفيان ومن معه عنهم كما لو كانت خطتهم واقعًا حدث، وبيّن لهم أنهم سيطلبون منه سبعين من أشراف قومه ليسلموهم إلى محمد لا كما اتّفق معهم أن يكونوا رهنًا، وأخبرهم أن اليهود إن أتوا يطلبون طلبتهم فسيدّعون أنها ستكون طلب اطمئنان ليس إلا.

واكتملت الخطة وتكاملت حلقاتها بإحكام:

(ثُمّ خَرَجَ حَتّى أَتَى غَطَفَانَ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ غَطَفَانَ، إنّي رَجُلٌ مِنْكُمْ فَاكْتُمُوا عَنّي، وَاعْلَمُوا أَنّ قُرَيْظَةَ بَعَثُوا إلَى مُحَمّدٍ – وَقَالَ لَهُمْ مِثْلَ مَا قَالَ لِقُرَيْشٍ – فَاحْذَرُوا أَنْ تَدْفَعُوا إلَيْهِمْ أَحَدًا مِنْ رِجَالِكُمْ. وَكَانَ رَجُلًا مِنْهُمْ فَصَدّقُوهُ).

استغلّ نعيم انتماءه لغطفان، واستكتمهم على نحو ما ذكر لأبي سفيان، وحذرهم من نفس الأمر، وقبلوا مقاله وصدقّوه حالا لأنهم يعرفونه ويطمئنون تمامًا إليه. وبهذا يكون حاله كالنجاشيّ الذي استغلّ موقعه كملك غير معلن الإسلام ليحمي المسلمين في دياره ويمنعهم من عدوة من تلاقت مصالحهم مع مشركي قريش.

ثمَّ أرسلت يهود سفيرها إلى أبي سفيان تطلب منه رهن الأشراف مطبقين نصح نعيم بكامله مما جعل أَبَا سُفْيَانَ يقول: هَذَا مَا قَالَ نُعَيْمٌ.

ولكي يحكم الخطةَ نعيمٌ تمامًا ولا يجعل أحدًا من الأطراف يفكر بشكل إيجابيّ في الآخر فقد خَرَجَ إلَى بَنِي قُرَيْظَةَ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ بَنِي قُرَيْظَةَ أَنَا عِنْدَ أَبِي سُفْيَانَ حَتّى جَاءَ رَسُولُكُمْ إلَيْهِ يَطْلُبُ مِنْهُ الرّهَانَ فَلَمْ يَرُدّ عَلَيْهِ شَيْئًا، فَلَمّا وَلّى قَالَ: لَوْ طَلَبُوا مِنّي عَنَاقًا مَا رَهَنْتهَا أَنَا أَرْهَنُهُمْ سَرَاةَ أَصْحَابِي يَدْفَعُونَهُمْ إلَى مُحَمّدٍ يَقْتُلُهُمْ. فَارْتَأَوْا آرَاءَكُمْ حَتّى تَأْخُذُوا الرّهْنَ فَإِنّكُمْ إنْ لَمْ تُقَاتِلُوا مُحَمّدًا وَانْصَرَفَ أَبُو سُفْيَانَ تَكُونُوا عَلَى مُوَاعَدَتِكُمْ الْأُولَى. قَالُوا: تَرْجُو ذَلِكَ يَا نُعَيْمُ ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ كَعْبُ بْنُ أَسَدٍ: فَإِنّا لَا نُقَاتِلُهُ. وَاَللّهِ لَقَدْ كُنْت لِهَذَا كَارِهًا وَلَكِنْ حُيِيّ رَجُلٌ مَشْئُومٌ.

فَلَمّا كَانَ لَيْلَةُ السّبْتِ كَانَ ممّا صنَعَ اللّهُ تَعَالَى لِنَبِيّهِ أَنْ قَالَ أَبُو سُفْيَانَ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، إنّ الْجَنَابَ قَدْ أَجْدَبَ وَهَلَكَ الْكُرَاعُ وَالْخُفّ، وَغَدَرَتْ الْيَهُودُ وَكَذَبَتْ وَلَيْسَ هَذَا بِحَيْنِ مُقَامٍ فَانْصَرِفُوا. قَالَتْ قُرَيْشٌ: فَاعْلَمْ عِلْمَ الْيَهُودِ وَاسْتَيْقِنْ خَبَرَهُمْ.

فَبَعَثُوا عِكْرِمَةَ بْنَ أَبِي جَهْلٍ حَتّى جَاءَ بَنِي قُرَيْظَةَ عِنْدَ غُرُوبِ الشّمْسِ مَسَاءَ لَيْلَةِ السّبْتِ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ إنّهُ قَدْ طَالَ الْمُكْثُ وَجَهَدَ الْخُفّ وَالْكُرَاعُ وَأَجْدَبَ الْجَنَابُ، وَإِنّا لَسْنَا بِدَارِ مُقَامَةٍ، اُخْرُجُوا إلَى هَذَا الرّجُلِ حَتّى نُنَاجِزَهُ بِالْغَدَاةِ. قَالُوا: غَدًا السّبْتُ لَا نُقَاتِلُ وَلَا نَعْمَلُ فِيهِ عَمَلًا، وَإِنّا مَعَ ذَلِكَ لَا نُقَاتِلُ مَعَكُمْ إذَا انْقَضَى سَبْتُنَا حَتّى تُعْطُونَا رِهَانًا مِنْ رِجَالِكُمْ يَكُونُونَ مَعَنَا لِئَلّا تَبْرَحُوا حَتّى نُنَاجِزَ مُحَمّدًا، فَإِنّا نَخْشَى إنْ أَصَابَتْكُمْ الْحَرْبُ أَنْ تُشَمّرُوا إلَى بِلَادِكُمْ وَتَدَعُونَا وَإِيّاهُ فِي بِلَادِنَا وَلَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ مَعَنَا الذّرَارِيّ وَالنّسَاءُ وَالْأَمْوَالُ.

فَرَجَعَ عِكْرِمَةُ إلَى أَبِي سُفْيَانَ فَقَالُوا: مَا وَرَاءَك ؟ قَالَ أَحْلِفُ بِاَللّهِ إنّ الْخَبَرَ الّذِي جَاءَ بِهِ نُعَيْمٌ حَقّ، لَقَدْ غَدَرَ أَعْدَاءُ اللّهِ.

وَأَرْسَلَتْ غَطَفَانُ إلَيْهِمْ مَسْعُودَ بْنَ رُخَيْلَةَ فِي رِجَالٍ مِنْهُمْ بِمِثْلِ رِسَالَةِ أَبِي سُفْيَانَ فَأَجَابُوهُمْ بِمِثْلِ جَوَابِ أَبِي سُفْيَانَ. وَقَالَتْ الْيَهُودُ حَيْثُ رَأَوْا مَا رَأَوْا مِنْهُمْ: نَحْلِفُ بِاَللّهِ إنّ الْخَبَرَ الّذِي قَالَ نُعَيْمٌ لَحَقّ. وَعَرَفُوا أَنّ قُرَيْشًا لَا تُقِيمُ فَسُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ. فَكَرّ أَبُو سُفْيَانَ إلَيْهِمْ وَقَالَ: إنّا وَاَللّهِ لَا نَفْعَلُ إنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْقِتَالَ فَاخْرُجُوا فَقَاتِلُوا. فَقَالَتْ الْيَهُودُ مِثْلَ قَوْلِهِمْ الْأَوّلِ وَجَعَلَتْ الْيَهُودُ تَقُولُ: الْخَبَرُ مَا قَالَ نُعَيْمٌ.

وَجَعَلَتْ قُرَيْشٌ وَغَطَفَانُ تَقُولُ: الْخَبَرُ مَا قَالَ نُعَيْمٌ. وَيَئِسَ هَؤُلَاءِ مِنْ نَصْرِ هَؤُلَاءِ وَيَئِسَ هَؤُلَاءِ مِنْ نَصْرِ هَؤُلَاءِ وَاخْتَلَفَ أَمْرُهُمْ. فَكَانَ نُعَيْمٌ يَقُولُ: أَنَا خَذّلْتُ بَيْنَ الْأَحْزَابِ حَتّى تَفَرّقُوا فِي كُلّ وَجْهٍ وَأَنَا أَمِينُ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ عَلَى سِرّهِ. فَكَانَ صَحِيحَ الْإِسْلَامِ بَعْدُ.

حتى عندما جاء حُيَيّ ليجادل أبا سفيان ويستبقيه للقتال يوم الأحد بدل سبتهم المقدَّس:

قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: أَحْلِفُ بِاَللّاتِي إنْ هُوَ إلّا غَدْرُكُمْ وَإِنّي لَأَحْسَبُ أَنّك قَدْ دَخَلْت فِي غَدْرِ الْقَوْمِ. فَقَالَ حُيَيّ: وَالتّوْرَاةِ الّتِي أُنْزِلَتْ عَلَى مُوسَى يَوْمَ طُورِ سَيْنَاءَ مَا غَدَرْت وَلَقَدْ جِئْتُك مِنْ عِنْدِ قَوْمٍ هُمْ أَعْدَى النّاسِ لِمُحَمّدٍ وَأَحْرَصُهُمْ عَلَى قِتَالِهِ وَلَكِنْ مَا مُقَامُ يَوْمٍ وَاحِدٍ حَتّى يَخْرُجُوا مَعَك قَالَ أَبُو سُفْيَانَ لَا وَاَللّهِ وَلَا سَاعَةً لَا أُقِيمُ بِالنّاسِ انْتِظَارَ غَدْرِكُمْ. حَتّى خَافَ حُيَيّ بْنُ أَخْطَبَ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ أَبِي سُفْيَانَ فَخَرَجَ مَعَهُمْ مِنْ الْخَوْفِ حَتّى بَلَغَ الرّوْحَاءَ، فَمَا رَجَعَ إلّا مُتَسَرّقًا لِمَا أَعْطَى كَعْبُ بْنُ أَسَدٍ مِنْ نَفْسِهِ لَيَرْجِعَنّ إلَيْهِ فَدَخَلَ مَعَ بَنِي قُرَيْظَةَ حِصْنَهُمْ لَيْلًا وَيَجِدُ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَدْ زَحَفَ إلَيْهِمْ سَاعَةَ وَلّتْ الْأَحْزَابُ.[1]

وفي هذا يتَّضح أن الحرب النفسية التي وُجّهت للعدوّ وحلفائه حققت مآربها، فقد حطمت وحدة جبهتهم الداخلية وخلقت التناقضات بين فئاتها المختلفة، كما بثت الشك واليأس في إمكانية الصمود والتصدي وتحقيق النصر على الرسول وصحبه، وزعزعت إيمان العدوّ بمبادئه وأهدافه، وأرغمته على

(1) انظر: مغازي الواقدي، (481/1 -485).

التراجع والنكوص، وذلك بعدما صنع نعيمٌ رضي الله عنه رأيًا عامًّا يضرب العدو في أعز مقومات صموده وقوته وهي التوحد والتماسك.

المطلب الخامس/ كيفية مواجهة النبيّ صلى الله عليه وسلم للحرب النفسية:

نستطيع أن نبدأ من حيث ما أُشيع من أن الرسولَ صلى الله عليه وسلم فضّل المهاجرين على الأنصار، أو جعل المسلمين مفضولين في العطاء على الكفار، بعيد غزوة حنين وتوزيع الغنائم، لنطّلع على حجم الفائدة الكبيرة التي تردنا عبر هذه القصة مبرزةً الملامح العامّة للنظرية المحمّدية في مواجهة الحرب النفسية بمختلف ألوانها وخاصة الشائعات منها:

الأنصار يحوِّلون الرأي العام في قبيلتهم ضد رسول الله صلى الله عليه وسلم دون قصد:

ولعلّ رواية البخاري من حديث أنس بن مالك توضح الأمر بشيء من التفصيل المفيد:

قَالَ: قَالَ نَاسٌ مِنَ الأَنْصَارِ حِينَ أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ صلى الله عليه وسلم مَا أَفَاءَ مِنْ أَمْوَالِ هَوَازِنَ، فَطَفِقَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يُعْطِي رِجَالاً الْمِائَةَ مِنَ الإِبِلِ، فَقَالُوا: يَغْفِرُ اللَّهُ لِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يُعْطِي قُرَيْشًا وَيَتْرُكُنَا، وَسُيُوفُنَا تَقْطُرُ مِنْ دِمَائِهِمْ. قَالَ أَنَسٌ: فَحُدِّثَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِمَقَالَتِهِمْ،

معالجة النبي صلى الله عليه وسلم للإشكال:

"فَأَرْسَلَ إِلَى الأَنْصَارِ فَجَمَعَهُمْ فِي قُبَّةٍ مِنْ أَدَمٍ وَلَمْ يَدْعُ مَعَهُمْ غَيْرَهُمْ، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا قَامَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: "مَا حَدِيثٌ بَلَغَنِي عَنْكُمْ ؟!". فَقَالَ فُقَهَاءُ الأَنْصَارِ: أَمَّا رُؤَسَاؤُنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ فَلَمْ يَقُولُوا شَيْئًا، وَأَمَّا نَاسٌ مِنَّا حَدِيثَةٌ أَسْنَانُهُمْ فَقَالُوا: يَغْفِرُ اللَّهُ لِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يُعْطِي قُرَيْشًا وَيَتْرُكُنَا، وَسُيُوفُنَا تَقْطُرُ مِنْ دِمَائِهِمْ. فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: "فَإِنِّي أُعْطِي رِجَالاً حَدِيثِي عَهْدٍ بِكُفْرٍ، أَتَأَلَّفُهُمْ، أَمَا تَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالأَمْوَالِ وَتَذْهَبُونَ بِالنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم إِلَى رِحَالِكُمْ، فَوَاللَّهِ لَمَا تَنْقَلِبُونَ بِهِ خَيْرٌ مِمَّا يَنْقَلِبُونَ بِهِ". قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ رَضِينَا. فَقَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: "سَتَجِدُونَ أُثْرَةً شَدِيدَةً، فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوُا اللَّهَ وَرَسُولَهُ صلى الله عليه وسلم فَإِنِّي عَلَى الْحَوْضِ"[1].

وهذا يدلُّ على أنَّ موقف توزيع الغنائم شهد بعد انقشاع غبار غزوة حنين تلاسنًا كثيرًا، المشكلة الأساسية فيه أنه صار بمعزل عن سؤال القيادة، وسيطر الخطاب ذو المرجعية الدنيوية البحتة على الأمر، حيث اعتبر الأنصار رضوان الله عليهم أن الرسول صلى الله عليه وسلم آثر المهاجرين عليهم، فـ "وجد هذا الحيّ من الأنصار في أنفسهم حتى كثرت فيهم القالة"[2].

---

(1) صحيح البخاري، كتاب المغازي (158/5)، باب غزوة الطائف. من طريق مَعْمَرٍ عَنِ الزُّهْرِيِّ عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه به.

(2) الرحيق المختوم، للمباركفوري، ص 361.

حتى اشترك في القبول بواقع النقد للقيادة الراشدة البسطاء والأعيان مثل سعد بن عبادة رضي الله عنه، مما يجعل الأمر يتطلب تحركًا سريعًا، وهو ما كان من النبيّ صلى الله عليه وسلم كما سنوضح بعد قليل.

قواعدُ الاستيثاق والحلّ الخلاق:

1. معرفة القيادة بالأخبار الداخلية لتتفاعل معها أولا بأول: "فَحُدِّثَ رَسُولُ اللَّهِ بِمَقَالَتِهِمْ"، وأنه لم يستهدف في ذلك اللقاء الخاص والاجتماع المهم إلا أصحاب المشكلة وهم الأنصار، وهذا يعني أنه لم يرَ أنه سيكون من الحكمة أن يبعث في غيرهم فتتكرر الأحداث والمشاهد وهو في غنىً عن كل هذا، أو أنه أراد أن يكون الحل في إطار الخلل حتى لا يوسع الرقعة فتزداد المشقة، ويأتي من لا يعرف عن القصة شيئًا فينصرف القائد من ميدان المعالجة التي تستلزم السرعة والقضاء على تأثيرات الشيطان إلى ميدان التفهيم والتوضيح للآخرين.

2. التأكيد على سماع الخبر من مصدره، فبرغم الثقة التي كان عليها ناقلُ الخبر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أنه أراد منّا باعتباره القدوة أن يمضي مذهب "فَتَبَيَّنُوا" ، وأن يكون حكمه وكلامه بناءً على استماعٍ مباشرٍ من أصحاب الخلاف.

3. تقديم الفاهمين والعالِمين لتوضيح مواطن اللبس في القضايا المشتبهة، لأن قدرتهم على رؤية الأمور من جميع جوانبهم يتعدى عقلية البسطاء والذين لا تحتمل فهومهم إلا المقارنة الظاهرية السطحية.

4. بعد معرفة الرسول صلى الله عليه وسلم للسبب وراء القالة غير اللطيفة التي وصلته عبر ألسنة أصحابها مباشرة، رأى أن المناسب لذلك هو مخاطبة البعد الإيماني والجانب الروحانيّ لدى الأنصار، وتذكيرهم بدوافع الإيمان التي يتحلون بها، وصارحهم بحقيقة السبب الذي جعله يوزع الغنائم الحنينيّة على تلك الشاكلة، وهو تألّف قلوبهم وتقوية تمسكهم بالإسلام.

5. أعاد الرسول صلى الله عليه وسلم على صفحة قلوب الأنصار الذين يحبّهم ويحبّونه، أنهم أمام خيارين أحدهما ماديّ يتمثل في العير والغنيمة وما يمثله من مظاهر دنيوية بحتة، والآخر يمثل قسيمَه الرسولُ نفسُه وأنه بانتظارهم على الحوض إن التزموا نهجَه وتابعوه في جميع أمره.

6. الردُّ الإيجابيُّ السريع من الأنصار – وبلسانٍ واحدٍ – يؤكد على قدرة الرسول صلى الله عليه وسلم في التأثير على مشاعر الأنصار وأحاسيسهم وتوجيهها نحو الجهة التي ينبغي أن يكونوا عليها.

وجاء في حديث زيد بن عاصمٍ قال:

"لَمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ صلى الله عليه وسلم يَوْمَ حُنَيْنٍ قَسَمَ فِي النَّاسِ فِي الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ، وَلَمْ يُعْطِ الأَنْصَارَ شَيْئًا، فَكَأَنَّهُمْ وَجَدُوا إِذْ لَمْ يُصِبْهُمْ مَا أَصَابَ النَّاسَ فَخَطَبَهُمْ فَقَالَ: "يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ أَلَمْ أَجِدْكُمْ ضُلاَّلاً فَهَدَاكُمُ اللَّهُ بِي، وَكُنْتُمْ مُتَفَرِّقِينَ فَأَلَّفَكُمُ اللَّهُ بِي وَعَالَةً، فَأَغْنَاكُمُ اللَّهُ بِي". كُلَّمَا قَالَ شَيْئًا قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمَنُّ. قَالَ: "مَا يَمْنَعُكُمْ أَنْ تُجِيبُوا رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ؟!". قَالَ: كُلَّمَا قَالَ شَيْئًا قَالُوا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمَنُّ. قَالَ: "لَوْ شِئْتُمْ قُلْتُمْ جِئْتَنَا كَذَا وَكَذَا. أَتَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالْبَعِيرِ، وَتَذْهَبُونَ بِالنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم إِلَى رِحَالِكُمْ، لَوْلاَ الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَءًا مِنَ الأَنْصَارِ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ وَادِيًا

وَشِعْبًا لَسَلَكْتُ وَادِيَ الأَنْصَارِ وَشِعْبَهَا، الأَنْصَارُ شِعَارٌ وَالنَّاسُ دِثَارٌ، إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِى أَثَرَةً فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ"[1].

وهنا تكتمل لنا صور حلِّ النبي المصطفى عليه السلام:

7. جعل الرسول صلى الله عليه وسلم يعدّد نواحي امتنان الله على الأنصار بنبيّه، وذكّرهم بما كانوا عليه من ضلالة وما انقلبوا إليه من هداية ورشاد وراحة نفس، وما كانوا عليه من فرقة وتناحر وتباغض وتقاتل، وما آلوا إليه من وحدة وتماسك وتمتين الجبهة الداخلية لهم به، وأن العيْلةَ والفقر كانا فيهم فأغناهم الله بمقدمه وحلوله بينهم. ومن هنا نستفيد أن المرء قد يحرفه النسيان الوقتيّ أو الموسميّ عن تذكر الخير الكثير في الطرف الآخر، فيبني تصوره السلبيّ استنادًا إلى ما اختزلته ذاكرته الضيّقة من مشاهد الحدث الأخير، والمطلوب وقتذاك التذكير بمواطن الحبّ والامتنان والحنوّ كما يفعل الوالد مع بنيه، مذكرًا إياهم بزمن ضعفهم وحاجتهم وحدبه المستمر عليهم ليلَ نهارَ.

8. عندما يتأكد القائد من قوته في الإقناع وبلاغة برهانه وحججه، فليس من إشكال لو أنه طلب ردّ الطرف المخاطَب، وربما استحبَّ ذلك أحيانًا، لكي ينال من الجواب المتوقَّع لصالحه قوة تضاعف من عزمه وهمته في تجلية الموقف المشتبَه.

9. يوضح (كذا وكذا) من الحديث روايةٌ عن أحمد عن أبي سعيد الخدريّ: ".. أَمَا وَاللَّهِ لَوْ شِئْتُمْ لَقُلْتُمْ فَلَصَدَقْتُمْ وَصُدِّقْتُمْ أَتَيْتَنَا مُكَذَّباً فَصَدَّقْنَاكَ وَمَخْذُولاً فَنَصَرْنَاكَ وَطَرِيداً فَآوَيْنَاكَ وَعَائِلاً فَآسَيْنَاكَ .."[2]، ومنها

---

(1) صحيح البخاري (158/5)، كتاب المغازي، باب غزوة الطائف. من طريق عَمْرِو بْنِ يَحْيَى عَنْ عَبَّادِ بْنِ تَمِيمٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَاصِمٍ به.

(2) مسند أحمد (76/3) رقم 11748، مسند أبي سعيد الخدريّ.

قال أحمد: حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ [بن إبراهيم بن سعد بن إبراهيم الزهريّ] حَدَّثَنَا أَبِى عَنِ ابْنِ إِسْحَاقَ [محمّد بن إسحاق بن يسار المطلبي] قَالَ وَحَدَّثَنِي عَاصِمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ [الأوسيّ] عَنْ مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ [بن عقبة] عَنْ أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ:...

الحكم على الحديث: حسن لغيره صحيح؛ والأولى من طريق ابن إسحاق والثانية من طريق محمود بن لبيد.

ورجال الحديث هم: يَعْقُوبُ بن إبراهيم، إبراهيم بن سعد، عَاصِمُ بْنُ عُمَرَ: ثقات.

انظر: التقريب التهذيب (ص 1087 رقم 7865)، (ص 108 رقم 179)، (ص 473 رقم 3088).

مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ: صحابيٌّ صغيرٌ، وجُلُّ روايته عن الصحابة. (تقريب التهذيب، ص 925 رقم 6560).

محمّد بن إسحاق بن يسار: وثقه ابن معين، وقال: صدوق ليس بحجة، وقال مرة: ليس بذاك. ضعيف. وقال أحمد: حسن الحديث، لا يُحتجّ به، وقال البخاريّ: رأيت عليّ بن عبد الله يحتجّ بحديث ابن إسحاق. ونقل عن عليٍّ قولَه: ما رأيت أحدًا يتهم ابن إسحاق، وقال: نظرتُ في كتب ابن إسحاق فما وجدتُ عليه إلا في حديثين، ويمكن أن يكونا صحيحين.

وعَدَّ شعبة ابنَ إسحاق من أمراء المؤمنين في الحديث لحفظه.

وقال أبو زُرعة الدمشقيّ: وابن إسحاق أجمع الكبراء من أهل العلم على الأخذ عنه، وقد اختبره أهلُ الحديث فرأوا صدقًا وخيرًا مع مِدْحَة ابنِ شهابٍ له. ونقل عن دُحَيم تعليل قول مالكٍ في ابن إسحاق أنه دجّال من الدجاجلة، لاتهامه إياه بالقدر وليس للحديث. وعن محمّد بن عبد الله بن نُمير: كان محمد بن إسحاق يُرمى بالقدر وكان أبعدَ الناس منه.

هذا وقد كذّبه سليمان التيميّ، ويحيى القطّان، ووُهيب بن خالد. وأرجع ابنُ حجرٍ ذلك لنفس رأي مالكٍ – يعني فيما سوى الحديث –. (انظر: تهذيب التهذيب (504/3–506). ووثقه العجلي. (معرفة الثقات (232/2) رقم 1571).

أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يعرف العقلية والنمطية التفكيرية لدى الأنصار، فحكى لسانُه ما أخفته قلوبُهم وأضمرته نفوسُهم احترامًا لمقام النبي وتبجيلا له، ومنها أن الرسول عليه السلام يفضّ جانب العراك النفسيّ الداخليّ بذكر المشكلة من غير مواربة ولا تلاعب بالكلام، ليكون الحلّ معروف الآليات.

10. وفي حديث أبي سعيدٍ السابق، قال الرسول صلى الله عليه وسلم: ".. يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ فِى لُعَاعَةٍ مِنَ الدُّنْيَا تَأَلَّفْتُ بِهَا قَوْماً لِيُسْلِمُوا وَوَكَلْتُكُمْ إِلَى إِسْلاَمِكُمْ .." ، ونرى أنه عليه السلام حقّر لهم المال والغنائم الموزّعة وأنها مهما عظم شأنُها وتعالى قدرُها تظلّ قليلة الشأن إذا ما قورنت بالخير العميم الذي انقلب به الأنصار محتسبين الأجر والثواب عند الله تعالى، وفيه يبيّن الرسول صلى الله عليه وسلم عظيم تمكّن الإسلام من الأنصار ويذكرهم بذلك وأن سبقهم في الإسلام المؤلفةَ قلوبُهم يجعل الترمومتر الإيمانيّ لديهم أعلى وأرقى.

11. كما أزال الرسول صلى الله عليه وسلم في الختام أيَّ شيء ربما يكون بقي وجودُه في نفوس القوم، بضمّه صوته إليهم، وتمنيه لو كان منهم، وقدّم لهم على ذلك مثالا عمليًّا من أنه يسلك نفس طريق الأنصار ولو سلك الناس كلُّهم طريقًا آخر غيرَه.

مقاومة الإشاعة بمضاداتها:

ففي حديث البراء عند البخاري أنه قيل له: أَوَلَّيْتُمْ مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم يَوْمَ حُنَيْنٍ فَقَالَ أَمَّا النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم فَلاَ، كَانُوا رُمَاةً فَقَالَ النبي صلى الله عليه وسلم:

"أَنَا النَّبِيُّ لاَ كَذِبْ أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبْ"[1].

وفي الحديث نغمة سجعية تصلح لهذا الموقف كأنها دقات الطبول فتصل إلى الأسماع سريعًا وتستحسنها وتتفاعل معها، كما أن الاختصار الجزِل المفيد واضح في تقسيماتها وتوزيعاتها، إذ أعطى مدلولها المباشر الإيقاع المراد إيصاله في نفوس السامعين، وبالفعل فقد كانت هذه الإشارة النبوية بمثابة كلمة السر التي تلقاها صحابته رضوان الله عليهم فنشطوا من عقال، وتحركوا بعد توقف بسيط، وانطلقوا إلى الميدان يشقون حمراء الوغى ويطلبون الموت مظانّه يسبقهم أنس بن النضر رضي الله عنه.

وقال النسائي: ليس بالقويّ. (الضعفاء والمتروكين، ص 211 رقم 538). وقال ابنُ حجر: صدوق يدلّس، ورميَ بالتشيّع والقدر. (تقريب التهذيب، ص 825 رقم 5762). وذكره ابن حجر في المرتبة الثالثة من مراتب المدلسين، وقال عنه: صدوق مشهور بالتدليس عن الضعفاء والمجهولين وعن شر منهم، وصفه بذلك أحمد والدارقطني وغيرهما. (طبقات المدلّسين، لابن حجر، ص 51 رقم 125).

قلت: هو ثقة، وغالب تجريح من جرّحه يدور على أنه رُمِيَ بالتشيع والقدر. وأما تدليسه فكونه من المرتبة الثالثة يجعلنا نشترط تصريحه بالسماع في روايةٍ. والله أعلم.

(1) صحيح البخاري (153/5)، كتاب المغازي، باب قول الله: "وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ" (التوبة: 25). من طريق شُعْبَةَ عَنْ أَبِى إِسْحَاقَ عن الْبَرَاءِ.

وسائل مقاومة الشائعات:

من القواعد القرآنية في مقاومة الشائعات وترديد البطّلات:

1. قال تعالى: "مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ"[1].

فاستشعار مخافة الله تعالى ومراقبته، وأن كلّ كلمة يتفوّه به المرء سيُحاسب عليها غـدًا، وهـذا سيجعل منه لا يترك لسانه يتحرك على غاربه. "وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ"[2].

2. وقال تعالى: "وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولـئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً"[3].

أي لا تتبع ما لا تعلم، ولا تهرف بما لا تعرف، وأعدَّ للسؤال يوم العرض جوابًا، فكل جوارحك التي أعطاك الله إياها هي أمانة استرعاكها، فلا تكن أذن شر وحمّال سوء، ولا تنظر إلى حرام، ولا يدخل في الفؤاد غيرُ ما يرضي ربَّ العباد. فالنسا ينقلون في دنياهم ما يسمعونه أو يرونه أو يحفظونه ويعونه، وكل مصادر التلقي عندهم يجب أن توجّه لصالح الحقَ والصواب ومرضاة الله.

3. "وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْـرِهِ وَإِمَّـا يُنـسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلاَ تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ"[4].

ومن ذلك أن يفارق المسلمون مجالس الغيبة والنميمة وعدم الفائدة، نظرًا لأنه ضياع وقـت أولا ولا يرضي الله بحالٍ، وفي حال النسيان الحقيقيّ فالحكم عفوٌ، لكن لا يحلّ له بعد التذكر أن يظل مع القوم الظالمين. وهذه القاعدة من شأن صاحبها إذا طبقّها أن تؤسس لهجرٍ جماعيّ لجلـساء الـسوء ووصـمها بالبطلان، ومن ثم غياب نجم أصحابها إلى الأبد.

ومن القواعـــد كذلك:

4. تجنب ترديدها ونشرها، وضرورة إبلاغ المسئولين بها فور سماعها، للقضاء عليها في مهدها.

5. التوعية وتفنيد الشائعات، بالاستناد إلى الحجج والبراهين المنطقية، والحقائق الواقعية التـي تحـصن الشعب، وإشاعة الثقة بمختلف الوسائل.

6. من الأفضل أن يقوم بتكذيبها، شخصياتٌ كبيرةٌ محبوبةٌ من الشعب، ولها مكانتها، للتصديق السريع لها وبثّ الطمأنينة والهدوء والراحة في نفوس المستمعين.

7. تحويل الأنظار عن الشائعة إلى مجالات أخرى مفيدة للناس، تستنفد جهدهم وتفكيرهم، فلا تـدع لهـم الفرصة للخوض في الشائعة ونقلها من لسان إلى لسان.

---

(1) ق: 18.

(2) الصافات: 24.

(3) الإسراء: 36.

(4) الأنعام: 68.

8. العمل على تنمية الثقة بالنفس والإيمان بالله والدعوة لمواصلة الكفاح والصمود وعدم اليأس، وحثّ الناس على المساهمة الإيجابية في كل مجال.[1]

9. اتباع أسلوب قاعدة "قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ"[2]، لتعزيز موقف الثقة والاطمئنان والإيمان الكامل بسلامة الموقف وبراءة المدَّعَى عليه، فنتبع سياسة التحدي وتعجيز مروج الشائعة بطلب البرهان والدليل منه.[3]

خلاصة المبحث الثاني والأخير في الرسالة:

تناولنا في هذا المبحث الأخير ماهية الحرب النفسية ومعناها، وأساليبها التي استُخدمت ضدّ المصطفى صلى الله عليه وسلم، وتطرقنا إلى الشائعات كأخطر حالات الحرب سواءً في وقت الأمن أو الخوف، وضربنا حادثة الإفك عليها نموذجًا، وبعد ذلك ذهبنا إلى تبيان بعض المواقف التي استخدم فيها النبيُّ صلى الله عليه وسلم ضدّ المشركين، في غزوتي حمراء الأسد والخندق، وختمنا بقواعد الاستيثاق والتأكد للتغلب على الحرب النفسية والشائعات تحديدًا.

إلى هنا ينتهي متن الرسالة، سائلين المولى القبول وحسن الوصول،،
والحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات ..

(1) انظر هذه الوسائل: بحوث في الإعلام الإسلامي، محمد فريد عزّت، ص 63-73.

(2) البقرة: 111.

(3) حديث الإفك من المنظور الإعلامي، علي محمد رشوان، ص 105.

الخاتمـــة والتوصيات

في ختام بحثنا هذا لا بدّ من وضع خلاصة الخلاصة في قالب النتائج والتوصيات، راجين من الله تعالى أن يقبل عملنا ويجعله في ميزان الحسنات:

أولاً/ أهمُّ النتائـــج:

1. ينبغي لناقل الخبر ألا يكون فيه ما يقدح في صدقيته ويخدش حفظه وضبطه، خاصة مع وجود الوسائط والأدوات التسجيلية التي تضمن في غالبها جودة النقل وكامل الدقة.

2. تشكل طرق التحمل والأداء في علم الحديث الأرضية الأرقى لتكـوين النظريـة الإعلاميـة لتمحيص الخبر وتدقيقه من أول زمان سماعه لحين وقت أدائه والإخبار به، خاصة في ظلّ ما نعرف من تميز أمتنا المسلمة بخصيصة الإسناد الذي اعتبرهم بعضهم جزءًا من الدين نفسه.

3. يحتاج كاتب المقال إلى التوثيق وضبط الكلمات غير المعروفة، وإلا استخدم السهل الممتنـع وهو أفضل، مع تجويد اللفظ، وألا يكتب على لسان أحدهم إلا بعد أن يتأكد منه مباشرة أو يـستمع إلـى صوته أو يقتبس من موقعٍ له معتمدٍ.

4. لا يصحّ لمن كان في موقع يمثل فيه جماعة من المسلمين أن يكون مظهره الإعلامي وطلتـه على الجمهور ليست مناسبة، بل عليه الاهتمام بترتيب لباسه واختيار المتناسق منه والمتناغم مع الـروح العامة للقبول والبلد، وأن يكون نظيفًا مظهرًا وجوهرًا.

5. الخطاب الإعلامي الإسلامي ينشر العقيدة السليمة والخلق الحسن والتعامل اللطيف، ويتخذ هذه كأهداف يصبو إلى نشرها وتحقيقها، وإعلام بلا هدف كبناءٍ بلا أساس.

6. المتابع الحصيف لسيرة النبيّ صلى الله عليه وسلم يعلم يقينًا أن مصطلحاتٍ كثيرةً ينبغـي أن تتغير وتوضع في إطارها الموضوعيّ المناسب، خاصة في ظلّ ما نعرفه من إغفال الموسوعات الحداثيّة الحديثة للجانب الإسلامي كجزء ومحدد مساهم في وضع قواعد وأسس العمل في التأليف والتصنيف فيها.

7. ينبغي التأكيد على جانب أن لكل مقام مقالاً، وأن لكل طائفة جوابًا، تتـشابه المقـولات فـي المضمون، وتختلف النقولات في آلية العرض ولفظها، وأن من يريد لرسالته أن تصل، فعليه أن يعتمد هذا الأمر كقاعدة حيوية ونظام عام.

8. تنوعت أشكال الإعلام في العصر النبويّ، ولم يترك رسولنا صلى الله عليه وسلم مكانًا وصل إليه أو مناسبة كانت جمعيّة أو فردية إلا وتحدث فيها بما يناسب الأمة بمختلف أزمانهـا وشـتى أمـاكن تواجدها؛ إذ إن رسالته الخاتمة وكلماته الفاصلة.

9. تعددت وسائل الاتصال بالآخر في عهد النبيّ صلى الله عليه وسلم، واستخدم كـل مـا كـان موجودًا في عصره؛ فقد أرسل السفراء والبعوث، وراسل الملوك والأعيان، واستخدم الشعر كأداة متميزة، وكان على رأس ذلك إعلامه الصامت المتمثل في القدوة الصالحة المتمكنة.

10. على خطابنا الإعلاميّ أن يجمع بين الموضوعية والواقعية، والشمولية والتواصلية، والروحية والمادية، لكي لا يترك أسئلة بلا إجابات، ولا عقولاً بلا مصادر إلهام وإقناع.

11. الحرب النفسية كأداة إعلامية هامة، صار لا محيد عنها ولا مهرب من استخدامها في عصرنا الحاليّ خصوصًا، وفي ميدان الحرب قد يقلب الإعلام النفسي الموجّه نتائج معركة ما رأسًا على عقب، وقد تكون له النسبة الأكبر في تحديد الفائز من المنهزم، قبل انقشاع نقع المعركة وغبارها، واستخدامها في إطار العلم وإعداد الكادر المناسب لها، وتطويره وتفعيله بحيث يواجه الأخطار المحدقة بالإسلام وأهله واجبٌ ولا شكّ.

ثانيًا/ التوصيات:

1. يجب على نقلة الأخبار أن يفهموا النصّ الإعلاميّ ويحللوه في ضوء المعلومات الحقيقية المتوفرة، مع اجتناب التحليل الأهوائيّ أو المصلحيّ.

2. ينبغي مراعاة تصدير الأخبار عبر المراسلين الأكفاء ذوي الدقّة والمتانة والخبرة والموضوعية، ومن يثبت تساهله في النقل أو تهاونه في الاستماع من جهات التخبير، فلا يجوز الاعتماد على كلامه، ولا اعتماد مقاله بحال، وإلا فإن مؤسسته الإعلامية ستفقد بريقها وألقها وسبقها عند الجمهور.

3. ينبغي لإعلامنا الإسلامي أن يكون هدفه توصيل رسالة النبوة الخاتمة، بنشر الدعوة إلى الله والتركيز على الخلق الحسن والتعامل الفاضل؛ لأنه بهذا سيكون قد خاطب الفطرة، وردَّ الحيارى إلى حياض الرشد بعد عطش البحث عن الصواب.

4. لا يجوز أن نتقوقع على ذواتنا وننغلق على أدبياتنا، فلا نطالع ما يكتب الآخرون بحجة إسقاط مذهبهم وكلامهم بعدم الالتفات إليه، لأن الآلة الإعلامية الحديثة ربما يكون من سلبياتها أن المعلومة الحسنة وغيرها يستطيع أي إنسان أن يحصل عليها وهو في بيته، وبعد مطالعتنا لكتابات الآخر النقدية غير الموضوعية، نردّ عليهم بالعقل والمنطق، وإن زادوا نهجهم في ظلال روح القدس.

5. أسلمة العمل الإعلامي مطمح جميل وهدف نبيل، والوصول إليه يحتاج إلى تكاتف الجهود؛ بتشكيل خلية إعلامية ذات ثلاث شعب، أولاها حديثية شرعية، وثانيتها إعلامية سياسية، وثالثتها تمحيصية تدقيقية، ويكون عملها النظر في الموسوعات والمصطلحات والأفكار الإعلامية خاصةً وإعادة صياغتها تعريفًا وتركيبًا لتناسب الواقع الإسلامي بموضوعية وحيادية.

6. يحتاج تطوير الخطاب الإعلامي الإسلامي إلى أن تكون هناك مرجعية توجيهية للإعلامي المسلم، تمده بمحددات الخطاب السياسي مستقىً من الشرع ومستفادًا من الوقائع التاريخية المفيدة، وتغذيه بالثقافة التي تضع الهدف العامّ نصب عينيه لتطبيقه بالآليات المناسبة التي تجمع بين الأصالة بثوبها التأصيليّ والعصرنة الحداثية بشكلها الذي يمثل دخولنا على أطره سدًّا لفراغ ووقوفًا على ثغر، وكلٌّ يجاهد في مجاله.

7. "مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ"[1]، هي مذهبنا في التأصيل لاستخدام الحرب النفسية باعتبار أخلاقيّات العدوّ إن احتيج إليها في وقته، بمعنى أننا يجوز لنا استخدام أساليب الإيهام النفسية والتخذيل الميداني للمعنويات، ولو بنشر الشائعات في صفوف الأعداء، ولا يدخل هذا الأمر في إطار الكذب، فالحرب خدعة، والمكر في مثل هذه الأوقات كمشية أبي دجانة متبخترًا بين الصفين، فلا يحملن أحدَهم التفاقُه لترك ما يكون واجبًا لحماية بيضة المسلمين في حينه، مما يجعلنا ننهي بالتأكيد على أن المواقع الإعلامية الإسلامية لا يجوز أن يتقدمها إلا من فقه أحوالها وخبر أطوارها وعرف مستلزماتها وعاش معها وشرب تصوراتها، وأبو ذرٍّ يؤكد أنه ليس أحدٌ يصلح لكل مكان، فتخيروا لمواقعكم فإن العدوّ سبّاق.

والحمد لله الذي تتم بأفضاله الطيّبات ،،

وصلى الله على رسوله وآله ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ،،

(1) الحشر: 5.

الفهـــارس العامّـــة

فهـرس أطراف الآيـــات

فهـــرس أطراف الأحاديث

فهـــــرس الـــــــرواة

مـراجـــع الرســـالـــة

فهـــرس الموضوعـــــات

فهرس أطـراف الآيات القرآنيـــــة

م	طـرف الآيـــــة	السـورة	الآيـة	الصفحـة
1	وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ	القصص	77	135
2	ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ	النحل	125	17
3	وَإِذَ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ	آل عمران	187	105
4	وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِنْ صَلْصَالٍ	الحجر	28	137
5	وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا	الأنفال	31	206
6	إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم ...	النور	15	211
7	وَإِذَا جَاءهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُواْ..	النساء	83	210
8	وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا..	الأنعام	68	28،225
9	اذْهَب بِّكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ	النمل	28	18
10	أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً	الفرقان	5	206
11	وَاسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ من رِّجَالِكُمْ ..	البقرة	282	51
12	وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاء	طه	22	18
13	وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ	الأنفال	60	203
14	أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاء فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا	ق	7-6	7
15	أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ	النجم	59	28
16	أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ	البلد	8	18
17	إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا	فصلت	47	135
18	أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ	الأعراف	185	28
19	وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ	الشعراء	214	173
20	إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ	الحجر	9	5
21	إِنَّمَا جَزَاء الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ ..	المائدة	33	22
22	إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ...	التوبة	18	143
23	إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا...	فصلت	30	140
24	إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ...	النور	19	215
25	إِنَّ الصَّلاَةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ	العنكبوت	45	139
26	إِنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَوْقُوتاً	النساء	103	146
27	إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ	لقمان	34	135
28	وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ	التوبة	78	2
29	وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُو مَعَ اللَّهِ أَحَداً	الجن	18	143

30	إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ ...	النمل	30	19
31	إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ	النمل	23	19
32	بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلامٍ بَلِ افْتَرَاهُ	الأنبياء	5	205
33	بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ	البروج	21	18
34	تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ * مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ	المسد	2-1	173
35	وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً	النمل	14	159
36	وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا	التوبة	40	151
37	حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطَى	البقرة	238	146
38	حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ ..	النمل	18	20
39	حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلّهِ	البقرة	193	4
40	الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ ...	البقرة	197	139
41	خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا	التوبة	103	139
42	وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً	الفرقان	2	135
43	ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ	الأنعام	102	137
44	رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ	آل عمران	191	135
45	رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ	النور	37	138
46	سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ	النمل	27	19
47	عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ	الرعد	9	2
48	فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ	النحل	43	105
49	فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ ...	مريم	29	18
50	فَأَمَّا مَن طَغَى، .... فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى"	النازعات	41-37	137
51	فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ	سَبَأ	19	27
52	فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ	يوسف	18	214
53	فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ	النساء	65	188
54	فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ	الكهف	6	28
55	فَمَا لِهَـؤُلاء الْقَوْمِ لاَ يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثاً	النساء	78	27
56	فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ ...	النمل	22	18
57	وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ ... هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَراً رَسُولاً	الإسراء	93-90	207
58	وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ	البقرة	193	152
59	وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ	الصافات	24	225
60	قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ	الأنعام	162	135
61	وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ	الإسراء	80	6
62	قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ	البقرة	111	226

63	قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ	يوسف	108	16
64	كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُون	البقرة	183	139
65	لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَاباً شَدِيداً أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ	النمل	21	19
66	لَا تَحْسَبُوهُ شَرّاً لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ..	النور	11	214
67	وَلا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ... إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ	الشعراء	89-87	138
68	وَلاَ تَسُبُّواْ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ فَيَسُبُّواْ اللّهَ عَدْواً ..	الأنعام	108	137
69	وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ..	الإسراء	36	105
70	وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ	فاطر	14	29
71	وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ	آل عمران	104	179
72	لَقَدْ خَلَقْنَا الْأِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ	التين	4	135
73	وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ	الإسراء	70	135
74	وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ	النحل	103	205
75	لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ..	التوبة	25	210
76	الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ	السجدة	7	17
77	اللَّهُ الصَّمَدُ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ	الإخلاص	4-2	135
78	لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْراً	النور	12	214
79	لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ	الشورى	11	135
80	وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا	الحشر	7	103
81	وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ	الأنبياء	107	18،103
82	وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ	الذاريات	56	6
83	مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً	الحشر	5	188
84	مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ	ق	18	225
85	وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ حَدِيثاً	النِّساء	87	27
86	وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً	الأنعام	25	206
87	نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ	الشعراء	193	18
88	هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ	البروج	17	28
89	هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ	الذاريات	24	28
90	وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى	طه	9	28
91	هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولاً	الملك	15	6
92	هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا	هود	61	6،138
93	وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ	يس	81	2
94	وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ	النور	55	6
95	يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ	آل عمران	64	190،192

96	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا .. لا تَظْلِمُونَ وَلا تُظْلَمُونَ	البقرة	278	197
97	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ	التوبة	119	40
98	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ ..	الحجرات	12	51،214
99	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا	الحجرات	6	51
100	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ	النساء	135	51،134
101	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ	النساء	29	102
102	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ	الحجرات	11	137
103	يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ	المائدة	67	18
104	يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً ..	الأحزاب	45	17
105	يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ	التوبة	32	206
106	وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ	النور	2	21
107	يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَداً إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ	النور	17	215
108	وَيَقُولُونَ أَإِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ	الصافات	36	205
109	يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ الرَّسُولَ ..	النساء	42	27

فهـــــرس أطراف الأحاديث والآثـــار

م	طـــــرف الحديث	الراوي الأعلى	الصفحـــة
1	آمُرُكُمْ بِأَرْبَعٍ، وَأَنْهَاكُمْ عَنْ أَرْبَعٍ	ابن عبّاس	99،165
2	الآنَ نَغْزُوهُمْ وَلاَ يَغْزُونَنَا	ابن صُرَد	155
3	ائْتُونِي بِكِتَابٍ أَكْتُبُ لَكُمْ كِتَابًا لاَ تَضِلُّوا بَعْدَهُ	ابن عبّاس	69
4	ائْذَنُوا لَهُ، بِئْسَ أَخُو الْعَشِيرَةِ	عائشة	52
5	ابْغِنِي أَحْجَارًا أَسْتَنْفِضْ بِهَا	أبو هريرة	74
6	أَبْلِي وَأَخْلِفِي، ثُمَّ أَبْلِي وَأَخْلِفِي..	أم خالد	125
7	ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ، وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ	أبو بكرة	159
8	أَتُحِبُّهُ لأُمِّكَ ؟" ... "وَلاَ النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لأُمَّهَاتِهِمْ".	أبو أمامة	126
9	أُتِيَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِيَهُودِيٍّ وَيَهُودِيَّةٍ قَدْ أَحْدَثَا	ابن عمر	22
10	أَتَيْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم وَعَلَيْهِ ثَوْبٌ أَبْيَضُ	أبو ذر	87
11	أَحَبُّ الْبِلاَدِ إِلَى اللَّهِ مَسَاجِدُهَا	أبو هريرة	143
12	أَحْسَنُ النَّاسِ وَجْهًا وَأَحْسَنُهُ خَلْقًا	البراء	84
13	أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ..	عائشة	134
14	إِذَا سَمِعْتُمُ النِّدَاءَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ الْمُؤَذِّنُ	أبو سعيد	146
15	إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوَضَّأْ وُضُوءَكَ لِلصَّلاَةِ	البراء	72
16	إِذَا قُلْتَ لِصَاحِبِكَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ: أَنْصِتْ..	أبو هريرة	147
17	اذْبَحْ وَلاَ حَرَجَ ... ارْمِ وَلاَ حَرَجَ	ابن عمرو	95
18	أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا...	ابن عمرو	128
19	الإِسْنَادُ مِنَ الدِّينِ	ابن المبارك	57
20	ارْكَبْ إِلَى هَذَا الْوَادِي، فَاعْلَمْ لِي عِلْمَ هَذَا الرَّجُلِ	ابن عبّاس	59
21	أُرِيتُ النَّارَ فَإِذَا أَكْثَرُ أَهْلِهَا النِّسَاءُ يَكْفُرْنَ	ابن عبّاس	131
22	أَسْلِمْ تَسْلَمْ ، يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ	أبو سفيان	107
23	اشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى قَوْمٍ فَعَلُوا بِنَبِيِّهِ – يُشِيرُ إِلَى رَبَاعِيَتِهِ	أبو هريرة	154
24	أَصْدَقُ كَلِمَةٍ قَالَهَا الشَّاعِرُ كَلِمَةُ لَبِيدٍ	أبو هريرة	198
25	أَعْطَاهَا عَشْرَةَ أَمْثَالِهِ أَوْ قَرِيبًا	أنس	73
26	اعْلَمْ أَنَّهُ لَيْسَ يَسْلَمُ رَجُلٌ حَدَّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ	مالك	79
27	اغْزُوا بِاسْمِ اللَّهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ	بريدة	151
28	أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ ؟	أبو بكرة	94
29	الْبَسُوا مِنْ ثِيَابِكُمُ الْبَيَاضَ فَإِنَّهَا مِنْ خَيْرِ ثِيَابِكُمْ	ابن عبّاس	87
30	وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِي...	حنظلة	141
31	اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتُّقَى وَالْعَفَافَ وَالْغِنَى	ابن مسعود	138

32	اللَّهُمَّ لاَ خَيْرَ إِلاَّ خَيْرُ الآخِرَهْ ، فَانْصُرِ الأَنْصَارَ وَالْمُهَاجِرَهْ	أنس	199
33	اللَّهُمَّ لَوْلاَ أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا ، وَلاَ تَصَدَّقْنَا وَلاَ صَلَّيْنَا	البراء	198
34	أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ	جابر	28
35	أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ النَّاسَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ ...	عروة	133
36	أَمَا كَانَ يَجِدُ هَذَا مَا يُسَكِّنُ بِهِ شَعْرَهُ	جابر	93
37	أَمَا وَاللَّهِ لَوْ شِئْتُمْ لَقُلْتُمْ فَلَصَدَقْتُمْ وَصُدِّقْتُمْ...	أبو سعيد	223
38	أَمَّرَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْنَا أَبَا بَكْرٍ رضي الله عنه فَغَزَوْنَا نَاسًا	ابن الأكوع	157
39	أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ ...	أبو هريرة	102،121
40	إِنَّا أُمَّةٌ أُمِّيَّةٌ لاَ نَكْتُبُ وَلاَ نَحْسُبُ	ابن عمر	99
41	أَنَا النَّبِيُّ لاَ كَذِبْ، أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبْ	البراء	224
42	انْطَلَقُوا فَبَشِّرُوا رَسُولَ اللَّهِ صلى الله	البراء	11
43	إِنَّ أَحَبَّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبَكُمْ مِنِّي فِي الآخِرَةِ مَحَاسِنُكُمْ أَخْلاَقاً	أبو ثعلبة	123
44	إِنَّ الْحَلاَلَ بَيِّنٌ، وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ	النعمان	140
45	إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ...	جابر	102
46	إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ	أبو هريرة	30
47	إِنْ بُيِّتُّمْ فَلْيَكُنْ شِعَارُكُمْ: حم لاَ يُنْصَرُونَ	المهلب	156
48	إِنَّ طُولَ صَلاَةِ الرَّجُلِ وَقِصَرَ خُطْبَتِهِ مَئِنَّةٌ مِنْ فِقْهِهِ..	عمار	147
49	إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ	ابن مسعود	83
50	إِنَّ اللَّهَ حَبَسَ عَنْ مَكَّةَ الْفِيلَ، وَسَلَّطَ عَلَيْهَا رَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ	أبو هريرة	175
51	إِنَّ اللَّهَ كَرِهَ لَكُمْ ثَلاَثًا	المغيرة	52
52	إِنَّ اللَّهَ يَبْغَضُ الْبَلِيغَ مِنَ الرِّجَالِ الَّذِي يَتَخَلَّلُ بِلِسَانِهِ	ابن عمرو	123
53	إِنَّ مَكَّةَ حَرَّمَهَا اللَّهُ، وَلَمْ يُحَرِّمْهَا النَّاسُ	أبو شريح	99
54	إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً لاَ يَسْقُطُ وَرَقُهَا	ابن عمر	66،183
55	إِنَّ مِنَ الشِّعْرِ حِكْمَةً	أبيّ	110،198
56	إِنَّ النَّاسَ يَقُولُونَ أَكْثَرَ أَبُو هُرَيْرَةَ ...	أبو هريرة	79
57	إِنَّ هَذَا الْعِلْمَ دِينٌ فَانْظُرُوا عَمَّنْ تَأْخُذُونَ	ابن سيرين	57
58	إِنَّكَ أَنْ تَذَرَ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَذَرَهُمْ عَالَةً	سعد	138
59	إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ...	ابن عبّاس	169
60	إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى...	عمر	103
61	اهْجُهُمْ – أَوْ هَاجِهِمْ – وَجِبْرِيلُ مَعَكَ	البراء	201
62	أَيْ عَبَّاسُ: نَادِ أَصْحَابَ السَّمُرَةِ	العبّاس	153
63	أَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟" ... "أَلَيْسَ يَوْمَ النَّحْرِ؟".	أبو بكرة	102
64	الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً	أبو هريرة	140
65	أَيْنَ أُرَاهُ السَّائِلُ عَنِ السَّاعَةِ ؟	أبو هريرة	84

66	بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ	أبو سفيان	190
67	بَايِعُونِي عَلَى أَنْ لاَ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا ...	عبادة	121
68	بِئْسَ مَطِيَّةُ الرَّجُلِ: زَعَمُوا	حذيفة	52
69	بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ	أبو هريرة	106
70	بَعَثَ بِكِتَابِهِ إِلَى كِسْرَى...	ابن عبّاس	191
71	بَعَثَ بِكِتَابِهِ رَجُلاً، وَأَمَرَهُ أَنْ يَدْفَعَهُ إِلَى عَظِيمِ الْبَحْرَيْنِ	ابن عبّاس	191
72	بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ ...	ابن عمر	30
73	تَعَالَوْا بَايِعُونِي عَلَى أَنْ لاَ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا	عبادة	167
74	تُقَاتِلُونَ الْيَهُودَ حَتَّى يَخْتَبِئَ أَحَدُهُمْ وَرَاءَ الْحَجَرِ	ابن عمر	159
75	تَكَفَّلَ اللَّهُ لِمَنْ جَاهَدَ فِي سَبِيلِهِ لاَ يُخْرِجُهُ مِنْ بَيْتِهِ إِلاَّ جِهَادٌ	أبو هريرة	149
76	ثَلاَثَةٌ لَهُمْ أَجْرَانِ:...	أبو موسى	129
77	ثَلاَثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ:..	أنس	128
78	وَجُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا	جابر	143
79	حُبِّبَ إِلَيّ مِنَ الدُّنْيَا: النِّسَاءُ وَالطِّيبُ ...	أنس	91
80	الحج عرفة	ابن يعمر	107
81	الْحَرْبُ خُدْعَةٌ	جابر	108
82	حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ	ابن مسعود	66
83	حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ..	عليّ	122
84	حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وِعَاءَيْنِ	أبو هريرة	122
85	الْحَلاَلُ بَيِّنٌ ، وَالْحَرَامُ بَيِّنٌ	النعمان	107
86	الْحَيَاءُ كُلُّهُ خَيْرٌ	عمران	110
87	الْحَيَاءُ وَالْعِيُّ شُعْبَتَانِ مِنَ الإِيمَانِ..	أبو أمامة	124
88	خَالِفُوا الْمُشْرِكِينَ، وَفِّرُوا اللِّحَى ...	ابن عمر	93
89	خَبَأْتُ هَذَا لَكَ	المسور	96
90	وَخَرَجَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم فِي قُبَّةٍ حَمْرَاءَ	وهب	86
91	خَلِّ عَنْهُ يَا عُمَرُ فَلَهِيَ أَسْرَعُ فِيهِمْ مِنْ نَضْحِ النَّبْلِ...	أنس	200
92	دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لاَ يَرِيبُكَ	الحسن	108
93	الدِّينُ النَّصِيحَةُ	تميم	108
94	رَأَيْتُ النَّبِيَّ يَخْطُبُ وَعَلَيْهِ بُرْدَانِ أَخْضَرَانِ	أبو رمثة	86
95	وَزَعَمَ أَنَسٌ أَنَّ النَّبِيَّ كَانَ لَا يَرُدُّ الطِّيبَ	ثمامة	92
96	سَدِّدُوا وَقَارِبُوا،...	عائشة	134
97	عَجِبْتُ مِنْ قَوْمٍ مِنْ أُمَّتِي يَرْكَبُونَ الْبَحْرَ، كَالْمُلُوكِ عَلَى الأَسِرَّةِ	أم حرام	158
98	فَإِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ لَتَرَيَنَّ الظَّعِينَةَ تَرْتَحِلُ مِنَ الْحِيرَةِ	عديّ	160
99	فَتَحَ اللَّهُ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ	أبو هريرة	99

100	فَجَاءَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو (صلح الحديبية)	المسور ومروان	185
101	فَصَرَخْتُ ثَلاَثَ صَرَخَاتٍ ...	ابن الأكوع	12
102	الْفِطْرَةُ خَمْسٌ أَوْ خَمْسٌ مِنْ الْفِطْرَةِ	أبو هريرة	93
103	فَكَيْفَ بِنَسَبِي ؟!	عائشة	201
104	فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي	أنس	133
105	وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ	جابر	100
106	قَدْ أَجَبْتُكَ ... سَلْ عَمَّا بَدَا لَكَ	أنس	58
107	قُومُوا إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ..	أنس	150
108	قُومُوا فَانْحَرُوا، ثُمَّ احْلِقُوا	المسور ومروان	167
109	كَانَ إِذَا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَعَادَهَا ثَلاَثًا حَتَّى تُفْهَمَ عَنْهُ	أنس	130
110	كَانَ رَسُولُ اللَّهِ قَدْ شَمِطَ مُقَدَّمُ رَأْسِهِ وَلِحْيَتِهِ	جابر بن سمرة	84
111	كَانَ رَسُولُ اللَّهِ يُصَلِّي الْعَصْرَ وَالشَّمْسُ مُرْتَفِعَةٌ حَيَّةٌ	أنس	74
112	كَانَ الْمُسْلِمُونَ حِينَ قَدِمُوا الْمَدِينَةَ يَجْتَمِعُونَ فَيَتَحَيَّنُونَ الصَّلاَةَ	ابن عمر	143
113	كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَخْطُبُ قَائِمًا ثُمَّ يَقْعُدُ ثُمَّ يَقُومُ	ابن عمر	148
114	كَانَ إِذَا غَزَا بِنَا قَوْمًا لَمْ يَكُنْ يَغْزُو بِنَا حَتَّى يُصْبِحَ وَيَنْظُرَ	أنس	146
115	كَانَ يَخْطُبُ قَائِمًا، ثُمَّ يَجْلِسُ ثُمَّ يَقُومُ فَيَخْطُبُ قَائِمًا	جابر	148
116	كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى وَبِيصِ الطِّيبِ فِي مَفْرِقِ النَّبِيِّ	عائشة	92
117	كَتَبَ إِلَى كِسْرَى وَإِلَى قَيْصَرَ وَإِلَى النَّجَاشِيِّ	أنس	190
118	كَخٍ كَخٍ، أَمَا تَعْرِفُ أَنَّا لاَ نَأْكُلُ الصَّدَقَةَ	أبو هريرة	125
119	كَذَبَ مَنْ قَالَهُ، إِنَّ لَهُ لأَجْرَيْنِ...	ابن الأكوع	99
120	كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ	أبو هريرة	79
121	كُنْتُ أُصَلِّي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ فَكَانَتْ صَلاَتُهُ قَصْدًا ...	جابر	147
122	كُنْتُ أَمْشِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ	أنس	88
123	كُنْتُ رَجُلاً مَذَّاءً فَأَمَرْتُ الْمِقْدَادَ أَنْ يَسْأَلَ النَّبِيّ	عليّ	132
124	كيف تقول الشعر إذا أردت أن تقول ؟	ابن رواحة	199
125	وكَيْفَ وَقَدْ قِيلَ. دَعْهَا عَنْكَ	عقبة	75
126	لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ، أَعَزَّ جُنْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ	أبو هريرة	155
127	لاَ تَحَاسَدُوا وَلاَ تَنَاجَشُوا وَلاَ تَبَاغَضُوا وَلاَ تَدَابَرُوا	أبو هريرة	127
128	لاَ تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلاَ تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا	أبو هريرة	140
129	لاَ تَسُبُّوا الأَمْوَاتَ فَإِنَّهُمْ قَدْ أَفْضَوْا إِلَى مَا قَدَّمُوا	عائشة	137
130	لاَ تَقْرَأْهُ حَتَّى تَبْلُغَ مَكَانَ كَذَا وَكَذَا	أنس	63
131	لاَ تَكْذِبُوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ فَلْيَلِجِ النَّارَ	عليّ	112
132	لاَ سَوَاءً أَمَّا قَتْلاَنَا فَأَحْيَاءٌ يُرْزَقُونَ...	ابن عبّاس	208
133	لاَ ضَرَرَ وَلاَ ضِرَارَ	ابن عبّاس	109

134	لأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غدًا – أَوْ لَيَأْخُذَنَّ الرَّايَةَ غدًا	عليّ	127
135	لاَ يَلْبَسِ الْقَمِيصَ وَلاَ الْعِمَامَةَ وَلاَ السَّرَاوِيلَ وَلاَ الْبُرْنُسَ	ابن عمر	130
136	لَزَوَالُ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ قَتْلِ مُؤْمِنٍ	البراء	136
137	لَعَلَّكَ قَبَّلْتَ أَوْ غَمَزْتَ أَوْ نَظَرْتَ	ابن عبّاس	113
138	لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ، وَكَانَ أَشَدُّ مَا لَقِيتُ...	عائشة	203
139	لَكِ كَذَا ...عَشَرَةَ أَمْثَالِه..	أنس	73
140	وَلَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يُرِيدُ غَزْوَةً إِلاَّ وَرَّى	كعب بن مالك	156
141	لَمْ يَكُونُوا يَسْأَلُونَ عَنِ الإِسْنَادِ	ابن سيرين	57
142	لَمَّا كَسَفَتْ الشَّمْسُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ نُودِيَ إِنَّ الصَّلَاةَ جَامِعَةٌ	ابن عمر	144
143	لَوْ عَلِمْتُ أَنَّكَ تَنْظُرُ لَطَعَنْتُ بِهَا فِي عَيْنِكَ	سهل بن سعد	90
144	لَوْلاَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي لأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ	أبو هريرة	94
145	لَوْلاَ أَنَّ قَوْمَكِ حَدِيثُو عَهْدٍ بِشِرْكٍ لَهَدَمْتُ الْكَعْبَةَ	عائشة	125
146	لَيْسَ بِفَظٍّ وَلاَ غَلِيظٍ، وَلاَ سَخَّابٍ بِالأَسْوَاقِ	عبد الله بن عمرو	97
147	لَيْسَ لَكِ عَلَيْهِ نَفَقَةٌ	فاطمة بنت قيس	53
148	مَا أَنْتَ بِمُحَدِّثٍ قَوْمًا حَدِيثًا لاَ تَبْلُغُهُ عُقُولُهُمْ	ابن مسعود	123
149	مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ	المقدام	138
150	مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَتَنَزَّهُونَ عَنِ الشَّيْءِ أَصْنَعُهُ...	عائشة	129
151	مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَرْفَعُونَ أَبْصَارَهُمْ إِلَى السَّمَاءِ فِي صَلاَتِهِمْ	أنس	129
152	مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلاَّ رَعَى الْغَنَمَ	أبو هريرة	117
153	مَا حَجَبَنِي النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم مُنْذُ أَسْلَمْتُ	جرير	85
154	مَا حَدِيثٌ بَلَغَنِي عَنْكُمْ ؟!	أنس	221
155	مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ (قصة ثمامة)	أبو هريرة	184
156	مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ	أبو هريرة	110
157	مَا مَسِسْتُ حَرِيرًا وَلَا دِيبَاجًا أَلْيَنَ مِنْ كَفِّ النَّبِيِّ	أنس	92
158	مَا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ أَحَدٌ أَكْثَرَ حَدِيثًا عَنْهُ مِنِّي	أبو هريرة	69
159	مَا مِنْكُنَّ امْرَأَةٌ تُقَدِّمُ ثَلاَثَةً مِنْ وَلَدِهَا إِلاَّ كَانَ لَهَا حِجَابًا مِنَ النَّارِ	أبو سعيد	148
160	مَثَلُ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ الصَّائِمِ الْقَائِمِ	أبو هريرة	149
161	مَثَلِي وَمَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ كَمَثَلِ رَجُلٍ	أبو موسى	14
162	مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ	عائشة	27
163	مَنِ اغْتَسَلَ ثُمَّ أَتَى الْجُمُعَةَ فَصَلَّى مَا قُدِّرَ لَهُ ثُمَّ أَنْصَتَ	أبو هريرة	148
164	مَنِ الْقَوْمُ ؟". قَالُوا: الْمُسْلِمُونَ..	ابن عبّاس	163
165	مَنِ الْقَوْمُ أَوْ مَنِ الْوَفْدُ	ابن عبّاس	163
166	مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ ثُمَّ أَتَى الْجُمُعَةَ فَاسْتَمَعَ وَأَنْصَتَ..	أبو هريرة	148
167	مَنْ حُوسِبَ عُذِّبَ...	عائشة	131

168	مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ	أبو هريرة	192
169	مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ عَلِمَهُ ثُمَّ كَتَمَهُ أُلْجِمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ	أبو هريرة	105
170	مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ	أبو موسى	130
171	مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ	ابن عمرو	137
172	مَنْ كَانَ لَهُ شَعْرٌ فَلْيُكْرِمْهُ	أبو هريرة	90
173	مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلاَ يُؤْذِ جَارَهُ...	أبو هريرة	140
174	مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ...	أبو هريرة	130
175	مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ وَلَمْ يُحَدِّثْ بِهِ نَفْسَهُ...	أبو هريرة	150
176	مَهْ، عَلَيْكُمْ بِمَا تُطِيقُونَ، فَوَاللَّهِ لاَ يَمَلُّ اللَّهُ حَتَّى تَمَلُّوا	عائشة	133
177	نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ	جابر	203
178	نَضَّرَ اللَّهُ امْرَءًا سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاهَا	ابن مسعود	104
179	نَعَمْ تَرِبَتْ يَمِينُكِ فَبِمَ يُشْبِهُهَا وَلَدُهَا	أم سُلَيْم	131
180	نِعْمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللَّهِ، لَوْ كَانَ يُصَلِّى مِنَ اللَّيْلِ	حفصة	53
181	نِعْمَ الْمَالُ الصَّالِحُ لِلْمَرْءِ الصَّالِحِ	عمرو	138
182	هَلْ لَكَ مِنْ إِبِلٍ" ... قَالَ: "مَا أَلْوَانُهَا ؟"	أبو هريرة	126
183	وَيْلٌ لِلأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ	ابن عمرو	98
184	يَا أَبَا ذَرٍّ إِنِّي أَرَاكَ ضَعِيفًا..	أبو ذرّ	168
185	يَا أَبَا مُوسَى لَقَدْ أُوتِيتَ مِزْمَارًا...	أبو موسى	195
186	يَا أَيُّهَا النَّاسُ لاَ تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ وَاسْأَلُوا اللَّهَ الْعَافِيَةَ	ابن أبي أوفى	151
187	يَا بَنِي فِهْرٍ، يَا بَنِي عَدِيٍّ....	ابن عبّاس	173
188	يَا حَسَّانُ، أَجِبْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ	أبو هريرة	200
189	يَا غُلاَمُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ	ابن عبّاس	163
190	يَا مُعَاذُ بْنَ جَبَلٍ...	معاذ	122
191	يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ أَلَمْ أَجِدْكُمْ ضُلاَّلاً فَهَدَاكُمُ اللَّهُ بِي	زيد بن عاصم	222
192	يَا مُغِيرَةُ: خُذْ الْإِدَاوَةَ ...	المغيرة	85
193	يَسِّرَا وَلاَ تُعَسِّرَا، وَبَشِّرَا وَلاَ تُنَفِّرَا	أبو بردة	195

فهـــــرس الأعلام الذين ذكرنا الجرح فيهم أو تعديلاً، وخلاصــة الرأي.
مرتبًا على أحرف المعجم، مرشدًا إلى مظانّه في الرسالة

م	الـــراوي	القـــول فيه	الصفحة
1	أحمد بن بُديل	صدوق	106
2	جابر الجعفيّ	ضعيف	109
3	جعفر بن سليمان	ثقة، ومن أعلّ روايته فبــسبب تشيّعه.	200
4	الحسين بن عيسى	ثقة	91
5	سلام بن سليمان "أبو المنذر المزني"	صدوق	92
6	سهيل بن أبي صالح	ثقة	91
7	عاصم بن سفيان	ثقة	124
8	عبد الرحمن بن أبي الزناد	صدوق تغير حفظه لمــا قــد بغداد	208
9	عبد الرحمن بن عبد الله بــن عتبــة (المسعودي)	ثقة، ومن سمع منه قبل إحدى وستين فصحيح	104
10	عبد الصمد بن عبد الوارث	ثقة	157
11	عبد الله بن أبي لهيعة	ثقةُ قبل احتراق كتبه، وضُعِّفَ بعدها، ورواية العبادلــة عنــه موثَّقة. ولكن كلام الأئمة عليه بالجملة، وعدم تخريج الشيخين عنه إلا مقرونًا يوحي بأنه أقلّ درجة من الثقة، فهو صــدوق كما قال ابن حجر في التقريب.	164
12	عبي الله بن إياد	ثقة	87
13	عبد الله بن عثمان بن خثيم	صدوق	88
14	عكرمة بن عمّار	ثقة، وأحاديثه عن يحيــى بــن أبي كثير فيها اضطرابٌ.	157
15	عمارة بن زاذان	ثقة	106
16	عمر بن علي المقدميّ	ثقة شديد التدليس	124
17	عمرو بن عبد الله بن علــي "أبــو إسحاق السبيعي"	ثقة، وقد كبــر وتغيــر، ولــم يختلط. (قاله الذهبي) ووافقته.	156

18	قيس بن الحجّاج بن خليّ	صدوق	165
19	محمد بن إسحاق بن يسار	ثقة، وغالب تجريح من جرحه يدور على أنه رُمِيَ بالتشيّع والقدَر، وأما تدليسه فكونه من الثالثة، فنشترط تصريحة بالسماع.	223
20	محمد بن يحيى (ابن أبي عمر)	ثقة	104
21	مسكين بن بكير الحذّاء	ثقة يخطئ	93
22	هشام بن عمار	ثقة، وما قيل عنه أنه يتلقّن، فلم يكن كذاك بل كان يتقاضى أجرًا على تحديثه ويتناعس لذلك أحيانًا، ولذا قال ابن حجر وغيره بصيغة التشكيك: كان (ربما) لُقِّن فتلقّن.	136
23	موسى بن عَليّ (والمشهور عُلَيّ)	ثقة	139
24	الوليد بن مسلم	ثقة، مدلس من الرابعة	136
25	يحيى بن أبي كثير	ثقة، لم يرسل عن أبي قلابة، وتدليسه مقبول، فهو لا يحدث إلا عن ثقة	52

مراجـــع البحث

أولا: القرآن وعلومه

1. **الأساس في التفسير**، سعيد حوّى، دار السلام، الطبعة الثانية (1409هـ - 1989م).
2. **تفسير البحر المحيط**، لأبي حيّان الأندلسيّ، تحقيق وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوّض، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى (1413هـ - 1993م).
3. **تفسير سورة النور**، أبو الأعلى المودودي، تعريب: محمد عاصم الحداد، دار الفكر.
4. **تفسير القرآن العظيم**، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية (1420هـ - 1999م).
5. **التفسير الكبير ومفاتيح الغيب**، الفخر الرازي، الناشر: دار الفكر - بيروت، الطبعة الأولى (1401هـ - 1981م).
6. **الجامع لأحكام القرآن**، القرطبي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، طبعة (1405هـ - 1985م).
7. **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، شهاب الدين محمود الألوسي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.
8. **زاد المسير في علم التفسير**، لابن الجوزيّ، الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت ودمشق، الطبعة الثالثة (1404هـ - 1984م).
9. **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، محمد بن علي الشوكاني، اعتنى به: يوسف الغوش، دار المعرفة - بيروت، الطبعة الثالثة (1417هـ - 1997م).
10. **في ظلال القرآن**، سيد قطب، الطبعة الشرعية السابعة عشرة (1412هـ - 1992م).
11. **الكشاف للزمخشري**، رتبه وضبطه وصححه: محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى (1415هـ - 1995م).

ثانيا: الحديث الشريف وعلومه

11. **أحاديث السنن الأربعة بحكم العلامة الألباني**، اعتنى بها: محمد شومان الرملي، دار ابن عفان، الطبعة الأولى (1422هـ - 2001م).
12. **الأدب المفرد**، للإمام البخاريّ، تحقيق: فريد عبد العزيز الجندي، دار الحديث - القاهرة، ط (1426هـ - 2005م).
13. **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، لعزّ الدين بن الأثير الجزري، تحقيق وتعليق: علي محمد معوّض وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية - بيروت.
14. **الأساس في السنة وفقهها**، سعيد حوى، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة، الطبعة الثالثة (1416هـ - 1995م).

15. **(كتاب) أسماء المدلسين**، جلال الدين السيوطي، محمود محمد محمود حسن نصّار، دار الجيل – بيروت، الطبعة الأولى (1412هـ – 1992م).
16. **الإصابة في تمييز الصحابة**، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل – بيروت، الطبعة الأولى، 1412هـ
17. **أصول الحديث، علومه ومصطلحه**، د. محمد عجاج الخطيب، دار الفكر – بيروت، طبعة (1424هـ – 2003م).
18. **الاغتباط بمن رمي من الرواة بالاختلاط**، سبط بن العجمي، تحقيق: علاء الدين علي رضا، دار الحديث – القاهرة، الطبعة الأولى (1408هـ – 1988م).
19. **إكمال المعلم بفوائد مسلم (شرح صحيح مسلم للقاضي عياض)**، لأبي الفضل عياض اليحصبي، تحقيق: د. يحيى إسماعيل، الطبعة الأولى (1419هـ – 1998م).
20. **الإلزامات والتتبع** (ما ألزم به الإمام الدارقطني الإمامين البخاريّ ومسلم من الأحاديث)، دراسة وتحقيق: مقبل بن هادي الوادعي، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الثانية (1405هـ – 1985م).
21. **ألفية السيوطي في علم الحديث**، تصحيح وشرح: أحمد شاكر، المكتبة العلمية.
22. **الأنساب للسمعاني**، تحقيق وتعليق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، مكتبة ابن تيمية – القاهرة، الطبعة الثانية (1400هـ – 1980م).
23. **الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث**، للحافظ ابن كثير، تأليف: أحمد محمد شاكر، مكتبة المعارف – الرياض، الطبعة الأولى (1416هـ – 1995م).
24. **تاريخ أسماء الثقات ممن نُقِل عنهم العلم**، لابن شاهين، تحقيق وتعليق: د. عبد المعطي أمين قلعجي، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى (1406هـ – 1986م).
25. **التاريخ الأوسط للبخاري**، دراسة وتحقيق: محمد بن إبراهيم اللحيدان، دار الصميعي – الرياض، الطبعة الأولى (1418هـ – 1998م).
26. **التاريخ الكبير للبخاري**، متابعة: د. محمد عبد المعيد خان، تحقيق وتعليق: عبد الرحمن المعلمي.
27. **التأصيل الشرعي لقواعد المحدثين**، عبد الله شعبان، دار السلام – مصر، الطبعة الأولى (1426هـ – 2005م).
28. **التبيين لأسماء المدلسين**، لسبط ابن العجمي الشافعيّ، تحقيق: يحيى شفيق، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى (1406هـ – 1986م).
29. **تحرير تقريب التهذيب لابن حجر**، بشار عوّاد معروف وشعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى (1417هـ – 1997م).
30. **تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي**، للمباركفوري، ضبط وتقديم: عبد الرحمن محمد عثمان، مراجعة وتصحيح: عبد الوهاب عبد اللطيف، دار الفكر للنشر والتوزيع.

31. تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أيمن الشبراوي، دار الحديث – القاهرة، طبعة (1425هـ – 2004م).

32. تصحيفات المحدثين، أبو هلال العسكري، ضبط وتصحيح: أحمد عبد الشافي، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى (1408هـ – 1988م).

33. تعريف أهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس، ابن حجر، تحقيق: د.عاصم بن عبد الله القريوتي، مكتبة المنار – الأردن، الطبعة الأولى.

34. التعريف برواة مسند الشاميين، د. علي محمد جماز، الناشر: دار الثقافة – قطر، الطبعة الأولى (1409هـ – 1989م).

35. تقريب التهذيب لابن حجر، تحقيق وتعليق: أبو الأشبال صغير أحمد شاغف الباكستاني، دار العاصمة للنشر والتوزيع.

36. التقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح، الحافظ زين الدين العراقي، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، دار الفكر، (1401هـ – 1981م).

37. التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، لابن حجر العسقلاني، بتعليق واعتناء: حسن بن عباس قطب، مؤسسة قرطبة، الطبعة الأولى (1416هـ – 1995م).

38. تهذيب الأسماء واللغات، شرف الدين النووي، دار الكتب العلمية – بيروت، عنيت به: إدارة الطباعة المنيرية بإدارة محمد منير الدمشقي.

39. تهذيب التهذيب لابن حجر، باعتناء: إبراهيم الربيق وعادل مرشد، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى (1416هـ – 1995م).

40. توجيه النظر إلى أصول الأثر، طاهر بن صالح بن أحمد الجزائري الدمشقي، دار المعرفة – بيروت.

41. الثقات لابن حبان البستيّ، تحقيق: السيد شرف الدين أحمد، دار الفكر – بيروت، الطبعة الأولى (1395هـ – 1975م).

42. جامع التحصيل في أحكام المراسيل، لأبي سعيد العلائي، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، عالم الكتب – بيروت، الطبعة الثانية (1407هـ – 1986م).

43. الجرح والتعديل، إبراهيم بن عبد الله اللاحم، مكتبة الراشد – السعودية، الطبعة الأولى (1424هـ – 2003م).

44. الجرح والتعديل، عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولى (1409هـ – 1988م).

45. الجرح والتعديل بين المتشددين والمتساهلين، محمد طاهر الجوابي، الدار العربية للكتاب – تونس، طبعة 1997م.

46. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم الأصبهاني، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الرابعة 1405هـ.

47. خلاصة التأصيل لعلم الجرح والتعديل، الشريف حاتم بن عارف العوني، دار عالم الفوائد – مكة المكرمة، الطبعة الأولى 1421هـ.

48. الخلاصة في علم الجرح والتعديل، علي بن نايف الشحود، مكتبة المنارة – غزة، الطبعة الأولى 2008م.

49. دراسات في الجرح والتعديل، محمد ضياء الرحمن الأعظمي، مكتبة الغرباء – المدينة المنورة، الطبعة الأولى (1415هـ – 1995م).

50. دراسات في منهج النقد عند المحدثين، د. محمد علي قاسم العمري، دار النفائس – الأردن، الطبعة الأولى (1420هـ – 2000م).

51. دلائل التوثيق المبكر للسنة والحديث، د. امتياز أحمد، سلسلة منشورات جامعة الدراسات الإسلامية – باكستان، دار الوفاء – القاهرة، الطبعة الأولى (1410هـ – 1990م).

52. ذكر أسماء من تُكُلِّمَ فيه وهو موثَّق، للإمام شمس الدين الذهبيّ، تحقيق وتعليق: محمد شكور الميادين، مكتبة المنار – الأردن، الطبعة الأولى (1406هـ – 1986م).

53. ذكر صلاة التسبيح والأحاديث رويت عن النبيّ صلى الله عليه وسلم فيها واختلاف الناقلين لها، للخطيب البغداديّ، تحقيق: د. إيمان على العبد الغني، دار البشائر – بيروت، الطبعة الأولى (1429هـ – 2008م).

54. ذكر من اختلف العلماء ونقاد الحديث فيه، فمنهم من وثّقه ومنهم من ضعّفه ومن قيل فيه قولان، لابن شاهين، اعتناء وتقديم وتعليق: طارق بن عوض الله محمد، الناشر: مكتبة التربية الإسلامية لإحياء التراث الإسلامي – مصر، الطبعة الأولى (1412هـ – 1992م).

55. الرفع والتكميل في الجرح والتعديل، أبو الحسنات محمد عبد الحي اللكنوي الهندي، تحقيق وتعليق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب، الطبعة الثالثة (1407هـ – 1987م).

56. سؤالات الحاكم للدارقطني في الجرح والتعديل، دراسة وتحقيق: موفق بن عبد الله بن عبد القادر، مكتبة المعارف – الرياض، الطبعة الأولى (1404هـ – 1984م).

57. سؤالات ابن الجنيد ليحيى بن معين، تحقيق: أحمد محمد نور سيف، مكتبة الدار – المدينة المنورة، الطبعة الولى (1408هـ – 1988م).

58. سؤالات الآجريّ لأبي داود السجستاني، دراسة وتحقيق: د. عبد العليم عبد العظيم البَسْتَوي، مكتبة دار الاستقامة – السعودية ومؤسسة الريان – بيروت، الطبعة الأولى (1418هـ – 1997م).

59. سؤالات البرقاني للدارقطني في الجرح والتعديل، تحقيق وتعليق: مجدي السيّد إبراهيم، مكتبة القرآن – القاهرة، طبعة 1989م.

60. سؤالات مسعود بن علي السجزي للحاكم النيسابوري، دراسة وتحقيق: د. موفق بن عبد الله بن عبد القادر، دار الغرب الإسلامي – بيروت، الطبعة الأولى (1408هـ – 1988م).

61. السنة قبل التدوين، محمد عجاج الخطيب، مكتبة وهبة – مصر، الطبعة لأولى (1383هـ – 1963م).

62. سنن ابن ماجه، حكم على أحاديثه وآثاره وعلق عليه: العلامة الألباني، اعتنى به: أبو عبيدة مشهور آل سلمان، مكتبة المعارف – الرياض، طبعة 1417هـ.

63. سنن أبي داود، حكم على أحاديثه وآثاره وعلق عليه: العلامة الألباني، اعتنى به: أبو عبيدة مشهور آل سلمان، مكتبة المعارف – الرياض، الطبعة الثانية 1424هـ.

64. سنن البيهقي، مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند ببلدة حيدر آباد، الطبعة الأولى 1344هـ.

65. سنن الترمذي، حكم على أحاديثه وآثاره وعلق عليه: العلامة الألباني، مكتبة المعارف – الرياض، الطبعة المنقّحة عن الأولى 1417هـ.

66. سنن الدارقطني، تحقيق: السيد عبد الله هاشم يماني المدني، دار المعرفة – بيروت، طبعة (1386هـ – 1966م).

67. سنن الدارمي أو مسند الدرامي، للإمام أبو محمد بن بهرام الدارمي، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، دار المغني – السعودية، الطبعة الأولى (1421هـ – 2000م).

68. السنن الكبرى للبيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الثالثة (1424هـ – 2003م).

69. السنن الكبرى للنسائي، إشراف: شعيب الأرناؤوط، تحقيق وتعليق: حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الأولى (1421هـ – 2001م).

70. سنن النسائي، حكم على أحاديثه وآثاره وعلق عليه: العلامة الألباني، مكتبة المعارف – الرياض، الطبعة المنقّحة عن الأولى 1417هـ.

71. سير أعلام النبلاء، للإمام الذهبي، تحقيق وتعليق: شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقوسي، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الأولى (1405هـ – 19847م).

72. شرح السنة، للحسين بن مسعود البغويّ، تحقيق وتعليق: شعيب الأرناؤوط، المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة الثانية (1403هـ – 1983م).

73. شرح صحيح البخاري، لابن بطّال، ضبط وتعليق: ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد – الرياض.

74. شروط الأئمة الخمسة، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، 1416هـ.

75. الشمائل المحمدية والخصائص المصطفوية، للإمام الترمذي، ضبط وتصحيح: محمد عبد العزيز الخالدي، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الثالثة (1427هـ – 2006م).

76. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تحقيق وتعليق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الثانية (1414هـ – 1993م).

77. **صحيح ابن خزيمة**، تحقيق وتعليق: محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي – بيروت ، (1400هـ – 1980م).
78. **صحيح البخاري** "النسخة السلطانية المقابلة عن اليونينية"، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى 1422هـ.
79. **صحيح مسلم**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
80. **صحيح مسلم بشرح الإمام النووي**، تحقيق: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة – بيروت، الطبعة الخامسة (1419هـ – 1998م).
81. **(كتاب) الضعفاء، لأبي جعفر العقيلي**، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، دار الصميعي – الرياض، الطبعة الأولى (1420هـ – 2000م).
82. **(كتاب) الضعفاء والمتروكين**، لابن الجوزي، تحقيق: أبو الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى (1406هـ – 1986م).
83. **(كتاب) الضعفاء والمتروكين**، الإمام النَّسائيّ، تحقيق: بوران الضناوي وكمال يوسف الحوت، مؤسسة دار الكتب الثقافية – بيروت، الطبعة الأولى (1405هـ – 1985م).
84. **ضوابط الجرح والتعديل**، عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم العبد اللطيف، صادر عن كلية الحديث بالجامعة الإسلامية – المدينة المنورة.
85. **ضوابط الجرح والتعديل عند الحافظ الذهبي رحمه الله**، دراسة: محمد الثّاني بن عمر بن موسى، من إصدارات مجلة الحكمة – ليدز ببريطانيا، الطبعة الأولى (1421هـ – 2000م).
86. **العلل ومعرفة الرجال**، أحمد بن حنبل، تحقيق وتخريج: وصيّ الله بن محمد عباس، دار الخاني – الرياض، الطبعة الثانية (1422هـ – 2001م).
87. **العلل ومعرفة الرجال برواية أحمد بن حنبل**، عن يحيى بن معين، تحقيق وتعليق: محمد مجفان الجزائري، دار ابن حزم، ط 1424هـ.
88. **عون المعبود شرح سنن أبي داود**، أبو الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي، ضبط وتحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، المكتبة السلفية – المدينة المنورة، الطبعة الثانية (1388هـ – 1968م).
89. **غريب الحديث**، لابن قتيبة الدينوري، تحقيق : د. عبد الله الجبوري، الناشر: مطبعة العاني – بغداد، الطبعة الأولى (1397هـ 1979م).
90. **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، ابن حجر العسقلاني، دار مصر للطباعة، الطبعة الأولى.
91. **الفصول في مصطلح حديث الرسول**، وهي رسالة مختصرة لحافظ ثناء الله الزاهدي.
92. **قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث**، محمد جمال الدين القاسمي، تحقيق:محمد بهجة البيطار، دار النفائس – بيروت، الطبعة الأولى (1407هـ – 1987م).
93. **قواعد في علوم الحديث**، ظفر أحمد العثماني التهانوي، تحقيق وتعليق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية – الرياض، الطبعة الخامسة (1404هـ – 1984م).

94. الكامل في ضعفاء الرجال لابن عدي، تحقيق: يحيى مختار غزاوي، دار الفكر – بيروت، الطبعة الثالثة (1409هـ – 1988م).
95. الكشاف المبين عن مناهج المحدّثين، د. أحمد أبو حلبية، الطبعة الثالثة (1423هـ – 2002م).
96. كشف الإيهام لما تضمنه تحرير التقريب من الأوهام، د. ماهر ياسين الفحل، دار الميمان – السعودية، الطبعة الأولى (1427هـ – 2006م).
97. الكفاية في معرفة أصول علم الرواية، أبو بكر الخطيب البغداديّ، تحقيق: أبي إسحاق إبراهيم الدمياطي، دار الهدى – مصر، الطبعة الأولى (1423هـ – 2003م).
98. الكواكب النيّرات في معرفة من اختلط من الرواة الثقات، لأبي البركات محمد بن أحمد المعروف بابن الكيّال، تحقيق ودراسة: عبد القيّوم عبد رب النبيّ، المكتبة الإمدادية – مكة المكرمة، الطبعة الثانية (1420هـ – 1999م).
99. لمحات في أصول الحديث، د. محمد أديب صالح، المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة الثالثة 1399هـ.
100. (كتاب) المختلطين، صلاح الدين العلائي، تحقيق وتعليق: د. رفعت فوزي عبد المطلب، أ. على عبد الباسط مزيد، مكتبة الخانجي – القاهرة.
101. مجالس أمالي الأذكار في صلاة التسبيح، ابن حجر العسقلاني، تحقيق وتعليق: كيلاني محمد خليفة، مؤسسة قرطبة للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى (1413هـ – 1993م).
102. (كتاب) المجروحين من المحدّثين، لابن حبان البستي، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، دار الصميعي – الرياض، الطبعة الأولى (1420هـ – 2000م).
103. مختصر النصيحة في الأذكار والأدعية الصحيحة، جمع وترتيب: محمد أحمد إسماعيل المقدم، الناشر: دار القمة ودار الإيمان، طبعة 2003.
104. المستدرك على الصحيحين، الحاكم النيسابوري، تحقيق: مقبل بن هادي الوادعي، دار الحرمين – القاهرة، الطبعة الأولى (1417هـ – 1997م)،
105. مسند أحمد بن حنبل، مؤسسة قرطبة – القاهرة، تحقيق: شعيب الأرناؤوط.
106. مسند أبي يعلى، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث – دمشق، الطبعة الأولى (1404هـ – 1984م).
107. مسند الحميدي، تحقيق وتخريج: حسين سليم أسد (الدرانيّ)، دار السقا – دمشق، الطبعة الأولى سنة 1996م.
108. مسند الشافعيّ، تحقيق: أبي عمير مجدي بن محمد بن عرفات المصري، وأسماه المحقق (شفاء العيّ بتخريج وتحقيق مسند الإمام الشافعي بترتيب العلامة السنديّ)، الناشر: مكتبة ابن تيمية – القاهرة، توزيع: مكتبة العلم – جدة، الطبعة الأولى سنة 1416هـ.

109. مسند الشاميين، للإمام الطبراني، تحقيق وتخريج: حمدي عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الأولى (1409هـ – 1989م).

110. المسند الصحيح من أحاديث الفتن والملاحم وأشراط الساعة، مصطفى العدويّ، مكتبة الإيمان – منصورة مصر، طبعة 1411هـ.

111. المصنف، لأبي بكر بن أبي شيبة، تحقيق: حمد بن عبد الله الجمعة ومحمد بن إبراهيم اللحيدان، الناشر: مكتبة الرشيد – بيروت، الطبعة الأولى (1425هـ – 2004م).

112. مصنف عبد الرزاق، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة الثانية 1403هـ.

113. معرفة علوم الحديث، للحاكم النيسابوري، تحقيق وتعليق: السيد معظم حسين وآخرون، المكتبة العلمية – المدينة المنورة، الطبعة الثانية (1397هـ – 1977م).

114. المعجم الكبير للطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم – الموصل، الطبعة الثانية (1404هـ – 1983م).

115. مقدمة ابن الصلاح، اعتنى به وعلق عليه: إسماعيل زرمان، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى (1425هـ – 2004م).

116. منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، ابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، ط (1406هـ – 1986م).

117. منهج نقد المتن عند علماء الحديث النبوي، د. صلاح الدين بن أحمد الأدلبي، منشورات دار الآفاق الجديدة – بيروت، الطبعة الأولى (1403هـ – 1983م).

118. منهج النقد في علوم الحديث، نور الدين عتر، دار الفكر المعاصر – بيروت ودار الفكر – دمشق، الطبعة الثالثة (1418هـ – 1997م).

119. المنهل الرويّ في مختصر علوم الحديث النبويّ، بدر الدين بن جماعة، تحقيق: د. محيي الدين عبد الرحمن رمضان، دار الفكر – دمشق، الطبعة الثانية 1406هـ.

120. موسوعة أقوال أبي الحسن الدارقطني في رجال الحديث وعلله، جمع وترتيب: د.محمد مهدي المسلمي وأشرف منصور عبد الرحمن وآخرون، عالم الكتب.

121. موطأ الإمام مالك، برواية يحيى بن يحيى الليثي الأندلسي، تحقيق وتعليق: د. بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت، الطبعة الثانية (1417هـ – 1997م).

122. ميزان الاعتدال في نقد الرجال للذهبي، مع ذيل الميزان للعراقي، تحقيق: محمد علي معوّض وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى (1416هـ – 1995م).

123. نزهة الألباب في الألقاب، ابن حجر العسقلاني، مكتبة الرشد – السعودية، الطبعة الأولى (1409هـ – 1989م).

124. نزهة النظر شرح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، ابن حجر العسقلاني، المكتبة العلمية بالمدينة المنورة، الطبعة الثالثة.
125. النهاية في غريب الحديث والأثر، لأبي السعادات الجزري، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، الناشر: المكتبة العلمية – بيروت، (1399هـ – 1979م).
126. الوسيط في علوم ومصطلح الحديث، محمد بن محمد أبو شهبة، الناشر: عالم المعرفة، ط (1403هـ – 1982م).

ثالثا: السيرة النبوية وما يتصل بها

127. إمتاع الأسماع، للإمام المقريزيّ، تحقيق وتعليق: محمد عبد الحميد النميسي، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى (1420هـ – 1999م).
128. تأملات حركية في سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم، يوسف أبو راس، دار الفرقان، الطبعة الأولى (1422هـ – 2001م).
129. التربية السياسية، منير الغضبان، دار الوفاء، الطبعة الأولى (1424هـ – 2003م).
130. حياة محمد صلى الله عليه وسلم، محمد حسين هيكل، مطبعة السنة المحمدية – القاهرة، طبعة 1965م.
131. دراسات في السيرة، د. طالب أبو شعر وآخرون، الجامعة الإسلامية بغزة، الطبعة الأولى (1421هـ – 2000م).
132. الرحيق المختوم، صفيّ الرحمن المباركفوري ، دار الوفاء – مصر، (1425هـ – 2004م).
133. الرسول صلى الله عليه وسلم، سعيد حوى، دار السلام، الطبعة الثانية (1410هـ – 1990م).
134. الرسول القائد، محمود شيث خطّاب، دار الفكر – بيروت، الطبعة الخامسة (1409هـ – 1989م).
135. سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، للإمام محمد يوسف الصالحيّ، تحقيق: د. مصطفى عبد الواحد، نسخة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بوزارة الأوقاف المصرية – القاهرة، طبعة (1418هـ – 1997م).
136. سفراء النبي عليه السلام وكتّابه ورسائله، د. مختار الوكيل، الناشر: دار المعارف – القاهرة، طبعة 1978م.
137. السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، د. مصطفى السباعي، دار الورّاق ودار السلام، الطبعة الأولى (1418هـ – 1998م).
138. السيرة النبوية، أبو الحسن الندوي، دار الشروق – جدّة، الطبعة الثامنة (1409هـ – 1989م).
139. السير النبوية، لابن هشام، تحقيق وشرح وضبط: مصطفى السقّا، إبراهيم الابياري وعبد الحفيظ شلبي.

140. زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيّم الجوزية، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت ومكتبة المنار الإسلامية – الكويت، الطبعة الرابعة عشرة (1407هـ – 1986م).

141. عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، لبي الفتح اليعمري، تحقيق وتعليق: د. محمد العيد الخطراوي ود. محيي الدين متو، الناشر: دار ابن كثير – دمشق * بيروت ومكتبة دار التراث – المدينة المنورة.

142. فقه السيرة، محمد الغزالي، خرّج أحاديثه: العلامة الألباني، دار الكتب الحديثة – القاهرة، الطبعة السادسة (ديسمبر 1965م).

143. فقه السيرة النبوية، منير الغضبان، من سلسلة إصدارات جامعة أم القرى، 1419هـ.

144. قيادة الرسول صلى الله عليه وسلم السياسية والعسكرية، أحمد راتب مرموش، دار النفائس – بيروت، الطبعة الثانية (1412هـ – 1991م).

145. كتاب المغازي للواقدي، تحقيق: مارسدن جونس، الطبعة الثالثة (1404هـ – 1984م).

146. محاولات اغتيال النبي صلى الله عليه وسلم وفشلها، محمود نصار والسيد يوسف، دار الكتب العلمية.

147. محمد صلى الله عليه وسلم والمرأة، د. سامية منيسي، المكتبة الأكاديمية، 1996 م.

148. المنهج الحركي للسيرة النبوية، منير محمد الغضبان، دار المنار – الأردن، الطبعة السادسة (1411هـ – 1990م).

149. المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، أحمد بن محمد القسطلاني، تحقيق: صالح أحمد الشامي، الناشر: المكتب الإسلامي – دمشق، الطبعة الثانية مزيدة ومنقحة (1425هـ – 2004م).

150. النور الخالد، محمد مفخرة الإنسانية، محمد فتح الله كولن، دار النيل ومؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى (1420هـ – 1999م).

<u>رابعًا: كتب إعلامية</u>

151. أدب الحوار في الإسلام، سيف الدين شاهين، دار الأفق – الرياض، الطبعة الأولى (1413هـ – 1992م).

152. أصول المواجهة الإعلامية، د. محمود الزهار، مركز النور للبحوث والدراسات، الطبعة الأولى، فبراير 2004م.

153. أضواء على الإعلام في صدر الإسلام، د. عبد اللطيف حمزة، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الثانية (1407هـ – 1987م).

154. الإعلام في المجتمع الإسلامي، حامد عبد الواحد، إدارة الصحافة والنشر – مكة المكرمة، سبتمبر 1984م – ذو الحجة 1404 هـ.

155. الإعلام الإسلامي، محمد قطب، دار الاعتصام، الطبعة الثانية (1409هـ - 1989م).
156. الإعلام الإسلامي "الأهداف والوظائف"، د. سيد محمد ساداتي الشنقيطي، دار عالم الكتب - السعودية، الطبعة الثانية (1417 هـ - 1997م).
157. الإعلام الإسلامي وتطبيقاته العملية، د. محي الدين عبد الحليم، مطتبة الخانجي - مصر (1400 هـ - 1980م).
158. الإعلام الإسلامي وسبل تطويره وإصلاحه، (من كتاب مؤتمر للندوة العالمية للشباب الإسلامي- 1396هـ 1976م)، فيصل حسون ، الطبعة الثانية.
159. الإعلام الإسلامي في العهد المكي، عمر التلمساني، دار الاعتصام، الطبعة الثانية (1409هـ - 1989م).
160. الإعلام الأمني والأمن الإعلامي، د. بركة بن زامل الحوشان، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض - الطبعة الأولى (1425هـ - 2004م).
161. الإعلام الأمني بين النظرية والتطبيق، د. جاسم خليل ميرزا، مركز الكتاب للنشر (القاهرة)، الطبعة الأولى (1426هـ - 2006م).
162. الإعلام الأمني "المشكلات والحلول"، ندوة صادرة عن أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض (1423هـ - 2002م).
163. الإعلام، ضوابطه وأحكامه الشرعية (رسالة ماجستير - كلية الشريعة بالجامعة الإسلامية بغزة)، حسام خليل عايش، (1428هـ - 2007م).
164. الإعلام العربي المعاصر، وأثره في ضياع الجيل وهزيمة الأمة، (من كتاب مؤتمر للندوة العالمية للشباب الإسلامي- 1396هـ 1976م)، يوسف العظم، الطبعة الثانية.
165. الإعلام له تاريخه ومذاهبه، عبد اللطيف حمزة، دار الفكر العربي - القاهرة، طبعة 1965م.
166. إعلان الحدود الشرعية والردع العام، صالح بن علي بن ذعار العتيبي، صادر عن أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية - الرياض، الطبعة الأولى (1421هـ - 2000م).
167. بحوث في الإعلام الإسلامي، محمد فريد محمود عزّت، دار الشروق - جدّة، الطبعة الأولى (1403هـ 1983م).
168. التخطيط الإعلامي في ضوء الإسلام، محمود كرم سليمان، دار الوفاء - المنصورة، الطبعة الأولى (1409هـ - 1988م).
169. التفسير الإعلامي لصحيح البخاري، د. محمد منير حجاب، دار الفجر للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى (1415هـ - 1995م).
170. الجوانب الإعلامية في خطب الرسول صلى الله عليه وسلم، سعيد بن علي ثابت، الطبعة الأولى، الناشر: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - السعودية، طبعة 1417هـ.
171. حديث الإفك من المنظور الإعلامي، د. علي محمد رشوان، طبعة 1415هـ - 1994م.

172. الحرب النفسية، أضواء إسلامية، د. فهمي النجار، دار الفضيلة – السعودية، الطبعة الأولى (1426هـ – 2005م).

173. الحكمة والحوار "**علاقة تبادلية**"، د. عباس محجوب، الناشر: جدارا للكتاب العالمي وعالم الكتب الحديث – الأردن، طبعة 2006م.

174. الخبر الصحفي في منهج الإعلام الإسلامي، عبد الله بدران، دار المكتبي – سورية، الطبعة الأولى (1423هـ – 2002م).

175. خطابنا الإسلامي في عصر العولمة، د. يوسف القرضاوي، دار الشروق، الطبعة الأولى (1424هـ – 2004م).

176. الدعوة الإسلامية والإعلام الديني، د. عبد الله شحاتة، الناشر: الهيئة المصرية العامّة للكتاب، الطبعة الثانية 1986م.

177. الدعوة والإعلام في السيرة النبوية، د. نزيه إعلاوي، الطبعة الأولى (1425هـ – 2005م)، دار صنعاء – الأردن.

178. دور الإعلام الإسلامي في بناء الإنسان المثالي، محمد كامل الخجا، صادرة عن نادي جازان الأدبي، الطبعة الأولى (1404هـ – 1984م).

179. السياسة الإعلامية في القرآن بين التاريخ والمعاصرة (من كتاب مؤتمر للندوة العالمية للشباب الإسلامي– 1396هـ 1976م)، محمد رمضان لاوند، الطبعة الثانية.

180. صلح الحديبية، محمد أحمد باشميل، دار الفكر – بيروت، الطبعة الرابعة (1403هـ – 1983م).

181. مدخل إلى الإعلام، جان جبران كرم، دار الجيل، الطبعة الثانية 1992م.

182. مائة سؤال عن الإعلام، طلعت همّام.

183. المناهج الإعلامية وأثرها على الدعوة، د. جمعة شعبان وافي، من كتاب مؤتمر الدعوة الإسلامية ومتغيرات العصر، الجامعة الإسلامية – غزة (1426هـ – 2005م).

184. مهارات الاتصال، راشد علي عيسى، كتاب الأمة عدد 103 صادر عن وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بقطر، الطبعة الأولى 1425هـ.

185. نحو إعلام إسلامي، د. صلاح الدين إبراهيم حماد، طبعة 2002م.

186. النظرية الإعلامية في الإسلام والعلاقات الإنسانية، محمد الغزالي، مؤسسة الاعتصام، الطبعة الثانية (1409هـ – 1989م).

187. النظرية الإعلامية في الإسلام والعلاقات الإنسانية، زين العابدين الركابي، مؤسسة الاعتصام، الطبعة الثانية (1409هـ – 1989م).

188. وسائل الإعلام وأثرها في وحدة الأمة، محمد الغلاييني، دار المنارة – جدّة، الطبعة الأولى (1405هـ – 1985م).

189. الوفود في العهد المكيّ وأثرها الإعلاميّ، علي رضوان أحمد الأسطل، مكتبة المنـــار – الأردن، الطبعة الأولى (1404هـــ – 1984م).

خامسًا: المعاجـــم

190. أساس البلاغة، للزمخشري، دار صادر – بيروت، الطبعة الأولى (1412هـــ – 1992م).

191. الرائد "قاموس ألفبائي في اللغة والإعلام" ، جبران مسعود، دار العلم للملايين، الطبعة الثالثة (يوليو 2005م).

192. الصحاح "تاج اللغة وصحاح العربية"، إسماعيل بن حمّاد الجوهري، تحقيق: أحمد عبـــد الغفـــور عطّار، دار العلم للملايين – بيروت (يناير 1990م).

193. العين مرتبًا على حروف المعجم، الخليل بن أحمد الفراهيدي، ترتيب وتحقيـــق: د. عبـــد الحميـــد هنداوي، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى (1424هـــ – 2003م).

194. القاموس المحيط، الفيروز آبادي، دار الجيل – بيروت.

195. لسان العرب، ابن منظور، دار صادر – بيروت.

196. معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق: شهاب الدين أبو عمـــرو، دار الفكـــر، الطبعـــة الثانيـــة (1418هـــ – 1998م).

197. المعجم الوجيز، إصدارات مجمع اللغة العربية، الطبعة الخاصة بوزارة التربية والتعليم – مـــصر، (1415هـــ – 1994م)،

198. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، الطبعة الرابعة (1425هـــ – 2004م).

سادسا: متفرقات

199. الاعتصام، لأبي إسحاق الشاطبي، تحقيق وتعليق: مشهور آل سلمان، مكتبة التوحيد.

200. أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، بطرس البستاني، دار مارون عبّود.

201. الإسلام والشعر، د. سامي مكي العاني، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – الكويت، يناير 1978م.

202. الإسلام والشعر، د. فايز ترحيني، دار الفكر اللبناني – بيروت، الطبعة الأولى 1990م.

203. أسواق العرب في الجاهلية والإسلام، سعيد الأفغـــاني، دار الفكـــر – بيـــروت، الطبعـــة الثالثـــة (1394هـــ – 1974م).

204. أصالة الحضارة العربية، د. ناجي معروف، دار الثقافة – بيروت، الطبعة الثالثـــة (1395هـــــ – 1975م).

205. الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة السادسة عشرة، يناير 2005م.

206. البيان والتبيين، عمرو بن بحر "الجاحظ"، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل – بيروت، (1410هـ – 1990م).
207. حضارة العرب في الجاهلية، حسين الحاج حسن، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع – بيروت، الطبعة الثانية (1409هـ – 1989م).
208. الخطابة "أصولها – تاريخها، في أزهر عصورها عند العرب"، الإمام محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي – القاهرة،
209. الدعوة والخطابة، علي عبد العظيم، دار الاعتصام، 1978م.
210. روائع من أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم "دراسات لغوية وفكرية وأدبية"، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم – دمشق، الطبعة الأولى (1416هـ – 1995م).
211. الشباب ووقت الفراغ، د. عثمان خليل، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض (1422هـ – 2001م).
212. الشعر الجاهلي، د. شوقي ضيف، دار المعارف – مصر ، 1976م.
213. العصر الجاهلي، د. شوقي ضيف، دار المعارف بمصر، 1976.
214. فقه السنة، السيد سابق، دار الفتح للإعلام العربي – القاهرة، الطبعة الأولى (1421هـ – 2000م).
215. قصة وتاريخ الحضارات العربية بين الأمس واليوم "شعراء العرب وأدباؤهم"، طبعة 1998م.
216. الكامل في اللغة والأدب، أبو عباس المبرَّد، مؤسسة المعارف – بيروت.
217. كيف تكوِّن علاقات ناجحة مع الناس، د. صموئيل حبيب، دار الثقافة – القاهرة، الطبعة الأولى 1995م.
218. اللحية دراسة حديثية موضوعية، د.عبد الله بن يوسف الجديع، مؤسسة الريان – بريطانيا، الطبعة الثانية (1426هـ – 2005م).
219. لوح الضبط في علم حساب القبط، لابن المغربيّ، تحقيق: د. رمضان عبد التوّاب، من مجلة مجمع اللغة العربية، العدد 36
220. مع الله "دراسات في الدعوة والدعاة"، محمد الغزالي، دار الكتب الحديثة – مصر، الطبعة الثالثة (1385هـ – 1965م).
221. معجم البلدان، شهاب الدين الحموي، دار صادر – بيروت (1397هـ – 1977م).
222. المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، د. جواد علي، الطبعة الثانية (1413هـ – 1993م).
223. مقدمة ابن خلدون، الناشر: دار العودة – بيروت.
224. الموسوعة السياسية، أسسها د. عبد الوهاب الكيالي وحرّرها معه آخرون، الناشر: المؤسسة العربية للدراسات والنشر – بيروت.

والحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات ،،

فهـــــرس الموضوعـــــــات

الموضـــــوع	صفحة
الإهداء	أ
شكر وتقدير	ب
المقدمة	ج
أهمية الموضوع وبواعث اختياره وأهدافه	د
الجهود والدراسات السابقة	د
منهج الباحث	و
خطة البحث	ز
التمهيد: مدخل إلى الإعلام الإسلامي	
أولا/ الإعلام في اللغة والاصطلاح، والعلاقة بينهما	2
ثانيا/ أهمية الإعلام في حياة الإنسان	5
ثالثا/ خصائص الإعلام في الإسلام وأهدافه ووظائفه	6
رابعا/ الإعلام عند العرب	7
خامسا/ الإعلام في القرآن الكريم	16
سادسا/ الإعلامُ في الحدود الشرعية	21
خلاصة التمهيد	24
الفصل الأول: **التأصيل النبويّ للنظرية الإعلامية من خلال مصطلح الحديث**	
المبحث الأول/ الحديث وعلاقته بالإعلام	27
المبحث الثاني/ مواصفات ناقل الخبر المقبول وعلاقته بالإعلام	32
المطلب الأول: العدالة	32
المطلب الثاني: الضبط	40
خلاصة المبحث	47
المبحث الثالث/ العلاقة بين النقد الحديثي والنقد الإعلامي	48
المطلب الأول: تعريف الجرح في اللغة والاصطلاح	50
المطلب الثاني: شروط المعدِّل والجارح	54
خلاصة المبحث	55
المبحث الرابع/ العلاقة بين الحديث والإعلام من حيث أدوات التحمل والأداء	56
المطلب الأول: طرق التحمل والأداء	61
المطلب الثاني: تنزيل الطرق على الواقع الإعلامي	64

المطلب الثالث: أثر استخدام الكلمة المناسبة	66
خلاصة المبحث	67
المبحث الخامس/ كتابة الحديث وضبطه ومبادئ الكتابة الدقيقة	68
المطلب الأول: الاعتناء بضبط الكلمات	70
المطلب الثاني: تحسين الخط وتجويده	70
المطلب الثالث: مقابلة المكتوب بالأصل	71
المطلب الرابع: مسألة الرواية بالمعنى	72
المطلب الخامس: مراجعة النصّ المكتوب	76
خلاصة المبحث	80
الفصل الثاني: **الإعلام النبوي (مبادئه وخصائصه وأشكاله)**	
المبحث الأول/ هيئة النبيّ صلى الله عليه وسلم الإعلامية	82
المطلب الأول : المظهر النبوي الإعلاميّ	83
المطلب الثاني: هيئة جلوس الإعلاميّ	94
المطلب الثالث: درجة الصوت وحالته للإعلاميّ	96
المطلب الرابع: عوامل التعبير الإعلامية المساعدة	98
خلاصة المبحث	100
المبحث الثاني/ مبادئ الإعلام النبوي	101
المطلب الأول: إعلام العقيدة والتعبد والأخلاق	102
المطلبُ الثاني: لغة الخطاب الإعلاميّ القوية	106
المطلب الثالث: التجارب العملية الحيوية وأثرها في اللسان الإعلاميّ	113
خلاصة المبحث	119
المبحث الثالث/ خصائص الخطاب النبوي الإعلامي	120
المطلب الأول: بناء العقيدة والسلوك	121
المطلب الثاني: تكليم الناس كلٍّ بمستواه	122
المطلب الثالث: تلوين الأساليب والوسائل	127
المطلب الرابع: الواقعية والإيجابية	132
المطلب الخامس: الموضوعية والشمولية	134
خلاصة المبحث	141
المبحث الرابع/ أشكال الإعلام في العهد النبوي	142
المطلب الأول: الإعلام المسجدي	143

المطلب الثاني: الإعلام الحربي والسياسي	149
المطلب الثالث: الإعلام الأمني	155
المطلب الرابع: الإعلام المستقبليّ	158
خلاصة المبحث	161
الفصل الثالث: **الفعاليات الإعلامية في الخطاب النبوي** **وسائل الاتصال – مواجهة الحرب النفسية**	
تمهيدٌ: الفئات المستهدفة في الخطاب النبوي	163
المبحث الأول/ وسائل الاتصال بالآخرين في العهد النبوي	170
المطلب الأول: الخطبة	172
المطلب الثاني: الحوار	180
المطلب الثالث: الرسائل والبعوث	190
المطلب الرابع: الشعر	198
خلاصة المبحث	201
المبحث الثاني/ موقف الرسول الكريم في مواجهة الحرب النفسية	202
المطلب الأول: ماهية الحرب النفسية ومفهومها	203
المطلب الثاني: أساليب الحرب النفسية ضد الرسول المصطفى	203
المطلب الثالث: الشائعات أخطر حالات الحرب النفسية	210
المطلب الرابع: مواطن استخدم فيها النبي الحرب النفسية	215
المطلب الخامس: كيفية مواجهة النبي للحرب النفسية	221
خلاصة المبحث	226
الخاتمة والتوصيات	227
الفهارس العامّـــــة	230
فهرس أطراف الآيات	231
فهرس أطراف الأحاديث	235
فهرس الرواة المذكورين بجرح أو تعديل	241
مراجع البحث	243
فهرس الموضوعات	257

ملخص الرسالـــــة:

يتناول البحث موضع الإعلام في السنة والسيرة النبوية، لما لهذا الموضوع من أهمية معاصـــرة واحتياج لتبيان تأصيله الشرعيّ من سنة النبي صلى الله عليه وسلم.

هذا وقد تألف البحث من ثلاثة فصول كما يأتي: التمهيد، ويشتمل على ستة أمور: يتناول أولهـــا الإعلام في اللغة والاصطلاح، والعلاقة بينهما، وثانيها: أهمية الإعلام فـــي حيـــاة الإنـــسان، وثالثهـــا: خصائص الإعلام في الإسلام وأهدافه ووظائفه، ورابعها: الإعلام عند العرب، وخامسها: الإعـــلام فـــي القرآن الكريم، فيما يذكر سادسها: الإعلام في الحدود الشرعية.

الفصل الأول: (النظرية الإعلامية من خلال مصطلح الحديث)

وفيه خمسة مباحث: تذكر الحديث وعلاقته بالإعلام، ثم مواصفات ناقل الخبر المقبول وعلاقتـــه بالإعلام، يليها العلاقة بين النقد الحديثي والنقد الإعلامي، ثم العلاقة بين الحديث والإعلام من حيث أدوات التحمل والأداء، ونختم بكتابة الحديث وضبطه ومبادئ الكتابة الدقيقة.

الفصل الثاني: (الإعلام النبوي .. مبادئه وخصائصه وأشكاله)

وفيه أربعة مباحث: حول هيئة النبيّ صلى الله عليه وسلم الإعلامية، ومبادئ وخصائص وأشكال الإعلام في العهد النبوي.

الفصل الثالث: (الفعاليات الإعلامية في الخطاب النبوي)

وفيه تمهيدٌ ومبحثان: حيث يتحدث التمهيد عن: الفئات المستهدفة في الخطاب الإعلاميّ النبوي، ثم ذكرٌ لوسائل الاتصال الإعلاميّ في العهد النبوي، ونحتم بالموقف الإعلامي النبويّ في مواجهة الحـــرب النفسية.

وأخيرًا الخاتمة: وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات.

حيث تناولت النتائج وجوب توافر الصدق والمظهر الحسن لدى ناقل الخبر، وأهميـــة اســـتخدام الحرب النفسية كأداة إعلامية هامة خاصة في عصرنا الحاضر.

فيما تناولت أهم التوصيات ضرورة أسلمة العمل الإعلامي؛ بتشكيل خلية إعلاميـــة ذات ثـــلاث شعب، أولاها حديثية شرعية، وثانيتها إعلامية سياسية، وثالثتها تمحيصية تدقيقية، ويكون عملها النظر في الموسوعات والمصطلحات والأفكار الإعلامية خاصةً وإعادة صياغتها تعريفًا وتركيبًا لتناســـب الواقـــع الإسلامي بموضوعية وحيادية.

Abstract :

The research into the media in Sunnah and Biography of the Prophet, for a topic of contemporary importance and the need to demonstrate legitimate rooting Sunnah of the Prophet peace be upon him.

This research was composed of three chapters as follows: grading, and includes six things: First, address the media in the language and terminology, and the relationship between them, and second: the importance of the media in human life, and third: the properties of the media of Islam and its objectives and functions, and fourth: the media among the Arabs, Fifth: Media in the Koran, in The Sixth: Media in the legality.

Chapter I: (Theory of Media through Hadith term)

It contains five topics: Hadith and its relationship to media, and specifications acceptable carrier and its relationship to the news media, followed by the relationship between Hadith criticism and media criticism, then the relationship between Hadith and media in terms of reception and performance, and conclude by typing talk and control and the principles of writing minute.

Chapter II: (media prophetic .. principles, characteristics and forms)

With four topics: about the Prophet peace be upon him shape, and the principles, characteristics and forms of media in the period of the Prophet.

Chapter III: (media events in the Prophet's speech)

And the grading and two subjects: where they talk about the grading: the target groups in the media discourse the Prophet, then talk about the means of communication media in the period of Prophet Muhammad, and the prophetical media position in the face of the Prophet's psychological warfare.

Finally Conclusion: and include the most important findings and recommendations.

Where the results should be dealt with the availability of honesty and good appearance to the carrier news, and the importance of psychological warfare as an information tool is especially important in our time .

The most important recommendations for the Islamization of the need for media work; information to form a cell with three divisions, the first Hadith legitimate Second, political information and, third Tmahisip auditing, and its work should be considered in terms of encyclopedias, especially information and ideas and reformulation of a definition and an installation to fit the Islamic reality objectively and impartially .